الدعوة في عهد
الملك عبد العزيز
رحمه الله

تأليف

الدكتور محمد بن ناصر الشثري

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة من المؤلف
لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية (كلية الدعوة والإعلام)
بإشراف فضيلة الدكتور سعود بن محمد البشر

تقديم

لمعالي الشيخ ناصر بن عبد العزيز الشثري

المستشار بالديوان الملكي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلقد حفل التاريخ عبر الأزمان المختلفة بشخصيات قليلة غيّر الله بهم مجرى الحوادث، ومن تلك الشخصيات جلالة الملك عبد العزيز، الذي لا أظن أن أحداً في العصر الحاضر يماثله في مجموع الصفات التي تحلى بها، والتي لا أتصور أن يحويها كتاب واحد، ومن هنا وجدت كتابات كثيرة عن الملك عبد العزيز من خلال جوانب عديدة ويلاحظ على هذه الكتابات أمران:

الأول: أنها لم توف الملك عبد العزيز حقه في تلك الجوانب التي كان مدار الحديث في هذه المؤلفات، لأن الحوادث المتكررة في عشرات السنين لا يمكن أن يشملها كتاب واحد مهما بلغ عدد صفحاته.

والأمر الثاني: أن هناك جوانب لم يكتب عن الملك عبد العزيز فيها شيء ومن تلك الجوانب: الجانب الديني مع أن الملك عبد العزيز من أرفع الناس رتبة في هذا الجانب، مما يجعل المرء بذكره يتذكر قول النبي ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» كما في الحديث الصحيح الذي أخرجه

أبو داود في سننه، كيف وقد تواترت الرواية عنه بإحياء معظم الليل بالعبادة صلاة وتلاوة، مع الغيرة الدينية العظيمة، فكان من أعظم الناس أمراً بالمعروف، وإنكاراً للمعاصي، مع البعد عن كل ما يدنس حتى أنه كان لا يتصور كثيراً من الجرائم الأخلاقية إلا عندما يعلم بوقوعها. ومع أنه عاش في وقت استأثر الاستعمار فيه بحكم البلاد الإسلامية إلا أنه استطاع أن يبعد هذا الاستعمار عن بلاد الحرمين، ومع انتشار التبعية للغرب والانبهار بما لديهم من نظم وقوانين عند أكثر الناس إلا أن إيمانه كان أقوى من ذلك ومن هنا قام بتحكيم الشريعة في جميع المجالات؛ حتى كانت بلاده هي الرائدة في ذلك، فأحبه عباد الله ولهجت ألسنتهم بالدعاء له والثناء عليه، فألق الله به بين قلوب عباده واتجهوا لعبادة ربهم عز وجل وأمنوا على أنفسهم ومحارمهم وأموالهم، وقد استغل جميع ما لديهم من إمكانات في عبادة ربه سبحانه من خلال الدعوة لدينه وخدمة عباده من خلال تنقية عقائدهم وتعليمهم وتوفير رغد العيش لهم، فاسأل الله أن يعظم مثوبته، وأن يرفع درجته، وأن يخلد ذكره، وأن يوفق ذريته للسير على منهجه ليحوزوا بذلك على أرفع المقامات في الآخرة، وأعلى المنازل في الدنيا.

ومن هنا حاول الابن الدكتور محمد بن ناصر الشثري الكتابة عن جزء الدعوة من هذا الجانب؛ فرصد مادة هذا البحث من مصادر متعددة، وصاغه صياغة منهجية، وأمضى في ذلك قرابة ست سنوات، وقد عرض عليَّ بعض مباحث الكتاب فعرفت ما له من تميز في ذلك، وكان عمله خلال هذه المدة يتعرض للتوجيه والتصويب من خلال مشرف ومناقشين ذوي مرتبة علمية رفيعة، فإن أصل هذا الكتاب

رسالة علمية قدمت إلى كلية الدعوة والاعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الدكتوراه.

وكانت لجنة المناقشة مكونة من:

١ ــ سماحة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء.

٢ ــ وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ نائب سماحة المفتي لشؤون الفتوى وعضو هيئة كبار العلماء.

٣ ــ والمشرف على الرسالة فضيلة الدكتور سعود بن محمد البشر وكيل المعهد العالي للقضاء.

وكنت ممن حضر المناقشة التي دامت أكثر من أربع ساعات **فنالت مرتبة الشرف الأولى**.

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أمور أبرزها ما يأتي:

١ ــ إن هذا الكتاب يؤرخ ويبين أهم الجهود المبذولة في سبيل الدعوة إلى عقيدة التوحيد سواء الجهود الداخلية أو الخارجية من هذه الدولة لأن روح هذه الدولة هو الدعوة إلى التوحيد التي بوجودها تحيا وتزدهر وتتوفر لها أسباب الخير والسعادة.

٢ ــ إن هذا الكتاب يؤرخ للتطبيقات العملية لأوامر الشريعة الإسلامية في هذه البلاد المباركة في عهد تأسيس هذه الدولة عهد الملك عبد العزيز لأن دستور هذه الدولة هو الشريعة الإسلامية.

٣ ــ إن هذا الكتاب يؤرخ لهذه الحقبة الهامة من الناحية العلمية والثقافية والفكرية وهي من أهم الجوانب في حين أن أغلب المؤرخين ركزوا على الجوانب الحربية التي يمكن أن تنسى ويذهب أثرها لو لم يكن وراءها فكر وعقيدة لأن مدة حكم الملك عبد العزيز من الأوقات التاريخية التي تستحق أن تكتب بالذهب لأهميتها.

٤ ــ إن المعارك الحربية التي حصلت بين الملك عبد العزيز ومن عاصره تتأرجح فيها القوة العسكرية بينها في العدد والعتاد ومع ذلك يتغلب عليهم جيش الملك عبد العزيز وذلك بسبب ما يحمله الملك وجيشه من عقيدة تدعو الجيش إلى الثبات في سبيلها.

وهذا ما سوف ترى إن شاء الله توضيحه في هذا الكتاب.

وأسأل الله النصر والعز لقادتنا لاهتمامهم بسيرة هذا القائد الفذ، ورغبتهم سلوك منهجه، كما أسأله سبحانه للجميع العلم النافع والعمل الصالح، وللباحث جزيل الأجر ومزيد التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تقديم

الدكتور إبراهيم بن محمد أبو عباة

رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. . أما بعد:

فإنه يشرفني ويسعدني أن أقدم لهذا العمل العلمي الجليل الذي يتناول (الدعوة في عهد الملك عبد العزيز).

ولا شك أن الباحث في أي جانب من جوانب حاية الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ــ رحمه الله ــ سيجد نفسه أمام شخصية عظيمة متعددة المواهب.

لقد استطاع بما آتاه الله من عقل وحكمة وحنكة وحسن سياسة مع إخلاص الله عز وجل وصدق نية، استطاع أن يوحد هذه الجزيرة ويلم شتاتها.

لقد وحد القلوب فاجتمعت على محبته، كما وحّد الأرض فانقادت لطاعته، لقد أقام هذا الكيان الشامخ على أسس ميتنة وقواعد صلبة، أقامه على التوحيد الخالص فجعل من كلمة التوحيد شعاره ومنطلقه، وكانت النتيجة أن مكّن الله له في الأرض، وفتح له كنوزها، ولقد أكد هذا البحث القيم ما يتميز به الإمام الموحد من حب للعلم وتقدير للعلماء واهتمام بالدعوة إلى الله عز وجل يقول رحمه الله: (الإسلام عزيز عليّ ورهبته على قلوب أعدائه كبيرة فواجب المسلم أن يقوم بالدعوة إلى عبادة الله خالصة. .) لقد التزم ــ رحمه الله ــ

بالإسلام التزاماً كاملاً، التزم به شريعة وعقيدة ومنهج حياة، يقول مؤكداً ذلك: (دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ فإما حياة سعيدة على ذلك وإما موتة سعيدة) وقد سلك الإمام البطل جميع السبل، واتخذ كافة الوسائل لتبليغ دين الله ونشره بين الناس، فقام بإنشاء هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعيّن القضاة والمفتين والأئمة والخطباء وأرسل العلماء والدعاة والمرشدين إلى البادية والهجر وفتح المدارس وطبع الكتب العلمية الأصيلة، وأقام كل ذلك على المنهج السلفي الصحيح، يقول يرحمه الله: (أنا داعية أدعو إلى عقيدة السلف الصحيح وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ..).

وليس غريباً منه رحمه الله رحمة واسعة أن يسلك هذا المسلك، فهو من دوحة هذا منهجها وتلك سياستها، ولقد وضع الإمام الموحد الأسس وأرسى القواعد وحدد المعالم لمن خلفه من أبنائه، فساروا على نهجه واقتدوا بسيرته العطرة فاستمر هذا الكيان الشامخ وهذه الدولة المباركة في سياستها القائمة على شريعة الله تطبيقاً والتزاماً وخدمة وصارت بلاد الحرمين المملكة العربية السعودية مضرب المثل في البذل والعطاء والانفاق في سبل الخير والبر والإحسان، وانطلقت بخطى ثابتة تواصل رسالتها في خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان امتداداً لجهود الباني المؤسس الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ــ عليه رحمة الله ــ وفي هذه الدراسة القيمة مباحث علمية جيدة تبين ما قام به الإمام الموحد من جهود عظيمة وأعمال جليلة في مختلف المجالات العلمية والدعوية..

وما يزيد من قيمة الرسالة أن الباحث ينتسب إلى أسرة عريقة

عرفت بحب العلم والدعوة وقد بذل في كتابتها وإعدادها جهوداً كبيرة وقام بالاتصال بعدد من كبار السن ممن عاصروا الملك عبد العزيز وعاشوا معه وشاهدوا أعماله، فأخذ عنهم مشافهة كثيراً من المعلومات والأخبار التي لا توجد في الكتب المطبوعة فسجلها الباحث في رسالته بكل دقة وأمانة، كما أن هذا البحث قد أشرف عليه وناقشه ثلاثة من العلماء الكبار المشهود لهم بالعلم والفضل وسعة الاطلاع.

اسأل الله عز وجل أن يبارك في الجهود ويسدد الخطى، كما اسأله أن يتغمد الموحد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بواسع رحمته ويجزيه عن دينه وأمته خير الجزاء على ما قام به من جهود، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته . .

كما اسأله عز وجل أن يوفق قادتنا وولاة أمرنا لكل ما يحبه ويرضاه، إنه سميع مجيب.

المقدّمة

أولاً ــ التمهيد:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والحمد لله أن هدانا ووفقنا وأمتنَّ علينا بنعمة الاهتداء للسنة في حين ضلّ عنها أكثر الناس. نحمده سبحانه على هذه النعم العظام والمنن الجسام.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخليله من خلقه، بلّغ رسالة ربه، ونصح أمته، وأقام حجة الله على خلقه، أكمل الله به الدين، وأتم به على عباده النعمة، فتوفي ﷺ وقد ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين حملوا رسالته، وبلغوا عنه أمته، وساروا على نهجه، فلم يغيروا ولم يبدلوا، رضي الله عنهم وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله قد بعث محمداً ﷺ بالهدى والنور والدين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فقام ﷺ بما بعث به حق القيام، فدعا إلى الله تعالى وأرشد إليه، وجاهد في ذلك حتى أشرقت الأرض بنور الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وقد حمل الراية بعده صحابته الكرام رضي الله عنهم، فجاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى بما استطاعوا من قوة علمية وعملية، حتى كثر انتشار الإسلام في أنحاء المعمورة، ودخل أبناء كثير من الشعوب في دين الله تعالى.

ولم يزل من بعدهم من التابعين الأجلاء يقومون بما قاموا به، ويواصلون ما ابتدؤوه، لا يعيقهم عائق، ولا يثنيهم أحد في سبيل تبليغ هذا الدين، والحفاظ على بيضته من عبث المفسدين.

ثم إن الله جل وعلا ابتلى أهل الإسلام بما أحدثه المبتدعون من أقوال شنيعة وأفكار سيئة منافية لأصل الدين أو كماله الواجب، فانفتح باب من الشر عظيم، كثر بسببه الفساد والإفساد، وانتشر بسببه البغي والعناد.

إلا أن الله جل وعلا تدارك هذه الأمة بأن وعدها بإخراج مصلح يجدد لها دينها على رأس كل قرن، كما قال النبي ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]. فلم يزل المصلحون يتتابعون على هذه الأمة المحمدية، كلما بعد العهد بواحد خلفه آخر؛ وفاءً من الله جل وعلا بهذا الوعد الحكيم، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، (٤/ ٤٨٠). قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٥١)، سنده صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم. أهـ. والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢).

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

وكان من هؤلاء المصلحين: الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقد نشأ في زمن ضعفت فيه الآثار المحمدية، وضعفت المعالم الإسلامية، فلا راية إلا لأهل الشرك والبدع، لهم الصولة والجولة، والعامة تبع لهم، والخاصة دعاة لهم، قد ضلوا وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، لم يسلم من شباكهم أحد إلا نزر يسير، حتى أصبحت البدعة عندهم سنة، إذا غيرت قيل: غيرت السنة.

فلما رأى الشيخ رحمه الله حالهم وعرف ضلالهم، دعاهم إلى توحيد الله بالعبادة، وإفراده سبحانه بها.

ولم يزل رحمه الله مجاهداً، صابراً على ما يلقاه من أذى، داعياً إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، يسانده في ذلك ــ بعد عون الله تعالى ــ الإمام محمد بن سعود رحمه الله، إلى أن آتت هذه الدعوة المباركة ثمارها، وغرست غرساً طيباً، ما زال الناس يعيشون في ظله، أثمرت تلامذة يدعون إلى الحق، وكتباً تهدي إليه، فسار الطلاب بهذه الدعوة في كل مكان، وسارت مؤلفات الحق مسار النهار، فانشرحت صدور الموفقين لهذه الدعوة وقبلوها، ودعوا إليها، والتقت قلوبهم عليها ــ وإن تباعدت أقطارهم ــ واتضح دين الحق من دين الخرافيين القبوريين: ﴿والله متمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[1].

إلا إن هذه الدعوة المباركة لم تسلم من حروب شرسة شنّها

---

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

أعداؤها أعداء الدين، الذين شرقوا بدعوة الحق وكرهوها، فنصبوا لها أشد ألوان العداء، وسعوا في الإطاحة بها والقضاء عليها، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

فكتبوا الكتب التي تشوه صورة الدعوة بما أودع فيها من كذب وبهتان وافتراء على الدعوة وأهلها[١]، لا حقيقة له ولا واقع، ووزعوا هذه الكتب على جميع أهل الأمصار. بل جلبوا الجيوش العارمة التي غزت بلاد الدعوة[٢]، فقتلت رجالها من علماء وقضاة ودعاة، وشردت أهلها، وأخافت سبيلها، ونهبت أموالها، وهدمت بيوتها، في وقائع جرت على أهل الإسلام لم يغفل العلم وأهل التاريخ عن تدوينها[٣]؛ ليعلم أبناء الإسلام ما جرى على أهل الدعوة من المحن العظام والفتن الجسام التي يراد بها الإسلام ذاته.

ولكن كل هذه الوسائل التي بذلوها في سبيل إخماد نور هذه الدعوة الإصلاحية باءت بالفشل، فلم تحقق تقدماً، ولم تقض لهم

---

(١) ككتاب أحمد زيني دحلان المسمى «الدرر السنية في الرد على الوهابية»، وقد طبع مرات عديدة.

وكتاب «كشف النقاب عن عقائد ابن الوهاب» لعلي نقي اللكنهوري، طبع في النجف بالعراق سنة ١٣٤٥ هـ.

وكتاب «المنحة الوهبية في رد الوهابية» لداود بن جرجيس، طبع مرات عديدة، آخرها في استانبول سنة ١٤٠٣ هـ، وغيرها من الكتب.

(٢) كالحملات التي قامت بها الدولة التركية ضد أهل نجد، بقيادة إبراهيم باشا وخورشيد وطوسون. انظر تاريخ ابن بشر المسمى «عنوان المجد».

(٣) كالشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ في كتابه «الضياء الشارق في رد شبه الماذق المارق» ص ٩٦ وما بعدها.

وطراً؛ لأن نور الله باق لا يزول، ودينه منصور لا محالة ولو كره الكافرون.

فحقق الله لعباده المؤمنين وعده بالنصر والتمكين في الأرض[١] على يدي الإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، حيث رفع راية التوحيد خفاقة، فأعز الله به أهل هذه الدعوة، بعد أن كانوا أذلة، وأغناهم جلّ وعلا به بعد أن كانوا عالة، فساروا تحت رايته السلفية يدعون إلى توحيد الله تعالى، ويصححون ما وقع فيه أكثر الناس من البدع، يجاهدون بذلك، لا يخشون أحداً إلا الله، بعد أن كانوا متسترين بدعوتهم، خائفين من بطش الناس بهم، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

وقد قام بالدعوة إلى الله تعالى في عهد ذلك الملك الصالح ثلة من العلماء العاملين، ونخبة من الصالحين المصلحين، أمثال: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن حسن[٢] وغيرهم. فقام الجميع بجهود جبارة في الدعوة إلى دين الله تعالى، كل على حسب ما يستطيع القيام

---

(١) قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾. سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) وسوف تأتي ــ إن شاء الله ــ تراجمهم وأهم أعمالهم الدعوية في الباب الثالث من هذا البحث.

به، فمنهم من برز في الدعوة إلى الله تعالى بالكتابة[1]، ومنهم من برز في الدعوة إلى الله بالخطابة[2]، ومنهم من جمع بينهما[3].

وقد كان الملك عبد العزيز رحمه الله عوناً لهم في كل ذلك، بعد عون الله تعالى لهم، فقد سخرت الدولة كل إمكاناتها، وبذلت كل ما تملكه في سبيل تسهيل مهمة الدعوة إلى الله تعالى ونشر التوحيد، فتم ما أملته من بث الوعي الديني بين الناس، وانتشار المعتقد الصحيح، والقضاء على لوثة البدع المنتشرة والشرك الفاشي في بعض أنحاء الجزيرة العربية[4].

وبما أن هذه الجهود التي بذلت والإمكانات التي سخرت عظيمة جداً، فإن تدوينها وحفظها أمر في مكان عال من الأهمية، ولذا، فقد رأيت أن أكتب في هذا الموضوع المهم بما يسر الله لي، سائلاً منه جل وعلا التوفيق والسداد في هذا البحث المبارك.

---

(١) مثل الشيخ سليمان بن سحمان والشيخ إبراهيم بن عيسى والشيخ عبد الرحمن بن قاسم، انظر الفصل الرابع من الباب الثالث.

(٢) أمثال الشيخ عثمان بن سليمان والشيخ عبد الله العجيري وغيرهما، انظر الفصل الخامس من الباب الثالث.

(٣) مثل الشيخ عبد الرحمن بن سعدي والشيخ محمد بن مانع.

(٤) جزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام، قاله الأصمعي (الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٦٣)، وانظر: (معجم البلدان، ٢/ ١٣٧).

ثانياً ــ أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع دوافع كثيرة، أجملها فيما يلي:

١ ــ أنه لا يعرف عن الدعوة في هذا العهد (عهد الملك عبد العزيز) إلا القليل، على الرغم من وجود حركة دعوية نشيطة في ذلك العصر.

٢ ــ أن معرفة هذه الحقبة من تاريخ الدعوة يسهم بفوائد، منها:

(أ) معرفة تجارب الدعوة في تلك الفترة والاستفادة منها.

(ب) ليعرف المشتغلون في حقل الدعوة منهجاً من مناهج الدعوة في العصر الحديث، وكيف جمع الملك عبد العزيز بين الدولة والدعوة.

(ج) معرفة ما تفرع من هذه الدعوة من دعوات لها نشاطها في عالمنا المعاصر.

٣ ــ إيراد نموذج حي من الدولة التي سعى قائدها إلى تطبيق الشريعة في العصر الحديث، والرد بتجربة هذه الدولة الناجحة على دعاة العلمانية الذين يزعمون أن الإسلام لا يمكن أن تقوم عليه دولة في العصر الحديث.

٤ ــ أنه لا يزال يوجد بيننا عدد قليل من العلماء الذين عايشوا الدعوة في ذلك العصر، ويعرفون الكثير من أنشطتها، ويخشى من ذهاب ما يعرفون بذهابهم، أمثال: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد. وقد

استفدت من هؤلاء وغيرهم من علمائنا في الوقت الحاضر في جزئيات هذا البحث، وأخذت منهم معلومات عديدة شاهدوها وحضروها، أو حكيت لهم فتناقلوها، فبذلك استطعت حفظ فوائد عديدة من الاندراس والضياع. كما أن تلاميذ كبار الدعاة في عهد الملك عبد العزيز موجودون بيننا، ويمكن الرجوع إليهم لمعرفة كثير من أوجه النشاط الدعوي في ذلك العهد والتوثيق لكثير من المعلومات والتراجم عن طريقهم. وهذا كله يجعل الكتابة عن هذا الموضوع في هذا الوقت لها أهمية كبيرة، حيث يمكن توثيق كثير من المعلومات في هذا البحث بالأسانيد المتصلة.

٥ ــ أن قربي من موطن الدعوة مكنني من معرفة الكثير من أماكن المعلومات التي تتوافر فيها الرسائل والمؤلفات المطبوعة والمخطوطة التي كتبها العلماء في عهد الملك عبد العزيز.

٦ ــ بيان أن الملك عبد العزيز رحمه الله، قام ببناء هذه الدولة الإسلامية لإعلاء كلمة الله، حيث إنه رفع راية التوحيد، وجند الجنود حولها، وسار بهم لتطبيق شرع الله في البلاد، وليس كما قال المستشرقون إنه قام لاستعادة ملك آبائه وأجداده.

٧ ــ أن الكتابة عن الدعوة في هذا العصر تتميز عن البحث في الدعوة في العصور التاريخية الماضية ــ مثل العصر الأموي والعباسي ــ أنها دعوة حية معاصرة، تؤتي ثمارها في الدعوة إلى اليوم بإذن ربها، ويهم كل مسلم مخلص استمرارها. بخلاف الكتابة عن الدعوة في العصور العباسية السابقة، حيث مضى عصرها، ولا نعرف عنها إلا ما في كتب التاريخ.

٨ ــ بيان أثر العلماء العاملين في هذه الدعوة التي قاعدتها المملكة العربية السعودية.

٩ ــ أنها دراسة تحليلية نقدية، تبين المواضع الإيجابية[١] في الدعوة، وكيفية نتائجها الطيبة واستثمارها في الدعوة، وتبين الأمور السلبية[٢] التي هي من طبيعة البشر، وكيف نتلافاها إلى الأصلح.

١٠ ــ أن جميع من كتبوا عن الدعوة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، إنما كتبوا عن جانب من الدعوة أو الدعاة في هذا العصر، فأردت أن أجمع شتات هذا الموضوع في رسالة واحدة، حيث لم يوجد من قام بهذا العمل الجليل. وقد اخترت أن يكون عنوان هذا البحث: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز.

١١ ــ أن دراسة هذا الموضوع والاهتمام به هو من الوفاء للدعوة الإصلاحية التي لا نزال نتقلب في فضلها، فهو من البر بها، وإعطائها حقها، ورد بعض جميلها.

ثالثاً ــ الحد الزماني والمكاني للبحث:

تبدأ الفترة الزمنية التي أكتب عن الدعوة فيها في هذا البحث من اليوم الخامس من شوال سنة ١٣١٩ هـ، الموافق الخامس عشر من يناير سنة ١٩٠٢ م، وهو اليوم الذي وضع فيه الملك عبد العزيز نواة

---

(١) انظر صفحة ١١٧ من هذا البحث وما بعدها.

(٢) انظر صفحة ١٥٢ وما بعدها.

هذه الدولة باستيلائه على مدينة الرياض. وتنتهي هذه الفترة الزمنية في اليوم الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ، وهو يوم وفاة الملك عبد العزيز رحمه الله في مدينة الطائف.

وسبب اختيار هذه المدة كاملة أنها فترة واحدة مترابطة، وينبني بعضها على بعض، وأي تجزئة لها، ينتج عنها فجوة في البحث.

أما المساحة المكانية التي أكتب عن الدعوة فيها في هذا البحث، فتشمل حدود الدولة السعودية في عهد الملك عبد العزيز، والتي يتحرك فيها الدعاة بلا حواجز، والتي أطلق عليها عام ١٣٥١ هـ المملكة العربية السعودية، والتي تحد شمالاً بدولة الأردن والعراق، وجنوباً باليمن وعمان، وشرقاً بالخليج العربي والكويت وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة، وغرباً بالبحر الأحمر. فكل ما في البحث يراد به المملكة بعمومها فالرسالة في منهج الدعوة والأسس التي قامت عليها في هذه البلاد مثل تقرير العقيدة وتحكيم الشريعة ونشر العلم.

رابعاً ـ الدراسات السابقة:

باستقراء بعض الكتب الموجودة، وعلى الرغم من كثرة الكتابات التي تكلمت عن تلك الفترة الزمنية ـ والتي تعد كثرتها مشكلة بحد ذاتها ـ إلا أننا نجد أغلبها كتابات تعتمد على السرد التاريخي، مع تفاوتها الواضح من حيث التوثيق والتحقيق.

وهذه الكتابات تختلف باختلاف نزعات كتابها، مثل كتاب (ملوك العرب) تأليف أمين الريحاني النصراني، وكتاب (صقر الجزيرة) تأليف أحمد عطار، وهكذا غيرها من الكتب. . .

وباستقراء الكتابات المتعلقة بتلك الفترة، لا نجد الدراسات المستغرقة لموضوع الدعوة في هذا العصر، وإن كان هناك بعض الكتابات التي وإن تعلقت بالموضوع، فإنها لا توصل إليه.

ومن هذه الكتابات:

(أ) التنظيم القضائي في عهد الملك عبد العزيز، تأليف الدكتور سعود بن دريب، وهو بحث يقتصر على القضاء، ويهتم بالتنظيمات الإدارية، دون الاعتناء بجانب الدعوة.

(ب) اهتمام الملك عبد العزيز بالعقيدة الإسلامية، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد، وهو محاضرة خطابية، مطبوعة في كتيب.

(ج) التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز، تأليف عبد اللطيف بن دهيش، وهو من ضمن البحوث التي ألقيت في مؤتمر الملك عبد العزيز، ويتميز بالآتي:

١ ــ فيه شيء من ذكر مراحل التعليم وتاريخها، وأهم نظمها.

٢ ــ البحث إحصائي تاريخي.

٣ ــ ليس فيه دراسة أو تحليل لنظم التعليم وأهدافها ونتائجها وثمراتها، ولم يتطرق إلى الجانب الدعوي في النظم التعليمية ومراحلها.

٤ ــ غالب المعلومات التي في الكتاب عن التعليم في مكة المكرمة، فلم يشر إلى التعليم في غيرها من البلدان إلا نادراً.

٥ ـ يقتصر على الجانب التعليمي.

(د) الملك عبد العزيز والتاريخ، تأليف مصطفى حسين عطار، من ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الملك عبد العزيز، ويتميز بالآتي:

١ ـ ذكر بعض مراحل التعليم وطرقه، وبعض نظمه في عهد الملك عبد العزيز.

٢ ـ في البحث بعض المعلومات التي تحتاج إلى تأكيد وتوثيق.

٣ ـ غالب المعلومات التي في البحث عن التعليم في الحجاز، ولم يشر إلى التعليم في غيره من البلدان إلا نادراً.

٤ ـ البحث مقتصر على نظام التعليم بدون دراسة تحليلية، ولا تطرق للجانب الدعوي.

(هـ) عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب، تأليف عبد العزيز الرفاعي، من ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الملك عبد العزيز، ويتميز بالآتي:

١ ـ ذكر الكتب التي طبعها الملك عبد العزيز في الهند ومصر والشام.

٢ ـ البحث استقي بالكامل من كتاب (الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز) للزركلي، ومن بحث بعنوان (حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة) للدكتور أحمد الضبيب،

ومعجم المطبوعات السعودية لشكري العناني، فليس فيه معلومات جديدة.

٣ــ لم يذكر الأسباب الداعية لنشر هذه الكتب، وأسباب تقديمها على غيرها من الكتب.

٤ ــ اقتصر على هذا الجانب (نشر الكتب)، ولم يتطرق إلى غيره من موضوعات الدعوة.

٥ ــ يتكلم عن هذا الموضوع من جانب أكاديمي أكثر من الجانب الدعوي الإسلامي.

باستقراء هذه الدراسات السابقة، نجد أنها تقتصر على جزئية محدودة، مما يستلزم وجود دراسة تلم أطراف الموضوع، وتجمع متفرقه، وتحلل دوافعه وأهدافه، وتنضر أصوله، وتوضح مناهجه وأساليبه في دراسة علمية شاملة.

خامساً ــ خطة البحث:

مقدمة، تشمل:

١ ــ تمهيد.

٢ ــ أسباب اختيار الموضوع.

٣ ــ الفترة الزمنية للبحث.

٤ ــ الدراسات السابقة.

٥ ــ خطة البحث.

٦ ــ منهج البحث.

٧ ــ الصعوبات التي واجهت الباحث.

٨ ــ شكر وتقدير.

تمهيد، ويشمل:

أولاً: حال الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز من الناحية الدينية، والعلمية، والسياسية، والأمنية، والاجتماعية، والاقتصادية.

ثانياً: لمحة موجزة عن سيرة الملك عبد العزيز رحمه الله.

ثالثاً: تأسيس الدولة.

الباب الأول: جهود الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، والأسس التي قامت عليها.

ويحتوي على مدخل، وتمهيد، وأربعة فصول:

ـ مدخل عن مفهوم الدعوة السلفية والحاجة إليها.

ـ تمهيد عن الأحوال المحيطة بالدعوة.

ـ الفصل الأول: تقرير العقيدة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تقرير العقيدة الصحيحة.

المبحث الثاني: نشر العقيدة.

ـ الفصل الثاني: تقرير الشريعة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات.

المبحث الثاني: إقامة الحدود الشرعية.

ـ الفصل الثالث: التزام الدولة بالدعوة.

ـ الفصل الرابع: تأسيس العلم ونشره.

الباب الثاني: وسائل الدعوة وأساليبها في عهد الملك عبد العزيز.

ويحتوي على تمهيد وفصلين:

ـ تمهيد: في تعريف وسائل الدعوة وأساليبها.

ـ الفصل الأول: تقرير العقيدة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الوسائل الأصلية، وفيه عشرة مطالب:

ـ المطلب الأول: إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها في الدعوة.

ـ المطلب الثاني: تعيين القضاة والمفتين وجهودهم في الدعوة.

ـ المطلب الثالث: التعليم في المسجد.

ـ المطلب الرابع: تعيين الأئمة والخطباء في المساجد للدعوة.

ـ المطلب الخامس: إرسال العلماء والدعاة إلى البادية والهجر.

ـ المطلب السادس: رسائل العلماء ومكاتباتهم.

ـ المطلب السابع: التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة.

ـ المطلب الثامن: استقبال الوفود.

ـ المطلب التاسع: إقامة الجهاد.

ـ المطلب العاشر: إنشاء المدارس.

المبحث الثاني: الوسائل الإعلامية الحديثة، ويحتوي على تمهيد وثلاثة مطالب:

ـ التمهيد عن أهمية الوسائل الإعلامية الحديثة.

ـ المطلب الأول: الصحافة.

ـ المطلب الثاني: الإذاعة.

ـ المطلب الثالث: طباعة الكتب الإسلامية ونشرها.

ـ الفصل الثاني: أساليب الدعوة المستعملة في هذا العصر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأساليب العلمية، ويحتوي على مطلبين:

ـ المطلب الأول: الدعوة بالقدوة الحسنة.

ـ المطلب الثاني: الدعوة بالحكمة.

المبحث الثاني: الأساليب القولية، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

ـ المطلب الأول: الموعظة الحسنة.

ـ المطلب الثاني: المجادلة بالتي هي أحسن.

ـ المطلب الثالث: القصص وضرب الأمثال.

الباب الثالث: نماذج من العلماء الدعاة في ذلك العصر.

ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول:

ـ الفصل الأول: الدعاة الذين اشتهروا بالإفتاء.

ـ الفصل الثاني: الدعاة الذين اشتهروا بالقضاء.

ـ الفصل الثالث: الدعاة الذين اشتهروا بالتعليم.

ـ الفصل الرابع: الدعاة الذين اشتهروا بالتأليف.

ـ الفصل الخامس: الدعاة الذين اشتهروا بالوعظ.

الخاتمة، وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

سادساً ـ منهج البحث:

ـ عزو الآيات إلى سور القرآن، مع ذكر رقم الآية.

ـ تخريج الأحاديث النبوية بذكر مصدر الحديث من أحد كتب الحديث المعتمدة.

ـ تراجم الأعلام الذين ترد أسماؤهم في البحث ممن له دور بارز في المبحث الذي ورد اسمه فيه، ترجمت له في هوامش المبحث نفسه، وأما العلماء فقد جعلت تراجمهم في الباب الثالث الذي هو خاص بالعلماء.

ـ توثيق المعلومات، فأذكر مع كل معلومة في البحث المصدر الذي نقلت منه تلك المعلومة، مع رقم الجزء والصفحة.

ـ استخلاص النتائج، حيث بذلت الجهد من أجل استخراج النتائج من خلال التعليق على المعلومات الواردة في البحث.

ـ أكتفي في الرسائل والخطب بالإشارة إلى نماذج منها لاستخلاص النتائج، وأورد جزءاً منها، وما كان منها ذو أهمية خاصة أوردته كاملاً في الملاحق.

ـ أمهد لكل باب وفصل في الغالب بذكر المراد منه وبالاستدلال عليه، ثم أتكلم عما يتعلق به من جهة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز.

ـ ختمت البحث بقائمة المصادر، محتوية على جميع البيانات المتعلقة بها.

ـ كما قمت بإعداد فهارس عامة تشمل فهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والأماكن، والمحتويات.

سابعاً ـ الصعوبات التي واجهت الباحث:

لقد واجهني في البحث صعوبات عديدة وذلك لتشعب البحث

وكثرة جزئياته وكثرة مادته العلمية في بعض المباحث وندرتها في مباحث أُخر، فكم من كتاب قد أتعبت نفسي للحصول عليه بمراجعة المكتبات وسؤال المهتمين، وكم من شخص لحقني العنت في استخراج بعض معلومات البحث منه، إما لعدم تفرغه فهو يعطي الموعد بعد الموعد، وإما لعدم استشعاره بأهمية البحث مما يجعله يتهرب من الإدلاء ببعض المعلومات.

ومع ذلك كله، فقد تمكنت بفضل الله من الإحاطة بموضوع البحث ومعالجة قضاياه بتوثيق علمي وتحرير كتابي مما واقعه أكبر من وصفه. ولا يخفى أن إمضاء خمس سنوات في متابعة مادة البحث وصياغة أسلوبه جهد ليس بالسهل. فكم ليلة سهرتها حتى برق صبحها، وكم من ليلة غلبني النوم وأنا منكب على كتبي، وكم من معلومة مكثت أياماً وربما أسابيع أبحث عنها.

ومن فضل الله أن ذلل لي هذه الصعوبات، فصار البحث على هذه الصورة التي أسأل الله أن يجعلها مقبولة عنده سبحانه قبل الخلق أجمعين.

ولقد بذلت من عمري أكثر من ثلاثين عاماً في طلب العلم إن لم يتقبلها ربي مني فيا عظم خسارتي ولو حزت كنوز الأرض جميعاً.

ثامناً ــ شكر وتقدير:

أشكر الله عز وجل أن وفقني لإنهاء مرحلة الدكتوراه في كلية الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ذلك الصرح العلمي الفريد.

كما أشكره سبحانه وتعالى أن جعل مشرفي في رسالة الدكتوراه

شخصية علمية بارزة، له اطلاع تام بمجالات هذا الموضوع، فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن محمد البشر، فأولاني من وقته، وبذل لي من معارفه ما طوق به عنقي، فأجزل الله مثوبته وضاعف أجره، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة.

وبعد، فما في هذه الرسالة هو جهد مقل، فما كان فيه من صواب، فهو من فضل الله وتوفيقه، فأشكره سبحانه، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله منه وأتوب إليه.

تمهيد

أولًا: حال الجزيرة قبيل عهد الملك عبد العزيز.

ثانياً: لمحة من سيرة الملك عبد العزيز.

ثالثاً: تأسيس الدولة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: حال الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز

١ ـ الحالة الدينية:

لم تكن الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز من الناحية الدينية إلا صفحة في كتاب الأمة الإسلامية كلها، أصابها ما أصاب الجميع من اضمحلال في القوة ووهن في العقيدة وتفشي الجهل، والبدع، والضلالات، وفي النهاية كانت تسير في مؤخرة ركب العالم وكأن المسلمين يعيشون على هامشها.

إلا أن بعض أهل الجزيرة قد وفقهم الله تعالى لتصحيح العقيدة، واتباع مذهب السلف، وترك البدع والشركيات، وذلك للأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المباركة في نفوسهم؛ حيث غيرت كثيراً من عقائدهم المنحرفة واستقام سلوكهم على يد إمام الدعوة المجدد ـ رحمه الله ـ وقد استمروا بعد ذلك على هذا المنهج المستقيم في العقيدة، وأصبح منهجهم سليماً اقتداء بالصفوة الأولى من سلف أمة محمد ﷺ، فهم يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً في العقيدة أو العمل.

ولا شك أن فترات الضعف التي مرت بها منطقة الجزيرة العربية قد أثرت في مسار الدعوة، وأفقدتها العنصر الأساس في تماسكها والتزام الناس بها وهو قوة آل سعود وتأييدهم لها.

فعندما دمرت الدرعية عام ١٢٣٣ هـ وأيضاً عندما انهارت الدولة في دورها الثاني عام ١٣٠٨ هـ، مرت البلاد بفترة ضياع واضطراب، عاشت البلاد فيها حالة من الفوضى الأمنية والاجتماعية، وعدم الالتزام بالأحكام الشرعية وعزف الكثير من الناس عن العلم وتلقيه[(١)].

أما بالنسبة لمنطقة الحجاز، فعلى الرغم من أن أهلها كانوا أسعد حظاً من الناحية المادية، حيث كان أثرياء المسلمين يضعون قسماً من أموالهم وقفاً للحرمين، وكان المسلمون في الهند ومصر والبلاد العربية الأخرى، يبعثون بالصدقات إلى أهل الحجاز قبل العهد السعودي الأخير. رغم هذا الثراء المادي نسبياً، فإنهم كانوا أسوأ حالاً من الناحية الدينية ــ قبل أن يوحد الملك عبد العزيز نجداً والحجاز ــ حيث جلب حكامهم ــ عن طريق اتصالهم بالسلاطين العثمانيين ــ جلبوا عادات وتقاليد أعجمية لا تقرها الشريعة الإسلامية، نتجت عن الجهل بالدين بسبب اختلاط هؤلاء الناس بالوافدين إلى الحجاز من مختلف أقطار العالم، مما جعل الحجاز مرتعاً خصباً للبدع والخرافات وسوقاً رائجة للطوائف والضلالات[(٢)].

أضف إلى ذلك وثنية القبور التي أفسد بها الفاطميون وعلماء السوء جوهر الدين الإسلامي وصيّروا من الشعوب العربية التي

---

(١) انظر ابن بشر، عثمان، ــ عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١/ ٣٩٠ ط ٤ الرياض ١٤٠٢ هـ.

(٢) انظر كتاب تاريخ مكة لأحمد السباعي ج ١/ ٢١٦ ط ٦ سنة ١٤٠٤ هـ نشر مكة حيث ذكر بعض البدع التي أبطلها الملك عبد العزيز في مكة.

حكموها مجموعة من الدراويش[(١)] والسدنة[(٢)] على القبور[(٣)]، وروجوا الخرافات.

وقد انتشر بين عرب الحجاز وغيرهم ممن وقع تحت سلطة الدولة العثمانية وثنية القبور وصرف شيء من العبادة لغير الله، بل وجدت تربة خصبة لزرع البدع، والخرافات تتوافر فيها جميع وسائل نموها وازدهارها لهذه العقيدة الوثنية، سواء في مكة التي فيها قبر خديجة ـ زوج النبي ﷺ ـ أم المدينة التي فيها قبر النبي ﷺ، وصاحبيه أبي بكر، وعمر، وفيها قبور كثير من الصحابة في مقبرة البقيع، وقبور شهداء أحد قرب جبل أحد وغيرها رضي الله عنهم. حتى جدة استطاع الدجالون أن يجعلوا فيها مزاراً زعموا أنه قبر أم البشر حواء[(٤)].

ولقد ساءت الأمور لدرجة أن العالم الضليع بفقه السنة، والعالم بأن هذه الوثنية من صنع أعداء الإسلام في مرحلة انحطاطها ـ سواء أكان من أهل الحجاز، أم جاء حاجاً ـ لا يستطيع إعلان وثنية

---

(١) الدراويش: جمع درويش وهو في نظام الصوفية الزاهد الجوال (فارسية دخيلة).

(٢) السدنة: جمع سادن وهو خادم المعبد ويقال سادن فلان، إذنه: حاجبه المعجم الوسيط.

(٣) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج ٣/ص ٢٧٨، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ بيروت.

(٤) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج ٣/ص ٢٩٧، ٢٩٨ بتصرف.

هؤلاء الدجالين خشية أن يفتوا بكفره، أو يفتكوا به[1]، وكانت فئة قليلة من الحجاج ليس للدجالين عندهم أي نصيب لكونهم يعلمون أن الواجب على العبد عبادة الله تعالى وحده، وأنه لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله كائناً من كان[2].

إلا أن هذه الوثنية انتهت بظهور الملك عبد العزيز الذي أخذ على عاتقه تجديد ما اندثر من معالم هذه الدعوة، وتوحيد البلاد في ظل دولة إسلامية، وأن يطهّر البلاد من بقايا هذه الشركيات[3] كما سيأتي ذلك مفصلاً في هذا البحث.

كما أننا لا ننسى ـ ونحن نتكلم عن الحالة الدينية قبيل عهد الملك عبد العزيز ـ أن نشير إلى دور العلماء في التحول العقدي، والسلوكي للناس؛ وذلك لأن الناس في الجزيرة العربية بعامة وفي نجد بخاصة، يحبون العلماء ويحترمونهم ظاهراً وباطناً، فهم لا يقدمون على العالم أحداً من الناس. وعندهم أن كلمة العالم من أشرف الكلمات منزلة، وهذا الحب وهذا الاحترام يجعلان الناس ينقادون لتعاليم هؤلاء العلماء ويقتدون بهم.

ويرجع هذا الاحترام، والحب اللذان يتمتع بهما العلماء إلى أمرين:

---

(١) مثلما حصل للشيخ أبي بكر خوقير من علماء مكة الذي سجنه الشريف حسين وعذبه بسبب التزامه بعقيدة السلف الصالح وقد مكث في السجن حتى فتح الملك عبد العزيز مكة وأخرجه من السجن.

(٢) المرجع السابق، ج ٣/ ص ٢٧٩ ـ ٢٩٨.

(٣) تاريخ ابن ربيعة/ تحقيق د: عبد الله بن يوسف الشبل ص ٥٠.

(أ) حب الناس للدين، وعظمته في نفوسهم.

(ب) احترام العلماء لأنفسهم وزهدهم في الدنيا واستقامتهم ونبذهم ما يخدش حرمة العلم والعلماء. ولأنهم يتكلمون بلسان الشرع ويقضون بقضائه[١].

ومن أظهر الأدلة على هذه الحالة الدينية في الجزيرة ما قاله الشيخ سعد بن عتيق وبعض العلماء[٢] في وصف الوضع قبيل الملك عبد العزيز، وذلك في رسالة إلى زعماء الإخوان نشرت بينهم مذكرينا إياهم بنعمة الله في تحسن الحالة الدينية في عهد الملك عبد العزيز.. قالوا:

«إعرفوا نعمة ربكم واشكروه عليها فإنكم كنتم أولاً في جاهلية عريضة، وحالة عن الحق بعيدة، رؤساؤكم أكثرهم طواغيت كبار، وعوامكم جفاة أشرار لا تعرفون حقائق دين الإسلام ولا تعلمون من الحق إلا بما تهوى نفوسكم، مع ما كان بينكم من سفك الدماء ونهب الأموال وقطيعة الأرحام وتعدي حدود الله وغير ذلك من المحرمات وعظيم المنكرات، ثم هداكم الله لمعرفة دينه والعمل بتوحيده وسلوك مسلك أهل الإسلام والتوحيد، وانتشرت بينكم كتب السنة والآثار

---

(١) القصيمي. الثورة الوهابية ص ١١٣، المطبعة الرحمانية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ.

(٢) هم: الشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ صالح بن عبد العزيز، والشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف والشيخ عمر بن عبد اللطيف والشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف والشيخ محمد بن ابراهيم.

ومصنفات علماء الإسلام»[(١)].

٢ ـ الحالة العلمية:

وجد في بعض مساجد الجزيرة[(٢)] حلقات ودروس علمية، كما عرفت الرحلة في طلب العلم في الجزيرة العربية وكانوا يتأدبون في أخذ العلم، وقد تميز وسط الجزيرة بصفاء في العقيدة واستقامة في المنهج، واعتماد العالم والمتعلم منهم على كتاب الله العزيز والسنة المطهرة كمصدر أساس لأخذ العلم والتطبيق العملي.

وكان في البلاد بقية من العلماء[(٣)] تعلموا على أيدي أئمة الدعوة وتلاميذهم الذين قامت عليهم دعائم الدولة السعودية في سابق عهدها، وكان أغلب هؤلاء العلماء يتمتعون بذاكرة قوية حتى أن من يسمعهم يظن أنهم يقرأون في كتاب، لاعتمادهم على حفظ المتون.

إلا أن هؤلاء العلماء كانوا من القلة، بحيث نجد أن بعض القرى لا يوجد بها من يقرأ أو يكتب لانشغال الناس بكسب العيش، علاوة على عدم الأمن وكثرة قطاع الطرق، وكان ذلك مانعاً للبعض من الرحلة في طلب العلم إلى المدن التي يتوافر فيها العلماء مثل الرياض ومكة والمدينة ونحوها، ومن الكتب التي كانوا يهتمون

---

(١) ابن قاسم، الدرر السنية، ج ٧/ص ٣٢١ ـ ٣٢٣ مطبعة المكتب الإسلامي ببيروت ط (٢) ١٣٨٥ هـ.

(٢) وذلك في مساجد المدن الكبار، مثل المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وجامع الرياض، وجامع الأحساء، وغيرها.

(٣) مثل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ سعد بن عتيق، وغيرهم.

بدراستها فهماً وتطبيقاً: الأصول الثلاثة[1] متن الأجرومية[2] متن الرحبية[3] عمدة الأحكام[4].

وكان جل اهتمامهم بالتوحيد وعلومه لا سيما توحيد الألوهية.

إلا أنه في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين عصفت الفتن بالبلاد، فتعرضت لسلسلة من الصراعات الداخلية مكنت المتربصين بها من تفتيت وحدتها، واستأثر آل الرشيد بحكم بلاد نجد، وأصيبت الدعوة ــ أثناء غياب الحكم السعودي ــ بنكسة كادت تطفىء نورها في النفوس وضعف الاهتمام بتدريس العلوم.

وقد وفق الشيخ سليمان بن سحمان في تصوير ما آلت إليه الحالة الدينية والعلمية في ذلك العهد في قصيدة طويلة منها هذه الأبيات:

على الدين فليبك ذوو العلم والهدى   فقد طمست أعلامه في العوالم

---

(١) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله ــ (١١١٥ ــ ١٢٠٦ هـ) استنتجها من فتنة القبر وأسئلة الملائكة، طبع عدة مرات.

(٢) متن الآجرومية في علم النحو للعلامة أبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، المولود في سنة ٦٧٢ هـ والمتوفي في سنة ٧٢٣ هـ.

(٣) متن الرحبية في علم الفرائض للعلامة أبي عبد الله محمد بن الحسين الرحبي.

(٤) للحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الله بن علي المقدسي.

وقد صار إقبال الورى واحتيالهم   على هذه الدنيا وجمع الدراهم
وأبدى أعاجيبا من الحزن والأسى   على قلة الأنصار من كل حازم[1]

٣ ــ الحالة السياسية:

سأتناول هنا بشيء من التفصيل الحالة السياسية خلال المدة التي سبقت تولي الملك عبد العزيز زمام الأمور، وخاصة تلك الحقبة التي شهدت سقوط دولة آل سعود الثانية.

فقد كان قلب جزيرة العرب في فوضى سياسية يعمها الانقسام والتناحر والحروب، فلما قامت الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧ هـ وحدت البلاد وعمها الأمن والرخاء والتآلف، فلما سقطت تلك الدولة عام ١٢٣٣ هـ رجعت الحال إلى ما كانت عليه أو أشد، إلا أن الإمام تركي بن عبد الله[2] سعى إلى إعادة بنائها فتمكن من توحيد نجد والأحساء، وَوُجد جو لا بأس به من الأمن وإقامة الدين، إلا أنه بعد

---

(١) ديوان سليمان بن سحمان، ص ٤٥٨، الطبعة الثانية نشر مؤسسة الدعوة الإسلامية، الرياض.

(٢) تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود.
كان رحمه الله عادلاً في الرعية حكيماً شجاعاً مقداماً سخياً كريماً كثير الخوف من الله. استولى على جميع أنحاء نجد والأحساء والقطيف وعمان. قدم إليه ابنه فيصل من مصر والشيخ عبد الرحمن بن حسن. واستمر حكمه خمس عشرة سنة. وقتل غدراً سنة ١٢٤٩ هـ.
(سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٠ مطابع الرياض سنة ١٣٨٠ هـ).

وفاة الإمام فيصل بن تركي[1] حدث خلاف بين أبنائه وذلك أن سعود بن فيصل خرج عن طاعة أخيه الإمام عبد الله وتقاتلا في عدة مواقع كان من أهمها وقعة عين جودة[2] عام ١٢٨٧ هـ والتي انتهت بهزيمة عبد الله وتفرق جيش الإمارة، وبهذا انثل عرش الولاية وتجرأت القبائل والبلدان بالخروج على طاعة الدولة.

وفي عام ١٣٠٢ هـ هجم أولاد سعود بن فيصل على عمهم الإمام عبد الله وسجنوه فتدخل محمد بن رشيد واستولى على عاصمة البلاد الرياض، وفي عام ١٣٠٨ هـ ترك الإمام عبد الرحمن بن فيصل الرياض إلى الكويت[3] فأصبحت نجد كلها

---

(١) فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود.
استولى على الحكم بعد مقتل أبيه واستتب له الأمر أربع سنوات لكن الدولة العثمانية أوعزت لوالي مصر أن يوجه عساكره إلى نجد وقد استسلم فيصل وإبناه عبد الله ومحمد سنة ١٢٥٤ هـ بعد قتال شديد. رجع من مصر عام ١٢٥٧ هـ واستقام له الأمر ١٢٥٨ هـ إلى أن توفي عام ١٢٨٢ هـ.
(سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٠ ــ ٢١).

(٢) جودة/ بضم الجيم وإسكان الواو وفتح الدال المهملة وآخرها منهل مياه غرب وادي المياه بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وهي بقرب خط طول ٤٩ ــ ٤٨ وخط عرض ٤٧ ــ ٢٥، (انظر/ حمد الجاسر/ المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، القسم الأول صفحة ٤٣٧، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ هـ نشر دار اليمامة).

(٣) سوف يأتي الكلام مفصلاً على خروج الإمام عبد الرحمن من الرياض وأثر ذلك في نشأة الملك عبد العزيز.

تبعاً لآل رشيد.

إن هذه الأحوال المتزعزعة جعلت الناس يتطلعون إلى قيادة قوية تقيم الأمن وتفصل بين الناس بالعدل هذا في نجد، وأما في الحجاز فكان هناك الشريف حسين[1] تابعاً للأتراك، فالسلطة كانت غير منظمة في عهد الأتراك فالوالي العثماني له حكمه وللشريف حكمه، ولشيخ الحرم حكمه ولرئيس العسكر حكمه وذلك في مكة والمدينة معاً.

وكذلك كانت في الأحساء حامية تابعة لهم، وكان الأعراب يعيثون في هذين الإقليمين، ويسلبون الأموال مع تغاضي الدولة العثمانية عنهم.

أما جنوب الجزيرة (عسير ــ وجيزان) فكان يتبع الدولة العثمانية تارة وتارة أخرى كان يستقل بها أهلها كإمارة آل عايض والإدريسي.

وكان يسودها الاضطراب السياسي مما تسبب في الحروب والفتن بين القبائل وانتشار الجهل والخرافات، إلى أن تم لآل سعود السيطرة على تلك المنطقة، فساد الأمن والاستقرار، واجتث دابر الفساد والفوضى التي عمت عموم منطقة الجنوب.

---

(١) الشريف حسين بن علي الهاشمي ولد سنة ١٣٠٧ هـ في الآستانة، عينه العثمانيين أميراً لمكة سنة ١٣٢٦ هـ ثم عصى على العثمانيين وتحالف مع الانكليز ضدهم سنة ١٣٣٤ هـ، وأخرجه الملك عبد العزيز من مكة سنة ١٣٤٣ هـ، مات في الأردن سنة ١٣٥٠ هـ (الزركلي/ الإعلام/ ج ٢ ص ٢٤٩).

وهكذا كانت الجزيرة العربية، فالدولة العثمانية هي الدولة الإسلامية المعترف بها دولياً، ولذلك كانت هدفاً لمؤامرات الدول الغربية والاستعمارية والتي تستهدف استعمار ما بقي من العالم الإسلامي والعربي خاصة، فتلك الدول تعادي الدولة العثمانية لا شفقة على العرب بل لافتراس ما بيدها، ولم يكن يعني الدولة العثمانية في عهد انحطاطها من أمر الأقاليم الداخلة في حكمها سوى أمرين: الأول: الطاعة، والثاني: الأموال التي تجبى من محاصيل الشعوب عن طريق الوالي العثماني على كل منطقة أو إقليم، وسوف ترى ــ إن شاء الله ــ كيف أن الملك عبد العزيز وحده بفضل الله هو الذي خرج بدولة عربية إسلامية مستقلة لا يسيطر عليها أي استعمار أجنبي. وكأنه كان ضمن القوى العظمى.

فكان مجرى الأحداث يتجه إلى تقسيم البلاد الإسلامية إلى دويلات أو كيانات لا وزن لها فاستطاع الملك عبد العزيز ــ بعون الله ــ أن يقيم دولة إسلامية بقرار إسلامي تتويجاً لحقيقة عربية انجزتها عقيدة الإسلام، وإخلاص أتباعه[1].

فما جاء عام ١٣٤٩ هـ إلا وهو يسيطر على جميع هذه البلاد، وفي عام ١٣٥١ هـ صدر الأمر الملكي برقم (٢٧١٦) وتاريخ

---

(١) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص ٢٥ ــ ٢٦، المطبعة الفنية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

١٧/ ٥/ ١٣٥١ هـ بإطلاق اسم المملكة العربية السعودية وشعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٤ ـ الحالة الأمنية:

كان الأمن في جزيرة العرب ـ قبل عهد الملك عبد العزيز ـ مفقوداً والناس يغلب عليهم التمزق والتفرق والانقسام فيما بينهم والنزاع القبلي حتى بين المتجاورين في البلدان.

لهذا فقد اضطرب حبل الأمن وازداد الخوف وعمت الفوضى والسلب والنهب والقتل وإزهاق الأرواح، فالحروب تقع بين القبائل ـ في البادية وبين القرى ـ لأتفه الأسباب، أو بسبب الطمع والنهب، إذ ليس هناك سلطة قوية مهيمنة تسيطر على الأمور فتردع هؤلاء عن ارتكاب هذه الأعمال.

ولا يعني الكلام عن فقد الأمن في هذه الفترة أن أهل الجزيرة كانوا عارين عن المثل العليا والقيم والشيم النبيلة بل إنها جزء لا يتجزأ من البنية الأساسية لشخصية أهل الجزيرة العربية.

وكانت الانقسامات الإقليمية والتجزئة القبلية والحروب الأهلية والغزوات القبلية من الأمور الشائعة التي زعزعت الأمن قبل أن يوحد البلاد الملك عبد العزيز رحمه الله.

وقد انقسمت الجزيرة العربية آنذاك إلى أقاليم منفصلة، لا رابط بينها[١].

---

(١) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج ٣/ ص ١٦٣.

وكانت الطرق مخوفة ومحفوفة بالمخاطر على عابريها والسالكين مسالكها من قطاعها فلا ينفذ مسافر من جهة إلى جهة أخرى إلا بعد الجهد والمشقة[1].

وقد أثر هذا الجو الفوضوي والمضطرب على طلب العلم، فكان لا يوجد من طلبة العلم إلا قلة أكثرهم في المدن الكبيرة حيث يوجد العلماء وحلقات العلم، كما كان يوجد في بعض القرى أناس أخذوا العلم وراثة عن آبائهم، لكن ــ مع ذلك ــ كانت الحالة الأمنية المتردية غالباً ما تمنع الناس من السفر لطلب العلم.

وكان التنازع من أجل الرعي والأخذ بالثأر من أشهر الأسباب التي أسهمت في زعزعة الأمن في هذه المنطقة.

نقل الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد مثلاً واقعياً لهذا التناحر والخلاف في كلامه عن أحد أودية الجزيرة فقال:

ووادي الجريب[2] من أصلح بلاد الله لرعي الإبل ويقتتل عنده قبائل العرب من أجل الكلأ.

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، الجغرافية الأدبية، ج ٢، ص ٣٥٥، بتصرف، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

(٢) وادي الجريب، بجيم معجمة مكسورة بعدها راء ثم ياء مثناة ساكنة ثم باء كان يسمى قديماً الجرير، وهو من الأودية الشهيرة في عالية نجد من أوسعها حوضاً وأطولها مجري وأكثرها روافد وأطيبها مرعى ويصب في وادي الرمة. (سعد الجنيدل/ المعجم الجغرافي العالية نجد رقم ١ ص ٢٩٨، نشر دار اليمامة بالرياض ــ بدون تاريخ طبع ــ). =

وقد قتل في ذلك الوادي من رؤساء عتيبة[1] عدد كثير، منهم، تركي بن حميد أكبر رئيس في عتيبة في زمانه ثم من بعده ابن عمه سلطان بن هندي ابن حميد، وهو أيضاً من أكبر الرؤساء في زمانه، وقتل في ذلك الوادي زايد ابن محيا رئيس الحناتيش من الروقة[2]، وقتل بعده ابن عمه فلاح بن محيا وقتل أيضاً فيه شليل بن نجم ومارّق الضيط قتلته حرب، وهو رئيس العضيان من الروقة، وغزا بعده ابنه بدر بن مارق ليأخذ ثأر أبيه فألحقته قبيلة حرب بأبيه، وقتل في ذلك الوادي جديع بن زريبة، قتله دواس أحد الغيادين، وهم بطن من حرب، وقد وقعت على أثر هذه القتلة حروب كثيرة. أما القتلى الذين هم ليسوا برؤساء فهم كثيرون في هذا الوادي[3].

هذا النموذج يعطينا صورة واضحة عن الحالة الأمنية في الجزيرة العربية قبل تولي الملك عبد العزيز زمام الأمور، مما يدلنا على أن استتباب الأمن بعد توليه الحكم لم يكن بالأمر اليسير لولا عون الله وفضله.

٥ ــ الأحوال الاجتماعية والاقتصادية:

كان النظام القبلي العربي هو السائد في هذه الفترة، وكانت كل

---

(١) أحد أشهر قبائل الجزيرة وتنسب إلى قبيلة هوازن المضرية.
(٢) الروقة أحد فرعي قبيلة عتيبة والفرع الثاني يدعا برقا.
(٣) ابن بليهد، المرجع السابق، ص ٥٤٠.

قبيلة تحتل منطقة محددة وتسيطر على مراعيها وموارد مياهها بحيث لا تمر عبرها قبائل أخرى إلا بإذنها أو بقوة السلاح.

أي إن الحياة القبلية ونظمها كانت أساس الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت حيث سيطرت عليها روح الغزو والمنازعات واستحكمت شريعة الغاب والقتل، وكان منطق القوة والعنف والإغارة وقطع الطريق يمثل السبيل الوحيد للاستيلاء على السلطة والحصول على المال والثراء فكانت الغارات لا تنقطع، واللصوص منتشرين.. أما سكان وسط الجزيرة العربية (نجد) فكان معظمهم بدواً رحلاً ينتقلون بأسرهم وحيواناتهم من مرعى إلى آخر.

والبعض الآخر كان يعيش في مدن صغيرة حول الواحات حيث يشتغلون بالزراعة والتجارة وهم أكثر استقراراً وراحة وأمناً[1]، أي إنه بوجه عام كانت المعيشة في تلك الفترة قاسية للغاية وكان القوت الرئيسي هو التمر ثم يأتي من بعده البر.

وقد تحل بالبلاد أزمات كما كانت المجاعات ــ أحياناً ــ تبلغ من القسوة درجة تجعل بعض الناس يأكل العشب الأمر الذي حمل

---

(١) راجع في ذلك:

ــ جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ج ١/ص ٥٢، ج ٤/ص ٢٧٠٩.

ــ د. مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٥، طبعة دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

بعض أهل البلاد إلى الهجرة خارجها وكانت هجرتهم تنقسم إلى عدة أقسام:

(أ) قسم يمتهن حرفة التجارة فيذهب إلى الشام ومصر وإلى العراق، وربما لا يتوافر لدى أحد هؤلاء التجار مال كاف يتاجر به لكن المعروف عن أهل نجد الأمانة والصدق في المعاملة وهذه الأخلاق كافية لأن تجعل أصحاب الأموال في هذه البلاد يدفعون لهم مالاً وافراً يعملون به على سبيل المضاربة[1].

(ب) هاجر بعضهم إلى الشام أو إلى الحجاز حيث انخرط في سلك الجندية في تلك البلاد.

(ج) هاجر بعضهم إلى بلدان الخليج من أجل الغوص لاستخراج اللؤلؤ من قاع البحر.

أما الحالة الصحية فقد انتشرت الأمراض وكانت الأوبئة تفتك بالأسر والجماعات ولا علاج في هذه البلاد لها إلا النار وبعض الأخلاط من الأعشاب على يد شخص متطبب.

وبعض الأمراض المعدية ــ كالكوليرا ــ كانت تدخل البيت

---

(١) المضاربة: هي: أن يعطي شخص مالاً لآخر ليتجر فيه ويكون الربح بينهما حسب ما يتفقان عليه. (حاشية ابن قاسم على الروض المربع ٥/ ٢٥٤).

فلا تبقي فيه شخصاً واحداً على قيد الحياة إلى حد أنهم قد لا يجدون لبعضهم نعشاً يحمل عليه[1].

أما بلاد الحجاز فكان لها وضع خاص لأهميتها المتمثلة في كونها مركزاً دينياً وتجارياً مهماً حيث كان الحجاج يتدفقون إلى هذه البلاد وكان مجيئهم يجلب كثيراً من المال لجباة الضرائب والتجار.

ونتيجة لذلك كانت الحجاز أكثر غنى وتقدماً من بقية مناطق الجزيرة العربية[2].

□□□

---

(١) من شيم الملك عبد العزيز ـ مرجع سابق ـ ج٣/ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧ بتصرف.

(٢) محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٢٦، مطابع المطوع، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ، ترجمة د/عبد الله العثيمين.

ثانياً: سيرة الملك عبد العزيز

١ ـ نسبه ومولده:

قبل أن نذكر حال الدعوة في عهد الملك عبد العزيز يتعين علينا أن نذكر شيئاً من سيرة قائد الدعوة الذي شاد صرحها وحمى دعاتها وسير العلماء للدعوة إلى دين الله في البلاد وأحاطهم بالحماية والدعم المادي والمعنوي.

(أ) نسبه:

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود (الذي تنتسب إليه الأسرة السعودية) ابن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي.

من بني حنيفة من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقد أسس مانع المريدي بلدة الدرعية على ضفاف وادي حنيفة عام ٨٥٠ هـ[١].

وبدأ بزوغ شمس هذه الأسرة في سماء تاريخ العرب عام ١١٥٨ هـ حينما التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالأمير محمد بن سعود، على أمر قد قدره الله، وتعاهدا على نصرة الدعوة إلى دين الله.

وعلى أثر ذلك قامت الدولة السعودية الأولى وأخذت في

---

(١) ابن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢/ ١٢ وما بعدها. ط. دارة الملك عبد العزيز عام ١٤٠٣ هـ.

التوسع حتى شملت معظم أجزاء الجزيرة العربية[١]، إلى أن تكالب عليها خصومها واستطاعوا التغلب عليها عام ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٨ م؛ لكنها ما لبثت أن عادت على يد الإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥ م، واستمرت في النمو إلى أن حدثت خلافات بين أبناء الإمام فيصل بن تركي أدت بها إلى الانحسار ثم التبدد إلى أن عادت بدعائم قوية على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل عام ١٣١٩ هـ/ ١٩٠٢ م[٢].

(ب) مولـــده:

يذكر بعض المؤرخين أن الملك عبد العزيز ولد[٣] في اليوم التاسع عشر من شهر ذي الحجة، واختلفوا في السنة؛ فالمشهور لدى معظم المؤرخين أنه ولد عام ١٢٩٧ هـ/ ١٨٨٠ م، إلا أن الزركلي رجح أنه ولد عام ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م، معتمداً في ذلك على رواية الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل التي تؤيد ذلك[٤].

ونميل إلى رأي الزركلي وذلك لأن وقائع الأحداث بعد ذلك تؤيد هذا الرأي، ومنها خروج عبد العزيز ضمن وفد فاوض محمد

---

(١) راجع في ذلك ابن بشر في عنوان المجد ج ١ ص ٤٧.
وابن غنام؛ تاريخ نجد، ج ٢ ص ٤ ــ ط ٢ بيروت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الزركلي، شبه الجزيرة ج ١ ص ٤٧ ــ ط ٣ بيروت دار العلم للملايين.

(٣) أمه هي الأميرة سارة بنت أحمد السديري، توفيت عام ١٣٢٧ هـ/ ١٩١٠ م انظر فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية؛ ص ١٣ ــ الناشر مكتبة النصر الحديثة ــ الرياض ط ٢ ١٣٨٨ هـ.

(٤) الزركلي ــ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز؛ ص ٩، ١٠.

الرشيد أوائل عام ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠ م عندما حاصر الرياض، ولا يمكن أن يشترك في مثل هذا الأمر إلا إذا كان ناضج العقل والفكر، أي إن عمره كان حوالي خمسة عشر عاماً لا أحد عشر عاماً، وكذلك سفره إلى كل من قطر والبحرين نيابة عن والده للبحث عن مأوى عقب خروجهم من الرياض عام ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩١ م؛ وغير ذلك من مؤشرات ترجح أن مولده كان عام ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م.

٢ ــ نشـأتـه:

لقد عرفت أسرة آل سعود منذ نشأتها بالتمسك بالإيمان العميق والتحلي بالتوحيد الخالص والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لذلك فقد اهتم الإمام عبد الرحمن بتربية ابنه عبد العزيز تربية دينية مشتملة على دراسة القرآن الكريم والعلوم الشرعية إلى جانب تطبيق هذه التعاليم تطبيقاً عملياً.

فلما بلغ الخامسة من عمره بدأ يدرس على الطريقة القديمة، لأن نجداً لم تكن تعرف المدارس الحديثة في تلك الأيام.

حيث عهد به أبوه ــ الإمام عبد الرحمن ــ إلى الشيخ «عبد الله الخرجي» فتعلم على يديه مبادىء القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن الكريم، ثم قرأه كاملاً على الشيخ محمد بن مصيبيح، ثم تلقى بعض مبادىء الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في كراسة صغيرة أعدها خصيصاً له[1].

---

(١) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز. ص ١٧.

وقد عوّده أبوه أن يستيقظ للصلاة قبل الفجر وبدأ يصوم وهو في العاشرة من عمره.

ثم اتسعت حصيلته العلمية رغم الظروف المحيطة به فكان يحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ويحفظ (الرحبية) في الفرائض، وتعلم (زاد المستقنع) في الفقه، ويحفظ مَن كتب الأحاديث (الأربعين النووية) و(بلوغ المرام) وكان يحب قراءة (البداية والنهاية) لابن كثير، و(تاريخ الرسل والملوك) للطبري، و(السيرة) لابن هشام، و(المغني والشرح الكبير)، و(الانصاف)، وفي التفسير كان يميل إلى تفسير ابن كثير، والطبري، والبغوي؛ وكان يحب من الشعر ما يميز منه بالطابع الإسلامي والنصائح[١]، كما كان يكثر من تلاوة القرآن الكريم، ما أمكنه ذلك، فيخصص حوالى نصف ساعة يومياً لقراءة القرآن الكريم، وكثيراً ما كان يستشهد من القرآن الكريم على ما يؤيد رأيه، أو يوضحه، أو يؤكد موقفاً من المواقف[٢].

كما كان له ورد خاص يقرأه يومياً عن ظهر قلب[٣].

---

(١) انظر الدكتور سعود بن سعد الدريب، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ص ٩ وأيضاً فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية ص ٣٠، مطبعة دار المطبوعات الحديثة، جدة ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ.

(٢) محمد المانع، توحيد المملكة ص ٣١٤، مطبعة المطوع الدمام ط ١ سنة ١٤٠٢ هـ.

(٣) هذا الورد تمت طباعته أكثر من مرة، وتحت يد الباحث نسخة منه طبع الحرس الوطني وتشتمل على ١١٦ صفحة من الحجم الصغير ومعظم نصوصه من القرآن الكريم وصحيح السنة.

وقد وضع لحياته نظاماً دقيقاً، أعطى الجانب الديني منه نصيباً وافراً، على الرغم من كثرة مشاغله ومسؤولياته، فهو غالباً لا ينام أكثر من ست ساعات في اليوم، على ثلاث فترات، منها أربع ساعات في الليل، يصحو قبيل الفجر فيتوضأ. ويصلي ركعتين، ويقرأ بعضاً من القرآن إلى أن يحين الفجر، فيصلي ثم ينام ساعة ثم يقوم بعدها ليرعى مصالح الدولة، وساعة أخرى بعد الغداء، ثم المجلس الديني عقب صلاة المغرب[1]، وبهذا استطاع أن يجمع بين ما نشأ عليه من تعاليم دينية، وبين إدارته لأمور الدولة عندما أصبح في موقع المسؤولية.

وكان قد تدرب على استعمال السيف وهو في الثامنة، كما تدرب على الوثوب على ظهور الخيل دون سرج أو لجام واستعمال البندقية، وينقل عن لسانه: أنه أحسن استعمال البندقية، وركوب الخيل، كأحد الفرسان، وهو في سن الصبا وأنه كان في السابعة حاد الطبع، دائم الحركة، لا يستطيع الاستقرار في مكان واحد فترة طويلة[2]. وقد حبا الله عبد العزيز ببنية قوية، وقامة مديدة، فكان يفوق أقرانه، ويتفوق عليهم، واجتمع له مع قوة الجسم سلامة الرأي، فكان يشارك في الصلح بين القبائل، وهو في الثالثة عشرة من عمره[3]

(١) المانع، المصدر السابق ص ٣١٥، والزركلي مرجع سبق ذكره، ص ٦٢٥، ص ١٠٠٨، وانظر أيضاً، عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد ص ٣٢٢، دار اللواء الرياض ١٤٠٠ هـ.

(٢) الزركلي، شبه الجزيرة، مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٧.

(٣) الدكتور سعود بن سعد الدريب، مصدر سابق، ص ١٠.

وغيـر ذلـك مـن الأمـور الجسـام[1]، وشهـد فـي صبـاه الثمـار المـرة للخصومات، والنزاعات، والمعارك بين أعمامه[2]، ثم العواقب الوخيمة التي ترتبت عليها من فقدان الملك، وضياع الوطن، واللجوء لموطن آخر. وغير ذلك من حوادث تركت آثاراً عميقة في نفسه، وجرحاً غائراً لم يندمل إلا بعد أن استرد مجد آبائه وأجداده.

لقد أدت تلك الفتن والنزاعات على السلطة بالإمام عبد الرحمن إلـى البعـد عـن الـريـاض، والهجـرة إلـى البـاديـة هـو وأسـرتـه عـام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١ م، وهنا تمرس عبد العزيز على أعمال الفروسية، وخبرها أكثر من ذي قبل نتيجة لمخالطته فرسان البادية من بني مرة، والعجمان، ومجاراتهم في كافة أنواع الفروسية.

وأثناء ذلك علم المتصرف العثماني في الأحساء، عاكف باشا بوجود الإمام عبد الرحمن بالقرب من الأحساء، فبعث إليه مندوباً[3] اجتمع به في عين النجم، قرب المبرز على بعد ميلين شمال الهفوف يعرض عليه الولاية في الرياض على أن يعترف بسيادة الدولة، وعلى أن تدفع له الدولة خراجاً سنوياً، فاعتذر الإمام عبد الرحمن عن أن

---

(١) راجع ما كتب في مولده من هذا البحث عن مشاركته في وفد مفاوضة محمد الرشيد.

(٢) الزركلي، شبه الجزيرة، ج ١ ص ٥٩، وانظر أيضاً الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته ص ١١٤.

(٣) كان المندوب هو الدكتور زخور عازار، طبيب الجيش العثماني في الأحساء وهـو لبنـانـي الأصـل ويجيـد اللغـة العـربيـة، انظـر الـريحـانـي تـاريـخ نجـد، ص ١٠٦، مطبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط ١ سنة ١٩٨٠ م.

يكون حاكماً على الرياض من قبل الدولة، متعللاً بأنه يخشى أن ينقلب عليه أنصاره عندما يعلمون ذلك[١].

ومن أبرز أعمال عبد العزيز في تلك الفترة:

أن والده أرسله إلى الشيخ عيسى آل خليفة أمير البحرين ليستأذن في إقامة النساء، والأطفال، وكبار السن بجواره فذهب إليه، ونجح في مسعاه.

وبعد فترة أرسله والده إلى الأحساء ليفاوض المتصرف العثماني للسماح له بالإقامة في الأحساء، أو بجوارها، لكن سفارته هذه المرة لم تفلح[٢] ثم بعثه إلى الشيخ قاسم آل ثاني أمير قطر، فأجاب مرحباً، فانتقل الجميع إلى قطر في صفر عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) وظلوا مقيمين فيها حوالي أربعة أشهر ثم انتقلوا جميعاً إلى الكويت منتصف عام ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ م[٣] حيث أقاموا في الكويت حوالى تسع سنين، عرف فيها عبد العزيز كيفية إدارة دفة الحكم، وأكسبته الحنكة، والخبرة السياسية. فقد كان الشيخ مبارك الصبّاح من دهاة السياسيين العرب في عصره، وكانت الكويت في ذاك الوقت على مقربة من المناورات السياسية الدولية، والصراعات، والمنازعات بين الدول الكبرى، وأسلوب الهيمنة على الخليج العربي والمنطقة العربية بشكل عام.

ولعله يمكن القول إنه منذ بداية مسيرة حياته وحتى هذه المرحلة

---

(١) الزركلي، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٤.

(٣) الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٦ وما بعدها.

انتهت مرحلة نشأته، وبدأت مرحلة أخرى من حياته، وهي العمل على استرداد ما فقد.

ومن المفيد ــ في رأينا ــ قبل الدخول في مرحلة استعادته لملك آبائه أن نشير إلى بعض العوامل التي كان لها تأثير واضح في تكوين شخصية الملك عبد العزيز القيادية بشيء من الإيجاز.

(أ) يأتي في مقدمة تلك العوامل، النشأة الدينية القويمة، فقد ظهر أثر تلك النشأة في جميع أقواله، وأعماله، وكان للإلتزام، والتوجه الديني سواء لنفسه، ولأهله، ثم فيما بعد الدولة التي أسسها، وتجنيد طاقاته لخدمة الدعوة، كان لكل ذلك أثر واضح ونتائج ملموسة فنراه يتمسك بالعقيدة، ويحض على التمسك بها في كل مناسبة، ويحافظ على آداء الفرائض، قبل أن يحث غيره على التمسك بها، ويقرأ القرآن الكريم ويستشهد بآياته، وأحاديث الرسول ﷺ، وأقوال السلف الصالح، وعلماء أهل السنة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرغب في فضائل الأعمال، ومكارم الأخلاق، ويلزم نفسه بذلك قبل أن يطالب بها غيره، ليكون قدوة لغيره، ولهذا وفقه الله، وآزره فيما سعى إليه. هذه النشأة غرست في قلبه قوة الإيمان بالله، الذي كان من أبرز مميزات شخصيته، وكما يقول ابنه فيصل ما رأيته، منذ نشأت، قد ضعف إيمانه بالله، أو تخلى عن ثقته بنصر الله[١] فحفظه الله، وأيده بنصره.

(١) الزركلي، في مقدمة كتابه شبه الجزيرة ج ١ ص ٢١.

(ب) كان للمحنة التي مر بها ملك آبائه أثر بالغ في نمو شخصيته على الصبر، والمجالدة، وصلابة العزيمة. وقوة الإرادة، وقد استحوذت وقائع هذه المحنة، وآثارها على نفسه منذ الصغر، وشحذت همته على استيعابها، والاستفادة منها بتلاشي أسبابها، وفيما بعد استعادة الملك، واتخاذها عبرة. ومما يوضح ذلك ما رواه الريحاني أن الملك عبد العزيز كان يحدث عن أسباب سقوط دولة آبائه[1]. وكما جاء في خطبته في حج عام ١٣٥٨ هـ؛ قوله: كل أمة تريد أن تنهض لابد لكل فرد فيها من أن يقوم بواجبات ثلاثة: أولها واجباته نحو الله والدين، وثانيها واجباته في حفظ أمجاد أجداده وبلاده، وثالثها واجباته نحو شرفه الشخصي[2]، فقد وعى هذا الدرس جيداً، وعمل على تلاشي أسبابه ودواعيه.

(ج) ومن العوامل التي أثرت بشكل إيجابي على تكوين شخصيته سكناه في البادية مع آل مرة والعجمان، فاكسبته صلابة العود مبكراً، واستوعب في مراحلها فنون القتال والفروسية، وأجاد الكر والفر وصقلت موهبته القتالية فظهر أثر ذلك عليه فيما بعد، أثناء حروبه الطويلة. وكان يقول: «أنا ترعرعت في البادية فلا أعرف التلاعب بالكلام وتزويقه، ولكني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق»[3].

---

(١) تاريخ نجد، ص ١٠١.

(٢) الزركلي، شبه الجزيرة، ج ٢ ص ٧٩٢.

(٣) الزركلي؛ المصدر نفسه، ج ٢ ص ٧٩٤ وأيضاً د. عبد العزيز شرف ومحمد=

(د) وكان لإقامته في الكويت على مقربة من موقع المسؤولية وصنع القرار، الإداري والسياسي أثر كذلك، فقد أتاح له ذلك الاطلاع على كيفية إدارة شئون الدولة، وأكسبته الخبرة والحنكة السياسية وراقب بعين بصيرة صراعات الدول الكبرى، ومناوراتها على المستوى المحلي والعالمي، وعرف كيف يتعامل بمهارة مع تلك السياسات عندما أصبح في موقع المسؤولية، إبان تأسيس الدولة، ولذلك حظى باحترام زعماء العالم المعاصرين له، ولا أدل على ذلك من رغبة أكبر زعيمين عالميين للاجتماع به عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وهما: الرئيس روزفلت، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، الذي اجتمع به بالبحيرات المرة في الإسماعيلية في ٢ ربيع الأول ١٣٦٤ هـ (١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ م) ورئيس وزراء بريطانيا آنذاك تشرشل الذي اجتمع به في الفيوم يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ (١٧ فبراير سنة ١٩٤٥ م). أي عقب اجتماعه مع روزفلت بيومين وهما زعيمان كان لهما شأن في ذاك الوقت، واختيارهما الملك عبد العزيز للاجتماع به، وبحث بعض الموضوعات التي تشغل العالم، وتهم المنطقة العربية، هو تقدير لدوره، وتوقير منهما لشخصيته.

٣ ـ صفاته:

تعددت أقلام الباحثين الذين تناولوا شخصية الملك عبد العزيز

= ابراهيم شعبان، القاهرة، عبد العزيز آل سعود والشخصية الإسلامية، ص ١٧٠، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ القاهرة.

بالبحث والتحليل؛ فقد حظيت شخصيته بتقدير واهتمام من صفوة المفكرين العرب والغربيين، وبعثت شخصيته المثل العليا في نفوس الكثيرين في سائر البقاع الإسلامية.

فقد أكرمه الله؛ وأتاه بسطة في الجسم، والعقل حيث الفخامة، والرجولة، فالقامة مديدة، والأكتاف عريضة، والصدر رحب، وجسم كله قوة، ونشاط، وحركة. وعقل قوي، وجنان ذكي، وفكر متوقد، وبديهة حاضرة، وقلب يسع كل الرجال، والحوادث فلا يتزلزل، ولا يضعف بشيء منها فهو كالجبل الراسي.

ولسان فصيح، ومنطق قوي، وقول سديد، وحكم رائعة، وبلاغة تفحم السامع، وتقوده بخيط من حرير، فإذا هو طوع هذا الخطيب العظيم، ويد سخية لا تعرف للمال قيمة إلا ادخار المثوبة عند الله، ثم امتلاك أعناق الرجال، وقلوبهم، فهو لا يعرف (لا) ولا يخطر في باله أن يقولها لأي سائل، ولا أن يرد بها على أي مسترفد فضله، أو مجتد من كرمه، اللهم إلا فيما ينال من كرامة دينه، أو ملكه أو نفسه[1].

سجايا فطر الله تعالى عليها عبد العزيز: الحلم البعيد المدى، والشجاعة النادرة، وقوة الفصاحة التي لا تبارى، والقلب المملوء بالعلم؛ والحكمة، فإذا خطب ملك القلوب، وقاد النفوس العصية، والكرم الذي يجعله كالريح المرسلة، والبساطة في كلامه، ولباسه، وطعامه، ومجلسه وفي كل شأنه، والتواضع الذي يملك على رائيه

---

(١) محمد الفقي؛ أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في الجزيرة العربية وغيرها ص ١١٠، ط القاهرة ١٣٥٤ هـ.

كل مشاعره، والعدل الذي فتح بابه لكل مظلوم، والتنبه الدقيق لكل شأن من شؤون ملكه حتى لا تفوته صغيرة، ولا كبيرة، والصراحة في الحق حتى لا يخشى فيه أحداً ويحابي فيه أحداً، ولا يدخر في نصره وسعاً. وقوة الذاكرة التي تعي الحوادث، والمسائل العلمية مفصلة فلا يضيع منها شيئاً فيجمع شتاتها، ويقرنها ببعضها، ويستخلص منها التجارب يرسم به خطط عمله، وأساليب حكمه، ونظم مملكته.

ورحمة الأبوة، وحنان المؤمن الذي قلبه مرآة ينطبع فيها شعور كل أخوانه وإحساساتهم فيفرح بما يفرحون، ويتألم مما يتألمون[١].

ولا عجب في ذلك فقد تجسمت فيه فضائل العرب، ومآثرهم وتنوعت قدراته وملكاته، مما يجعل من الصعب تقديم صفة على أخرى.

وسوف أتناول بشيء من الاختصار أهم الصفات، والشيم التي كان يتحلى بها الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ والتي تشكل الجوانب الرئيسة في شخصيته:

(أ) التدين وقوة الإيمان:

كان عبد العزيز منذ صباه ملتزماً بالتعاليم، والآداب الشرعية متمسكاً بكتاب الله، وسنَّة رسوله ﷺ محكماً كتاب الله في أموره.

فلم يعرف عنه في شبابه صبوة رغم أنه عاش أول شبابه في بلاد

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١١٢.

كان فيها نوع من التساهل؛ وفي الحديث: «إن الله ليعجب من الشاب ليس له صبوة»[1].

أما صلته بالله عز وجل فنحسب أنها لم تكن صلة مقرونة برغبة دنيوية فعقيدته خالصة، لذلك تجد التوفيق حليفه في أعماله يتحدث الملك فيصل ــ رحمه الله ــ عن قوة إيمانه، فيقول: أول المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله أو تخلى عن ثقته بنصر الله[2].

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي سمعت الملك عبد العزيز يقول: «اسمعوا أيها الإخوان أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعره؛

الأول: كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم صل وسلم وبارك عليه إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن به..»[3].

ومن أهم ثمرات تدين الملك عبد العزيز أخذه بمبدأ الشورى، فلا يعرف الاستقلال بالرأي ولكن كانت المشورة الدائمة والاسترشاد بآراء العلماء دأبه ومنهجه.

---

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٥١ عن عقبة بن عامر، قال في مجمع الزوائد إسناده حسن، ج ١٠/ ٢٧٠.

(٢) الأحيدب من حياة الملك عبد العزيز ص ٣٧ ــ ٤٣ الطبعة الأولى الرياض ١٣٩٩ هـ.

(٣) محمد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني ص ١١٠.

(ب) الكـــرم:

وكرم عبد العزيز طبيعي لا تكلف فيه سواء على ضيوفه، أم على الفقراء، والمعوزين داخل البلاد، وخارجها.

وينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، فكان يعطي بلا تقيد حتى وإن كانت خزينته فارغة، وكان ذلك يحزن ابن سليمان وزير ماليته لأنه أمام سخاء الملك يجد نفسه دائماً مضطراً لتغيير ميزانيته[١].

ولا يخفى ما للكرم من أثر في نفوس الناس، حيث أكسب السخاء عبد العزيز محبة في قلوب الناس حتى قيل: يفضل عبد العزيز أن يستولي على أهل البلاد بسخائه لا بسلاحه.

جاءه رجل من قومه يشكو إليه ما يعانيه من الديون، وعدم قدرته على السداد فأمر أن يحقق في أمره فأثبت المحققون أن الرجل مدين بمئة جنيه من الذهب فأمر له بألف[٢]، وقصة هبته فرسه لرئيس وفد الأمير محمد بن رشيد مشهورة[٣].

(ج) الشجاعـــة:

تميزت الجزيرة العربية بكثرة الرجال البواسل لكن الملك عبد العزيز كان من أشجع رجالها، وليس أدل على ذلك من كثرة المعارك التي خاضها، والفتوحات التي تمت على يديه، وقد عد المؤرخون فتح الرياض على يد الملك عبد العزيز أكبر دليل على

---

(١) المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٣١٩ بتصرف.
(٢) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج ٣ ص ٧٥ مرجع سابق.
(٣) انظر تفصيل القصة في من شيم الملك ج ٣/ ص ٩٣ فهد المارك.

شجاعته، فعند قدومه من الكويت اتخذ قراراً بأن لا يقبل أنصاف الحلول؛ فإما أن يموت شجاعاً بطلاً فوق التربة التي هي مسقط رأسه، وإما أن يكون سيد البلاد[(١)].

وعندما دنا من الرياض سأل عن قبر شقيقه فيصل، وأوصى رفاقه إن هو استشهد أن يقبروه بجوار أخيه، وكان عبد العزيز في تلك المغامرة يتقدم رجاله البواسل فكان أول المتسلقين للمنزل المجاور لقصر المصمك الذي كان يحله عجلان[(٢)].

ومن الأمثلة على شجاعته أنه في موقعة الحريق وأثناء القتال دارت الدائرة على جيشه وهمّ الجنود بالفرار فبرز في مقدمة الصفوف ممتطياً جواده، ومتقلداً سيفه ونادى: «أيها الإخوان من كان يحب عبد العزيز فليتقدم، ومن كان يؤثر الراحة والعافية فليذهب إلى أهله فوالله لن أبرح هذا المكان حتى أبلغ النصر أو الموت» فسرت الحماسة، والحمية في نفوس الجند، وعادوا فشدوا على أعدائهم وكان لهم الفوز[(٣)].

---

(١) لانظر عمر أبو زلام، عبد العزيز آل سعود العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ مطبعة دار الرأي العام التجارية، الكويت ط (١) سنة ١٤٠٥ هـ، ومحمد إبراهيم رحمو، أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز، ص ٤٦ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ط(٢) سنة ١٤٠٢ هـ.

(٢) المارك، من شيم الملك عبد العزيز ج ٢ ص ١٤١، وعجلان هو قائد حامية ابن رشيد في الرياض.

(٣) الأحيدب، من حياة الملك عبد العزيز ص ٣٩.

ومع هذه الشجاعة الفائقة لم يكن الملك عبد العزيز يفتخر يوماً بهذه الشجاعة بل يعترف بأنه يستمدها من قوة الله عز وجل فيقول:

«إن ما وهبني الله لم يكن بسبب قوتي، بل بسبب ضعفي، وقوته سبحانه»[١].

وكان يتوج هذه الشجاعة صلابة هادئة، وحلم وأناة، وإصابة في الرأي لأن شجاعته جاءت من قوة إيمانه بالله.

(د) العـــدل:

لا تستقيم الحياة، ولا تستقر بدون العدل الذي قامت عليه السموات والأرض.

ولما كان الملك عبد العزيز مسترشداً ـ في كل أموره ـ بالشريعة الإسلامية، فقد كان تعامله مع كل إنسان من البدو البسطاء إلى الملوك الأجانب يتسم بالنزاهة التامة، والصراحة الكاملة، والعدل. فمنذ أن منّ الله عليه بفتح الرياض أسس دولته على العدل، وجعل لكل شخص الحق في أن يتقدم إليه بشكواه، أو يرفع إليه مظلمته والويل كل الويل لمن يمنع عنه سائلاً، أو يحجب عنه شاكياً، أو مظلوماً[٢].

وكان لا يتوانى في إنفاذ الحق على أي شخص ـ صغيراً كان أم

---

(١) المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٣٢٤، مرجع سابق.

(٢) انظر حمد ابراهيم الحقيل، عبد العزيز في التاريخ، ص ٣٢، ط(٢)، سنة ١٣٩٣ هـ، الرياض.

كبيراً ــ حتى لو كان من أبنائه، وأخوانه[1].

يقول الملك فيصل:

«إن والدي لا يفرق بيننا، وبين أبناء شعبه، وليس للعدالة ميزانان يزن بأحدهما لأبنائه، ويزن بآخر لأبناء الشعب فالكل سواء عنده، والكل أبناؤه»[2].

ولم يقم بأي محاولة لاستثناء نفسه من حكم الشرع، وكان إذا أقام أي إنسان من رعاياه دعوى ضده، عين وكيلاً عنه ليتحاكم معه لدى قاضٍ يثق بعدله، وكان يخضع لحكم الشرع مهما كانت نتيجته، ومن كلماته المحببة إليه: «لا يدوم الملك إلا بدولة عادلة»[3].

(هـ) الفراسة وقوة العقل:

لقد أودع الله ــ عز وجل ــ في شخصية الملك عبد العزيز منذ نعومة أظفاره الذكاء، والفطنة، والتطلع إلى المجد مع ما لديه من استعداد ذهني، واستعداد فطري في كل ما يفكر فيه، أو يقرأه، أو يسمعه.

فقد وهبه الله ذاكرة، وإدراكاً، وملاحظة، وفطنة، فكانت ذاكرته تثير الإعجاب حيث يمكنه أن يحمل في رأسه من المعلومات ما يكفي

---

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة، ص ٢٦ بتصرف، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦ هـ.

(٢) الأحيدب، من حياة الملك عبد العزيز، ص ٣٩، مرجع سابق.

(٣) المانع، توحيد المملكة، ص ٣٢٧، مرجع سابق.

لملء مكتبة، وكانت لديه موهبة التذكر الفوري، فعلى سبيل المثال كان عالماً بمعظم قبائل مملكته، وبطونها، وأفخاذها، وتواريخها، وتقاليدها.

وكان يستطيع في بضع ثوان من بدء حديثه مع أي بدوي أن يعرف من طريقة كلامه القبيلة التي ينتسب إليها، والفرع الذي ينحدر منه[1].

(و) العفـــو:

يكاد يكون العفو من أبرز شيم الملك عبد العزيز، وكان إذا عفا أتبع عفوه إحساناً، وكان دائماً أقرب للعفو منه إلى العقاب، وشواهد عفوه، وإحسانه كثيرة فقد كان الملك عبد العزيز يعفو عن الزعماء الذين انتصر عليهم، ويحسن إليهم، وكان هذا العفو يؤتي ثماره؛ بحيث يكسب ولاءهم، واحترامهم، وهذه السياسة أثبتت نجاحها باستثناء حالات نادرة، وخير مثال على ذلك أن كثيراً ممن حملوا السلاح ضد الملك عبد العزيز، وسعوا إلى قتاله، ثم إذا أظفره الله عليهم، عفا عنهم، بل وأكرمهم، وكانت البلدان المفتوحة تحاط بسياج من الصفح، والتسامح، والعفو الذي يعقبه فيض من التكريم. يزيل به ما بالنفوس المغلوبة من آثار. وبذلك استحوذ على قلوب خصومه.

(ز) الحكمة والأناة في معالجة الأمور:

إذا كان الحاكم يقود شعبه بقلبه فهو جدير بسيادة شعبه، وإذا

---

(١) المانع، توحيد المملكة العربية السعودية ص ٣٣٠، مرجع سابق.

استحكمت الأمور استعمل الفكر والرأي قبل السيف.

هذا هو منهج الملك عبد العزيز.. يؤكده أقوى تأكيد أنه في اليوم الثالث من شوّال سنة ١٣١٩ هـ يوم أرسى أول لبنة في بناء المملكة العربية السعودية، يوم فتح الرياض لم يرسل رجاله المحاربين ولم يسل سيفه ولكنه مضى على سنة من قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١).

أنه كان يتجنب سفك الدماء إلى أبعد حد ويدفع في سبيل تجنبها أي ثمن لدرجة أن المحيطين به ــ بعض الأحيان ــ كانوا يشكّون في شجاعته(٢).

(ح) التواضـــع:

من عايش الملك عبد العزيز يجد أنه لم يندفع أمام مغريات الحياة ففي الوقت الذي كان يقوم فيه بأعباء الحكم على أكمل وجه كان ملبسه عادياً، وهو نفس الملبس القديم لم يغير فيه شيئاً لا في التفصيل ولا في النوع كان يلبس الصوف في الشتاء والقطن في الصيف، وعاش في قصره القديم ولم يغيره. حتى إنهم حاولوا أن يبنوا له قصراً من الحجر فقال لهم: لا تبنوا لي شيئاً آخر أنا مرتاح في منزلي ولا أحب أن أغيره، فلم يغره المال ولا بهارج الحياة وكانت

---

(١) من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بعنوان (جوانب من عبقرية الملك عبد العزيز) ص ٧ ألقاه الشيخ عثمان الصالح والعبارة مشهورة قالها رسول الله ﷺ حينما فتح مكة المكرمة، انظر/ابن القيم/ زاد المعاد/ ج ٢، ص ١٨٤/ ط الحلبي القاهرة ١٣٩٠ هـ.

(٢) من حياة الملك عبد العزيز، الأحيدب، ص ١٤٤.

أكلاته عادية، وهي الأكلات نفسها التي اعتادها في السابق[١].

(ط) حسن المنطـق:

كان الملك عبد العزيز متحدثاً بارعاً، وكان بليغاً في كل خطبه وكانت سيطرته على نفسه من القوة بحيث لا يتكلم كلمة في غير محلها أو زائدة على المقصود ولا يتحدث بكلمة يندم على قولها.

وكان كلامه مليئاً بالمجازات الذكية والحكم والأمثال التي تجعل سامعه يود لو أنه لا يتوقف عن الحديث.

تحدث مرة مع عبد الوهاب كاتب الحرم وأحد وزراء الشريف حسين السابقين ولدى مصافحة عبد الوهاب له علق على نعومة يدي الملك عبد العزيز معبراً عن دهشته أن تكون يدي محارب مثله، فابتسم الملك واستشهد بالبيت المشهور:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها   عند التقلب في أنيابها العطب[٢]

(ي) القدرة على الكتمان والسرية:

كان الملك عبد العزيز يخفي خططه عن أقرب المقربين إليه؛ كأسرته، ومستشاريه وهذا كان يحقق له عدم تسرب خططه إلى الأعداء، كما كان يصيب جواسيس أعدائه باليأس من أن ينالوا نجاحاً في مهامهم.

وهـذه جـوانـب مـن الصفـات التـي كـان يتحلـى بهـا الملـك

---

(١) الكلام من وصف لحياة الملك عبد العزيز قاله الملك فيصل ــ رحمه الله ــ انظر الأحيدب، من حياة الملك عبد العزيز، ص ٤١، مرجع سابق.

(٢) محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٣٣٠، مرجع سابق.

عبد العزيز، التي أهّلته ــ بتوفيق الله ــ إلى أن يقود أمته إلى مراقي العز، والسؤدد لتتبوأ مكانها اللائق بين الأمم.

إلى جانب هذه الصفات، ثمة صفات أخرى وجدت لها شواهد تاريخية من سيرته، إلا أنه لما كان البحث يدور أساساً على الدعوة في عهده، فقد آثرت أن أقتصر على هذه الجوانب ذات الصلة بوظيفة الدعوة، وأخلاق الداعي الصادق الكفء.

وبهذه السجايا العظيمة، والخلال الكريمة بسط الله لعبد العزيز هذا الملك، ووطأ له أكتاف هذه الدولة، وكذلك بهذه الروح المؤمنة الصادقة أتاح الله للجزيرة عهداً سعيداً عامراً بالأمن، والرخاء. ورغد العيش، وهو يذكرنا بعبق ذلك العهد الراشدي المثالي عهد عمر بن الخطاب، وإخوانه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم(١)، فقد جاهد الملك عبد العزيز ــ قدر جهده ــ في السير على درب هذا العهد الرشيد.

□□□

(١) محمد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني ص ١١٣، مرجع سابق.

ثالثاً: تأسيس الدولة

سبقت الإشارة إلى أنه لم يكن في نجد حين استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض حكومة مركزية ذات نظم وأوضاع ثابتة ترعى مصالح الناس وتسهر على أمنهم وسلامتهم، وتقيم أحكام الشريعة وتمنع العدوان وتهتم بالمشروعات الإصلاحية التي هي دعامة العمران.

ولا يخفى أن الجهود التي بذلها الملك عبد العزيز، في سبيل تأسيس الدولة، وتوحيد أجزائها، هي جهود تعد عملاً غير عادي؛ لا سيما أن تلك الجهود قد استغرق مداها أكثر من ربع قرن واجه خلالها العديد من المصاعب التي توهن العزائم، لكن عزيمته، وقوة إيمانه كانت أصلب وأشد، فتغلب عليها جميعاً بتوفيق الله، لأن غايته كانت نصرة دين الله، فنصره الله ومكّنه.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكّن لهم في الأرض...﴾(١) ويقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾(٢) فكان نصر الله حليفه.

وقد مرت أعمال التأسيس بعدة مراحل، وكل مرحلة لها سمة

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٥، ٦.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

خاصة تميزها عن غيرها، إلى حد ما، ولهذا فقد قسمناها إلى ثلاث مراحل وهي على النحو التالي:

١ ـ المرحلة الأولى:

وتشمل: من فتح الرياض عام ١٣١٩ هـ/ ١٩٠٢ م حتى انضمام حائل عام ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢١ م.

ويعد استيلاء الملك عبد العزيز على مدينة الرياض سنة ١٣١٩ هـ من الإنجازات المهمة والبطولات الفذة. وصفها التاريخ بأنها حجر الأساس لهذا الملك الواسع، فهي ركيزة الانطلاق في مسيرة البناء.

وكان عبد العزيز قد دخل الرياض عام ١٣١٨ هـ وبينما كان يحاول الإستيلاء على المصمك بلغه هزيمة مبارك الصباح في وقعة الصريف على يد عبد العزيز المتعب وأتاه أمر والده الإمام عبد الرحمن بترك الرياض والعودة إلى الكويت فنفذ تعليمات والده، وعاد للكويت[(١)] وقد ازداد عزمه على معاودة الكرة إلى الرياض وفاتح والده أكثر من مرة لكن والده كان يرأف به، ثم بعد إلحاح سمح له، وخاطب الشيخ مبارك في هذا، وخرج عبد العزيز ومعه عدد قليل من أقربائه، وأنصار آل سعود في الكويت، وسار مخفياً قصده للرياض، وكأنه خرج ليغزو بعض القبائل حتى لا يلفت الأنظار للهدف من خروجه، وسلك طرقاً وعرة للتمويه، إلى أن فاجأ عجلان الحاكم من

---

(١) الريحاني: مصدر سابق ص ١١٩ وما بعدها، والزركلي، مصدر سابق، ج ١ ص ٧٦.

قبل ابن الرشيد صباح يوم ٥ شوال ١٣١٩ هـ (١٥ يناير ١٩٠٢ م) خارجاً من حصن المصمك الذي كان يبيت فيه وخلفه حراسه فقضوا عليه، وعلى من قاوم من الحراس واستعاد الرياض.

وفي لحظة النصر صعد أحد رجال عبد العزيز إلى أعلى برج في القلعة وأعلن:

«الحكم لله ثم لعبد العزيز بن سعود أنتم في أمان وضمان».

وأقبل إليه أهلها مباركين، ومبايعين[١] يتقدمهم العلماء وأكابر القوم، ثم بعث إلى والده بخبر استيلائه على الرياض، وطلب منه سرعة الحضور.

وهكذا بعد اثنتي عشرة سنة من النفي استعاد ذلك الأمير عاصمة آبائه من ابن رشيد وبقي عليه أن يفوز ببلاده كلها[٢].

إن خطة الملك عبد العزيز لاستعادة الرياض تدل على قوة الإرادة والجرأة التي كان يتمتع بها، فقد كان للسنوات التي قضاها متنقلاً في الصحراء أثر واضح في قوة إرادته وكذلك حياته في الكويت كل ذلك مكنه من إستعادة ملك آبائه وأجداده، ليعود السلطان إلى الدين، ولتعود القوة لمساندة الشريعة ولتعود الاتفاقية التي أبرمت بين جده الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبد الوهاب موضع

---

(١) توجد تفاصيل عديدة لا مجال لذكرها هنا بالنسبة لليلة المصمك ومن أراد الرجوع إليها فعليه بكتاب البلاد العربية السعودية لفؤاد حمزة ص ٢٠ وغيرها.

(٢) محمد المانع/ توحيد المملكة ص ٤٨.

التنفيذ مرة أخرى فدولة الباطل ساعة ودولة الحق حتى قيام الساعة، وعملية فتحه مدينة الرياض تعد من غرائب ما يحصل في التاريخ لكنها في حقيقة الأمر إرادة الله الذي أراد خيراً بالمسلمين وبالدعوة الإسلامية فيسر له فتح الرياض بالطريقة التي تدل على توفيق الله ورعايته.

ولم يكن ذلك الفتح فتحاً بقوة السلاح وكثرة المال ولكنه كان فتحاً بقوة الإيمان بالله عز وجل ثم بما توج به هذا الملك ملكه من عقيدة راسخة وتخطيط محكم.

ـــ ولم يقصد عبد العزيز من فتح الرياض أن يقبع فيها بل كان لديه طموح واسع ونية مخلصة في لمّ شمل المسلمين المفرق وأن يوسع رقعة مملكته ويوطد الأمن والاستقرار فيها وأن يحكم كتاب الله وسنة رسوله في الكبير والصغير والغني والفقير والقريب والبعيد.

هذه النوايا الإصلاحية أعلنها الملك عبد العزيز في كلمته المشهورة عند تسلمه الحكم والقيادة:

«اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل»[1].

وكانت الخطوة الأولى في جولة الملك عبد العزيز هي قيامه بتحصين الرياض وحمايتها وإعادة بناء سورها الذي هدم في سنة

---

(١) سعد الرويشد، من تاريخ الملك عبد العزيز ومواقفه النادرة، ص ٩.
بحث ألقي في المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز ١٤٠٦ هـ.

١٣١٨ هـ ليكون العرين محصناً وقصر القيادة مصاناً. ثم بدأ برسم الخطط المستهدفة لتوحيد الصفوف وتجميع أجزاء البلاد التي عصفت بها الأحداث خلف قيادة واحدة لأن الإسلام يحث على لزوم الجماعة ثم سارت قوافل الخير ميممة ما يليه من البلدان من أجل تغيير البيئة الاجتماعية ولمّ الشمل وتوحيد الكلمة وتوطيد الأمن والعدل.

وقد اعتبر أكثر المؤرخين فتح الرياض بدء التاريخ الحقيقي للدولة ومنذ أن أمسك الملك عبد العزيز بزمام الأمور أخذ يدعو الناس بالحكمة واللين واللطف فأحسن إلى المحسن وعفا عن المسيء فدانت له نجد كلها في عام ١٣٢٦ هـ ــ عدا حائل ــ وهو آنذاك يعاني أزمة حادة من قلة المال وكثرة المناوئين له ومع هذا لم يظلم أحداً ولم يأخذ مال أحد بل يستدين ويقترض وفي كل مناسبة يرد للدائنين حقوقهم ويحتفظ لهم بالولاء[١].

وفي عام ١٣٣١ هـ ــ بعد عشر سنوات من فتح الرياض ضم إليها الأحساء والقطيف[٢] وتوابعها وانتزعهما من أيدي الحامية التركية في ليلة واحدة ثم انضمت عسير في شوال عام ١٣٣٨ هـ/ ١٩٢١ م وتوطد الأمن فيها بصفة نهائية عام ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢٢ م وأخيراً في عام (١٣٤٠ هـ) بعد أقل من عشر سنوات من ضم الأحساء وتوابعها ــ ضم بلدة حائل[٣].

---

(١) محمد المانع/ توحيد المملكة العربية السعودية ص ٧١.

(٢) الريحاني/ تاريخ نجد/ ج ٥/ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٣) الريحاني/ تاريخ نجد الحديث/ ج٥ ص ٢٧٧ وما بعدها.

٢ ـ المرحلة الثانية:

وتشمل ما تم فتحه بعد انضمام حائل عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١) وحتى توحيد المملكة عام ١٣٥١ (١٩٣٢ م).

من المعروف أنه لا يوجد بين الحجاز، ونجد فواصل طبيعية يمكن أن يطلق عليها حدود فاصلة، وإنما هي مسميات من وضع الجغرافيين العرب الأوائل لتحديد مواضع، أو أماكن، يتصل بعضها ببعض، لا تمنع انسياح القبائل، أو رحيلهم منها وإليها، منذ العصر الجاهلي فكلها يطلق عليه شبه الجزيرة العربية، وعند إنشاء الدول في العصر الحديث رؤي أن توضع حدود روعي فيها عدة اعتبارات، منها المسميات التي وضعها العرب قديماً، وأيضاً ولاء القبائل، وانتمائها. وغير ذلك من الاعتبارات.

وكان جبل حضن هو الرابط بين مسمى الحجاز، ونجد. وكان يقال من رأى حضناً فقد أنجد، أي أصبح في أرض نجد[١] وتقع بلدتا تربة. والخرمة في جنوبه الشرقي أي في أرض نجد، وكانت هذه المنطقة مثار النزاع بين الملك عبد العزيز، والشريف حسين.

على أن الشريف كان في طبعه الطمع، وفي خلقه الاعتداد بالنفس، وحب الظهور لدرجة الغرور، وقد وضع في اعتباره من

---

(١) انظر الريحاني، المصدر السابق ص ٢١، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب ص ٢٢ والزركلي ج ١، شبه الجزيرة، ص ٣١٨، وزاد فيه: تبعد عنه تربة مسافة ٧٥ ميلاً إلى الجنوب والخرمة ٥٠ ميلاً إلى الشرق.

البداية العمل على أن يحظى برضا الدولة العثمانية عليه، ويتقدم على منافسيه.

وسارع يؤلب القبائل في غرب نجد ليستميلها إلى صفه، وليستعديها ضد عبد العزيز، وهو يعلم أن عبد العزيز مشغول بمواجهة ابن الرشيد[١].

لكن عبد العزيز غض الطرف عن تصرفات الشريف لأن لديه ما هو أهم.

وراسل الشريف بالمودة[٢] ورد الشريف التحية بمثلها، لفترة يسيرة، عاد بعدها يبث الفتنة بين قبائل نجد، ويضرم نارها وصبر عبد العزيز، إلى أن كانت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) وحاول الانكليز جذب عبد العزيز إلى صفهم ضد الدولة العثمانية، فرفض، كما حاولت الدولة العثمانية جذب عبد العزيز إلى صفها، فرفض أيضاً وظل على الحياد، رغم الإغراء من الطرفين[٣].

وقام الملك عبد العزيز خلال الحرب بإرسال خطابات إلى الحكام العرب في المنطقة كي يجتمعوا، ويتدارسوا الموقف في المنطقة، ويتخذوا موقفاً موحداً لصالح العرب والإسلام فلم يجد تجاوباً وكتب الوالي العثماني في جدة إلى عبد العزيز، أثناء الحرب، يشرح له ارتيابه في إخلاص الشريف حسين للدولة، ويعده إن هو (أي

---

(١) الزركلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٤٣، ٣٠٧، ٣٢٧ والريحاني، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٣) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي ص ٤٥٨، ٤٥٩.

عبد العزيز) جاء إلى الحجاز أن يسلمه له ويساعده[1] كما تلقى عبد العزيز خطاباً في شوال ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) من الفريق فخري باشا، القائد التركي في المدينة المنورة، يعرض عليه تزويده بالأسلحة والعتاد، لحرب من سماه «العاصي حسين» وفتح طريق مكة للحجاج المسلمين[2] غير أن عبد العزيز لم يستجب لكل ذلك وكان الشريف حسين قد أعلن الثورة في ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ ضد الدولة التي عينته في منصب الشرافة، وانتهت الحرب العالمية عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بهزيمة الدولة العثمانية، واستسلمت حاميتها في المدينة المنورة والطائف، للشريف حسين واجتاحه الغرور، وبدا وكأنه هو الذي هزم الدولة.

وخيل للشريف أنه إذا استصرخ العرب يهبون لنجدته من أقصى شبه الجزيرة سامعين مطيعين، وأن العالم الإسلامي يغضب لغضبه، فانتهزها فرصة وأمر ابنه عبد الله بأن يزحف بجيشه من المدينة المنورة للاستيلاء على تربة والخرمة فسار ابنه بجيش جرار، مجهز بأسلحة ومدافع عديدة، واحتل تربة، لكن القوات السعودية بقيادة خالد بن لؤي، وسلطان بن بجاد فاجأته ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م) في تربة ومزقتهم كل ممزق ولم ينج منهم إلا القليل، ونجا عبد الله بن الحسين بصعوبة[3].

---

(١) الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٠٨.

(٢) الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٤٣.

(٣) الزركلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣، والريحاني، المصدر السابق، ص ٢٥٣ ــ ٢٥٧.

وزاد هذا من حنق الشريف، فواصل إشعال لهيب الفتن، وإرسال قوة عسكرية مجهزة بالمدافع والرشاشات لمساعدة آل عايض في عسير على التمرد عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) وحاول أبناؤه إحداث قلاقل على حدود نجد الشمالية ونشط هو في نشر المقالات في جريدة القبلة، وفي بعض صحف البلدان العربية[١] للتجريح في عبد العزيز وتحريض الناس عليه.

أما السلطان عبد العزيز فقد عاد من موقعة تربه إلى الرياض، وفي ذهنه افتتاح عهد جديد مع الشريف، وإلقاء ستار على ما مضى[٢].

لكن الشريف ازداد حنقاً كما سبق أن قلنا، وتمادى في معاداة أهل نجد، ووضع العراقيل في سبيل دخولهم الحجاز، ومنعهم من أداء فريضة الحج لأكثر من ثلاثة أعوام حتى ضج أهل نجد فقد تعطل لديهم ركن من أركان الإسلام، وكان السلطان عبد العزيز يحاول تهدئتهم، وامتصاص غضبهم، بأنه يبذل جهده لحل الخلافات، وتذليل السبل لأداء الفريضة لمن يرغب في أدائها.

خلال ذلك سافر الشريف حسين إلى عمان بشرق الأردن فخلعوا عليه لقب الخلافة، فازداد بذلك صلفاً، وغروراً، وعناداً وفي

---

(١) الزركلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٦.
(٢) الزركلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣.

نفس الوقت زاد اضطهاده لأهل نجد، ومنع تجارهم من الامتيار في الحجاز[1].

وعقد مؤتمر في الرياض عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) برئاسة الإمام عبد الرحمن الفيصل، وحضره حشد من العلماء وأمراء البلدان، ورؤساء القبائل والعشائر، وحضره عبد العزيز، وأثير في هذا الاجتماع موضوع منع الحسين أهل نجد من أداء فريضة الحج.. وتكلم بعضهم مطالبين بعدم الصبر بأكثر من هذا على ترك ركن من أركان الإسلام. وتكلم عن العلماء الشيخ سعد بن حمد بن عتيق فقال: إن الحج ركن من أركان الإسلام، ومسلمو نجد ــ والحمد لله ــ يستطيعون أداء هذه الفريضة على الوجه الأتم، بالرضا، أو بالقوة ولكن من أصول الشريعة النظر إلى المصالح والمفاسد، فالأمر الذي يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع، فهل هناك مفسدة أو مضرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب لبيت الله؟ ذلك ما نود الوقوف عليه من الواقفين على السياسة.

وهنا اتجهت الأنظار إلى السلطان عبد العزيز لتعرف ما لديه، فقال: «نحن لا نريد أن نحارب من يسالمنا، ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا، ولكن شريف مكة كان دائماً ــ وهو الوارث بغضنا عن أسلافه ــ يزرع الشقاق بيننا، وبين عشائرنا، ولقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبينه بالتي هي أحسن، لكنه كلما دنوت منه تباعد. ولا يزداد إلا نفوراً، وجفاء.. وإن الأمور تزداد

(١) الزركلي، ج ١ ص ٣٢٨، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٩١.

سوءاً، وارتباكاً، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تضمن حقوقنا، وتصون مصالحنا».

وكان هذا إيذانا بالزحف، فقد صاح الحاضرون: توكلنا على الله.. إلى الحجاز[1]... وأخذ عبد العزيز يهيىء لمواجهة الشريف حسين.

وتقدمت طلائع الجيش السعودي، وعندما همّ السلطان عبد العزيز بمغادرة الرياض ليلحق بطلائع الجيش، قال: إني مسافر إلى مكة، لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم عنها، إني مسافر إلى مهبط الوحي، لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع[2]. ودخلت طلائع الجيش مكة وهم بملابس الإحرام، منكسين أسلحتهم، وملبين، وطافوا حول البيت، وسعوا، ونادوا بالأمان، ثم تسلموا زمام الأمور يوم ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)، ولما وصل السلطان عبد العزيز هو ومن معه إلى قرن المنازل، استبدل بملابسهم ملابس الإحرام، ثم استأنفوا السير، إلى أن دخلوا مكة ملبين بالعمرة، يوم الخميس ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ (٥ ديسمبر ١٩٢٤ م)، فطافوا ثم سعوا ثم صلوا، وتوافد العديد من أهل مكة على السلطان يهنئونه، ويبايعونه.

ثم طلب علماء مكة، وأعيانها الاجتماع بالسلطان، فحدد لهم (السبت ١٠ جمادى) ولما حضروا جميعاً قال فيهم:

---

(١) الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٢٧، الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٢٩.

(٢) الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٣٥.

«إن أفضل البقاع هي البقاع التي يقام فيها شرع الله، وأفضل الناس من اتبع أمر الله، وإن لهذا البيت رفه ومقامه، منذ رفع قواعده سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد عظم العرب أمره في جاهليتهم، وإسلامهم. . إن الذي أبغيه في هذه الديار أن يعمل بما في كتاب الله، وسنة رسوله. . .»[1] ثم اجتمع علماء مكة، وعلماء نجد، وتفاهموا، واتفقوا على أنه لا خلاف بينهم في أمور الدين.

وكان لكلمة السلطان في جموع العلماء أثرها الطيب، فقد أثلجت قلوبهم، وأزالت الآثار السيئة التي كان يبثها خصوم الدعوة السلفية، وتأكد لهم ذلك بعد أن تناقشوا مع علماء نجد. . وعرفوا أنها دعوة مفترى عليها، وأنها ظلمت كثيراً فتحولوا إلى مناصرين لها، ومؤيدين لحامل لوائها، السلطان عبد العزيز. وكان لهذا تأثيره فيما بعد حين اجتمع العلماء، والأعيان مطالبين عبد العزيز بأن يكون حاكماً عليهم لا يرتضون بغيره بديلاً. . سيما وأن حسن معاملته لهم، وعفوه الشامل عمن ناصروا الشريف، وعاونوه، بل وتوليته للكثيرين منهم، في وظائف، ومناصب، كل هذا جعلهم يتمسكون به حاكماً عليهم. . وبلغ القمة في نظرهم عندما دخل جدة في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ (٢٣ ديسمبر ١٩٢٥ م)، ومنح العفو العام عن الجميع، بما فيهم الضباط، والجنود، والقبائل التي حاربته.

فملك بكرمه قلوب الناس، وسيوفهم أيضاً.

---

(١) الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٧٣ وما بعدها، والزركلي، المصدر السابق ج ١ ص ٣٤١.

وكان البلاغ العام[1] الذي أذاعه في ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ خير عامل على تحقيق الأمن، والأمان، ومما جاء فيه:

«تفهمون أني بذلت جهدي، وما تحت يدي، في تخليص الحجاز، لراحة أهله، وأمن الوافدين إليه، إطاعة لأمر الله، قال جل من قائل: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾[2]، لقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس، أن ساد السكون، والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مر الحياة، وأتعابها. ولما منّ الله بما مَنَّ من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره، ونتوخاه، أعلنت العفو العام، عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، أما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها إلى القضاء الشرعي.

وإني أبشركم ــ بحول الله وقوته ــ أن بلد الله الحرام في إقبال وخير وأمن وراحة، وإنني إن شاء الله تعالى، سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها.

لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، واتباع مرضاته، والحث على طاعته.. من حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، وحفظ دمائكم، وأعراضكم، وأموالكم إلا بحق الشريعة.

---

(١) الزركلي، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

وحقنا عليكم المناصحة، والمسلم مرآة أخيه، فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه أو دنياه، فليناصحنا فيه، فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن كان في أمر الدنيا، فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء..»[١].

وكان هذا بلاغاً للناس يحمل كل مواثيق الأمن والطمأنينة وينبىء عن الصدق والإخلاص في القول والعمل، وما فتئت الأقوال تترجم إلى أعمال لخدمة الإسلام والمسلمين وخدمة البقاع المقدسة.

وعقب صلاة الجمعة يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ (١٠ يناير ١٩٢٦ م) اجتمع جمع غفير من العلماء والأعيان والمواطنين بباب الصفا بالمسجد الحرام وبايعوا عبد العزيز ملكاً على الحجاز، وأصبح لقبه: ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها[٢] وفي ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥ هـ (١٩ يناير ١٩٢٧ م) عقد مؤتمر في الرياض، ونادوا بعبد العزيز ملكاً على المملكة النجدية وملحقاتها وأصبح لقبه الرسمي (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) وأبلغ ذلك إلى الدول العربية والأجنبية فاعترفت به وفي ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ م) تم توحيد أجزاء المملكة، وصارت مملكة واحدة باسم المملكة العربية السعودية وصار اللقب الرسمي لعبد العزيز هو:

ملك المملكة العربية السعودية[٣]

---

(١) الزركلي، المصدر السابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) أمين الريحاني، المصدر السابق ص ٤٢٧.

(٣) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٩٤.

وكان من أبرز معالم الانجاز خلال هذه المرحلة: هو إلغاء كافة النظم والقوانين التي كانت سائدة في الحجاز، ولا تتفق مع الشريعة الإسلامية[١] وكذلك ألغي نظام المحاكمات العرفية العشائرية والقبلية، والتي كان يعمل بها لدى أكثرية سكان البادية وأحل محلها الأحكام الشرعية[٢] كخطوة أولى نحو التقارب ولتتلاءم مع الحكم الجديد، وشخصية الحاكم الذي آل إليه أمر السلطة.

وبدأ إعادة التشكيل للأجهزة الإدارية والمالية والتشريعية والتنفيذية في الحجاز يتجه نحو الالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وصدرت التعليمات الأساسية للحجاز في ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) ونص في القسم الأول منها على وحدة المملكة، وشكلها، وعاصمتها، ولغتها، ونص في المادة (٦) من القسم الثاني على أن الأحكام تكون دوماً متفقة مع كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابة، والسلف الصالح.

وكان قبل ذلك قد تم إنشاء مجلس أهلي في ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ يتكون من أهل الحل والعقد للنظر في إدارة ما تحتاجه البلاد ثم أعيد تشكيله عام ١٣٤٤ هـ وتحديد صلاحيات له.

وفي عام ١٣٤٥ هـ أنشىء أول مجلس شورى، وأدمج فيه المجلس الأهلي، وأعيد تشكيله عام ١٣٤٦ هـ مع وضع صلاحيات

---

(١) انظر في ذلك حسين محمد نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ص ١٧.

(٢) من بين ما تمّ إلغاؤه قانون (أبي نمي) وقد كان خاصاً بالأشراف وفيه كثير من الأمور المخالفة للإسلام.

له، وكان يتكرر تشكيل أعضائه كل عام تقريباً[1].

٣ ـ المرحلـة الثالثـة:

من توحيد المملكة عام ١٣٥١ حتى عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م).

وقد اكتمل في هذه المرحلة توطيد دعائم المملكة، وأصبحت قوة ذات شأن، لها أثر كبير في خدمة الدعوة.. وكانت أمور الدولة، وشؤونها بحاجة إلى تنظيم، وإعادة ترتيب، وقد بدأت تلك التنظيمات عقب ضم الحجاز، على الوجه الذي أوضحناه في المرحلة الثانية، وعندما تهيأت المناطق، والأقاليم، للتوحيد، والاندماج، صدر الأمر الملكي رقم (٢٧١٦) في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ (٢١ سبتمبر ١٩٣٢ م) بتوحيد أجزاء المملكة، ونص في المادة (٢) منه على أن يسري مفعول هذا التحويل ابتداء من تاريخ إعلانه.

كما نص في المادة (٨) على أن يوم ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ، الموافق اليوم الأول من شهر الميزان، هو يوم اختيار هذا التوحيد[2] وقد ترتب على هذا التعديل اتخاذ العديد من الإجراءات، وكان من بينها:

(أ) تعديل النظام الأساسي للبلاد، في ضوء الوحدة الجديدة، وإحداث تشكيلات إدارية جديدة، تكون أكثر انطباقاً على الحالة الراهنة، واتساقاً مع الأوضاع التي تحتاجها البلاد.

---

(١) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٨٧ ـ ١٠٢.

(٢) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٩٤، والزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٥٦٥، ٥٦٦.

وكان أهم ما تضمنته التعليمات الأساسية، البنود الآتية:

ــ المملكة، مرتبط بعضها ببعض، ارتباطاً لا يقبل التجزئة، ولا الانفصال بوجه من الوجوه.

ــ الدولة، دولة ملكية، شورية، إسلامية ــ مستقلة في داخليتها وخارجيتها.

ــ إدارة المملكة، بيد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وهو مقيد بأحكام الشرع.

ــ جميع أحكام المملكة، تكون منطبقة على كتاب الله، وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة، والسلف الصالح[1].

(ب) إننا نلحظ أن مجلس الشورى قد نشط في أعماله، وكثيراً ما كانت تضاف له صلاحيات جديدة، خلال كل دورة من دورات تشكيله، التي كانت تستغرق عاماً أو عامين أو أكثر وكان له أحياناً سلطة رقابية على الجهاز الحكومي وعلى تطبيق بعض النظم، ومدى ملاءمتها للشرع[2] وقد افتتح الملك عبد العزيز دورته عام ١٣٥١ هـ بخطاب جاء فيه: «.. يوكل إلى المجلس في دورته الحالية العناية بشأن الحج والحجاج ــ لأن السعي في خدمتهم، في هذه البلاد المقدسة من أسباب التقرب إلى الله»[3] وظل المجلس يؤدي دوره بنشاط خلال فترة كانت البلاد بحاجة

(١) الزركلي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٥٤.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) فؤاد حمزة المصدر السابق، ص ١٠٨، ١٠٩.

ماسة إلى جهوده، للإشراف على وضع نظم وتعليمات تتفق مع مبادىء الشريعة الإسلامية كي تلتزم بها الأجهزة والهيئات الحكومية التي بدأت في النمو والتزايد والاتساع حسب حاجة البلاد. إلى أن انشىء مجلس الوكلاء.

(ج) مع دخول البلاد طور الإستقرار، بدأ إنشاء أجهزة الدولة وتوزيع التبعات والمسؤوليات، فمثلاً قبل إنشاء وزارة الخارجية وإبان سلطنة نجد، كان السلطان عبد العزيز هو الذي يشرف بنفسه على جميع الشؤون الخارجية، يراسل الحكومات، ويتلقى أجوبتها ومراسلاتها، وكثيراً ما كان يملي الخطاب بنفسه، ويشارك في عقد الاتفاقيات والمعاهدات، أو يرسم خطوطها العريضة، ويرجع إليه المفاوضون في كافة التفصيلات، وبعد توحيد المملكة والأخذ بمبدأ توزيع المسؤوليات، عهد إلى النائب العام في الحجاز الأمير فيصل بن عبد العزيز مهمة الشؤون الخارجية، وعندما تحولت إلى وزارة في غرة رجب سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) تولاها بالإضافة إلى مسؤولياته الأخرى[١] وكانت المملكة قد توسعت في علاقاتها الخارجية، وأصبح لها العديد من المندوبيات والممثليات في الدول العربية والإسلامية، وأيضاً في الدول الأجنبية فكانت وزارة الخارجية تعطي صورة حقيقية وصحيحة عن نشاط المملكة في خدمة الإسلام، وخدمة الدعوة الإسلامية، خلال هذه الفترة. .

---

(١) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١١٤، ١١٨، والزركلي، المصدر السابق ج ١، ص ٣٦٥ ــ ٣٦٩.

بالإضافة إلى مهمتها في دعم العلاقات السياسية بين المملكة وبين الدول التي ترتبط معها بعلاقات سياسية.. وكانت تستهدي برأي الملك عبد العزيز في كل أمر تبرمه..

ثم أنشئت في فترات لاحقة أجهزة عهد إليها عبء الدعوة في الخارج. أو بالأحرى، العبء الأكبر منها وتصحيح مسارها في الخارج كما كان من أقدم الوزارات التي أنشئت وزارة المالية، فقد أنشئت عام ١٣٥١ هـ وصدر لها نظام تعمل بموجبه يحتوي على ١٠٣ مواد.

ومع أنه كان يوجد مكتب لشؤون الحج ولجنة الحج والمطوفين ومكتب الطرق للإشراف على تمهيد الطرق لراحة الحجاج وكلها كانت تتبع وزارة المالية في ذاك الوقت إلا أن الملك عبد العزيز كان يذهب إلى الحجاز في موسم الحج كل عام ليشرف بنفسه على راحة حجاج بيت الله، وضيوف الرحمن، ويستقبل رؤساء وفود البلاد الإسلامية ويسمع ملاحظاتهم ويلبي احتياجاتهم.. ويلقي كلمة يحثهم فيها على التمسك بمبادىء الإسلام وعقيدته السمحاء.. ويوزع على الفقراء المنح والأعطيات.. والهدايا لرؤساء الوفود، وكان هذا يثلج صدورهم، ويجلب المودة، والمحبة إلى قلوبهم.. ويزيل ما علق بذهن بعضهم، من أكاذيب وافتراءات وتشوهات، حول أنصار الدعوة السلفية التي بثها خصومهم، في سالف العصر، من خلال الدعاية المغرضة. عرف الناس من خلال احتكاكهم المباشر، في موسم الحج وغيره، الحقيقة بكل دقائقها، واطلعوا بعين المشاهدة على ما تقوم به المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين. وخدمة

الدعوة الإسلامية. ودعم الأقليات المسلمة، والوقوف بجوار إخوانهم المسلمين في المحن والملمات.

ونظراً للتزايد المطّرد لأعداد الحجاج الوافدين إلى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج. فقد بدأت تضيق الأماكن المقدسة عن استيعابهم عاماً بعد عام، لذا أمر الملك عبد العزيز بعمل الدراسات اللازمة لتوسعة الحرم المكي والمطاف، والمسعى وذلك عام ١٣٧١ هـ[١].

ولا ريب أن ذلك كله جعل العالم الإسلامي، ينظر للمملكة نظرة تقدير وإعجاب وهو الأمر الذي خدم الدعوة كثيراً، وسهل مهمة الدعاة في الخارج.

وكان منهجه في إدارة شؤون البلاد مبنياً على تنفيذ تعليمات ومبادىء الشرع الحنيف، وكل الصفات الأخلاقية الإسلامية، ألزم نفسه بها، قبل أن يلزم بها غيره، ولهذا كان قدوة لأبناء وطنه، ولمن عول عليهم في إدارة شؤون البلاد، وموظفي الأجهزة الحكومية التي أتسعت أواخر عهده، وشملت كل جزء في البلاد.

ولذا كان صارماً مع كل من يحاول العبث بمصالح البلاد، أو الخروج عن الطريق السوي، الذي رسمه لنا الإسلام..

ونود أن نستخلص مما سبق أن الملك عبد العزيز قد هيأه الله لحمل لواء الدعوة، وآزره بنصر من عنده، ومنحه قوة استغلها

---

(١) انظر حسين عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة؛ ص : ٢٩٢، ٢٩٣، ط ٢/ ١٤٠٢ هـ جدة.

عبد العزيز في خدمة الإسلام، وخدمة الدعوة، وعمل على تأسيس دولة تجمع بين الأخذ بأساليب العصر الحديثة، لخدمة الإسلام، وخدمة الدعوة.. مثبتاً بذلك أن الإسلام صالح لكل زمان، ومكان، وأنه لا تناقض بين الإسلام، وبين العلم الحديث، وأن الإسلام شامل، وجامع لأمور الدين، والدنيا معاً فيه العلاج لمشكلات المجتمعات الحديثة، الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها.

وفاته يرحمه الله:

بعد أن أكمل عبد العزيز مهمته الجليلة، وأفنى حياته في الجهاد لإعلاء كلمة الله، ودعم الصرح الذي بناه، وأصبحت المملكة مهيأة للقيام برسالتها. كان مرض الشيخوخة قد دبّ في جسده، واعتراه الوهن، والضعف لكنه كان يتجالد، ويتحامل كعادته، ولا يود أن يستسلم للمرض، وكان قد حان موسم الحج عام ١٣٧٢ هـ، فانتقل من الرياض بالطائرة إلى الطائف في ٢٨ من ذي القعدة ١٣٧٢ هـ ليكون مع الحجيج في حجهم، ويشرف على راحتهم كعادته، لكن صحته لم تساعده. فظل في الطائف، وأناب عنه ولي عهده، ثم أمضى زهاء ثلاثة أشهر بين الحوية، والطائف وقد اشتد عليه المرض؛ وفي الطائف وافته منيته ضحى الاثنين ٢ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ (٩/ ١١/ ١٩٥٣ م) وصلي عليه، ثم نقل بالطائرة إلى الرياض، فدفن في مقبرة العود[١] يرحمه الله.

□□□

---

(١) الغلامي، المصدر السابق، ص ٣٩٢، والزركلي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٣٧.

الباب الأول

جهود الدعوة في عهد الملك عبد العزيز والأسس التي قامت عليها

ويحتوي على مدخل وتمهيد وفصلين:

المدخل: مفهوم الدعوة السلفية والحاجة إليها.

التمهيد: الأحوال المحيطة بالدعوة.

الفصل الأول: الجهود الرسمية العامة في الدعوة.

الفصل الثاني: الجهود الشخصية للملك عبد العزيز في الدعوة.

مدخل عن:

مفهوم الدعوة السلفية ومدى الحاجة إليها

أولاً ــ تعريف الدعوة:

الدعوة لغة:

جاء في لسان العرب: «قال الليث: دعا يدعو دعوة ودعاء..»[1].

وفي مقاييس ابن فارس: «دعوت أدعو دعاء؛ والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسرة»[2].

ومثله ما جاء في الصحاح للجوهري[3].

وجاء في المعجم الوسيط: «دعاه إلى الشيء: حثه على قصده، يقال دعاه إلى القتال ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده»[4].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ج ١٤/ ٢٦١ ــ دار صادر بيروت.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون؛ ج ٢/ ٢٧٩؛ ط ٢ ــ ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

(٣) الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار؛ ج ٦/ ٢٣٣٦، ط ١ ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م.

(٤) المعجم الوسيط؛ ج ١/ ٢٨٦. ط قطر ١٤٠٦ هـ.

الدعوة في الاصطلاح:

عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا. . »(١).

وعرّفها بعض المتأخرين بقوله: «إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين»(٢).

ومن هذه التعريفات يتضح لنا شمولية الدعوة، وأنها الأسلوب والوسيلة لإيصال الدين الحق إلى الناس.

ثانياً ــ مفهوم الدعوة السلفية:

يتضح مفهوم السلف في اللغة بما جاء في لسان العرب قوله: «سلف يسلف سلفاً وسلوفاً: تقدم. . . وقيل سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول ــ يعني من الصحابة ــ ومن التابعين السلف الصالح»(٣).

السلف في الاصطلاح:

السلف هم الذين التزموا بالكتاب والسنّة ومنهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في العقيدة والشريعة عامة(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٥ ص ١٥٧ ــ ١٥٨.

(٢) علي بن صالح المرشد ــ مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص ٢١، مطبعة مكتبة لينة ــ دمنهور/ مصر ط ١ ــ ١٤٠٩ هـ.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ج ٩ ص ١٥٨ ــ ١٥٩.

(٤) د/ أحمد سعد حمدان/ مقدمة كتاب/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة =

ومنهج السلف في تقرير العقيدة:

١ ــ تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة وعدم رد شيء منها أو تأويله.

٢ ــ الأخذ بما ورد عن الصحابة في بيان القضايا الدينية عامة وفي قضايا العقيدة خاصة.

٣ ــ عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.

٤ ــ الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم[١].

٥ ــ إخلاص العبودية لله ونبذ الشرك بمختلف صوره التي ظهرت عند الشيعة والصوفية والقبوريين عامة.

فالدعوة السلفية ــ في حقيقتها ــ إحياء لعقيدة السلف المشار إليها وتجديد لما اندثر منها بعد ما طمست معالمها وشوهت حقيقتها وران عليها من البدع والخرافات والانحرافات الشيء الكثير.

وقد بيّن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حقيقة الدعوة السلفية في رسالته للشيخ عبد الرحمن السويدي أحد كبار علماء العراق فقال:

«إني والحمد لله متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين لله به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين

= والجماعة/ ج ١ ص ٥٣/ الطبعة الأولى دار طيبة.

(١) د. أحمد سعد حمدان، مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص ٥٣، ط ١ دار طيبة.

مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة»[1].

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يهدف من دعوته إلى تحقيق ما يلي:

١ ــ توجه العباد بعبادتهم لله وحده فلا يصرفون شيئاً منها لغير الله مهما كانت منزلته تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء..﴾[2].

٢ ــ تنقية العقيدة مما شابها وعلق بها من البدع والخرافات وتصحيح مسارها من الانحرافات التي حادت بها عن حقيقتها وأصالتها، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه أيام الرسول ﷺ والصدر الأول من صفاء ونقاء.

٣ ــ إقامة مجتمع إسلامي يؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهج حياة في ظل دولة إسلامية تطبق أحكام الإسلام في جميع شؤون الحياة[3].

وقد استطاعت هذه الدعوة إقامة المجتمع الإسلامي الذي يطبق أحكام الإسلام ويقيم شعائره الظاهرة كالمحافظة على صلاة الجماعة وإيتاء الزكاة وتحكيم شرع الله وإقامة الحدود الشرعية. كما أحيا نظام

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ مؤلفات الشيخ ــ القسم الخامس (الرسائل الشخصية) ص ٣٦ طبع جامعة الإمام ــ ١٣٩٨ هـ الرياض.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) انظر: محمد السلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٣٤، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ.

الحسبة مما هيأ الأمن والاستقرار في البلاد.

ثالثاً ــ مدى الحاجة إلى الدعوة:

لا يستطيع الإنسان أن يستغني عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لأنها تحمل معها تعاليم الخالق ــ عز وجل ــ بدقتها وحكمتها فهو يعلم سر من خلق وظاهره وباطنه، ويعلم مصلحة الفرد والجماعة في كل زمان ومكان.

وقد وضعت الدعوة الإلٓهية أسس الحياة على مفاهيم ثابتة وقواعد متينة لا تختلف من مكان إلى آخر ولا تتغير بمرور الزمن، ولا تفرق في تعاملها بين أجناس البشر.

والدعوة الإسلامية تقرر أن الكون لمالكه يضع فيه من الشرائع والأحكام ما يراه نافعاً لهذا الإنسان الذي جعله خليفة في الأرض وقد بعث الله للإنسان رسلاً يرشدونه إلى ما ينفعه ويبعدونه عما يضره كما قال سبحانه: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[1].

وإذا أمكن لبعض العقلاء أن يصل إلى معرفة الله والاعتقاد بوجوده والإيمان به اعتماداً على عقولهم فليس لهم غنى عن الرسل لأن الرسل هم الصلة بين الخالق والمخلوق من حيث تبليغ الدعوة. قال الله تعالى:

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. . . ﴾[1].

والناس أمام الدعوة قسمان:

الأول: قسم استجاب لدعوة رسول الهدى ﷺ ودخل في الإسلام فهم أمة محمد ﷺ المستجيبة (أمة الإجابة).

الثاني: قسم لم يستجب لدعوة محمد ﷺ ولم يدخل في الإسلام فهم (أمة الدعوة)[2].

وبناء على هذا فالدعوة قسمان:

١ ـ دعوة حفظ، توجه للمسلمين (أمة الإجابة) للمحافظة على دينهم واستكمال النقص.

٢ ـ دعوة جذب، وتوجه إلى غير المسلمين (أمة الدعوة) لإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

□□□

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) انظر التقسيم عند حسن علي جابر، الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٤٦، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ مطبعة دار الوفاء.

تمهيد

الأحوال المحيطة بالدعوة

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : الأحوال الإيجابية المحيطة بالدعوة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الأحوال الإيجابية العامة.

المطلب الثاني: الأحوال الإيجابية الخاصة.

المبحث الثاني : عوائق في طريق الدعوة وسبل التغلُّب عليها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: عوائق داخليّة.

المطلب الثاني: عوائق خارجيّة.

المبحث الأول

الأحوال الإيجابية المحيطة بالدعوة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأحوال الإيجابية العامة.

المطلب الثاني: الأحوال الإيجابية الخاصة.

المطلب الأول

الأحوال الإيجابية العامة

ساعدت بعض الأحوال الإيجابية الدعوة على المضي في رسالتها إبان عهد الملك بن عبد العزيز، ومن أهم هذه العوامل:

أولاً ــ السمعة الطيبة للدولة السعودية في عهودها السابقة:

لكل أمة ولكل دولة ولكل أسرة ولكل فرد فضائل وحسنات وزلات وكبوات، إلا أن ما تحلّت به الدولة السعودية منذ نشأتها من تاريخ متميز عن غيرها، من شيم وقيم ونصرتها للدعوة بكل قوة مكّن لها في قلوب الناس وأكسبها السمعة الطيبة... هذه السمعة لم تأت من فراغ ولكن شواهدها التاريخية كثيرة. فمنذ أن قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله ــ بإحياء الدعوة السلفية وبذل كل غال ونفيس لتجديد أمر الدين وإعادة الإسلام إلى صفائه ونقائه. ثار عليه الحاسدون من العلماء والعوام والقادة المنحرفين وعزموا على القضاء عليه وعلى الدعوة الإصلاحية في مهدها مما اضطر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يلجأ إلى الدرعية في عهد الأمير محمد بن سعود الذي رحب به واقتنع بدعوته ووعده بنصرته وعقدت بينهما وثيقة الحركة الإصلاحية ونشر الدعوة السلفية.

ومن ثم قام الإمامان الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود رحمهما الله وأنصارهما بكل ما أوتوا من قوة العلم

والإيمان بنشر هذه الدعوة ورفعوا راية الجهاد وسعوا إلى شرح أهداف الدعوة وغاياتها حتى تمكنت من شق حجب الضلال وتمزيق الباطل وظهرت واضحة المفهوم والهدف[1].

وقامت دولة الدعوة للحفاظ عليها والحماية لها، وأقامت شرع الله في البلاد ونفذت الحدود والتعزيرات وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر واهتمت بالشعائر الإسلامية عامة والصلاة خاصة.

وهكذا كان الأمير محمد بن سعود ـ الذي اقتنع بالدعوة وبصحة ما نادى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ خير عون للشيخ في تحقيق أهداف الدعوة، كما كان نسله من بعده خير حماة لها، ولإنجازاتها الخيرة إيماناً من آل سعود بأن ما يدعو إليه الشيخ ما هو إلا الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي ﷺ ووفاء منهم بالعهد الذي تضمنه الاتفاق بين الإمامين.

وأصبحت الدرعية المركز الرئيسي للدعوة وبدأت تمارس نشاطها فبعث الإمام الرسائل التي تشرح الدعوة وبعث العلماء من أجل بيانها.

ومن أجل ذلك عضت دولة آل سعود الأولى على هذه الدعوة بالنواجذ فازدهرت، وكان من آثار ذلك أن تبوأت هذه الدولة مكانة طيبة في نفوس المسلمين المخلصين ومحبة لدى العلماء الموحدين.

إلا أن أعداء الإسلام وأعداء الدعوة لم يعجبهم نهضتها فعملوا على القضاء عليها وعلى أصحابها حتى أبلى أهلها بلاء حسناً فجاهدوا

---

(١) راجع ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ٤٢.

في الله جهاداً عظيماً متوكلين على الله مبتغين إحدى الحسنيين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من بقى يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا.

فقد قتل من آل سعود في الجهاد الدعوي أكثر من ثلاثين رجلاً خلال حكم الأمير محمد بن سعود منهم اثنان من أبنائه.

وقد استطاعت الدولة العثمانية أن تحرك أتباعها وتنقض على الدولة السعودية الأولى، لكنها لم تنجح في أن تنال من تلك العزيمة أو هذه الجذور الملتهبة في سويداء قلوب الأسرة السعودية حيث تمكن الإمام تركي بن عبد الله بن سعود من إعادة روح الجهاد لهذه الحركة الإصلاحية بتأسيسه الدولة السعودية الثانية.

لقد احتضن الإمام تركي بن عبد الله الدعوة وناصرها فعادت إليها قوتها ومكانتها وظلت الدعوة قوية منصورة.. طوال حكم الدولة السعودية الثانية.

وقد واجه آل سعود في هذه الأثناء ظروفاً صعبة ومواقف مختلفة حتى قامت دولتهم مرة ثالثة على يد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ الذي تمكن من توحيد المملكة وتقوية سلطتها وجعل فيها سلطان الشريعة الإسلامية هو الغالب وفوق كل اعتبار دستوراً وعملاً، وأخذ على عاتقه نصرة الدعوة وإقامة دولة إسلامية تحكم شرع الله فعادت للدعوة قوتها ومكانتها وقد سار أبناؤه من بعده على نهج أبيهم إلى اليوم.

ويواصل أبناء عبد العزيز المسيرة على نهجه، ويأتي الملك فهد ــ أمد الله في عمره على الحق والخير ــ فيؤكد على هذا المعنى فيقول: «المملكة العربية السعودية هي واحدة من دول أمة الإسلام

هي منهم ولهم، نشأت أساساً لحمل لواء الدعوة إلى الله، ثم شرفها الله بخدمة بيته وحرم نبيه، وهي إذ تنفذ تلك الواجبات إنما تتمثل ما أمر الله به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة. وما كان يفعله الرسول ﷺ»[1].

ولقد صدقت أقوالهم فكانت الشريعة.. وما زالت هي المحكمة.. وكلمة الله هي العليا، والدعوة إلى الله رسالة كل واحد من حكام تلك الدولة.. بأدوارها الثلاثة يعمل على تحقيقها ورفع رايتها.

وإذا تتبعنا مواقفهم وأفعالهم وأقوالهم على مدار تاريخهم تأكد لنا أنهم لم يكونوا حكاماً فقط بل كانوا رجال دعوة أيضاً.

فالإمام محمد بن سعود يقول لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله، ولا شك فيه فأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به. والجهاد لمن خالف التوحيد»[2].

ويقول ابن بشر عن الإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية «كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يرسل النصائح لأهل البلدان العام والخاص يحضهم على القيام بشرائع الإسلام»[3]

(١) كلمة الملك فهد في افتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض، عام ١٤٠٦ هـ.
(٢) ابن غنام/ تاريخ نجد ص ٨١.
(٣) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١/ ١١٣ ــ ١١٨.

مما يؤكد أنه من الداعين إلى الله المجاهدين في سبيله.

ويسير ابنه فيصل بن تركي على نهج أبيه حتى أنه لو جمعت نصائحهم ومراسلاتهم المتضمنة للدعوة إلى الله وشرعه. وتعاهدهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يفترون من ذلك لبلغت كتاباً.

وتأتي الدولة السعودية الثالثة استمراراً في هذا الإتجاه وتأكيداً له فكان الملك عبد العزيز ما يفتأ يؤكد سيره على خطى أسلافه في نصرة الدعوة والتمسك بشرع الله والحرص على تحكيمه بل ويؤكد دائماً أنه داعية إلى الله. فمن أقواله المأثورة: «نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة. نحن دعاة إلى العروة الوثقى»[(١)].

وهكذا ترى أن آل سعود ناصروا الدعوة بما جعلهم أهلاً لتولي أمور المسلمين حيث توافرت فيهم الأوصاف الشرعية الواجب توافرها في ولاة الأمر، واشتهرت عدالتهم بين الجميع مما جعل الناس يبايعونهم على السمع والطاعة وعلى كتاب الله وسنة رسوله دون أن يجدوا في نفوسهم حرجاً ولأنهم دائماً حريصون على توثيق عرى الصداقة بينهم وبين رعيتهم.

ولقد قامت السياسة الشرعية التي انتهجها آل سعود على الأسس الآتية:

---

(١) مخيي الدين القابسي المصحف والسيف، ص ٦٢، طبعة دار الناصر، ط ٢، الرياض، كانت هذه العبارة من ضمن خطاب ألقاه في مكة المكرمة في الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة على شرفه في غرة ذي الحجة ١٣٤٨ هـ (٣ أبريل ١٩٣٠ م).

أولاً: عقيدة التوحيد التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له ويعيشون أعزة مكرمين.

ثانياً: شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق والدماء وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع وتصون الأمن العام.

ثالثاً: حمل الدعوة الإسلامية ونشرها حيث إن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

رابعاً: إيجاد بيئة عامة صحيحة صالحة مجردة من المنكرات والانحرافات تعين على الاستقامة والصلاح وهذه المهمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خامساً: تحقيق الوحدة الإيمانية التي هي أساس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية.

سادساً: الأخذ بأسباب التقدم وتحقيق النهضة الشاملة التي تيسر حياة الناس ومعاشهم وتراعي مصالحهم في ضوء هدي الإسلام ومقاييسه.

سابعاً: تحقيق الشورى التي أمر الإسلام بها ومدح من يأخذ بها إذ جعلها من صفات المؤمنين.

ثامناً: الدفاع عن الدين، والمقدسات. . الوطن، والمواطنين، والدولة. هذه هي الأصول الكبرى التي قامت عليها

الدولة السعودية[1] ونتيجة لهذا أطاعتهم الرعية. وسار الأمر بين آل سعود، وشعوبهم على الالتزام بشريعة الله في النظام السياسي الإسلامي.

ويوضح الإمام محمد بن عبد الوهاب بعض جوانب الحكم في علاقة الراعي بالرعية فيقول:

«فإن كان الأمير ما يجعل بطانته أهل الدين، صارت بطانته أهل الشر، وأهل الدين عليهم جمع الناس على أميرهم، والتغاضي عن زلته، وهذا أمر لا بد منه من أهل الدين يتغاضون عن أميرهم، وكذلك الأمير يتغاضى عنهم، ويجعلهم مشورته، وأهل مجلسه، ولا يسمع فيهم كلام العدوان، وترى الكل من أهل الدين، والأمير ما يعبد الله أحد منهم إلا برفيقه فأنتم توكلوا على الله، واستعينوا بالله على الائتلاف، والمحبة، واجتماع الكلمة فإن العدو يفرح إذا رأى أن الكل نافر عن رفيقه، والسبب أن العدو يرجو عود الباطل»[2].

وسئل أبناء الشيخ محمد، وحمد بن ناصر ـ رحمهم الله ـ هل نصب الإمام فرض على الناس أم لا؟ فأجابوا: الذي عليه أهل السنة، والجماعة أن الإمام يجب نصبه على الناس، وذلك أن أمور الإسلام لا تتم إلا بذلك؛ كالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن

(١) كلمة لخادم الحرمين الشريفين ألقاها بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم في الدولة السعودية، انظر نص الخطاب في جريدة الجزيرة عدد ٧٠٩٥ في يوم الاثنين ٢٨/٨/١٤١٢ هـ.

(٢) الدرر السنية ج ٧ ص ٢٣٩.

المنكر، وإقامة الحدود، وإنصاف الضعيف من القوي. وغير ذلك من أمور الدين، ولهذا أوجب الله طاعة أولي الأمر فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[2].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[3].

وفي حديث العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي. وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٨٦٤)، بلفظ: «على المرء المسلم الطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا...» قال الألباني صحيح الإسناد (٢٣١٣) ـ صحيح سنن ابن ماجه. مطبعة المكتب الإسلامي ط (٢) سنة ١٤٠٨ هـ.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب لزوم السنة وابن ماجه (٤٢) بلفظ «عليكم» بدل «أوصيكم» بتمامه قال الألباني حديث صحيح (٤٠) صحيح سنن ابن ماجه والأرواء (٢٤٥٥)، بالمشكاة (١٦٥).

ولا يستقيم الدين إلا بإمام ولهذا قال علي رضي الله عنه: «لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة قالوا: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفنا فما بال الفاجرة؟ قال: يقام بها الحدود ويؤمن بها السبل»[1].

يقول صلاح الدين مختار:

«تمكن آل سعود من السيطرة على البلاد لما قاموا به من جليل الأعمال والإعمار والإنشاء، وكانوا ــ وما زالوا ــ حماة الدين الحنيف من كل نحلة وبدعة كما كانوا وما زالوا أكثر الأسر التي حكمت الجزيرة منذ زوال الملكية من أيدي العرب تفانياً في إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإعلاء كلمة الله في السر والجهر»[2].

ولقد صور الإمام الشوكاني صاحب نيل الأوطار هذه السمعة الطيبة لآل سعود، ودولتهم في قصيدة له، فقال:

وأضعافها للمقرنيين كلهم	هداة ورى من محتدي فرع وائل
هم الناس أهل البأس يعرف فضلهم	جميع بني الدنيا فما للمجادل
وقد جاهدوا في الله حق جهاده	إلى أن أقاموا بالظبي كل مائل
لقد نصروا دين الإله وحزبه	كما دافعوا داعي الهوى بالقنابل[3]

---

(١) الدرر السنية، ج ٧، ص ٢٤٠ والأثر أخرجه بمعناه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٥/٥٦.

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج ١/٢٨، ط منشورات دار الحياة ــ بيروت.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم؛ تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص ١١١ ــ ط ٤؛ القاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

ثانياً ــ رغبة العلماء في قيام دولة تلتزم العقيدة وتنفذ الشريعة وتقيم الجهاد:

قال الإمام ابن الجوزي:

«تزيد مرتبة السلطان العادل على قوّام الليل، وصوّام النهار، لأن نفع أولئك لا يتعداهم، ونفعه يتعدى، إذ بنظره يتعبد المتعبدون، ويشتغل بالعلم المتعلمون، فكأنه عبد الله بعبادة الكل»[1]، وعلى الرغم من أن العلم فريضة شرعية، وضرورة بشرية إلا أن الحالة الأمنية التي كانت تسود البلاد قبل تولي الملك عبد العزيز، كانت لا تشجع على العلم، ونشره، وكانت كثيراً ما تمنع الرحلة في طلبه، أضف إلى ذلك الخلافات المستمرة بين القبائل، وسبق أن أشرنا إليها فضلاً عن الأحوال الاجتماعية المتردية، التي جعلت معظم الناس ينشغلون بكسب عيشهم، ولا يصرفون همهم في العلم، ونشره. وقد رأى العلماء أنه لا منقذ، ولا خلاص من هذه الأحوال المتردية إلا بالرجوع إلى الإسلام، ولكن كيف يمكن للإسلام أن يتسلم زمام البشر؟ والجواب: عن طريق دولة إسلامية تلتزم منهجه، وتحكم شرائعه.

كل هذه الظروف زادت من رغبة العلماء في دولة إسلامية تتحمل تكاليف الدعوة إلى الله عز وجل، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعين العلماء، وتساعدهم على نشر الدعوة بالقوة،

---

(١) ابن الجوزي، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٤٣ تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، مطبعة دار الحرمين ط (٢) ١٤٠٢ هـ.

والسلطان وفي الأثر: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[1].

قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[2]، ومن الأمور المسلم بها شرعاً، أن الجماعة لا بد لها من أمير يطاع، وجنود يطيعونه. ولقد حض رسول الله ﷺ على تأمير رجل إذا كان ثلاثة في سفر[3] فكيف إذا كان الأمر يتعلق بأمة تمتد أرضها فتشغل أغلب أنحاء الجزيرة العربية.

وإن كان الصحابة، والتابعون يسيحون في الأرض جهاداً لنشر كلمة الله، وهم يعيشون في دار إسلام تظلهم، وتطبق شريعتهم، ويرون ذلك فرضاً فإن الجهاد في هذه الفترة أكبر، وأكثر ضرورة لفرضين:

الأول: نشر الأمن، والطمأنينة بين الناس.

الثاني: إقامة الدين في هذه المنطقة.

ومن ثم اتخذ العلماء في نجد كل الأسباب الشرعية المساهمة

---

(١) هذا الأثر أخرجه رزين من رواية يحيى بن سعيد عن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ بلفظ: «ما يزع الناس السلطان أكثر مما يزعهم القرآن».
وإسناده منقطع لأن يحيى بن سعيد لم يسمع من عثمان ــ رضي الله عنه ــ وهو مشهور من كلام عثمان ــ رضي الله عنه ــ.
جامع الأصول في أحاديث الرسول ــ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ج ٤/ ٨٣، ٨٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) ونص الحديث أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد) باب القوم يسافرون يؤمرون أحدهم. قال الألباني: حسن صحيح (٢٢٧٢) ــ صحيح سنن أبي داود.

في إقامة الدولة الإسلامية، التي تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله، ثم تنطلق في الأرض فتطهرها من عبث الشياطين حتى لا تكون فتنة في الأرض ويكون الدين كله لله، وأهم هذه الأسباب البيعة لمن يرونه أهلاً للإمامة وإقامة الحدود وإنصاف الضعيف من القوي وغير ذلك من أمور الدين والوقوف في وجه من يرون في إمامته ضرراً بالدين، ولم يجتمع عليه أهل نجد حاضرها وباديها بل وقتاله إن كان من أهل البغي، وسوف أعرض بعض النماذج التي توضح موقف علماء نجد من بيعة بعض الأئمة من آل سعود طمعاً في إقامة الدولة الإسلامية التي تنفّذ الأحكام الشرعية وتقيم علم الجهاد.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في رسالة له إلى إخوانه العلماء: «تفهمون أن الجماعة فرض على الإسلام وعلى من دان بالإسلام كما قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾(١) ولا تحصل الجماعة إلا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين.. وتفهمون أن الله سبحانه وتعالى جمعكم على إمامكم عبد الله بن فيصل بعد وفاة والده فيصل رحمه الله، فالذي بايع بايع وهم الأكثرون والذين لم يبايعوا بايع لهم كبارهم واجتمع عليه أهل نجد باديهم وحاضرهم وسمعوا وأطاعوا ولا اختلف عليه أحد منهم»(٢).

ومن رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى محمد بن علي يقول فيها: «ومن المقرر في عقائد أهل السنة أن الجهاد ماض مع

(١) آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية ج ٧/ ص ٢٤٤.

كـل إمـام بـر أو فـاجـر. وأبـوك وغيـره يعلمـون أن المسلميـن بـايعـوا عبد الله. وسعود من جملة من بايع وأن البيعة صدرت عن مشورة من المسلمين على يد شيخهم وإمامهم في الدين والدنيا قدّس الله روحه ونور ضريحه. وأنت وأبوك تعرفون حال عبد الله معنا فيما سلف والمؤمن يعامل ربه ولا يتشفى بما يفسد دينه نسأل الله لنا ولكم الثبات على دينه»[1].

ومن رسالة أخرى له يقول:

وقد عرفتم أن أمر المسلمين لا يصلح إلا بإمام وأنه لا إسلام إلا بذلك ولا تتم المقاصد الدينية ولا تحصل الأركان الإسلامية وتظهر الأحكام القرآنية إلا مع الجماعة والإمامة، والفرقة عذاب وذهاب في الدين والدنيا وقد أجمع المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام[2].

ومن رسالة إلى بني تميم يقول فيها: وما ذكرتم من جهة حالكم مع عبد الله وصدقكم معه صار معلوماً، وقد بذلنا الاستطاعة في نصرته حتى نزل بالناس ما لا قبل لهم به وخشينا على الناس وسعينا بالصلح بإذن من عبد الله وألجأتنا الضرورة ودافعنا عن الإسلام والمسلمين ما لا قبل لهم به.

إلى أن قال: والعاقل يدور مع الحق أينما دار[3].

---

(١) المصدر السابق ج ٧/ ٢٤٤.

(٢) عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، ج ٧/ ٢٤٦.

(٣) المرجع السابق، ج ٧/ ص ٢٤٧، ٢٤٨.

وكتب الشيخ حمد بن عتيق إلى الإمام سعود كتاباً نذكر منه ما يلي:

أما قولك إن أهل نجد بايعوا عبد الله ذلاً وقهراً فهذا قول معلوم عدم صحته، فإن أهل نجد بايعوا عبد الله ودخلوا في طاعته طوعاً واختياراً وثبتت الولاية باتفاق الرعية[1].

ومن رسالة للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف لإخوانه العلماء: «فتجرد الحبر الجليل للدعوة إلى الله ــ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ وآزره على ذلك من سبقت له من الله سابقة السعادة من أسلاف آل مقرن الماضين وآبائهم المتقدمين رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عن الإسلام خيراً فما زالوا على ذلك على آثار حميدة ونعم عديدة يصنع لهم تعالى من عظيم صنعه وخفي لطفه ما هداهم به إلى دينه الذي ارتضاه لنفسه، واختص به من شاء كرامته، وسعادته من خلقه، وأظهر لهم من الدولة، والصولة ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة، والإمامة لا تزاحمهم فيها العرب العربي، ولا يتطاول إليها بنو ماء السماء. وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهراً، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد لا يعرف من حاكها»[2].

ثالثاً ــ تطلع المجتمع إلى قيام دولة تقيم الأمن والعدل:

إذا كان العلماء ــ قبل توحيد الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية ــ يتطلعون إلى دولة موحدة، تلتزم أحكام الشريعة، فإن

---

(١) المرجع السابق، ج ٧/ ص ٢٦١.

(٢) الدرر السنية/ج ٧ ص ٢٦٩.

المجتمع كان أكثر تشوقاً إلى قيام هذه الدولة، فقد غفا المجتمع غفوة فقد على أثرها جوهر الدعوة في حياة الناس، فضاع منهم السلطان، وزالت المهابة، واحتلت الأرض، وسلبت الثروات، واندثرت الفضيلة، فالأمن مفقود، والفوضى عامة، والبدع متفشية، والخرافات منتشرة.

فقد كانت أغلب مناطق الجزيرة العربية في ذلك العهد في فرقة مستحكمة في الأفراد، والجماعات، ومن تقاتل لا سبب له غير الرغبة فيما في أيدي الناس من مال، وجاه.

تلك الخلافات القائمة بين القبائل، والتي توجهت إليها الطاقات والجهود، والأوقات، والحماسات، ووجدها الشيطان فرصة له ومدخلاً ليباعد بين القلوب، ويحول دون التعاون على طريق الدعوة.

ولقد كان لهذا التفرق ــ على مستوى الأفراد والقبائل ــ ضرره على المنطقة، فقد جلب للأهالي الويلات، والمحن، والتنازع، والتقاتل بين الإمارات الصغيرة، والقبائل المختلفة، فالأمن مفقود. إذ ليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم، وينصر المظلوم فكان البدو يتحاكمون إلى العرف لا إلى الشرع.

وكان أهل الحضر دائماً يحارب بعضهم بعضاً. وقد تعذر السبيل إلى القضاء على هذه الفوضى، والخلافات إلا بالسلطان القوي العادل ليؤلف هذه القلوب، وينشر الدين بين ربوع هذه القبائل.. فكانت النفوس تتطلع إليه.

وكانت الجهالة متفشية، والعقائد مضحكة مبكية، وترك الناس كثيراً من شعائر الدين الأولية، بل جهلوا بها، وافتتنوا بالكهان،

والمشعوذين، وغلوا في القبور، وأصحابها.

وقد يظن ظان أن سوء حال المجتمع، وهبوط مستواه، والبعد عن الإسلام وتعاليمه، يدفع إلى اليأس من الإصلاح، والانصراف عن واجب الدعوة إلى الله فهذا مسلك خاطىء، وتصرف سلبي، بل يجب أن يصبر المصلحون، والدعاة حتى لا تستشري الفتنة، ويعم خطرها.

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى الأسباب لإيقاظ هذه البلاد من غفوتها، ولتقوم نهضة إسلامية جديدة قوية، فقام الملك عبد العزيز متبعاً النهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ، وحث عليه الإسلام.

كما أن الطموح الذي تميز به الملك عبد العزيز، دفع القوة الوطنية في نجد إلى شدة الإصرار على إعادة بناء الدولة السعودية في حدود الأطر السياسية، والدينية، والاجتماعية التي سارت عليها الدولة السعودية في دورها الأول.

فكان هذا الإصرار ـ مضافاً إليه مجموعة مقومات بناء الدولة ـ بمثابة قوة الدفع اللازمة لتكوين البناء السياسي الجديد(١).

ومما يؤيد ذلك شهادة أحد المعايشين للمجتمع في تلك الفترة، وهو الشيخ محمد مغيربي، فقد صور هذا قائلاً:

«أما العامل الأقوى في نجاح هذه الدعوة بتلك المدة القصيرة فسببه يرجع على الأكثر؛ إلى ما كانت عليه القبائل من الفوضى بتفشي الجهل، وتأثير المطامع فأدى ذلك إلى تجاوز كل منهم على حقوق

---

(١) عبد الفتاح أبو علية؛ مصادر تاريخ البلاد السعودية ص ٢، طبعة دار المريخ ط (١) سنة ١٣٩٩ هـ.

الآخرين، وانعدم الأمن على الأرواح، والأموال، وبما أن حالة كهذه غير طبيعية في الأقوام، والشعوب أصبح كل فرد فيهم يتطلب الطمأنينة، ويلتمس سبيل السلام، فجاءت هذه الدعوة مطابقة لعقليتهم، واستعدادهم الفكري، ورغبتهم المفقودة»[١].

□□□

(١) محمد مغيربي فتيح المدني؛ وهابية اليوم، ص ٢١ ــ ط تركيا ١٣٤٢ هـ.

المطلب الثاني

الأحوال الإيجابية الخاصة

هناك عوامل خاصة ـ إلى جانب الأحوال العامة ـ ساعدت على نشر العقيدة الصحيحة وانتصار دولة الدعوة السلفية على يد الملك عبد العزيز رحمه الله ومن أهم هذه العوامل:

أولاً: حنكة الملك عبد العزيز ومقدرته الفكرية والإدارية:

تشكل شخصية الملك عبد العزيز تاريخاً سياسياً وإدارياً كاملاً لا للدولة السعودية التي بناها بساعده وأقامها بحد حسامه بل للعالم الإسلامي كله، فهو من بناة نهضته وقواد سفينته ومخططي تقدمه.

فقد تتابعت الأحداث الكبرى على الشرق العربي، والتي غيرت وبدلت في أوضاعه الخاصة والعامة فأفاد منها وأحسن استغلالها وخرج منها بحصة الأسد. والملك عبد العزيز وفقه الله لأنه أراد إعلاء كلمة الله وحفظ دينه وإظهاره، فوفقه الله لمصلحة المسلمين في الوقت المناسب والمكان المناسب والحال المناسب. وهذا ليس غريباً على قائد منحه الله صفات الزعامة ومختلف معاني القيادة. ولعل من أبرز هذه المعاني الدهاء والحنكة التي تولدت لديه من التجارب العديدة والملمات المريرة؛ فقد جاء ابن سعود في ظروف كثر فيها العداء والتناحر بين مختلف القبائل وكانت القوى السياسية المختلفة تتصارع من أجل الاستيلاء على العالم العربي والإسلامي فاستطاع

موحد الجزيرة ـ بفضل الله ـ أن يؤلف بين القلوب داخلياً وأن يوظف الخلافات الدولية لخدمة الدعوة الإسلامية.

هذه الحنكة لا تظهر في أساليبه الحربية فحسب، بل هي أشبه بالإلهام الذي لا غنى عنه للقائد؛ وهو دهاء القوي المؤمن.

يقول أحمد عطار:

ونصيب ابن سعود من كل هذا نصيب موفور رجحت كفته بالآخرين المعاصرين له ممن يعيشون ويحكمون حكمه وتضمهم بيئة وبلاد كبيئته وبلاده، فلم يجتمع لأحد من حكام العرب وقوادهم ما اجتمع لابن سعود من الصفات الفاضلة والحنكة والدراية والأخلاق التي جعلته أهلاً للقيادة الحكيمة المظفرة، فهو بحق القائد العربي الأول الذي دان له كل جبار عنيد رغبة ورهبة، كما دان له كل مسالم رفيق وأعجب به العدو والصديق وقدره القريب والبعيد، وليس الأعجاب به مقصوراً على أتباعه وأهل لغته ودينه بل يتجاوزهم إلى بني الإنسان من كل لغة ودين وجنس[1].

فقد زود عبد العزيز بالتجارب التي اختزنها أثناء قيادته البلاد ونضج رأيه وزادت حنكته وأصبح الرأي الحكيم المتزن سمة قراراته، وسخر القوة في خدمة الفكر السليم وسخر الشجاعة والإقدام في خدمة الحكمة والصبر فالقوة لا تندفع إلى الحرب والعدوان وإنما سارت تسعى في نشر الدعوة والأمن وجمع شمل المسلمين وتشييد صرح الحرية وحماية الحدود من البغاة.

---

(١) صقر الجزيرة ج ٧/ ص ١٣٧٣.

وليست أساليب القتال التي حذقها ابن سعود آتية عن طريق التلقين من أبيه أو تجاربه فحسب، بل إن لديه ملكات خاصة تؤهله للنصر في أغلب الأحيان، فقد غزا الرياض في المرة الثانية واحتلها وصمم على البقاء بها غير أنه فكر في قوة خصمه ابن رشيد، فأعلن أنه اختصم مع أبيه عبد الرحمن وغادر الرياض متظاهراً بالنقمة والسخط فوصل النبأ إلى ابن رشيد فأسرع بجيشه يريد الرياض مستغلاً هذه الخصومة فبدأ بالأب ليتفرغ بعد ذلك لعبد العزيز ونزل «بنبان» ليرتب أموره، ثم فاجأه الملك عبد العزيز في الخرج وضربه ضربة أبعدته عن الرياض بل عن نجد إلى الأبد[1] ولم يكن ابن سعود عازماً على هذه الخطة لكنه ألهمها، ودرسها. وشرع ينفذها حين أيقن نجاحها.

ومن يجالس مبارك الصباح، وعبد الرحمن بن فيصل بن سعود، وأعظم المفكرين من رجال القبائل، ويظهر عليهم بعقله هو عبقري موهوب[2]. لقد جالس ابن سعود أعظم دهاة الإنكليز، وجبابرة السياسة فانتزع إعجابهم، وأخذ منهم الحق كاملاً.

وأعظم من ذلك الخطة التي اتبعها بعد غزو الحجاز، فأخرج الحسين وآله في مهارة فائقة، ولباقة سياسية جهلها من درسوا القانون، والفقة. والسياسة فقد أخرج الحسين وآله بحرب دون أن تشغب عليه الدول التي لها رعايا كثيرون في الحجاز[3].

---

(١) المرجع السابق ج ٧/ ص ١٣٨٢.

(٢) صقر الجزيرة ج ٧/ص ١٣٨٥.

(٣) المرجع السابق ج ٧/ ص ١٣٨٨.

ومن حنكته السياسية أنه استطاع أن يمشي إلى مقاصده السياسية مشياً متزناً؛ فوسعه أن يسالم جيرانه. ويفرض على الدول الأوربية الكبيرة احترامه وتقديره، وما زال كذلك حتى نشبت الحرب العالمية فأعلن موقفه الحيادي، فسلم، وسلمت بلاده.

واستطاع الملك عبد العزيز أن يقوي العلاقات بينه وبين الدول، وحرص على تنمية أواصر المودة، والأخاء بينه وبين من تجمعه بهم العهود السابقة، واستطاع أن يحل المسالمة، والصفاء مع خصومه آل الحسين، وغيرهم محل التباغض، والجفاء، كما أنه سعى في إطفاء الفتن بالحكمة، والروية، والأناة بشكل واضح حتى أنه ربح كل معاركه، وقضاياه ولم يخسر واحدة منها[1].

ومن الأدلة على نفاذ بصيرته، أنه سئل كيف تركت آل رشيد، ومكنتهم من السلاح يحاربون بجانبك في تلك الفترة التي كانوا فيها واحداً من جملة الأخطار التي تحدق بك؟ فأجاب: «لم أتركهم يحاربون بجانب إخواني، وأبنائي، وعشيرتي إلا بعد أن وثقت بأن إخلاصهم لي يشابه إخلاصكم، ولا يختلف عن إخلاص أي واحد من إخواني، وأبنائي.

لقد أصبحت قلوب آل رشيد طوع بناني، فلتذهب أجسامهم إلى حيث تريد»[2].

---

(١) المرجع السابق ج ٧/ ص ١٣٩٠.

(٢) كمال الكيلاني ـ صور من حياة عبد العزيز/ من رواية الأمير طلال بن عبد العزيز، ص ٩٧ ـ ط ١، الرياض ١٤٠٢ هـ.

وهذا من حنكة الملك عبد العزيز، فإن انتصاراته كانت تغسل جميع رواسب العداوة، ومخلفات الضغائن من قلوب خصومه.

أما عن المقدرة الإدارية لعبد العزيز، فيشهد لها ما وصلت إليه المملكة من تطور، ونمو سريع في المجالات الثقافية، والصناعية، والزراعية، والاقتصادية، وسائر مجالات الحياة فإن كل مظهر من مظاهر الرقي، والتطور فالواضع لحجرها الأساس إنما هو عبد العزيز.

هـذا مـع الأخـذ فـي الحسبـان أن إدارة المملكـة؛ وهـي ذات المساحة الواسعة المترامية الأطراف، وحديثة العهد بالوحدة ــ حيث بقايا رواسب الإمارات، والدويلات السابقة ــ كل هذا مع عدم توافر أساليب الإدارة الحديثة جعل من مهمة إدارة البلاد مهمة صعبة.

ولكن الملك عبد العزيز وهب من المقدرة الفكرية ما أهله لضبط حركة الحياة فيها مستمداً فكره الإداري والسياسي من أصول العقيدة ومبادىء الشريعة.

فعلى الرغم من أن العلوم الإدارية علوم حديثة لم تكن منتشرة في عهد الملك عبد العزيز إلا أن حنكته وعزمه الأكيد على بناء دولة إسلامية متحضرة جعله يسير في الطريق السليم فالتخطيط ــ وهو واحد من أهم عناصر الإدارة الحديثة ــ عرفه ابن سعود حينما كان ينادي «الأناة ــ الأناة ــ الرأي ــ الرأي» فتراه يحقق أهدافه بالتخطيط وإمعان الفكر ثم التنفيذ بالأناة واحدة بعد الأخرى.

فبدأ بفتح الرياض ثم تلاه فتح الأقاليم المجاورة لها. ثم جهز جيشه وسلاحه بالإيمان ثم فتح باقي الإمارات والأقاليم موحداً معظم شبه الجزيرة العربية في مملكة واحدة.

بعد ذلك أدخل التطور والمدنية إلى مملكته شيئاً فشيئاً، فكانت الإدارات الحكومية في عهده تتطور تدريجياً من إدارة إلى وكالة ثم إلى وزارة كلما اتسعت الأمور وتطورت.

والتنظيم عنصر آخر من عناصر الإدارة لا يقل أهمية عن التخطيط. فقد حرص الملك عبد العزيز على تنظيم دولته. فالملك هو مرجع السلطات وهو الذي شكل الديوان الملكي ونظم مجلس الشورى. ونظم الجيش وسلحه بأحدث الأسلحة وجعله في ثلاث فرق: المدفعية والمشاة والفرسان، ولم يغفل الملك عبد العزيز عن تنظيم علاقات المملكة مع إخوانها العرب والمسلمين والبلاد الأجنبية بما يحفظ لها إستقلالها استمداداً من التعاليم الإسلامية[1].

وطبق الملك عبد العزيز سياسة الباب المفتوح بمعناه الصحيح، حتى تشعر وكأنك في عهد الخلفاء الراشدين؛ فقد كتب منشوراً، وعلقه بالحرم النبوي الشريف جاء فيه: من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، إلى شعب الجزيرة العربية، على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه، أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى، أن يبعث بها بطريق البرق، أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد، أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي، أو أحفادي، أو أهل بيتي. لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر أحد، أو

---

(١) علي البرماوي، قلعة الاسلام ومؤسسها العظيم، ص ٦٩ ــ ٧١ بتصرف.
دار الزهراء، الرياض ١٤٠٢ هـ.

عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلغت اللهم فاشهد[1].

ولقد أجاد أحمد فتحي حينما تحدث عن منهج ابن سعود، وفكره الذي بنى عليه دولته فقال:

زعموك بالسيف ابتنيت مكانة ... بين النجوم الزهر ليس ترام
هبك اتخذت من المهند صاحبا ... بدم العدو بصفحتيه غرام
لا والذي بيديك طهر كتابه ... تصحو على ترتيله وتنام
ما شاد مجدك غير فكر دونه ... تتضاءل الأفكار والأفهام
بالحق عالجت النفوس وإن يكن ... فيها من الظلم المكين سقام
ورددت للدين الحنيف جلاله ... من بعدما عبثت به الأوهام[2]

ثانياً ــ معرفته بأحوال سكان الجزيرة العربية:

ولد عبد العزيز في نجد، ونشأ على ترابها، ولم يخرج من بلاد العرب، ولم يعرف فوق وطنه غير البحرين، والكويت، والبصرة، ومصر، وعرف عبد العزيز الاعتبارات السائدة، والمفاهيم المتعارف عليها بين أهل جزيرة العرب.

ومما لا شك فيه أن المناخ الجغرافي الذي يسود هذه المنطقة، بما له من إيجابيات، وسلبيات يؤثر بشكل مباشر على حياة الناس في الجزيرة، ويميزها بطابع مميز له من الإيجابيات ما يفوق سلبياته،

---

(١) محيي الدين القابسي ــ المصحف والسيف ــ ص ٢٩٣.

(٢) عبد القدوس الأنصاري ــ الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص ٢٤ ــ ٢٦، ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلان سنة ١٣٩٤.

كالصبر، وشدة التحمل، والكرم، والشجاعة، والوفاء، والمروءة، والإيثار على النفس، والبساطة في كل شيء، والتعاون، إلى جانب سلبياته المتمثلة في الحاجة، والشح في الرزق التي تضطر بعض ضعاف النفوس ــ أحياناً ــ إلى السلب. والنهب، وحيث كانت القبيلة تمثل البنية الأساسية لهذا المجتمع، كانت هذه القبائل لها عادات، وتقاليد، وأعراف.

وكانت السلطات المشرفة على القبائل تطبق التشريعات الإسلامية، وأحياناً تستعين بالصالح من هذه الأعراف، مما لا يتعارض مع مبادىء الإسلام.

وكانت معظم هذه العادات لها جذور موروثة، كما كان لها مسبباتها التي ارتكزت عليها جذورها البعيدة، وأيضاً لها نتائجها، وربما كانت لها آثار سلبية مؤثرة.

وكان الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ عالماً بكل قبائل مملكته، وبطونها، وأفخاذها، وتواريخها، وعاداتها[١].

كما كانت لديه دراية بالطرق، والشعاب الممتدة داخل المملكة، وأهمية كل طريق نظراً لظروف توحيد المملكة التي جعلته كثير الحل، والترحال، فضلاً عن وجود النية الصادقة لتوحيد المملكة، ونشر الدعوة، والتي تطلب خبرة بالطرق، والمسالك التي سيسلكها في فتوحاته.

(١) المانع، توحيد المملكة ص ٣٣٠.

وكان رحمه الله كثير الاهتمام باستقصاء أخبار القبائل، والأحداث المهمة التي تقع فيها.

وابن سعود يفهم نفسية البدوى فهماً عميقاً. فقد اخترقت نظرته الحادة البذرة التي كونتها العصور في داخل النفس البدوية، ونفذت منها إلى ماهو أعمق، أي إلى غرائزها البشرية، فكان أدرى كيف يعالج أمورهم بأسلوب يتداخل فيه الحزم مع الرفق مستعيناً ــ بالله ــ ثم بما خبره من طبائعهم. وما فطرت عليه جبلتهم وهو ابن البادية الأصيل(١).

ولم يقتصر الأمر عند المعرفة الشخصية لهذه البلاد، وطبائع أهلها، بل إنه كان يتابع أحوال القبائل، وتطور النزاع بين أهلها.

يقول الزركلي:

كان عبد العزيز يتتبع باهتمام أخبار ما كانت عليه بادية العرب في عهد تفككها، واضطرابها. . . وتخبطها في أكثر تلك الأزمان على غير هدى، وتجاهلها التاريخ، أو جهلها فلم نعرف عنها غير أثر ضئيل مما كتبه المعنيون بأخبار الجزيرة، والرحالون المغامرون في بعض مجاهلها.

أما الملك عبد العزيز ــ نفسه ــ فيقول عن بادية العرب، وهو من أعلم الناس بطبيعتها:

«مثل هذه البادية في حياتها، كمثل أرضها تظل قاحلة إلى أن

---

(١) عمر أبو زلام، عبد العزيز آل سعود ــ العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير ص ٥٤٣.

يسقيها الغيث، فإذا سقيت اخضرت وازهرت».

كذلك هي في رجالها تستمر عصوراً وهي مستغرقة في جهالتها، ويبرز فيها رجل يحسن تنظيمها، وتوجيهها فتنقلب، والحياة ملء كل ناحية من نواحيها[1].

والمتأمل في كلمة الملك عبد العزيز يلاحظ ــ خاصة الفقرة الأخيرة ــ النية الصادقة، والعزيمة الصلبة، والرغبة في تطوير حياة الناس، والمساهمة في إخراجهم من ظلمات الجهل بنشر تعاليم الشريعة، وفضائلها.

ولا يكفي لمن يسوس بلداً من البلاد أن يقتصر على المعرفة الدقيقة لطبائع أهلها، وشؤون حياتهم، بل لابد وأن يتعداه إلى معرفة ما يدور في العالم من حوله؛ لذلك فإن عبد العزيز كان يولي عناية كبيرة لمعرفة أخبار العالم الخارجي.

وجاء في كتاب الملك الراشد:

(يجب علينا أن نسجل عناية ابن سعود بتسقط أخبار البلاد المجاورة له. فلديه مصلحة استخبارات منظمة، تنقل إليه جميع ما يحدث بالضبط، والتفصيل، ويوافيه عماله بأخبار الحوادث الهامة.)[2] وعلى أثر هذه المعرفة الواسعة بأحوال الجزيرة العربية، وأحوال العالم الخارجي، انطلق الملك عبد العزيز ــ بعد فتح الرياض ــ يسترد المدن، والأقاليم المجاورة له واحداً بعد الآخر،

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ٢٩.
(٢) عبد المنعم الغلامي؛ الملك الراشد ص ٣٣٠ ــ ط ٢، الرياض ١٤٠٠ هـ.

ليضع دعائم الاستقرار التي تمكن من تطبيق أحكام الشريعة بيسر، إكمالاً للمسيرة التي أحياها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لرفع كلمة التوحيد عالية فوق كل اعتبار، كما أنه استطاع أن يجمع القبائل المختلفة، وأن يوحد بينها برباط الدين، والتوحيد، والكتاب.

ثالثاً ـ مقدرته على كسب طاعة أمراء القبائل والبلدان:

كان الملك عبد العزيز مخلصاً لشعبه إلى درجة كبيرة، وكان دائم الصلة بهم بمختلف الطرق، والأساليب. فبابه مفتوح لاستقبال من يريد من رعاياه في كثير من أوقات النهار، والليل، والاجتماعات اليومية يستقبل فيها الأفراد، والجماعات، والهيئات، فيسمع منهم، ويصغي إلى سرائر نفوسهم، ويفضي إليهم بالأحاديث العميقة المخلصة موجهاً، وناصحاً النصح الخالص الذي يرمي إلى تعميق الروح الإسلامية فيهم جميعاً.

والفطنة منحة من الله تصل ما بين النفوس، وتجتذب الأفئدة، وتكسب الاحترام، وترى الكبار صغاراً في حضرته. وقد وهب الله عبد العزيز من اللين في القول، وصدق السريرة، ما مكنه من أن يظفر بقلوب الأمراء، وأن يفوز بمكانه مرموقة بين شيوخ القبائل مشمولة بالاحترام، والتقدير لما رأوه عن قرب من الخصال الطيبة.

فقد كان أمراء القبائل يثقون به، وكان لهذه الثقة ما يبررها، فإكرام الأمراء، والنصح لهم مع ما يملكه من القوة العسكرية، فضلاً عن أنه كان غالباً ما يدفع بالتي هي أحسن، فيتحول عدوه إلى صديق حميم، بسبب خلقه الكريم، وإحسانه العميم. ولقد كانت ظروف تأسيس المملكة مفعمة بكثير من المشاكل الحربية، والسياسية،

وتخللها كثير من الفتن، والدسائس، والمكائد، لكنه استطاع أن يقضي عليها، وذلك بفضل الله، ثم باتصاله المباشر بأمراء القبائل، وإقناعهم بالحقائق، والتشاور بينهم مما لا يجعل مجالاً للشك في حبهم له، والإخلاص في معاملته. قال ابن سعود في أحد لقاءاته مع الأمراء، وشيوخ القبائل: (يجب أن يصرح كل فرد بما في نفسه، ويقول ما يعتقد فيه المنفعة فهذا أمر واجب لأن مجال البحث، والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة فعلى الإنسان الاجتهاد، وعلى الله التوفيق)[1].

ومهما كسب عبد العزيز من ود الأمراء، واحترامهم فلا يمنعه ذلك من الوقوف بحزم في وجه العابث منهم. وذلك بالنصح، والإرشاد في أدب نبوي بالتعريض، وليس بالتصريح.

يقول رحمه الله:

إن بعض الأمراء يفتشون على المناصب، والمراتب، وبعض العلماء يعملون على نيل المآرب، ولكن هؤلاء، وأولئك قد ضلوا الطريق. فإن العز ليس هذا طريقه، والطريق القويم لنيل العز، والفخار هو اتباع الله، وسنة رسوله ﷺ، والتمسك بالدين. إنني أفخر بمن خدم الإسلام، والمسلمين، وأعتز بهم بل أخدمهم، وأعطيهم، وأساعدهم، وإنني أمقت كل من يحاول الدس على الدين، وعلى المسلمين، ولو كان من أسمى الناس مقاماً، وأعلاهم مكانة[2].

---

(١) فؤاد شاكر، الملك عبد العزيز ــ سيرة لا تاريخ ــ ص ١١٢، ط ٢، ١٤٠٩ هـ، مطبعة مباركو للطباعة، جدة.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢.

وكم من زعيم من زعماء القبائل، والبغاة تحدوا ابن سعود فأظفره الله عليهم، فعفا عنهم، ووصلهم، وأسبغ عليهم من النعم ما يعد في حسابنا إسرافاً.

وكان رؤساء القبائل يأتون إلى مجلسه في حالة من العداء الصريح، ثم لا تلبث شخصيته أن تطغى عليهم، فيكسبهم بابتسامته، وجاذبيته الأخّاذة.

ونتيجة لهذا الحب، وهذه الثقة المتبادلة بين الملك عبد العزيز، والأمراء أصبحوا جنوده المخلصين، وسواعده القوية.

وانطلق بهم الملك عبد العزيز بعدما قرت عينه بجلوسه مجلس الآباء، والأجداد، وبعدما أعاد للبيت السعودي مكانته، وجدد مفاخره.

انطلق بهم يسترد المدن، والأقاليم المجاورة واحداً بعد الآخر.

يقول الأحيدب عن خروج عبد العزيز بعد فتح الرياض لضم بقية البلاد:

(فلم يلق كبير عناء بفضل الثقة المتبادلة، والمحبة الوشيجة بين أمراء هذا البيت، وبين أهل نجد، فلا يكاد أمير سعودي يظهر في ميدان حتى يتسابقوا في تأييده، ونصرته ويتراكضوا لمبايعته، والانضواء تحت رايته. لا يتعاونون مع غيره، ولا ينقادون مع سواه ما دام ذلك في مقدورهم، وفي حيز استطاعتهم.

ومرد هذا ما عرفوه بالتجارب الكثيرة المتتالية عبر التاريخ، وعبر الأيام من زائد الإخلاص في محبتهم، واهتمام في شؤونهم،

وحرص على إقامة العدل بينهم)[1].

لقد استطاع ابن سعود بمنطقه القوي، أن يقنع عظماء القبائل في غزوته الأولى على الرياض، وكانوا كارهين لذلك، لكنه استطاع أن يقنعهم حتى انقلبوا أنصاره قلباً، وقالباً[2].

رابعاً ــ اصراره على نشر الدعوة:

كان الملك عبد العزيز دائم التفكير فيما آلت إليه أحوال الناس في الجزيرة العربية؛ فقد تسلط القوي على الضعيف وانتهكت حرمات الإسلام.

فكان كل فكره وطموحه هو الانتصار للإسلام ورفع راية التوحيد عالية خفاقة على الجزيرة العربية، والحكم بالشريعة الإسلامية والسنة، واتباع السلف الصالح ونشر العدل بين الناس وإقامة الحدود.

أي إن الملك عبد العزيز لم يكن مجرد طالب للملك والجاه في الدنيا، بل كان صاحب مبدأ وهدف روحي يجد فيه سعادته في الدنيا وسوف يسعده الله في الآخرة ــ إن شاء الله ــ فهو يعرف رسالته الإسلامية تمام المعرفة ويوصي بها أولاده ــ قال في وصيته لولي عهده:

(واعلم أننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا وقوتنا

---

(١) الأحيدب؛ من حياة الملك عبد العزيز ــ ص ١٢٩.
(٢) أحمد عطار؛ صقر الجزيرة ــ ج ٧/ ١٣٨٥.

وإنما منّ به الله علينا بسبب كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله)[1].

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله لا يولي أميراً على بلد أو جيش أو يعين قاضياً إلا ويوصيه بتقوى الله والتزام الإسلام والدعوة إليه. وكثيراً ما كان يردد (اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل)[2] ولا شك أن الله أعز بوجوده الإسلام والمسلمين ويعرف ذلك بالفرق الهائل بين حال المسلمين قبله وحالهم بعد تولية زمام الحكم.

ويقول الملك عبد العزيز ـــ رحمه الله ـــ:

(عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما، ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما، ولو بشعرة الأول: كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» اللهم صل وسلم، وبارك عليه. إني والله وبالله وتالله أقدم دمي، ودم أولادي، وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة، ولا أضن بها.

الثاني: هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفرقة، وأعزهم به بعد الذلة، وكثرهم بعد القلة، فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه.)[3]

---

(١) القصيمي، الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم ص ٢٣ ـــ ط ٢، ١٩٨٩ م.

(٢) سعد الرويشد، من تاريخ الملك عبد العزيز ومواقفه النادرة؛ ص ٩.

(٣) محمد حامد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح العمراني والديني في =

بهذا الإصرار القوي، والعزيمة الصلبة صار ابن سعود يحقق طموحه راكباً الصعاب، والأهوال في مواجهة آل الرشيد، والدولة العثمانية، فكان يخرج من المعارك مصاباً بشظايا القنابل التركية، وكثيراً ما يخرج من ساحات الوغى، وهو ينزف دماً إلا أن كل هذه الأمور لم تثبط من عزمه، ولم تنل من إصراره، حتى تغلب على كل هؤلاء، وشيد ملكه بإيمانه بالله، ثم بسيفه، وهيمن على شبه الجزيرة، فانتشر الأمن، وساد حكم الشرع.

وما فتح ابن سعود بلداً، ولا غزا أرضاً، ولا أقام حول الدين سياجاً، ولا أحدث في مملكته إصلاحاً، إلا بهذا الإصرار على الجهاد في سبيل الله.

يقول المانع:

«كان ابن سعود إذا وضع لنفسه هدفاً معيناً بذل قصارى جهده للوصول إليه دون ملل. ومهما كانت النكسات، والعقبات، فإنها لم تكن لتثني عزمه عن غايته النهائية»[1].

ومن أدلة اصراره؛ ما وقع بعد وقعة جراب حيث انهزم، وقتل كثير من جنوده. ونهب جيشه، ومخيمه، وحملته، وعاد برفقة خمسة عشر خيالاً إلى بريدة، وفي أثناء سيره صادفه فيصل الحمود الرشيد، وأخذ يبكي متأثراً بالهزيمة فقال له:

«يا فيصل لا تبك فأنا والله بالأمس في حالة الخوف من أن

= جزيرة العرب وغيرها، ص ١١٠ ــ ١١١.

(١) توحيد المملكة ص ٣٢٥.

يوكلني ربي على قوتي، والآن في حالة الرجاء أن ينصرني الله، وسوف أسترد قوتي بحول الله قبل نهاية الشهر»[1].

وفعلاً جهز نفسه، ولم شعثه من بريدة، وأغار غارتين، وطرد ابن رشيد، فكان رحمه الله من المؤمنين الذين يستمدون بالله من الضعف قوة.

وبنفس الإصرار، والعزيمة في المعارك كان إصراره في البناء، وتنظيم شؤون الدولة، فأسس دولة شورية إسلامية مستقلة دستورها القرآن فقوانينها، وأحكامها مستمدة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح.

وقد ثبت معه الدعاة المخلصون في الجزيرة، حتى نصرهم الله، وأيدهم، وأذل أهل الشرك، ودحرهم، وكانت كلمة الله هي العليا.

وكان للدعوة أثرها الواضح في توفير الأمن، وضبط حركة الحياة بما يبشر بأن هذه الجزيرة العربية ستعود إلى حمل رسالة الإسلام، وبأن تحولاً في قيادة البشرية سيتم، وستعود القيادة إسلامية، وستكون هذه المرة عالمية بإذن الله. وتسعد الدنيا بهذا الدين الحنيف...

□□□

---

(١) الأحيدب؛ من حياة الملك عبد العزيز ص ٤٨.

المبحث الثاني

عوائق في طريق الدعوة وسبل التغلب عليها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عوائق داخلية.

المطلب الثاني: عوائق خارجية.

المطلب الأول

عوائق داخلية

لم تكن الأرض ممهدة بلا عوائق أمام الملك عبد العزيز على الرغم من كل العوامل المساعدة، وقد كانت العوائق نوعين داخلية تتصل بالوضع الحضاري في الجزيرة، وخارجية تتصل بالقوى المتربصة بالإسلام، ومن أهم العوائق الداخلية العوائق التالية:

أولاً ــ قلة الدعاة:

في ميدان العمل الإسلامي مشكلات عديدة تتعرض لها الدعوة كما يتعرض لها الدعاة.

وهذه المشكلات سببتها الظروف والمناخات المحيطة بالدعوة، ومشكلة قلة الدعاة واحدة من هذه المشكلات وهي هنا ترتبط ارتباطاً مباشراً بمساحة المملكة واتساع أراضيها وكثرة الهجر والقرى المتشعبة داخل هذه المساحة المترامية الأطراف خاصة بعد أن تم توحيد المملكة.

وعلى الرغم من حرص العلماء وعنايتهم بالعلم والتعليم ــ في هذه الفترة ــ إلا أنهم لم يتمكنوا من توفير العدد الكافي للقيام بمهمة الدعوة في أنحاء البلاد نظراً لقلة الدعاة، ولهذا فقد تجد الكثير من القرى والمدن ليس فيها من يتولى مهمة الدعوة إلى الله عز وجل.

بل إن بعض القرى لتخلو من المدرسين الذين يعلمون القراءة،

والكتابة ناهيك عن رجال القضاء، والفتيا، وتحفيظ القرآن.

وقد يضطر الناس في مثل هذه الظروف إلى الاستعانة بأئمة، وخطباء جهلاء[1] ولعل السبب في ذلك ــ كما أشرنا سابقاً[2] يرجع للحالة الأمنية، والاجتماعية، حيث كانت البلاد مجزأة إقليمياً وقبلياً، بصورة تجعل أكبر همّ الناس هو كسب العيش، فكان أهل البادية في جهل، لأنهم بعيدون عن ساحات العلم، والعلماء.

وهم بعد ذلك فيهم قليلو الدين، أو فاقدوه لأنه ليس لديهم من يعرّفهم الدين، ومن يعرّفهم حق الله على عبيده فمثلاً في رسالة كتبها الشيخ عبد الرحمن بن داود، للملك عبد العزيز يطمئنه على سير الدعوة، ويشكو من قلة العلماء جاء فيها:

«المرجو أن يمتعنا وجميع المسلمين بوجودكم على طاعته، وأن يجمعنا وإياكم في دار كرامته، ومن طرف المسلمين أبشرك أنهم مقبلون على الخير البادية، والحاضرة، ولكن الجهل كثير، والمعلم قليل...»[3].

غير أنه لما توافر الأمن على يد الملك عبد العزيز في العقد الثالث من القرن الرابع عشر، وما بعده، زاد عدد طلبة العلم نسبياً،

---

(١) محمد بن ناصر الشثري، اتحاف اللبيب ص ١٥، طبعة دار العاصمة، ط (١) سنة ١٤١٠ هـ.

(٢) راجع صفحة (٣٧) من هذا البحث.

(٣) الرسالة مخطوطة من الشيخ عبد الرحمن بن داود إلى الملك عبد العزيز بتاريخ ٣/١/١٣٣٨ هـ «انظر ملاحق البحث».

فقد شرع الملك عبد العزيز في إنقاذ أهل البادية بهمة قوية، وبشتى الأساليب، حيث بعث إليهم الأئمة، ومن يعلمونهم القراءة، والكتابة، وأمدهم بالمرشدين كي يعلموهم مبادىء الدين والأخلاق الإسلامية ويحثوهم على الاستقرار في الهجر بدلاً من الحل والترحال.

وقد أثمر هذا الجهد أطيب ثمر حيث أحب هؤلاء البدو الدين وتفانوا في حبه وأرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيله ثم أصبحوا بعد ذلك عضداً لابن سعود في مشروعاته ومن أقوى أنصاره في الحروب.

وكانوا يعتبرون القتال مع الملك تديناً إذ هو دفاع عن الإسلام، وتفانوا بعد ذلك في محاربة الشركيات حتى كانوا يعتبرون أنفسهم «صبيان التوحيد» أي خدامه فانظر كيف انقلب حال القوم بعد التدين، وفي ذلك تجلية لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. . .﴾[1].

ثانياً ــ العصبيات القبلية:

الواجب على كل من سلك طريق الدعوة أن يوطد نفسه على وعورة الطريق، وأنه لن يلقى الاستجابة السهلة القريبة إلى ما يدعو إليه. . فإنه يدعو الناس ليتركوا ما ألفوا من عقائد وعادات ضارة ويدعوهم إلى ما يخالف طباعهم وأهواءهم التي تتعارض مع تعاليم الإسلام.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

ومن العقبات التي واجهت الدعوة في عهد الملك عبد العزيز تلك العصبيات التي اتسمت بها القبائل.

فعلى الرغم من الشجاعة، والشهامة التي تحلى بها أهل الجزيرة، فقد كان يسيطر على قلوبهم حب الزعامة، ويصبو بهم الطموح إلى الرئاسة، والسيادة اندفاعاً وراء التنازع على البقاء في حالة العزة، والكرامة. وهذه طبيعة المجتمع القبلي. فكل قبيلة لها زعامة مستقلة، وتتنافس مع القبيلة المجاورة في أماكن الرعي، وموارد المياه، وبين هذه القبائل من الثأر، والمعارك ما يجعل لهيب الحرب لا ينطفىء، وبدلاً من وجود الوحدة، والتضامن كنت ترى النفرة، والشقاق[1].

وكان هذا الوضع الاجتماعي المتصارع، يمثل عائقاً كبيراً للدعوة، وذلك أن الداعي إلى الإسلام، والخير، يكون منسوباً لإحدى القبائل، وهذا كافٍ لئلا يسمع منه باقي القبائل وإن كان ما يدعو إليه هو الخير بعينه، بل إن حياته مهددة بالخطر إن كان خارج حدود قبيلته.

يقول المانع «لقد كان من أعظم مشكلات ابن سعود في بناء دولة مستقرة، تلك المشكلة التي واجهت كل زعيم في الصحراء، وهي نزعة رجال القبائل الحادة إلى الإستقلال، وحبهم للحرب، وسرعة تغيير ولاءاتهم»[2].

---

(١) انظر محمد مغيربي فتيح المدني، وهابية اليوم، ص ٤.

(٢) توحيد المملكة، ص ٧١.

«إن من يعرف العهد الماضي الذي عاشه أولئك البدو، كيف كانت عليه حياتهم الاجتماعية التي موجز ما يقال عنها؛ إنها قامت على التعصب القبلي الجاهلي الأعمى، وافتراس قويهم لضعيفهم، واستباحة ما يقع بأيديهم عن طريق ما يعرف بالغزو، أو بالحنشلة، أو الحيافة[1].

وقد دامت هذه الحال في جزيرة العرب تقوى وتضعف حسب قوة الدولة القائمة وقوة سلطانها وتمسكها بأحكام الشريعة، حتى جاء الملك عبد العزيز الذي حرص على أن يزيل هذا الحاجز من طريق الدعاة فآخى بين هذه القبائل اقتداء بالنبي ﷺ حين آخى بين الأنصار والمهاجرين وهم من قبيلتين مختلفتين. فحصل بسبب ذلك بين هذه القبائل من التآخي والمحبة الشيء الكثير. ولا شك أن هذا من محاسن هذا الدين الحنيف حيث تتحول النفوس والقلوب قال تعالى:

﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾[2].

وصار الواحد منهم بعد التزامه بالدين لا يقول أنا من قبيلة فلان بل يقول أنا من الإخوان وأصبح شعارهم (أنا أخو من أطاع الله) بل إنهم ينكرون على من يفتخر بقبيلته ويقولون هذا من دعوى الجاهلية ويؤدبون فاعله.

---

(١) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز ج ٣/ ص ١٩٤.
«الحنشلة والحيافة» صورة مصغرة من صور الغزو فالغزو على المستوى الجماعي والحنشلة على مستوى قلة والحيافة على مستوى فردي.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

وكان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فيقول (الإسلام يجبُّ ما قبله) وتمكن ابن سعود بما له من سطوة دينية بمساعدة العلماء من استئصال ما في هذه الجزيرة من عصبيات وتعصبات وجمع الدين الحنيف بين الغايات والمنافع والأفكار وانشغل الناس عن هذه العصبيات بنشر الدعوة وأعمال الإعمار والإنشاء.

وانقلبوا إلى حماة لهذا الدين من كل نحلة وبدعة وتحولوا من التعصب القبلي العنصري إلى الإخاء في سبيل الله. ذكر أبي[١] أن معيض بن عبود من أمراء آل مسعود من قحطان قبل أن يلتزم بالدين تقابل مع رجل من قبيلة عتيبة يدعى مرزوق الغميسي فأراد كل واحد منهما قتل الآخر فكان كل واحد يجهز بندقيته ليفتك بأخيه فلا يفلح لثلاث مرات. فنجّى الله كلاً منهما من بطش أخيه.

ثم تلاقيا عند الملك عبد العزيز بعد أن آخى الملك بين القبائل ـ فتعانقا وذكّر كل منهما صاحبه بما كان يقع بينهما من تقاتل وحمد الله أن منّ عليهما بالأخوة الإسلامية، وهذا من ثمرات الدعوة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله. وبذلك سلك هؤلاء البدو طريق الدعوة إلى الله ومناصرة الحق والذب عن العقيدة.

وواصلوا جهودهم متخذين القرآن منهجاً وسلوكاً وانطلقوا يحملون شعار التوحيد ويطبقون شريعة الله الخالدة.

---

(١) أبي هو الشيخ ناصر بن عبد العزيز الشثري.
انظر ترجمته في إتحاف اللبيب ص ١١١.

ثالثاً ــ غلو البعض في الدين:

إن العمل للإسلام يعني العمل على هدم المجتمع الجاهلي في كل ركن من أركانه وإقامة المجتمع الإسلامي في كل شأن من شؤونه.

ويعني استئصال الجاهلية كلها سواء أكانت جاهلية أفكار أم جاهلية نظم أم جاهلية أخلاق. ويعني كذلك مواجهة دعاة هذه الجاهلية والمدافعين عنها. فمن العوائق التي واجهت الدعوة في عهد الملك عبد العزيز الغلو في الدين الناشىء عن الفهم الخاطىء لنصوص الكتاب والسنة، وذلك أن أهل الهجر لما التزموا بالدين حملهم حب الدين والتفاني من أجله أن أرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيله، لكن منهم من تجاوز حدود التقوى حتى غلو غلواً لا يرتضيه الدين وبالتالي لم يرضِ هذا الملك عبد العزيز ولا العلماء. لأنه تجاوز حدود الدين الإسلامي السمح.

إن بعض علماء البادية لم يكونوا متمكنين في العلم، وإنما كانوا ذوي صلاح ومجالسة وحفظ للنظم الوعظي، فجنحوا إلى التشديد عن حسن قصد، وإلى التحريم والتكفير في كثير من الأمور عن جهل وكانوا سبباً في غلو البادية يضربون الشخص إن طال ثوبه لأنه مسبل، ويضربونه إن زاد في تقصيره لأنه عري وشهرة، ويهجرون لأدنى سبب ومن هجروه مسكوا بجيبه حتى يرد عليهم ما سمعه منهم من سلام بجملة «رد على سلامي».

وكانوا يحكمون على بعض المصنوعات بأنها سحر ويوجبون

لبس العمامة، ويحرمون العودة إلى البادية، ويرون أن الدين سكن بيوت الطين[1].

إنهم أنصاف متعلمين، ويحفظون المنظومات الوعظية، ولم يكونوا على معرفة بأن أسلوب الدعوة إلى الله يكون بالحكمة، وذلك أن الشيطان لما رأى منهم الإقبال على تعلم الدين، والحرص على الخير، آيس أن يعيدهم إلى حالهم الأولى، فأخذ يفتح أبواب الشر، وحسّنها لهم وزينها في قالب القوة، والصلابة في الدين.. وفي مثل ذلك يقول ابن القيم:

«إن الشيطان يشم قلب العبد، فإن رأى فيه كسلاً سعى في رده عن دينه بالكلية، وإن رأى فيه قوة سعى في حمله على مجاوزة الحد، والزيادة على ما شرع الله ورسوله»[2].

---

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، معركة الفقه والتأصيل قبل توحيد المملكة، ص ٣ بحث غير مطبوع.

(٢) جملة من رسالة الشيخين محمد بن عبد اللطيف وعبد الله العنقري إلى طائفة الإخوان لما غلوا في الدين؛ مخطوطة مصورة من مكتبة الشيخ الوليد بن عبد الرحمن الفريان، وهذه الجملة نقلاها بالمعنى من إغاثة اللهفان، وهذا نصها:

(ومن كيده العجيب: أنه يشأم النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة أو قوة الانكفاف والاحجام والمهانة؟ فإذا رأى الغالب على النفس المهانة والاحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهون عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور =

هذا وقد بالغ هؤلاء في غلوهم، وتجاوزوا الحد المشروع.

واتخذ غلوهم أشكالاً عديدة منها:

١ ــ إساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة له.

٢ ــ إتهام العلماء بالمداهنة والدعوة إلى عدم الأخذ عنهم.

٣ ــ إلزام الأعراب سكنى القرى واعتبار الخروج منها معصية وعدم استقامة الدين لمن لم يهاجر إلى هذه القرى.

٤ ــ التهاجر لأتفه سبب.

٥ ــ القول على الله بغير علم.

لكن العلماء والملك عبد العزيز لم يعجبهم هذا الغلو فجدوا في حملهم على الاعتدال والقصد فاعتدل كثير منهم، واقتصدوا وأصبحوا من أقوى أنصاره في الحق، بل كان منهم الدعاة لمحاربة هذا الغلو.

وسوف أسوق إن شاء الله أمثلة توضح موقف العلماء من هذا الغلو وذلك من خلال رسائلهم إلى الاخوان لما غلوا في الدين ينصحونهم بالحجة والأدلة الشرعية ويردون على شبه المغالين حول الأمور التالية:

= به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني كما قال بعض السلف: «ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ج ١/ ١١٥، ١١٦، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء).

١ ــ الرد على من أجاز الخروج على ولي الأمر وأساء به الظن:

يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري في رسالتهما إلى الإخوان:

« . . . ومما أدخل الشيطان أيضاً إساءة الظن بولي الأمر أو عدم الطاعة له فإن هذا من أعظم المعاصي، وهو من دين الجاهلية، الذين لا يرون السمع والطاعة لولي الأمر في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره حتى قال ﷺ:

«اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك»[(١)].

فتحرم معصيته، والاعتراض عليه في ولايته، وفي معاملته، وفي معاقدته لأنه نائب المسلمين، والناظر في مصالحهم، ونظره لهم، خير لهم من نظرهم لأنفسهم، لأن بولايته يستقيم نظام الدين، وتتفق كلمة المسلمين، لا سيما وقد منّ الله عليكم بإمام ولايته، ولاية دينية، وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين خصوصاً المتدينين»[(٢)].

٢ ــ الرد على اتهام العلماء بالمداهنة والدعوة إلى عدم الأخذ عنهم:

قال كبار العلماء[(٣)] في ذلك الوقت في رسالة بعثوها إلى الاخوان؛ ومما ينبغي التنبيه عليه، ما وقع من كثير من الجهلة من

---

(١) رواه: مسلم ــ كتاب الإمارة، ج ٣، ص ١٤٧٦.

(٢) رسالة مخطوطة من الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ العنقري إلى الأخوان، مخطوطة مصورة من مكتبة الشيخ الوليد الفريان.

(٣) هم الشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ عبد الله العنقري والشيخ عمر بن سليم والشيخ محمد بن ابراهيم.

اتهام أهل العلم، والدين بالمداهنة، والتقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق، والسكوت عن بيانه. ولم يدر هؤلاء الجهلة أن اغتياب أهل العلم، والدين، والتفكه بأعراض المؤمنين سم قاتل، وداء دفين، وإثم واضح مبين قال تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[1].

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكموا   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

فإذا سمع المنصف هذه الآيات، والأحاديث، والآثار، وكلام المحققين من أهل العلم والبصائر، وعلم أنه موقوف بين يدي الله، ومسؤول عما يقول ويعمل: وقف عند حده، واكتفى به عن غيره.

وأما من غلب عليه الجهل والهوى، وأعجب برأيه، فلا حيلة فيه نسأل الله العافية لنا، ولإخواننا المسلمين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه[2].

٣ ــ الرد على إلزام الأعراب سكنى القرى:

قال الشيخ عمر بن سليم: أن النبي ﷺ في حديث بريدة الذي رواه مسلم «كان إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية قال له، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك لذلك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن أبوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الغنيمة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ٧/ ٢٨٤، ط ٢، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين»[1].

فدل الحديث على أنه كان في زمن النبي ﷺ أعراب، ولم يلزمهم بالهجرة إلى القرى، ومن ألزمهم بذلك، ورآه ديناً فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله[2].

وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله العنقري «الهجرة تجب من بلاد الشرك، إلى بلاد الإسلام، على كل من لم يقدر على إظهار دينه، فإن كان المحل الذي فيه الأعراب يظهر فيه شعائر الشرك، وتفعل فيه المحرمات، وتترك فيه الواجبات. فإن الهجرة تجب من ذاك المحل، إلى بلاد تظهر فيها شعائر الإسلام، سواء أكان ذلك في بادية أم حاضرة.

وأما البادية الذين هم في ولاية إمام المسلمين، وهم مع ذلك ملتزمون بشرائع الإسلام؛ من الاتيان بأركان الإسلام الخمسة، وترك الشرك، والكفر، ولا يظهر فيهم شيء من نواقض الإسلام، فلا تجب عليهم الهجرة إلى القرى، ولا يجوز إلزامهم بذلك، ومن ألزمهم بذلك، ورضاه ديناً فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله.

ومن ينسب إلزام بادية المسلمين بسكنى القرى إلى دين الله ورسوله، فقد افترى، وضل»[3].

---

(١) رواه مسلم بألفاظ مختلفة (ج ٥/ ١٤٠) كتاب الجهاد ـ باب تأمير الأمير على البعوث.

(٢) الدرر السنية، ج ٧/ص ٣١٥.

(٣) المخطوطة السابقة.

٤ ـ الرد على التهاجر بغير سبب:

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري في رسالتهم إلى الاخوان:

ومن الأمور التي أدخلها الشيطان في المسلمين لينال بها مقصوده في إغوائهم، واختلاف كلمتهم، وتفرقهم ما حملهم عليه من التهاجر على غير سبب يوجب ذلك، بل بمجرد الرأي المخالف للكتاب وسنة رسوله ﷺ. وهذا ينافي ما عقد الله بين المسلمين من الاخوة الإسلامية التي توجب التواصل، والتواد، والتراحم، والتعاطف، كما قال ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد»[(١)].

وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

---

(١) وردت في المخطوطة بلفظ المسلمين والصحيح ما أثبتناه أخرجه البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة. البخاري (ج ٣/ ٤٣٨ فتح الباري) كتاب الأدب ـ باب رحمة الناس والبهائم.
مسلم (ج ٨/ ٢٠) كتاب البر والصلة ـ باب تراحم الناس.

(٢) وردت في المخطوطة بلفظ «المسلم كالبنيان» والصحيح ما أثبتناه.
أخرجه البخاري (ج ١/ ٤٦٥ فتح الباري) كتاب الصلاة ـ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[٢].

وقال ﷺ: «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخواناً المسلم أخو المسلم»[٣].

وقد تقدم أن هجر أهل المعاصي تشرع إذا كانت المصلحة بذلك راجحة على مفسدته، فإذا لم يكن فيه مصلحة راجحة، لم يشرع لما يترتب على ذلك من المفاسد، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله روحه.

والهجر إنما شرع تأديباً، وتعزيراً بترك السلام عليه، وعدم تكليمه حتى ينزجر عن معصيته، وأما ضربه، وتعنيفه، فلا أصل له في الشرع[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٣) أخرجه مسلم بدون «ولا تقاطعوا» (ج ٨/ ١١، ١١) كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم واحتقاره عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، والترمذي بلفظ «لا تحاسدوا. . .» (١٩٣٥).

(٤) مخطوطة مصورة من مكتبة الشيخ الوليد بن عبد الرحمن الفريان، وانظر الجزء (٢٨) من مجموع الفتاوى.

٥ ــ في القول على الله وعلى رسوله بلا علم:

ليعلم الناصح لنفسه أن القول على الله بلا علم في أسمائه، وصفاته، وشرعه، وأحكامه ودينه: من أعظم المحرمات، كما قال الله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾[٢].

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال:

«من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري[٣].

قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ في إعلام الموقعين «في الكلام على الآية الأولى:

إنه سبحانه وتعالى رتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو: الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منها وهو: الشرك به سبحانه ثم ربع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو: القول عليه بلا علم. وهذا يعم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٦.

(٣) في صحيحه ــ كتاب العلم ــ (١/ ٢٠١) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وفي دينه، وشرعه.

وقال تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾[1].

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول:

هذا حلال، وهذا حرام، إلا لما علم أن الله سبحانه أحله أو حرمه.

وقال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، وحرم كذا. فيقول الله له: كذبت؛ لم أحل كذا، ولم أحرم كذا.

فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ورود الوحي المبين بتحليله وتحريمه: أحله الله وحرمه الله، بمجرد التقليد، أو بالتأويل. انتهى[2].

وهكذا واجه العلماء هذا الغلو بالحكمة، والأدلة حتى حدثت فتنة الدويش، والتي كان من أمرها ما كان، واستطاع الملك عبد العزيز القضاء عليها، وإخمادها باعتبارها من أكبر آثار الغلو في عهده ـ رحمه الله ـ.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٦، ١١٧.

(٢) أعلام الموقعين ١/٣٨ ـ ٣٩ ط الكليات الأزهرية، القاهرة.

رابعاً ــ الفرق المنحرفة:

لقد ابتلى الإسلام منذ عصر نبيه ﷺ بوجود مجموعات ممن أعلنوا الإسلام، ولكنهم انحرفوا بكفرهم، وعقيدتهم عنه، ثم بعد وفاة الرسول ﷺ بدأت الفرق المنحرفة في التكاثر شيئاً فشيئاً.

وكان الدعاة يقفون في وجهها باللسان، والسنان، وقد استمرت هذه الفرق في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

والمملكة العربية السعودية بصفتها جزءاً من هذا العالم الإسلامي، لم تخل كغيرها من البلدان ــ من هذه الفرق المنحرفة، إلا أنها بفضل الله قليلة نسبياً إذا ما قورنت بغيرها من البلاد، وهذا بفضل الله، ثم بجهود الملك عبد العزيز.

هذه الفرق المنحرفة تنظر إلى الدعاة نظرة شك لمجرد أنهم يخالفونهم في العقيدة، ويصمون آذانهم عن ما يدعو إليه الداعية من الخير، ولا شك أن هذا عائق، وحاجز قوي بين هذه الفرق، وبين الخير الذي تسوقه الدعوة للناس.

ومما منيت به الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، وجود هذه الطوائف، والفرق المنحرفة، تلك الفرق التي نشأت في ظل الفوضى، وعدم الاستقرار في العصور المختلفة، ولم يفطن علماء الدعوة إلى خطرها، إلا بعد أن تمكنت وانتشرت في بعض الأماكن.

وعلى الرغم من أن هذه الفرق كانت تشكل أقلية في شبه الجزيرة، إلا أنها كانت تزاول نشاطها بما اعتبره علماء الدعوة عائقاً من العوائق التي تقف في طريقها. إذ إن هذه الفرق عقبة أمام دعاة

الحق، فقد تستميل قلوب العوام إلى مبادئها المنحرفة، خاصة أنها تعمل في ميدان الدعوة باسم الإسلام.

ولما أمسك الملك عبد العزيز بزمام الأمور، وأسس دولته على مبادىء الشريعة الصحيحة، سعى مع العلماء المهتمين بالدعوة في إيقاف نشاط هذه الفرق كلياً ما دام ثبت ضلال هذه الطوائف، أو زيغها عن نصوص الكتاب والسنة التي تنص بأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، ولا نبي بعده، فألفت الكتب، ووزعت، وعمد العلماء إلى كتب السلف، فشرحوا الدين الصحيح، وفصلوه حتى يستطيع الفرد أن يميز الحق من الباطل.

وبذلك يكون ابن سعود قد عمل على تقليل أثر هذه المشكلة، التي عرقلت سير الدعوة في كثير من الجهات، وشغلت بال الدعاة، علماً بأن القضاء على نشاطهم ليس بالأمر الهين، بل الأمر يحتاج وقتاً غير قصير، مع صدق الجهد، لأن هناك مسلمين قليلو العلم، قد اعتنقوا مبادىء هذه الفرق منذ أمد بعيد، وافتتنوا بها، فشغلت أذهانهم الخالية بأفكارها المسمومة، وخدعتهم بأساليبها المعسولة، ولقنوهم الكفر، والإلحاد باسم الإسلام، وبفضل الله، ثم رجال الدعوة بدأ نشاط هذه الفرق يضعف في الجهات التي تمكنت منها، وخف أثرها، وقل أتباعها، بعد الحركة العلمية الواسعة المنظمة، التي عمت البلاد في عهد الملك عبد العزيز.

ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن تشجيع هذه الفرق المنحرفة كان من أخطر أسلحة الاستعمار ضد الإسلام ودعوته.

وفي هذا الإطار يقول الملك عبد العزيز:

«من المسائل التي يجب أن نعمل بها، وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الإسلام من الأدران والخرافات التي علقت بالدين وهو بريء منها»[1].

خامساً: انتشار الأمية:

وهي من الأسباب الظاهرة لتخلف المجتمعات وينتج عنها العديد من المشكلات في طريق الدعوة إلى الله. حيث تسيطر العادات والتقاليد ويضعف الميل إلى الاتصال بالمجتمعات المجاورة مما يؤدي إلى انعدام الوعي بأهمية المجالات التعليمية والاجتماعية والادارية التي تعتبر خبرات ضرورية لتنمية المجتمع في تلك المناطق.

وبذلك مثلت هذه المشكلة عائقاً كبيراً أمام الدعوة ونشاطها في ربط أواصر المجتمع وفتح أبواب المعرفة أمام الأفراد وربطهم بالواقع الذي يعيشونه داخلياً خارجياً.

وإذا كان البدو الرحل يشكلون ثمانين في المئة من سكان نجد من الحضر فإن الأميين يشكلون منهم ما يقرب من تسعين في المئة[2].

وقد نتجت هذه المشكلة من الفرقة، وعدم الاستقرار الذي ساد المملكة قبل التوحيد، والذي أدى إلى جعل حياة الناس العلمية ضعيفة الانتشار مقصورة على عدد محدود جداً من الأفراد. ولو لم يكن لدى بعض الناس حينذاك شعور بواجبهم نحو دراسة دينهم،

---

(١) أم القرى، عدد ٢٨٣، ٦ ذو الحجة ١٣٤٨ هـ.

(٢) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز ج ٣/ ص ٣٢١.

ولغتهم لسادت الأمية تماماً، ولعادت الجزيرة العربية إلى عصور الجهالة، ولكن أمانة العلم التي حملها نفر من العلماء المخلصين في أرجاء البلاد، أبقت على وميض من نور العلم الذي قضى على كثير من العقبات التي حالت دون إتمام عملية الاصلاح، ودخلت البلاد في نهضة حقيقية بفضل من الله، ثم بفضل همة الملك عبد العزيز، ولا شك أن الإسلام يدعو إلى العلم، ويحث عليه، ويرغب فيه، وقد اهتم المسلمون الأوائل بالعلم، واعتنوا به، فبلغوا الغاية في علومهم، وثقافتهم حتى أصبحت مدنهم مراكز إشعاع، ومنارات هداية لمن اهتدى[١].

ولما كانت القراءة هي مفتاح أبواب العلم، كان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[٢]، فالحالة الاجتماعية والحالة السياسية والأمنية، كل هذا كان من العوامل التي ساعدت على انتشار هذا المرض الخطير، الذي يجعل مهمة الدعاة أكثر صعوبة، وتعقيداً.

ولم تعرف نجد التعليم بصورته الحالية قبل تولي الملك عبد العزيز، بل كان التعليم يتم على الطريقة القديمة، فيجلس الطلاب على الأرض حيث يتعلمون قراءة المصحف الشريف، فقد كان هناك من يحفظ القرآن الكريم كله غيباً، ولكن ليس على الوجه الأكمل من ناحية التجويد.

---

(١) د. شوكت عليان، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، ص ١٨٢، الرياض، ط ١٤٠١ هـ.

(٢) سورة العلق، الآية: ١.

ولم يكن في نجد قبل عهد الملك عبد العزيز أي مدرسة لا ثانوية ولا ابتدائية، في حين كانت الحجاز أسعد حظاً حيث عرفت المدارس قبل تولي الملك عبد العزيز بنصف القرن.

وبالرغم من وجود هذه المدارس بالحجاز إلا أنه بالرجوع إلى تعدادها نرى أنها لا تسهم إلا في محو أمية العدد القليل.

ومن يدرّس علوم اللغة العربية قليل جداً ومن يدرسها أقل[١].

ولا ينبغي أن يفهم من زيادة عدد الأميين عدم اهتمام العلماء بالعلم والثقافة الدينية منذ قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب كلا. فإنهم لم يدخروا وسعاً في نشر العلم والقضاء على الأمية ولكن ـ كما أشرنا فكل عصر يملي ظروفه.

ولما منّ الله على هذه البلاد بالملك عبد العزيز ـ وعلى الرغم من المهام العظام التي اضطلع بها والحروب التي خاضها والمشاكل التي واجهها والتبعات الكبيرة التي تحملها. فقد كان يدرك أثر العلم في بناء الدولة وتأثيره على شخصية الفرد والمجتمع فبذل قصارى جهده في محاربة الأمية ونشر العلم.

فعمد إلى البادية وأرسل إليها المرشدين والعلماء يعلمونهم مبادىء الإسلام وبعث المدرسين يعلمون الناس القراءة والكتابة والقرآن الكريم.

وفي إحدى رحلات الشيخ عبد العزيز الشثري إلى شمال المملكة داعياً إلى الله يقول مرافقه الشيخ عبد الله بن جبرين:

---

(١) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، بتصرف.

«هناك قبائل كثيرة من الحاضرة، والبوادي، لا يعلمون شيئاً، ولا يعرفون من الدين إلا أنهم مسلمون. وقد يقعون في المعاصي، والمنكرات عن جهل.

ناشئون منذ أن ولدوا إلى أن كبروا في جهل عميق لا يختلطون بأهل بلد، ولا يتعلمون، ولا يعلمون.

منهم من يحفظ بعض الجمل، أو الآيات، ولا يفهمها، ومنهم من يحرفها تحريفاً، ويخل بالمعنى في الفاتحة وغيرها»[1].

ولما أقبل الناس على التعليم، وازداد عددهم تغير الواقع التعليمي في كل مناطق المملكة على مستوى أفضل، فأقيم التعليم، وأوجدت المدارس، ووضعت المناهج، وسياسة التعليم، وجلب المدرسون من عديد من البلدان، وحولت الكتاتيب إلى مدارس منظمة.

لم يكن في نجد مدرسة ابتدائية إلا في الرياض، أو في المدن الثلاث (عنيزة). و(شقراء). و(المجمعة)، وقد وفر الملك لطلابها السكن، والغذاء الحسن الذي قد لا يتوافر لكثير من أهل هذه المدن، بالإضافة إلى منح مرتب شهري ثمن الكسوة، مع توفير الكتب الدراسية من قبل الحكومة، والمتزوج يمنح أربعة أمثال مرتب الأعزب[2].

وأصبح هناك مدارس نظامية ذات مناهج في المدن، والقرى

---

(١) إتحاف اللبيب، ص ٢٠٠ ــ ٢٠١.

(٢) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج ٣/ ص ٣٣٢.

الكبيرة، بالإضافة إلى التعليم في المساجد في جميع أنحاء المملكة، والذي يعد نمطاً متوارثاً منذ العهود الإسلامية القديمة.

وسوف نتعرض لجهود ابن سعود في نشر العلم ـ إن شاء الله ـ بشيء من التفصيل في الفصول القادمة.

□□□

المطلب الثاني

عوائق خارجية

أولاً ــ علماء الضلال:

فالجاهلون بأصول الدعوة لم تعجبهم هذه الدعوة السلفية، وملأهم الحقد من نهضتها المباركة الإسلامية التي ثبّت أركانها أمراء هذه الدولة الإسلامية في الجزيرة العربية فمكروا للخلاص منها فلم يجدوا لهذه الحرب قواداً إلا علماء الضلال. متظاهرين بالغضب والحمية لآل البيت والأولياء الصالحين. فتواطأت الأقلام على تشويه الدعوة وعرقلة سيرها فأشاعت بأن الملك عبد العزيز ماهو إلا مجدد للحركة التي أحياها محمد بن عبد الوهاب والتي تعادي المذاهب الأربعة ــ حقداً منهم أو جهلاً بأصول هذه الدعوة ــ وأن حكومته وعلماء المملكة يكرهون الرسول ﷺ ولا يصلون عليه ويعادون الأولياء وينكرون كرامتهم وغير ذلك مما يبعد الذوق عن سرده.

وقد كتبت هذه الأقلام عن الدعوة كل شيء إلا حقيقتها وأهدافها فلم تتعرض لشيء من ذلك.

«وقلة الإنصاف تحدث في العلم فساداً كبيراً فهي تخذله وتطمس شيئاً من معالمه. والإنصاف يؤيد العلم ويجعل موارده صافية سائغة. ولو أخذ الإنصاف حظه من نفوس جميع الباحثين عن الحقائق

لقلت مسائل الخلاف وإنصافك للرجل يدل على صفاء سريرتك)[1].

والأقلام التي نهضت لمحاربة الدعوة السلفية في شبه الجزيرة العربية غير متحرية للصدق تنتمي غالباً إلى طوائف الصوفية أو الفقهاء المقدسين للآراء وأهل الكلام المتطرفين.

وقد سلكوا في محاربة الدعوة والدولة أسلوبين:

١ ــ محاربة سلبية:

وذلك بأن لا يذكروا لها حسنة عملتها ولا خيراً أسدته ولو كان فيه منفعة الإسلام والمسلمين.

فقد تعاموا عن كل حسنة ومزية من مزايا الدعوة والتي كانت بلا شك تصل إلى أسماعهم بل يرون آثارها وأحياناً يرونها ممثلة فيمن يأتيهم من الحجاج المنتسبين إلى هذه الدعوة.

فلا شك أنهم كانوا يسمعون عن استقامتهم وتقيدهم بالأوامر الشرعية وبعدهم عن الفواحش وعن كل ما يسيء إلى المسلم ويشينه وقيامهم بالفروض والواجبات بل وبالسنن على كل حال وعدم تساهلهم فيما فرضه الله سبحانه وتعالى وشرعه لهم على لسان رسوله ﷺ ما فيه الكفاية.

ولا شك أنهم رأوا من أثارها على الحاضرة والبادية من الاستقامة والصدق ومحاربة كل ما يخالف الشرع والمنع منه وحثها على أداء الواجبات وحفظ العهد بل وعدم التعرض للحجاج وعدم قطع الطريق ما هو مقنع لكل منصف يبتغي الحق.

---

(١) القصيمي؛ الفصل الحاسم، ص ٨.

وأن قيام هذه الدولة كان على أساس إسلامي صافٍ وهدفها هو إقامة دولة الإسلام على أصل الشرع الكتاب والسنة.

ولكن الهوى يعمي ويصم.

٢ ـ محاربة إيجابية:

وتتلخص في نشر الدعاية العدائية ضد الملك عبد العزيز وحكومته بين طلاب العلم في البلدان[١].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن بعض البلاد الإسلامية العربية ذهبت تروج أن الدعوة التي تنتهجها الحكومة السعودية ملة جديدة ابتدعها الوهابيون.

يقول الملك عبد العزيز رحمه الله:

«من الناس من يقول آمنا بالله، وبما جاء به محمد ﷺ، ولكنهم يسبون آل بيته، ويسبون عمر، وعثمان، وأصحابه، وكيف ذلك وقد قال ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[٢]، ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلا باتباع سنة رسول الله ﷺ، والسلف الصالح.

والذي نمشي عليه هو طريق السلف، ونحن لا نكفر أحداً إلا

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨، ١٩.

(٢) طرف من حديث للعرباض بن سارية ـ رضي ـ الله عنه ـ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (الألباني) ٣٨٥١ صحيح سنن أبي داود. وأخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢) والألباني (٤٠) صحيح سنن ابن ماجه ـ حديث صحيح.

من كفره الله ورسوله، وليس لنا مذهب سوى مذهب السلف الصالح، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها.

فأبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وابن حنبل أئمتنا. فمن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه، فإن لم يكن هناك نص، فإنما هو الاجتهاد في الفروع، والأصل كتاب الله، وسنة رسوله لا نفضل أحداً على أحد، ولا كبيراً على صغير.

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد ﷺ، وأن هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد ﷺ، وهي قريش، ولكن النسب لا يغني عن الإنسان شيئاً.

والتقوى ليست مجرد السجود، ولكن بالتفرقة بين الحق، والباطل... ومن قال أشهد أن لا إله إلا الله، ولم يقل وأشهد أن محمداً رسول الله لا تقبل منه، وكل إنسان لا يصلي على الرسول، فهو ضال، وكل من لا يرجو شفاعة محمد ﷺ لا يدخل الجنة، ومعنى طلب الشفاعة أن تقول:

«يا رب محمد شفع فينا رسولك محمداً»[2].

ويقول رحمه الله:

«يقولون إننا وهابية، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) من خطاب الملك عبد العزيز في أعيان بيت الله الحرام من جريدة أم القرى بعددها ٦٨٨، الصادر في ١١ ذو الحجة سنة ١٣٥٦ هـ.

نتبع كتاب الله، وسنة رسوله، وليس بيننا، وبين المسلمين إلا كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ»[1].

ولم يقتصر أمر علماء الضلال على مجرد النشر في الصحف، وكتب الثقافة الإسلامية، بل تعداه إلى تضمين مناهج التدريس ــ في هذه البلدان ــ الطعن على الوهابيين، والقدح في دين إمامهم الأول، ووصفه بما تبرأ منه الحقيقة، بل ونشروا أوصاف الخوارج، وحملوها على السعوديين[2].

قال الملك عبد العزيز:

«لقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالاً شديداً، ولكنا صبرنا، وصمدنا»[3].

أما الأقلام النزيهة ممن كتبوا عن تاريخ العرب، والمسلمين ــ حتى المستشرقين ــ فلا تجد كاتباً إلا ويصوغ كلمات المدح بحق الملك الذي كان يزداد كل يوم حباً في القلوب، وبعداً في الصيت.

ومن ينكر أن الحكومة السعودية في عهده كانت الحكومة الإسلامية الناهضة المستقلة التي نهضت بالعرب، والإسلام الصحيح، وأشادت بهما بعدما كادت تقضي عليها العوامل السياسية؟ ومن ينكر وثباتها إلى الرقي والإصلاح؟

---

(١) من خطاب الملك في منى سنة ١٣٦٥ هـ نشرته جريدة أم القرى بعددها رقم ١١٣٢ الصادر في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٦٥ هـ.

(٢) القصيمي، الفصل الحاسم، ص ٢٤، ص ١١٨.

(٣) من خطاب الملك في المأدبة الكبرى للحجاج في السادس من ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ، أم القرى ١٣ ذي الحجة عام ١٣٤٩ هـ عدد ٣٣٣.

من ينكر ذلك فكأنما ينكر ضوء الشمس في رابعة النهار. أما علماء الدعوة في المملكة، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذا التعدي على دين الله، وعلى إمام المسلمين، ودعوته السلفية.

فخرجت أقلامهم صواعق مرسلة في كثير من الكتب[1] والنشرات ترد شبه علماء الضلال، وكانت صوارم مسلولة على أعداء الدعوة السلفية نظماً ونثراً.

ووضعت كل ما جاء بهذه الشبه على بساط المناقشة الهادئة العادلة ليرى المخطىء من المصيب، فانتصرت للدعوة ونسفت كل ما صبته هذه الأقلام المأجورة في عقول الناس من خرافات وصار الحق من نصيب هذه الدعوة السلفية واعترف الجميع بالعجز عن المعارضة والمنازعة.

وهذا ليس غريباً على دعوة ناصرت الحق فنصرها. وهذه الدعوة السلفية لا تعني إلا أن يفهم الناس الإسلام في العصر الحديث كما فهمه المسلمون الأولون نابذين البدع والخرافات وراء ظهورهم سعياً وراء الوحدة الإسلامية الكبرى، تلك الوحدة التي تقوم على أساس تحقيق التوحيد.

جاء في الفصل الحاسم:

والناس يعلمون أنه لا يوجد اليوم تحت الشمس أعمل من

---

(١) منها الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية ــ للعلامة سليمان بن سحمان، مطبعة المصطفوية سنة ١٣٣٥ هـ، بمبي ــ الهند؛ وغيره الكثير من هذه الكتب للشيخ سليمان ولغيره من العلماء.

الوهابيين بالقرآن ولا أتقى لله منهم (خاصة في ذلك العصر) ويعلمون أن الحكومة السعودية تستضيء بنور القرآن في جميع ما تأتي وما تذر، في حين أن أكثر البلاد الإسلامية تتخبط في ظلمات القوانين الأوروبية[1].

ثانياً ــ الدعوات الهدامة:

على الرغم من الأدلة الواضحة على طهارة الدعوة السلفية، فإنها لم تسلم من مكر أصحاب الأفكار، والشعارات، والتيارات الهدامة.

فإن أعداء الدعوة الإسلامية يدبرون لحربها كل يوم وسيلة، ويحشدون للوقوف في وجهها كل يوم قوة، سواء في ذلك الحشود الفكرية، أم العسكرية.

وقد ابتلى العالم الإسلامي في العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري بكثير من التيارات الوافدة مثل القومية[2]، العلمانية[3]، والاشتراكية[4] «هذه المبادىء تعادي الإسلام بما تشتمل عليه من نظم

(١) القصيمي، ص ١١٩.

(٢) القومية: دعوة جاهلية إلحادية تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه.
الشيخ/ عبد العزيز بن باز، المجموعة الميسرة، ص ٤٠٣.

(٣) العلمانية: دعوة إلى إقامة الحياة على غير دين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم. المجموعة الميسرة، ص ٣٦٧.

(٤) الاشتراكية: مذهب سياسي واقتصادي يقوم على سيطرة الدولة على وسائل=

لا تتفق مع مبادىء الإسلام، ولا يعترف بها الإسلام».

وقد زرع أعداء الإسلام لها دعاة بين المسلمين، كان أغلبهم من نصارى العرب، «فظهور مبادىء القومية العربية كان على يد رجال الفكر، وغالبهم من اللبنانيين والمسيحيين الذين تثقفوا في المدارس الأمريكية في بلادهم»[1].

وفي سبيل إحياء هذه الدعوات جندت الأقلام في كثير من الصحف السيارة مثل صحيفة «المقطم[2] والهلال[3] والمقتطف[4]».

وكان هؤلاء الكتاب ينتهجون في سبيل الترويج لهذه التيارات الهدامة أبرع الأساليب وينفقون عليها بسخاء فتراهم يصفونها بأحسن النعوت، فهي التقدمية وهي السبيل إلى التطور والرقي والازدهار.

وفي العالم العربي قوي التيار العلماني وقامت أحزاب وحركات تستبعد الإسلام وتطالب بالتغريب[5] ويربط أصحاب هذه الدعوات

= الإنتاج والمساواة في التوزيع والتخطيط الشامل، د. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ج ١، ص ٤٨٠، مطبعة قطر الوطنية سنة ١٩٨٠ م.

(١) د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٨٢، مطبعة دار البحوث الكويتية، ط ١ ــ ١٣٩٩ هـ.

(٢) صحيفة المقطم: جريدة سياسية تجارية خبرية يومية صدرت يوم الاثنين ٤ مارس ١٨٨٩ م الموافق ٣ رجب ١٣٠٦ هـ.

(٣) صحيفة الهلال: شهرية ــ دار الهلال ــ القاهرة ــ ١٨٩٢ م.

(٤) صحيفة المقتطف: مجلة شهرية، انشأها، يعقوب صروف وفارس نمر، صدرت سنة ١٨٧٦ م.

(٥) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص ٢٧.

والأفكار بين مبادىء دعواتهم وواقع المسلمين والأحوال السائدة في المجتمعات الإسلامية حيث التطور الذي عمّ الغرب فيزعمون أن هذا الازدهار نتاج تطبيق البلاد الغربية لتلك المبادىء.

وفي المقابل يصفون دعاة الإسلام بالرجعية ويزعمون أن الإسلام هو سبب التأخر والرجعية يقول الملك عبد العزيز:

«في بلاد العرب والإسلام أناس يساعدون الأجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام وضربها في الصميم وإلحاق الأذى بنا»[١].

ويقول رحمه الله:

«يقولون إن المسلمين في تأخر، وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين فما وجدوا طريقة أمامهم إلا أن يقلدوا الأوروبيين، ولكنهم لم يقلدوا الأوروبيين فيما كان سبباً لقوتهم ومنعتهم... بل قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب إليه المسلم وقلدوا ملاحدتهم في الأعراض عن دين الله. ثم هم بعد ذلك يدعون أنهم مسلمون وأنهم يدافعون عن الإسلام»[٢].

وكان لهذه الدعوات الهدامة مراكز قوية في مصر والشام حيث سعت لنشر العلمانية وتوجيه الأنظار نحو المادية أو بمعنى آخر الاتجاه نحو الغرب وتقليده والأخذ عنه في كل مناحي الحياة، والمطالبة بإقصاء علماء الدين باعتبارهم عوائق في طريق هذا التطور، كما سعت

---

(١) أم القرى (٣٢٠) ذي القعدة سنة ١٣٥١ هـ.

(٢) الخطبة نشرت بجريدة أم القرى بالعدد (٣٣٣) الصادر في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ.

هذه الدعوات إلى إنشاء المدارس العصرية بمناهجها المعادية للإسلام لمحاولة نقض عرى الإسلام وسعوا إلى إحلال الحروف واللغات الأجنبية محل العربية في الكتابات في سائر أنحاء العالم.

وكان هناك من يطالب بإلغاء المحاكم الشرعية وسيادة القانون الوضعي ومنع تعدد الزوجات وأن تمنح الفتاة الحرية الكاملة بحيث تفعل ما تريد ولو كان في ذلك مخالفة الشرع.

«فمظاهر هذا الغزو عبارة عن حملات التغريب للحضارة الإسلامية وللمسلمين أنفسهم لتغريب التعليم والثقافة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتغريب الأخلاق والآداب. ثم تكون قمة التغريب بتغريب اللسان عن لغة القرآن الكريم»[١].

كل ذلك شهده العالم الإسلامي وروجت له الأبواق العملية، بل إن هذه الدعوات وجدت لها أنصاراً من أصحاب المطامع، والشهوات فبذلوا الجهد، وأثمر جهدهم أن اعتنقها الكثير من الثوريين العرب، والذين قاموا بانقلابات في بلادهم، فخلت لهم الساحة لتطبيق مبادىء، وأفكار هذه الدعوات في بلادهم.

وقد حاربوا الإسلام، وأبعدوه عن الحياة، وقتلوا دعاة الإسلام في بلادهم يقول عبد البديع صقر:

«من الصعوبات التي تواجه الدعاة؛ إنقياد بعض المسلمين للآراء، والمبادىء المستوردة، واتخاذها ديناً، أو في مكان الدين برغم ما يبدو للعيان من فسادها نظرياً، وبرغم ما جرّته على معتنقيها

---

(١) الغزو الفكري، د. علي عبد الحليم محمود، ص ٢٣.

من دمار، وأضرار في التطبيق العملي»[1].

والواقع أن هذه الدعوات الهدامة حينما جاءت إلى بلاد العرب، وجدت بعض القلوب تطوف حول صنم المادة، ووجدت قلوباً أخرى تطوف حول صنم الشهوات، كما وجدت قلوباً تطوف حول وثن التصوف، فساقتها كلها من حول تلك المعبودات الرخيصة، وجمعتها، وذوبتها في بوتقة القومية، وشعاراتها الخلابة، ودعتها إلى تمجيد العلمانية الرخيصة.

وليس لهذه النظريات، والمبادىء من هدف أكبر، ولا أجلّ من أن تجد لها من الأعوان، والأنصار من يطبقونها على أبناء الأمة الإسلامية، فيباعد بها بين المسلمين، ودينهم، ويقارب بها بينهم، وبين النظريات، والمبادىء المعادية لهم.

وهم بذلك يحققون كسباً بتحويل المسلمين عن دينهم إلى تلك النظريات[2].

«لقد شهدت هذه الأمة خلال ربع القرن الماضي محاولات متلاحقة من التجارب الفاشلة على كل صعيد. . .

فعلى الصعيد السياسي فشلت الاتجاهات القومية في إقامة أي شكل من أشكال الوحدة حتى بين قطرين عربيين اثنين.

وعلى الصعيد الاقتصادي أخفقت النظريات المستوردة ــ

---

(١) عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٥٨، مطبعة المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، سنة ١٣٩٩ هـ.

(٢) د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري، ص ١٤٩.

رأسمالية واشتراكية. في إيجاد مجتمع الكفاية والعدل»[1].

والمملكة العربية السعودية كواحدة من البلاد العربية والإسلامية تتأثر بما يوجد على الساحة العربية والإسلامية سلباً وإيجاباً بل إن هذه البلاد كانت مستهدفة بهذه الأفكار لعلمهم بما تتمتع به من زعامة في العالم الإسلامي حيث إنها بلاد الحرمين وحصن الإسلام.

لكن بفضل الله فإن الذين تأثروا بهذه المبادىء في المملكة أفراد قلائل تمكن العلماء منهم ودحضوا حجتهم وكشفوا زيف ما يدعون إليه.

كما يرجع الفضل بعد الله في سلامة البلاد من هذا الوباء الفكري إلى فقهاء الدعوة السلفية التي جددها الملك عبد العزيز حيث وقفت هذه الدعوة المباركة سداً منيعاً أمام تيارات الإلحاد والفساد وما انحرف من اعتقاد ولا تزال. كذلك ومن المفيد أن نذكر هنا أنه في الوقت الذي سعى فيه لنشر كتب العلم. ففي الوقت نفسه اهتم الملك عبد العزيز بمنع الكتب والنشرات المخلة بالأخلاق والعقائد من دخولها البلاد حتى أنه أمر بوضع نظام للجمارك لضبط هذه الكتب والنشرات[2].

وكان يهدف من وراء هذه الإجراءات أن يحفظ للشباب عقيدته

---

(١) فتحي يكن، كيف ندعو إلى الإسلام، ص ٥٠، ط ٣ ــ مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ.

(٢) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة، ص ٣١.

نقية طاهرة وأن يصون طلاب العلم من الانزلاق وراء هذه التيارات الهدامة . . .

ثالثاً ــ الاستعمار[1]:

الاستعمار من أقوى العوائق التي تقف في طريق الدعوة. فما أصاب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من أضرار في العقيدة أو السلوك إلا وللاستعمار تخطيط ومشاركة فيه سواء الاستعمار الغربي أم الشرقي.

وما الحركات القومية والاتجاهات المادية وغيرها من معاول الهدم إلا أدوات هو المحرك لمؤامراتها والمنظم لها، فلا يزال يثير الغبار حول طريق الدعوة كي يطمس معالم هذا الطريق على الناس.

فالاستعمار الذي سيطر على كثير من البلدان العربية والإسلامية لم يكن يخطط لاستغلال ثروات تلك البلدان فحسب ــ كما يظن الكثير ــ بل كان من أهم مخططاته محاربة الإسلام وتجهيل المسلمين بدينهم، وذلك بجميع الوسائل الممكنة له الظاهرة والخفية.

وفي سبيل تحقيق مخططاته ضد الإسلام، قام يشجع مدارس التنصير، ويدون مناهجها، لكي ينصرف إليها المسلمون. تاركين تعاليم الإسلام، ومدارسه، وقد نجحت خططه هذه في كثير من البلدان.

---

(١) استعمره: في المكان جعله يعمره، استعمرت دولة دولة فرضت عليها سيادتها واستغلتها ومنها المستعمرة: إقليم يحكمه أجنبي يستوطنه أو يكتفي باستغلاله اقتصادياً أو عسكرياً المعجم الوسيط ج ٢/ ص ٦٢٧.

وهو الذي شجع الطوائف المنحرفة، والتي تعمل باسم الإسلام في ميدان الدعوة، كالقاديانية، وبعض الطوائف الصوفية، ليتمكن من ضرب الدعوة الإسلامية من الداخل بأيدٍ تنتمي إليها، وهذا من أخطر الأسلحة التي مارسها الاستعمار ضد الإسلام، ودعوته.

كما عمد الاستعمار إلى نشر الثقافة الغربية على نطاق واسع، في الوقت الذي أعلن فيه الحرب على الثقافة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل نادى باعتبار اللغة الإنكليزية لغة رسمية في كثير من البلدان العربية، والإسلامية مما جعل شبابنا يقبلون على تعلّم هذه اللغة مع جهلهم بلغتهم الأصلية.

ونجح الاستعمار في بعض هذه البلدان أن يحمل السذج من شبابنا على كراهية الإسلام، وأهله بدعوى أنه دين تعصب، وتأخر، فوقع الشباب فريسة سهلة لهذه الأفكار لجهلهم بحقيقة الإسلام.

ومن آثار الاستعمار:

(أ) التحزب وسهولة قيام الخصومات بين أفراد الأمة، والتطاحن على الحكم، والسلطة، واستنفاد الطاقة العسكرية، والبطولية في ذلك.

(ب) الاستهانة بالدين، وأهله، ونبذ فكرة التدين، والاستسلام لمادية الحياة، وعزل الدين عن الدولة.

(ج) الإعجاب بكل ما هو أجنبي من فكر، وتجارة، أو أشخاص.

(د) الضعف العسكري واستبعاد فكرة الجهاد لإعلاء كلمة الله

وتزييف التاريخ وملئه بالمغالطات والهجوم على تراثنا المجيد.

(هـ) الضعف الاقتصادي عندما سلبت معظم الميزات والموارد من أهل الوطن واستولى عليها أعداؤه ولقد تجمعت رواسب هذا الواقع الأليم في مجتمعاتنا حتى صارت مهمة الدعاة من الأمور الشديدة التعقيد[١].

والملك عبد العزيز رحمه الله ــ لكونه مسلماً يحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين ــ قد فطن إلى كل هذه الأساليب الاستعمارية ووعاها فحمى البلاد من مكرهم وصانها من عبث مخططاتهم فهو الذي قال: «العرب هم الضحية، والجاني على نفسه بجهله فإذا وعى العربي مصالحه وإذا تعلم فسيدافع عن هذه المصالح ويسد الثغرات التي ينفذ منها الاستعمار. أما الانكليز فهم الاستعمار المغتصب الظالم»[٢].

وهكذا وقف الاستعمار حجر عثرة في سبيل الدعوة الإسلامية ولم يغادر البلاد العربية والإسلامية حتى ترك عملاء مدربين على نشر أفكاره والترويج لها. وبفضل الله ثم حنكة الملك عبد العزيز وفراسته التي ألهمه الله عز وجل لم يعط الفرصة لأحد، ولم يمكن أدوات الاستعمار من تنفيذ مخططاتهم في المملكة أو غيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٦٠.

(٢) محمد جلال كشك، انظر السعوديون والحل الإسلامي، ص ٤٨.

والاستعمار الغربي ليس وحده في الساحة، بل هناك الاستعمار الشرقي الملحد وهو أشد ضراوة وأكثر حقداً على الدعوة الإسلامية وأهلها.

فقد استطاع أن يخدع السذج من الفقراء فوعدهم بالثراء ليثيرهم ضد الأغنياء فصفق له الفقراء وهتفوا له بالبقاء.

«ولا يزال يفسد في الأرض ويسفك الدماء ويهلك الحرث والنسل ويكسب الأصدقاء من أناس من بني جلدتنا وينتسبون إلى ديننا فأصبحوا يتكلمون بلسانه رغم أنه الاستعمار الذي لم يترك للناس ديناً ولا دنيا»[(١)].

والمملكة بفضل الله عز وجل قد سلمت من هذا الاستعمار الملحد ثم بفضل تمسكها بالعقيدة التي تتنافى وإلحاده، حرص الملك عبد العزيز على عدم إتاحة الفرصة ليدخلها الاستعمار، وقد حفظها الله ورعاها ومكن من يقيم شرع الله فيها.

كما أن الاستعمار الغربي لم يكن له سلطان على هذه البلاد في عهد الملك عبد العزيز وحتى الآن.

فالاستقلالية هي سمة قرارات هذا البلد منذ عهد الملك عبد العزيز ولا تأثير على المنهج أو القرار إلا للإسلام.

«إن من الصعوبات الخارجية التي تواجه الدعاة أن كلا المعسكرين الشرقي والغربي يرى أن تمسك هذا الشرق بإسلامه يضر

---

(١) د. محمد أمان الجامي، أضواء على طريقة الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٣٠، ط الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، سنة ١٤٠٤ هـ.

مصالحهما التجارية ضرراً بليغاً، وهذا حق.

فلو تمسك المسلمون ـ مثلاً ـ بقوله تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾[1] لأقفلت آلاف البنوك أبوابها»[2].

يقول الشيخ محمد الغزالي:

«تفرست في بدائل كثيرة قدمها الاستعمار لنا لكي تصرفنا عن دين محمد... إنها بدائل في ميادين السياسة، والاقتصاد، والقانون، والأخلاق والأدب والسلوك.

قالوا الولاء للتراب الوطني.. قلنا نحن نحب أوطاننا، ولكن ولاءنا لرب الأرض، والسماء. قالوا الولاء للدم، والجنس.. قلنا نحن نحب قومنا، ولكن حبنا لربنا أقوى، وأوثق، ولا تناقض بين حبنا لربنا، وحبنا لأهلنا.

وبدأت غارات اليهود على فلسطين يؤزرها الحقد الاستعماري القديم، وإذا بيهود اليمن، والعراق، ينضمون إلى يهود بولندا، وروسيا في ضربنا. أين الوطنية المزعومة؟ سبحان الله كأن الوطنية استجلبت لتمزيق الإسلام وحده... إذن المراد الإلتفاف بالأمة الإسلامية وحدها، ومخادعتها عن رسالتها... إن الحقد كله على

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٦.

(٢) عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٦١.

الإسلام، ونبي الإسلام، ورجال الإسلام، ودعاة الإسلام وإن استتر تحت عناوين خدّاعة، وكلمات حديثة»[1].

□□□

(١) محمد الغزالي، هموم داعية، ص ١٠٤، طبع دار الحرمين ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ. =

الفصل الأول

الجهود الرسمية العامة في الدعوة

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: تقرير الشريعة.

المبحث الثاني: تأسيس العلم ونشره.

المبحث الأول

تقرير الشريعة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات.

المطلب الثاني: إقامة الحدود الشرعية.

المطلب الأول

تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات

الشريعة معناها في اللغة: المواضع التي ينحدر فيها الماء. ومعنى شرع أي نهج وأوضح وبيّن المسالك، وقد شرع لهم يشرع شرعاً أي سن[1].

وهي في الاصطلاح ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام[2].

وقد سمى الله ما جاء به الأنبياء شريعة قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[3].

والمراد بما شرعه الله: توحيده وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً.

وقال عز وجل مخاطباً رسله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾[4].

---

(١) لسان العرب، ج ١٠/ ص ٤٠.

(٢) المعجم الوسيط، ج ١/ ١٧٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

وقال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾[1].

والشريعة هنا الأمر والنهي والحدود والفرائض فما أوصى الله به نبيه ﷺ يسمى شريعة[2].

وتتميز الشريعة الإسلامية بأنها شريعة شاملة كاملة تنظم كل الحقوق والواجبات، فهي دين ودولة تنظم حياة الفرد والجماعة تنظيماً يسعدون به في الدنيا وينالون به الأجر والنعيم الأبدي في الآخرة.

والشريعة تنتظم عدة أحكام هي:

١ ــ العقيدة والأخلاق والعبادات.

٢ ــ الأحكام العملية من معاملات مالية وأحوال شخصية والجرائم والعقوبات.

٣ ــ الأحكام الدولية.

٤ ــ الأحكام الدستورية التي تنظم علاقة الفرد بالدولة[3].

والإسلام عقيدة وشريعة، شريعة للعمل والحياة، شريعة للنظام والتطبيق، شريعة للسعادة والتقدم، شريعة تنظم علاقة الإنسان بربه

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

(٢) د. سعود بن سعد الدريب: التنظيم القضائي في المملكة في ضوء الشريعة ــ ص ٢٢٤، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ، الرياض، مطابع حنيفة للأفست.

(٣) د. سعود الدريب: المرجع السابق، ص ٢٤، ٢٥.

وتحكم علاقته بنفسه وتواكب علاقته بأفراد مجتمعه، فالإسلام دين ودولة إيمان ونظام.

والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية أمر مرتبط بالإيمان بالله عز وجل والشريعة من عند الله، وهذا يضمن خلوها من معاني النقص والهوى والجهل لأن الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، وعليه فإن أثر هذا الكمال يظهر فيما يشرعه من أحكام ومناهج فلا بد وأن يكون كاملاً.

هذا بخلاف ما يضعه البشر من أحكام فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل؛ إذ إنها معاني لاصقة بالبشر يستحيل تجردهم عنها بالكلية ومن ثم تظهر فيما يشرعونه.

والشريعة الإسلامية نظام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان. والشريعة الإسلامية تامة كاملة غطّت كل الجوانب التي لم تأت في الشرائع السابقة بما أهلها أن تكون خاتمة للشرائع.

قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[١].

ومن هذا الشمول والكمال لا حاجة لمجيء شريعة أخرى. والشريعة الإسلامية ما جاءت إلا لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، واستقراء نصوصها يؤكد ذلك أن مقصود أحكامها حفظ الضرورات ــ الدين والنفس والعقل والمال والنسل ــ وحفظ الحاجيات والتحسينيات.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

قال ابن قيم الجوزية: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها»[١].

والشريعة أمر ماض لا يرد ولا يناقش فلا تؤخذ فيه آراء الناس ولا خياراتهم قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. . .﴾[٢].

إذاً فهذه الشريعة فيها كل المقومات التي تجعلها صالحة للجميع في كل زمان ومكان وهذا من فضل الله على الإنسان.

وسوف يكون بحثنا الآن عن جهود الملك عبد العزيز في مجال تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

* * *

بنى الملك عبد العزيز دولته وأقام نظامه في الجزيرة التي بعث فيها الرسول ﷺ ونزل عليه الوحي فيها وجاهد فيها وأقام دولته فيها.

هو المكان نفسه الذي شهد الدولة الإسلامية للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً.

---

(١) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج ٣/ ص ١٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

وإن كان المؤرخون يقسمون تاريخ الدولة السعودية إلى ثلاثة عهود فإن وجه الشبه بين هذه العهود هو حرص الحكام والعلماء في العهود الثلاثة على الأسس والمبادىء الإسلامية وتقديم التضحيات في سبيل نشر الدعوة السلفية واتخاذ الشريعة الغراء منهجاً للبلاد.

وقد كانت جزيرة العرب قبل عهد الملك عبد العزيز أيام حكم العثمانيين ممزقة الشمل؛ حيث كانت أحكام الشريعة غير مطبقة تطبيقاً سليماً أو غير مطبقة بالمرة واستبدل بها أحكام جرت مجرى العرف وكان التمسك بها شديداً لأنها من وضع سلفهم ولأن الخلف وجدوا آباءهم معتزين بها ومطبقين لها وهذا مما جعل تغيير هذه الأوضاع البعيدة عن الإسلام أمراً في غاية الصعوبة.

ومما جاء عن الشيخ محمد رشيد رضا أن العرب ابتلوا بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لغتهم فدينهم أو يكونوا تركاً فكان من أمرهم ما كان.

ثم ابتلى العرب (ابتلاء حسناً) بعبد العزيز بن سعود فالمرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات بعد السيئات وبالخير بعد الشر وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع إلى الله تعالى بإقامة سننه في السياسة والاجتماع وشرعه في الحق والعدل[١].

وكانت هناك في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ــ وما زالت حتى اليوم في كثير من البلاد الإسلامية ــ ظاهرة خطيرة في

---

(١) انظر محمد رشيد رضا: الوهابيون والحجاز، ص ٨٧، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣ هـ.

تاريخ الأمة الإسلامية ألا وهي ظاهرة الاحتكام إلى القوانين الوضعية وإلغاء أحكام الحدود الشرعية.

ولما كان القضاء ركناً من أركان الدولة وجزءاً هاماً من مقومات المجتمع وتقع عليه مسؤولية حماية الأنفس والأرواح والأموال والحقوق، وتحقيق الهدوء والسلام في المجتمع، وهو رمز سيادة الأمم واستقلالها، وتاريخ القضاء في كل أمة عنوان مجدها.

لكل ذلك سوف نتعرض بإيجاز لملامح الحياة القضائية قبل تولي الملك عبد العزيز.

فأما القضاء في نجد وأقاليمها فلم يعرف فيه أي تنظيم قضائي؛ حيث ظل القضاء لمدة ليست بالقصيرة يقوم على قضاة منفردين في أمهات المدن.

فكان في كل مدينة قاض يحكم بين المتخاصمين على الوجه الشرعي فإن رضيا وإلا رفع إلى الأمير لينفذ ما يراه.

ومحكمة القاضي تكون بيته أو المسجد وربما كان في الطريق.

فالقضاء في نجد كان يتسم بالبساطة في الاجراءات، فكل شيء يتم شفوياً حتى الأحكام لا تكتب لها صكوك إلا فيما ندر، كما كانت هذه الأحكام تصدر في نفس اليوم وكان مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المذهب الذي عليه أهل نجد(١)، مع الأخذ في الغالب باختيارات وترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن بعدهما

---

(١) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين/ ص ٣٠٠.
انظر محمد بن ناصر الشثري: إتحاف اللبيب، ص ١٨٢.

أئمة الدعوة في البلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وتلاميذه والأخذ بالقول الذي يسنده الدليل القوي في أي من المذاهب الأربعة.

أما البوادي فقد كان هناك ما يسمى بحكم «العارفة» والعارفة كالقاضي عند الحضر، وهو فرد مشهور بالحكمة والاطلاع على العرف والعادات القبلية(١).

أما المناطق التي كانت تحت السيطرة العثمانية فقد كان القضاء فيها منظماً، ويسير وفق أنظمة القضاء العثماني؛ إذ كان القضاء في الحجاز وعسير والأحساء قد ناله شيء من التنظيم فيما يتعلق بترتيب المحاكم وسير الاجراءات. وقد تأثر تأثراً كبيراً بالنظام القضائي العثماني في طول إجراءاته المتسمة بالرتابة والبطء بالاضافة إلى ما انتابه من ضعف ضمائر بعض القائمين عليه. وكان أكثر القضاة آلة في يد شريف مكة، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل تقديم الهدايا للقاضي(٢).

وأما عن المحاكم فلم تكن معروفة بهذا الشكل الموجود الآن ولا بهذا العدد.

«وكان في مكة المكرمة محكمة كبرى تحال إليها قضايا الأوقاف

---

(١) د. سعود الدريب، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٦١ ــ ٦٣.

(٢) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٥١.

والـزوجيـة ويتـولـى البـت فيهـا الأعضـاء وفـق مـا صـح مـن أقـوال المذاهب»[1].

وإلى جانب هذا كان يوجد نظام العشائر لأن الشريف حسين حينما أعلن الثورة على الخلافة العثمانية أصدر قراراً بإلغاء الأنظمة العثمانية والرجوع إلى النظام القبلي على العرف[2]. وهكذا نرى الخلل الذي كان ينتاب عملية التطبيق لأحكام الشريعة والذي يصل في بعض المناطق إلى حد التعطيل وعدم التنفيذ.

لقد أدرك الملك عبد العزيز ـ بثاقب نظره ـ أن خلق الله لا يمكن أن يصلح لهم أي نظام حكم غير النظام الرباني وكان لذلك الادراك الأثر الكبير في نجاح جميع أموره في شبه الجزيرة[3] وعندما شرع الملك عبد العزيز في تأسيس دولته على مبادىء الدين الحنيف كانت صورة الحكم الإسلامي مهتزة في أذهان بعض الناس لأنهم نظروا إلى الإسلام من خلال واقع المسلمين وأعمالهم وما ارتكبوه من أخطاء.

وكانت حملات التشكيك في قدرة الشريعة على مواكبة الحضارة الحديثة والوفاء بمتطلبات الحياة العصرية المتطورة محل طعن. وقد انساق وراء هذا الوهم طائفة من زعماء المسلمين وقادتهم فطبقوا

---

(١) د. سعود الدريب، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي بالمملكة.

(٢) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٥١.

(٣) مهندس/ سليمان بن علي الشايع، الملك عبد العزيز وأثره في التاريخ المعاصر، ص ٣٨.

القوانين الوضعية في بلادهم واتبعوا أنظمة بعيدة عن الدين.

أما الملك عبد العزيز فلم يصغ إلى ذلك لأنه يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً للحياة، وأن التمسك بالإسلام يعصم من الضلال. فسارع إلى إنفاذ الشريعة وتطبيق أحكامها «ولم يتعلل بعدم وجود فقه تفصيلي، ولم يخف من نتائج تطبيق الشريعة لأنه لا يخاف هذه النتائج إلا من نوى الظلم والفساد في الأرض، والملك عبد العزيز رجل عرف من سيرته بأنه محب للعدل مقيم له كاره للفساد مقاوم له»[١] فلم يبتدع نظاماً ولم يشرع قانوناً بل ما عمله في هذا السبيل هو أنه أحيا سنة القرآن الكريم وأيقظ في النفوس وازع الإيمان ففجر فيها القوة في التضحية والانضباط في التزام ما شرعه الله لعباده.

وعندما دخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة في السابع من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ قال قبل سفره: «إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله. إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلا للشرع»[٢].

وأوصى العلماء ورجال القضاء فقال: «إن كتاب الله ديننا ومرجعنا وسنة رسوله ﷺ دليلنا وفيها كل ما نحتاجه من خير ورشاد،

---

(١) عبد الله بن المحسن التركي، الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٤٢، محاضرات المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩ ــ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٥ هـ، مطابع جامعة الإمام.

(٢) عبد المنعم غلامي، حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ٨٣.

ونحن من جانبنا سنحرص إن شاء الله كل الحرص على إقامته واتباعه وتحكيمه في كل أمر من الأمور»[1].

وهكذا اتخذت المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز كتاب الله وسنّة رسوله دستوراً تعمل بموجبه وتطبق أحكام شريعته السمحة في جميع أنحاء المملكة وعلى الجميع من بدو وحضر باعتبارها شريعة الله التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وتدعو إلى التعايش الاجتماعي في أمن وسلام.

فكون هذه الشريعة من عند الله يحمل الناس على احترامها وطاعة قواعدها لأن في هذه الطاعة قربة إلى الله عز وجل، ولا يخفى على أحد أثر التعاليم الشرعية في مجال العبادات والمعاملات من تحقيق لمصالح العباد وتنظيم العلاقة بينهم والقضاء على المعاملات الفاسدة. ومن ثم فقد حرص الملك عبد العزيز على تطبيق الشريعة الإسلامية وإعادة تنظيم الولايات الإسلامية التي كانت موجودة في عصور الازدهار الإسلامية، ومنها ولاية الحسبة وولاية المظالم، فكان رحمه الله أول ولاة الأمر السعوديين الذي نظم ولاية الحسبة بشكل رسمي فأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز سنة ١٣٤٦ هـ وفي نفس العام وضع حجر الأساس لديوان المظالم في شكله الأول والذي كان يعرف «بصندوق الشكاوي» وابتداء من سنة ١٣٥٠ هـ خصص الملك ساعتين من وقته يومياً للنظر في الشكاوي المقدمة من المتظلمين[2].

---

(١) المرجع السابق، ص٨٤.

(٢) د. محمد كمال إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٤٨.

قال رحمه الله: «الحقيقة أن الإسلام هو اتباع كتاب الله تعالى وما جاء به الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾[1] وقال عز وجل: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾»[2].

وتأكيداً لهذه الأقوال الصادرة عن الملك عبد العزيز وضع أمام الهيئات مهمة صيانة عقيدة التوحيد وتحكيم الشريعة وقرر الملك أن تكون هذه الهيئات في جميع البلدان، وكتب إلى العاملين بهذه الهيئات المهام الموكلة إليها في مجال العبادات والمعاملات وأحكام الشريعة.. وأهمها:

١ ــ إلزام الناس بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة وحض الناس على تعلم الدين والقيام على أهل المنكرات.

٢ ــ جباية الزكاة وصرفها في مصارفها التي أمر الله بها والتحقق من أدائها على الوجه المشروع وإن ظهر لهم منع أحد من إخراج الزكاة تؤخذ منه على الوجه الشرعي متحرين للعدل.

٣ ــ صيام شهر رمضان ومنع أي مظهر يتنافى مع طبيعة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤ ــ وهي من خطبة للملك نشرت بجريدة أم القرى بالعدد (٦٣٧) بتاريخ ١١ ذو الحجة ١٣٥٥ هـ.

٤ ـ تفقد ما ظهر من معاملات الناس وكشف التعامل الربوي منها والعقود الفاسدة فما عثروا عليه يخالف الشرع أبطلوه وأدبوا صاحبه.

٥ ـ تأديب من وجد منه غش أو خيانة أو بخس في المكاييل والموازين حسب الحال.

٦ ـ النظر في الأوقاف وإيصالها إلى مستحقيها والعمل بنص الواقف ما لم تخالف نص الشرع. ومتابعة تنفيذ الأوقاف الخيرية على المساجد وطلبة العلم.

٧ ـ مسائل المديونيات: (قلب الدين على المدين) فالمعسر يجب إنظاره إلى ميسرة ولا يجوز التحايل على ذلك، لأنه من الظلم المخالف للشريعة. والارفاق بالمضطر لأن بيع المضطر مكروه والتضييق على المحتاج لا ينبغي بل يجب الاحسان والترفق به[١].

ولما توحدت الدولة ودخلت المملكة دور الدولة الحديثة في العديد من المجالات تنوعت المعاملات وظهرت نظم ومؤسسات إدارية حديثة احتاج الأمر إلى إحلال جهات متخصصة[٢] محل هيئة

---

(١) من رسالة جامعة للملك عبد العزيز إلى العاملين بهيئات الأمر بالمعروف ـ مخطوطة بدارة الملك عبد العزيز برقم (١٩٢).

(٢) مثل وزارة الداخلية في تنظيم الأمور ومراقبة الطرق وكوزارة التجارة في حماية المستهلك ومكافحة الغش التجاري وكوزارة الشؤون البلدية والقروية في مراقبة المكاييل والموازين والأسواق العامة، وكهيئة المواصفات والمقاييس.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استمرار قيامها بعملها في مجالها الرئيسي وهو الحسبة.

وتمثلت هذه الجهات في العديد من الجهات القضائية فبجانب القضاء الشرعي أوجد التطور الحديث في الدولة نظام القضاء التجاري والقضاء المختص بقضايا العمال والجمارك والقضاء الإداري المتمثل في ديوان المظالم الذي سبقت الاشارة إليه، وكان للقضاء بتعدد أنواعه وظيفة أساسية هي تنفيذ أحكام الشريعة باعتباره أساس نظام الدولة ومظهر السيادة فيها.

ولما تمكن الملك عبد العزيز من ضم بقية أقاليم المملكة اهتم بالقضاء انطلاقاً من نظرته المتميزة بإشاعة العدل كأساس للاستقرار في ربوع الدولة. يقول رحمه الله: «أحببت أن أنظر في شؤون المحاكم الشرعية وترتيبها من الوجه المطابق للشرع»[(١)] فقد أولى القضاء الكثير من الاهتمام وأقامة على تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع مظاهر الحياة وأخضع جميع القوانين التي كانت تسن في الدولة للشرع.

«كان على الملك عبد العزيز أن يسعى جاهداً لتحقيق التوافق بين الأنظمة القضائية الموجودة وإعادة صياغتها وفق بنود الشريعة فأوكل هذه المهمة إلى مجلس الشورى[(٢)] والذي كان من أهم اختصاصاته النظر في نظام المحاكم وترتيبها بصورة تضمن تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً لا يجعل مجالاً للهوى»[(٣)].

---

(١) جريدة أم القرى العدد (١٣٨) الصادر في ٧/ ١/ ١٣٤٦ هـ.

(٢) أنشىء مجلس الشورى بمكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ.

(٣) جريدة أم القرى عدد (٣٢) في ١٦/ ١/ ١٣٤٤ هـ.

كما أصدر العلماء فتوى بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ وجاء فيها: «وأما القوانين فإن كان موجود منها شيء في الحجاز فيزال فوراً ولا يحكم إلا بالشرع المطهر»[١].

ومن التنظيمات التي أصدرها الملك عبد العزيز في مجال القضاء أن عين في الرياض قاضيين أحدهما للحاضرة وآخر للبادية[٢]، وهو تنظيم لم تعهده الرياض من قبل وكان بعض المناطق والقبائل في المملكة يتحاكمون إلى بعض الأعراف والتقاليد المخالفة للشرع فكان الملك عبد العزيز يرسل العلماء إلى كافة المناطق والقبائل ليتولوا القضاء بينهم، فجاهد أولئك العلماء كثيراً لإزالة هذه العادات الجاهلية المترسبة في نفوسهم وحذروهم من التحاكم إلى غير ما أنزل الله بعقاب الله في الآخرة وعقاب ولاة الأمر في الدنيا.

كما كانت هناك عادات جاهلية أخرى مترسبة في نفوس البوادي؛ وكان كل قاض حريصاً على علاجها ومنها مسائل التحجر[٣] ويحصل من آثار هذا الحجر مفاسد كثيرة من إكراه أو من إعطاء ذلك المتحجر ما لا يستحقه.

وكان العلماء ينكرون هذا التحجر أشد الانكار، وكانوا ينكرون

---

(١) الدرر السنية ٥/ ٣١٩.

(٢) كان الشيخ سعد بن حمد بن عتيق مكلفاً بالنظر في قضايا البادية لأنها تستلزم سرعة البت لعدم استطاعة أبناء البادية للإنتظار، أما الحاضرة فقد خصص لهم الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (الزركلي/ تاريخ شبه الجزيرة ج ٢/ ص ٤٢٥).

(٣) التحجر: أن يحتكر القريب نكاح ابنة عمه أو قريبته فلا تنكح غيره.

عقود النكاح التي تقوم على التحجر ولا يعقدون حتى يتحققوا من الرضا والموافقة وعدم الموانع التي تفسد ما بين الزوجين كما كانوا يدفعون بهذه القضية أو المسألة المنكرة إلى ولاة الأمر لمحاربتها وإزالتها من النفوس، وكان القاضي يتفقد الشروط التي بين الزوجين قديماً وحديثاً ويطبقها على الشروط الشرعية فإذا كانت هناك خلافات يسيرة ليس لها تعلق بما يخالف الشرع حرص على إزالتها ورد الزوجة إلى زوجها والجمع بين الزوجين واشترط الشروط الشرعية على كل منهما.

وهكذا شرع الملك عبد العزيز يتبع القول العمل في مجال تطبيق الأحكام الشرعية في كل الشؤون الاجتماعية والاقتصادية... يقول الملك عبد العزيز رحمه الله:

«إن اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعوني ـ إن شاء الله تعالى ـ لعدم الجموح بالنفس وقد عاهدت الله على ثلاث:

١ ـ الدعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل.

٢ ـ الأخذ على يد السفيه وتحكيم السيف فيه.

٣ ـ الإحسان للمحسن والعفو عن المسيء»[١].

وبفضل هذه الجهود التي قام بها الملك عبد العزيز تمكن العلماء في المملكة من السير بالقضاء وفق كتاب الله عز وجل وسنة

---

(١) من خطبة للملك عبد العزيز نشرت بجريدة أم القرى بعددها (٢٢٨).

رسوله ﷺ، وما يتبع هذين المصدرين من أصول معتبرة في طرق الاثبات والاجتهاد القضائي وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، وفي ظل هذا النظام الإسلامي أقيمت الحدود وحفظت الحقوق والمصالح وتوطد الأمن.

وقد ذكر الزركلي ١٢٤ محكمة منتشرة في مدن البلاد وقراها:

في مكة ثلاث محاكم وفي المدينة محكمتان وفي الطائف محكمتان وجدة محكمتان وكذلك في الظفير وقلوة وبيشة والخرمة وتربة ورنية والموية وعفيف ورابغ وينبع وأملج والوجه وضباء والعلا وتبوك وحقل والقريات والجوف وخيبر والمهد ومدركة.

وفي نجد محاكم: في الرياض والخرج والدلم والحوطة والحلوة والافلاج والحريق والسليل ووادي الدواسر وضرمى وحريملا وحائل وبريدة وعنيزة والبيكرية والزلفى والرس والمذنب وشقرا والمجمعة وباطن سدير والشعيب والمحمل والحائط والحويط والفوارة والداهنة والعسيلة وسنام والرين والأرطاوي والقويعية والدوادمي ومراة ودخنة وقبة والشبيكية والقوارة والأرطاوية وساجر وعروى ونفى.

وفي بلاد عسير محاكم: في أبها ومحائل ورجال ألمع وبني شهر وبارق قنا والبحر وظهران الحرجة وتثليث والمشرف والمجاردة وبالاسمر والأحمر والسراة وخميس مشيط ونجران.

وفي تهامة عسير: في جازان وصبيا وأبي عريش وصامطة وبني مالك وقحمة وفيفا والمسارحة والعارضة والدرب وبيش والليث والقنفذة والعرضية والبرك.

وفي الأحساء: في الهفوف والمبرز والخبر والظهران والدمام والقطيف ورأس تنورة والجبيل وقرية والحفر.

والبلدان التي فيها قضاة للقضايا الجزئية هي:

بحرة والمضيق وبدر والحرث والخوية والشقيق والريث وبني حريص وهروب وبالغازي والحقو وفراسان[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «صلاح أمر السلطان بتجريد المتابعة لكتاب الله وسنة نبيه وحمل الناس على ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل صلاح أهل التمكين في أربعة أشياء:

إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فإذا أقام الصلاة في مواقيتها جماعة هو وحاشيته وأهل طاعته وأجر بذلك جميع الرعية وعاقب من تهاون في ذلك العقوبة التي شرعها الله فقد تم هذا الأصل.

ثم كل نفع وخير يوصله إلى الخلق هو من جنس الزكاة، فمن أعظم العبادات: سد الفاقات وقضاء الحاجات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف.

والأمر بالمعروف هو الأمر بما أمر الله به ورسوله من العدل والإحسان وأمر نواب البلاد وولاة الأمر باتباع حكم الكتاب والسنة واجتناب حرمات الله.

والنهي عن المنكر هو النهي عما نهى الله عنه.

---

(١) الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج ١ ص ٤٣٠ ــ ٤٣٢.

وإذا تقدم السلطان بذلك في عامة بلاد الإسلام كان فيه من صلاح الدنيا والآخرة وله وللمسلمين ما لا يعلمه إلا الله. والله يوفقه لما يحبه ويرضاه»[(١)].

وهكذا يتضح لنا أن عقيدة الأمة وشريعتها هي قوام وحدتها وأن تطبيق الأحكام آية الإيمان بالله لأنه المنهج الموافق للفطرة، وأن الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ قد سار على هذا النهج الحميد.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية يكاد يكون هو النظام الوحيد ــ للأسف الشديد ــ في البلاد العربية المستمد من الشريعة الإسلامية.

وتعتبر المملكة العربية السعودية الرائدة من بين الدول المعاصرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كافة النواحي والقضايا والأحوال المدنية والتجارية والجنائية والأحوال الشخصية بفضل الله ثم بجهود الملك عبد العزيز، الذي لولا أن الله منّ عليه بالاصرار على تنفيذ أحكام هذه الشريعة السمحة لكانت البلاد اليوم فريسة القوانين الوضعية، ولأصاب الناس من التعقيد والتيه ما لا يعلمه إلا الله، لكن الالتزام بالأحكام الشرعية الإسلامية في جميع الأمور وخاصة في أنظمة القضاء ربط مجتمعنا بالصدر الأول للإسلام.

والنظام القضائي الإسلامي نظام صالح لكل زمان ومكان بحيث يستطيع أن يساير الحياة في تقدمها وارتقائها بما يضمن العدل والنزاهة والإنصاف.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ــ م ٢٨ ص ٢٤٢.

المطلب الثاني

إقامة الحدود الشرعية

تمهيد:

إن الدين يدعم مقاومة المجتمع لبواعث الجريمة ودوافع الانحلال، ويكبح جماح نوازع الشر الكامنة في النفس الأمارة بالسوء. وتعتبر الشريعة الإسلامية الأخلاق الفاضلة أولى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع، ولذلك فهي تحرص على حماية هذه الأخلاق وتعاقب على كل جريمة من شأنها المساس بالأخلاق.

فإذا صينت الأخلاق فقد صينت الصحة والعقول والأعراض والأموال والدماء واستتب الأمن واستقر النظام.

وإقامة الحدود جزء من الشريعة الإسلامية، وهي بطبيعتها شريعة عالمية لا إقليمية أراد الله سبحانه وتعالى تطبيقها على كافة الناس في جميع بقاع الأرض وهم مخاطبون بأحكامها مطالبون بتنفيذها من أجل نشر السلام على هذه الأرض.

والعقوبات في الشريعة جاءت مفصلة لعدد من الجرائم وهي الردة وقتل النفس والزنا والقذف والسرقة وقطع الطريق وشرب الخمر.

أما الجرائم الأخرى فقد تركت الشريعة تقدير عقوبتها إلى القاضي وتسمى جرائم التعزير.

- فحد الحرابة لحماية الطرق والمجتمعات.
- وحد السرقة لحماية الأموال.
- والقتل قصاصاً لحماية الدماء.
- وحد القذف والزنا لحماية الأعراض.
- وحد الخمر لصيانة العقول.

والعقوبات المقدرة كلها خير وصلاح وعدل ووقاية للمجتمع من الشرور والمفاسد ولا يستغني أي مجتمع فاضل عنها لأنها بنيت على أساس العدالة وتحقيق الزجر الكافي للمجرم وحفظ مصلحة الفرد والجماعة.

والمعروف أن الحدود بطبيعتها تقوم على العدل التام فلا يفرق فيها بين حاكم ومحكوم ولا بين غني وفقير ولا تقبل فيها الشفاعة. وهذا سبب إصلاح المجتمع.

ولقد استشرت الجريمة في كثير من المجتمعات وعجزت القوانين الوضعية عن صد تيار الاجرام ونوازع الشر، وأجهد العلماء أنفسهم في وضع التشريعات والتعديلات لهذه القوانين الوضعية الخاصة بالجريمة والعقاب، وفاتهم أن الصلاح الوحيد هو ما أمر الله جل شأنه به عباده وما ارتضاه لهم من أحكام، وما حدد من عقوبات، فالدواء بين أيديهم ولكنهم جهلوه أو تجاهلوه[1].

---

(١) محمد خاطر، أثر تطبيق الحدود في المجتمع، ص ٢٤٩ من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي المعقود بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٣٩٦ هـ.

إقامة الحدود في عهد الملك عبد العزيز وأثرها في إصلاح المجتمع:

إن الدين الإسلامي بجميع ما احتواه من عبادات ومعاملات واعتقاد وأخلاق يعتبر كلاً لا يتجزأ، فهو وحدة متكاملة لا يتحقق إيمان المرء إذا أنكر بعضه ولو أقر بالبعض الآخر.

فمن أنكر شرعية الوضوء أو استباح شرب الخمر كان كمن أنكر وحدانية الله لأن كل ذلك من الدين الذي تعبد الله به عباده. وعليه فمن أنكر تشريعاً من العقوبات أو اعتقد أنها غير صالحة أو أن غيرها أصلح منها أو شك في ذلك لا يكون مؤمناً ويعامل معاملة المرتدين:

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾[١].

وحيث إن هناك ارتباطاً وثيقاً بين تطبيق الحدود الشرعية وبين استتباب الأمن، فمن الضروري أن نشير إلى أن الاضطرابات والخلافات السياسية قد أفقدت شبه الجزيرة العربية جو الاستقرار والأمن كما أفقدتها في العقد الثالث والرابع من القرن الرابع عشر السلطان القاهر الذي يستطيع أن ينفذ هذه الحدود.

فالقبائل الواقعة على الطرق الرئيسية التي يكثر فيها سير قوافل الحجاج وقوافل التجارة كالطريق بين جدة ومكة وبين البحرين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥، وانظر د. عبد السميع إمام: أثر تطبيق الحدود في المجتمع ص ٢٥٧.

والاحساء، كانت هذه القبائل تفرض على الحجاج والتجار اتاوة تسمى (الخوة) تدفع إلى كل قبيلة يمرون من الجزء الذي تسيطر عليه من الطريق، وفي حالات كثيرة كانوا لا يسلمون من السلب والنهب بل القتل أحياناً[1]. وفي الوقت الذي يعتبر فيه أهل الحضر هذه الأعمال سرقة أو حرابة توجب الشريعة فيها القطع أو الصلب أو القتل أو النفي، كان البدو يعتبرون هذه الأفعال من قبيل الغزو الذي يمكنهم من إثبات ذاتهم وقوة نفوذهم.

وبدهي أن الذي كان يساعدهم على ذلك صعوبة وصول يد السلطات إليهم للامتداد الشاسع لمناطقهم وانتشارهم المتناثر في رمالها ودروبها ووديانها ووعورة كثير من طرقها، وبطء الاتصال بهم لمعرفة أخبارهم والوقوف على تحركاتهم.

كما كان يشجعهم في بعض الأقاليم كالحجاز مثلاً، تغاضي السلطات عن اعتداءاتهم الجنائية كما حدث مع بطون قبيلة حرب التي كانت تعلن أن الشريف حسين ــ والي مكة ــ كان يتركهم يتعاملون مع الحجيج وفق مصلحتهم الخاصة[2].

أي إن بعض القبائل كانت تعتبر ــ في غياب التطبيق العملي

---

(١) سياسة الملك عبد العزيز لحفظ الأمن، أ. د حسن الساعاتي من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز وهي دراسة ميدانية لتطبيق التشريع الجنائي وأثره في مكافحة الجريمة بالمملكة ص ٦.

(٢) سياسة الملك عبد العزيز لحفظ الأمن.

أ.د حسن الساعاتي من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز وهي دراسة ميدانية لتطبيق التشريع الجنائي وأثره في مكافحة الجريمة بالمملكة ص ٦.

لأحكام الشريعة ــ السطو والقتل والنهب مصدراً رئيسياً للرزق، ولعل مرد ذلك ــ كما أشرنا سابقاً ــ هو تفشي الجهل بينهم والفهم الخاطىء لأحكام الدين وتمسكهم المتعصب بما ورثوه من قيم وأفكار وتقاليد لا تتفق ومبادىء الشرع الحنيف. هذا فضلاً عن فقرهم الشديد الذي كان يدفع الكثير منهم إلى الحصول على القوت بالعدوان.

ولم يكن عدوان البدو وتعديهم حدود الله قاصراً على الطرق الرئيسية التي تمر بها القوافل، بل تعداه إلى البقاع الزراعية والتي لم تكن تسلم من غاراتهم البدوية التي تسلبهم ثمار جهدهم ونتاج ماشيتهم، وفي بعض الأحيان كان المطر ينزل وتخضر الأرض، ولكن أهلها يتركون النبات يذوي ويجف وتذروه الرياح لأنهم يخافون على ماشيتهم من السطو.

أضف إلى هذه العوامل التي ساعدت على تفشي الجريمة أن بعض الولاة كان يفرض على التجار أموالاً باهظة لينفقوا منها على ملذاتهم، كما كان يحدث في مدن الحجاز الثلاث[١].

ويبين لنا تاريخ الجبرتي كيف كان الحج إلى بيت الله الحرام أشبه بغزوة من الغزوات يتجهز لها بالسلاح والعتاد، ويعتبر الحاج مفقوداً حتى يعود فيكون مولوداً من جديد.

وكيف أن سنوات متوالية كانت تنقضي بدون أن يحج الناس خوفاً على أنفسهم من الموت، ويا له من حج سعيد ذلك الذي لا يقتل منه إلا بنسبة خمسة في المائة أو أقل أو أكثر قليلاً، أما ما

---

(١) المرجع السابق ص ٧.

سمعناه من آبائنا وأجدادنا عما يلحق بالحجاج فصورة طبق الأصل عما يحدثنا عنه الجبرتي.

وكانت الحكومة المصرية تبعث مع الحجاج جيشاً كاملا العدد وذلك لتأمين الحجاج وضمان سلامتهم(١).

أما تطبيق الحدود فلا يخضع للنصوص الشرعية وإنما للعرف السائد في مختلف البقاع بما لا يحقق أمناً ولا استقراراً، وكان غالباً ما يهرب الجاني، ولا توجد السلطة التي تبحث عنه أو تكلف بالقبض عليه لإنفاذ العقوبات فيه أمما يؤدي إلى بدء سلسلة من الأخذ بالثأر.

ففي القريات وضواحيها كان أهل القتيل الذي يهرب قاتله يثأرون من أي قريب يشترك مع أبيه في النسب حتى الجد الخامس وفقاً للعرف الشائع بينهم والمسمى «الخماسية» وهذا العرف مشهور في مكة أيضاً.

أما المدينة المنورة فكان على القاتل أن يدفع الدية أو يجلى فيرحل دون رجعة.

وكان يحدث أحياناً ـ في مدن الحجاز وضواحيها ـ أن تصر عائلة القتيل على قتل شخص من عائلة القاتل، ولكنهم يقدمون للقتل شخصاً ضعيف العقل وبعد قتله تثار مشكلة عدم التكافؤ بين المقتولين وتبدأ دورة ثأرية لا تنتهي(٢) فلم يكفهم خروجهم عن الحدود التي

---

(١) الأحيدب، نقلاً عن حياة الملك عبد العزيز، ص ٢٠٥، وانظر تاريخ الجبرتي.

(٢) الأحيدب، نقلاً عن حياة الملك عبد العزيز، ص ٢٠٥.

شرعها الله، بل تعداه إلى ظلم أشخاص لا ذنب لهم، وكل ذلك نتيجة الخروج عن تعاليم الشريعة.

وفي جرائم السرقة: كان السارق في الأحساء يسجن ويعلم صنعة في السجن. وفي قرى وادي الدواسر كان القطع عقاب من يسرق لأول مرة، بينما كان القطع في جهة القسيم عقاب السارق العائد.

أما في بلدة بدر فكانت قبيلة السارق تدفع العوض عن المسروق، وقد تطلب من المجني عليه السماح في الشيء المسروق كله أو بعضه ويتم التصالح على ذلك.

أما في المدينة المنورة فكان السارق يبحث عن شخص قوي يحميه نظير أن يعطيه نصف ما سرق، وإذا لم يجده فإن أهله يستسمحون صاحب الحق في التنازل عنه كله أو بعضه والتصالح على ذلك.

أما جرائم هتك العرض والزنا فكانت شبه نادرة، وكان عقاب الجاني يتدرج من مجرد دفع تعويض من الإبل، أو الإبل والبنادق أو الغنم إلى الجلد والسجن مدة قصيرة إلى الجلد والنفي المؤبد إلى القتل رمياً بالرصاص. وكان في الاكتفاء بعدد من رؤوس الغنم تجرى عملية «النقا» وهي نقر جبهة الجاني نقراً خفيفاً بحد السيف أو الخنجر بحيث تحدث جروحاً تترك آثاراً ظاهرة بعد اندمالها، وقد كان ذلك في بعض الجهات موضع فخار للجاني وآله[١].

---

(١) المرجع السابق، ص ٩.

وبذلك يتضح الفهم الخاطىء في تطبيق الحدود الشرعية في هذه المجالات، أو تعطيلها بالكلية في بعض الجهات والاستعاضة عنها بقوانين أخذت أساساً من العرف والتقليد.

ولما فتح الملك عبد العزيز مدينة الرياض وبدأ مسيرة التوحيد لأقاليم المملكة على هدى الشريعة الإسلامية العادلة شرع يطبق أحكام هذه الشريعة الغراء مع السعي ــ في الوقت نفسه ــ إلى إيجاد الجو المناسب للتطبيق حيث ساعد البدو على الاستيطان في الهجر وتوظيف طاقاتهم وإيجاد فرص عمل في مجالات الزراعة والرعي.

لقد بدأ عبد العزيز بأهم شيء وهو إصلاح الإنسان نفسه بنزع فتيل الفوضى من نفسه الشريرة.

فقضى على الجريمة وأسبابها ونشر الطمأنينة ووضع النواة الأولى لمجتمع إنساني جديد قاده بحركة إصلاح كبيرة وشاملة[١] ولا شك أن عملية التطبيق كانت أمراً في غاية الصعوبة تطلبت من الملك عبد العزيز في كل مرحلة من مراحل كفاحه ــ في توحيد المملكة ــ جهوداً كبيرة لتدعيم القوة والسلطان لتنفيذ هذه الأحكام، ومعلوم أن هذه الحدود لا تكتسب هيبتها ولا تبلغ الغاية المرجوة منها إلا إذا طبقت على جميع المخاطبين بأحكامها بغض النظر عن مراكزهم وأوضاعهم من حيث الجاه والسلطة والنفوذ أو من حيث

(١) مهندس/ سليمان علي الشايع: الملك عبد العزيز وأثره في التاريخ المعاصر، ص ٣٨.

الغنى والفقر أو غير ذلك من المعايير والمقاييس التي يتفاوت فيها البشر.

وأدرك الملك عبد العزيز هذه المعاني وامتلأ قلبه بخشية الله، وحرص على تطبيق أحكام الشريعة على الجميع فلم يعف أي شخص مهما كان مركزه أو ماله أو جاهه أو صفاته أو منزلته، ولم يسمح بتمييز شخص عن شخص أمام حدود الله.

فقد حدث في عهده أن ثلاثة أشخاص من أسر لها وزنها ومكانتها في البلاد اشتركوا في قتل صديق لهم عمداً، فأحيلوا إلى المحكمة الشرعية الكبرى فأصدرت حكمها بقتلهم قصاصاً لثبوت قتلهم المجني عليه بالوجه الشرعي، فتدخل أعيان البلاد لإنقاذ حياتهم والتمسوا من الملك تأجيل تنفيذ حكم الإعدام فيهم لمدة أسبوع واحد حتى يتسنى لهم بذل الجهود والتوسط لدى أولياء المقتول في سبيل الحصول على تنازلهم عن حقهم الشخصي مقابل أي مبلغ من المال يطلبونه، فما كان من ابن سعود ــ رحمه الله ــ إلا أن أمر بسرعة تنفيذ حكم الإعدام في القتلة الثلاثة، ونفذ فيهم الحكم ضرباً بالسيف وعلقوا في موضع بارز من واجهة مقر الأمن العام المواجه للحرم المكي الشريف لمدة ست ساعات[١]. يرحم الله الملك عبد العزيز فإنه لم يأبه بمكانة أهل الجناة ولا بمنزلة أعيان البلاد الذين توسطوا في تأجيل تنفيذ عقوبة القصاص في وقت كان

(١) عقيد/ محمد الميمان: القصاص في الإسلام وأثره في استتباب الأمن واستقراره في المملكة، ص ٣٣.

أحوج ما يكون إليهم فيه وكان كل ما قاله لهم: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾[1].

فلقد كان لتنفيذ حكم القصاص في القتلة المذكورين أثر كبير في استتباب الأمن بصورة أكثر فاعلية لأن المواطنين في الحجاز ــ في التاريخ المعاصر ــ لم يشاهدوا تنفيذ حكم إعدام ثلاثة أشخاص مقابل قتلهم شخصاً واحداً وبالسرعة التي انتهت فيها مراحل القضية.

ولقد كان النظر في قضايا الحدود والجنايات التي فيها قتل أو قطع في ذلك العهد مختص بالمحاكم الكبرى ــ في الرياض ومكة والمدينة ــ بحيث تنظر في قضايا جميع البلدان بدون استثناء وتقوم المحكمة بإصدار قرار في ذلك عند اجتماع جميع قضاتها وتؤخذ الأحكام بالأكثرية ومن أجل إنفاذ الأحكام الصادرة بالقطع والقتل لا بد من اقترانها بتصديق ولي الأمر، وبعد حكم القضاة وتصديق ولي الأمر على ذلك تعاد القضية إلى أمير البلد الذي حدثت فيه الجريمة الجنائية ويطبق الحد أو القصاص حينئذ بمعرفة السلطة التنفيذية[2].

ولم يكن الملك عبد العزيز يهدف من وراء الحزم في تطبيق الأحكام الشرعية سوى تطهير هذه النفوس التي ألفت العدوان نتيجة غياب سلطان الشرع فاستساغت القتل والسلب فلم تجد من يردعها.

قال رحمه الله:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩ (وانظر حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز/ رابح لطفي جمعة ص ٩١.

(٢) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، نشر مكتبة النصر الحديثة ــ الرياض ــ الطبعة الثانية ١٣٨٨ هجرية.

«إنني أريد تطوير نزعة العرب الفطرية إلى الحرب وعدم جعلها الأسلوب الوحيد أو الأقوى للسيطرة وتحقيق الأهداف حتى يشعروا بأنهم أعضاء في جماعة واحدة»[١].

وقد سلك الملك عبد العزيز مسلكاً اجتماعياً حينما جعل القبيلة كلها متكافئة في المسؤولية عن وقوع أي جريمة فيها أو في جوارها فإذا ظهر الجرم كان عليها إظهار المجرم، لأنه لا تحفظ الدماء والأموال والأعراض إلا بإقامة الحدود وقطع الأكف الأثيمة فينقطع دابر الفساد.

وكان تطبيق الشريعة وأحكامها أمراً ليس باليسير لأن هذا التطبيق يتم بوجود المتآمرين من العرب والأجانب المستعمرين الذين يعملون بجد في سبيل نصرة القوانين الوضعية وإحلالها محل الأحكام الشرعية.

كما واجه الملك عبد العزيز المطوعين من الاخوان والذين كانوا شديدي التعصب في تطبيق الأحكام الشرعية حيث كانوا يريدون تطبيقها بمجرد التهمة وكانوا يرتكبون من الجنايات ما أرهب الناس فاستبدل بهم الملك رجالاً من المعتدلين في التمسك بالدين.

وكان للملك عبد العزيز بصيرة نافذة في اختيار من يتعاونون معه كأمراء للأقاليم والمناطق التي يستولي عليها.

كما كان يختار للقضاء أفضل القضاة الذين عرفوا بالإيمان القوي وتقوى الله وقول كلمة الحق وتطبيق الشريعة بين عباده وكان

---

(١) عبد العليم هيكل: بناء الدولة السعودية، ص ١٢٥.

يساعده علماء كبار عرفوا بالاستقامة والعدل(١).

وقد حكم الشيخ سعد بن عتيق ضد الملك عبد العزيز في خصومة بينه وبين رجل على قطعة أرض(٢).

ولا يفوتنا ونحن في غمرة البحث أن نشيد برجال العمل والإخلاص والعدل الذين بذلوا الكثير من أجل تطبيق أحكام الشرع وتنفيذ حدود الله فأثمر ذلك راحة الشعب وأمنه وساد الأمن والاطمئنان في ربوع البلاد.

هذا وقد طبقت المملكة العربية السعودية بقيادة الملك عبد العزيز القصاص والدّية في جرائم القتل بحزم لم يعهده المواطنون في العهود السابقة، مما كان له أكبر الأثر في القضاء على ظاهرة الأخذ بالثأر واستقرار الأمن وانتشار السلام بين المواطنين.

وليس أدل على ذلك من الاحصاءات الآن والتي أثبتت أن ٩٣٪ من مرتكبي جرائم القتل والسرقة في المملكة من الجاليات الأجنبية.

حين ضم الملك عبد العزيز الحجاز إلى مكة وجد أنه قد ورث مشكلة إجرامية خطيرة، فخلال السنوات الأخيرة من حكم الهاشميين انتشرت مختلف أنواع الجرائم. وكان يوجد في المدن الكبيرة من تلك

---

(١) مهندس/ سليمان الشايع: الملك عبد العزيز وأثره في التاريخ المعاصر، ص ٣٦.

(٢) الأحيدب: من حياة الملك عبد العزيز، بكى الملك عبد العزيز عندما سمع الحكم وقال: «الحمد لله الذي جعل عندنا من القضاة من لم تأخذه في الحق لومة لائم. نحن بخير ما دام هؤلاء العلماء موجودين» رحمهم الله جميعاً، ص ٢٥٠.

البلاد جرائم من السرقة والزنا واللواط والاغتصاب والقتل. وكان بعض البدو الذين لا رادع لهم يقطعون الطرق وينهبون الأبرياء خاصة الحجاج الذين كانوا يسيرون دون حماية.

وقد حدث أن اختطف خمسة أو ستة شبان في مكة المكرمة صبياً ليلوطوا به وأبقوه عندهم أياماً ثم قتلوه ودفنوه في سرداب وحين اكتشف أمرهم أعدموا أمام دار الحكومة.

وقد أبى الملك عبد العزيز أن يحتمل مثل هذه الأعمال في بلاد الإسلام المقدسة وصمم على تطبيق أوامر الشرع بحق مرتكبيها.

فحين قبض أمير المدينة المنورة ـ مشاري بن جلوي ـ على بدوي كان يقطع الطريق وينهب الحجاج ويقتلهم أقيم عليه حد الحرابة وتركت جثته على جانب الطريق ليكون عبرة للآخرين.

وهكذا استطاعت الحكومة أن تحافظ على النظام، بفضل السياسة الحكيمة التي نفذها الملك عبد العزيز رحمه الله[1] هذه السياسة التي تقوم على جعل الشريعة السمحة مرجعاً فصلاً في الأمور بحيث لم يعد للعصبية القبلية أدنى تأثير على سلوكية الفرد بعد أن أفقدها القرآن الكريم سلطتها على حماية الخارجين على حدود الشرع.

لقد تمكن ابن سعود من إقامة مثل هذا الأمن وتوطيده بأمرين: الأول نشر مبادىء الشرع الشريف، الثاني: تنفيذ أحكام الشرع تنفيذاً

---

(١) محمد المانع: توحيد المملكة، ص ٣٢٨.

لا يعرف التردد ولا التمييز ولا الرأفة ولا المحاباة[1].

ولعل في الطريقة التي تنفذ بها الحدود والقصاص في البلاد ما يؤدي إلى إحداث أكبر قدر من الزجر والعظة والاعتبار، فقد جرت العادة على أن تتم إقامة الحدود بعد صلاة الجمعة مباشرة وفي ساحة عامة أمام أكبر المساجد في البلد.

قال تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[2] ومهما يكن رأي البلاد الأجنبية في هذه العقوبات والتنفيذ العلني فإن أثرهما الوقائي المهيب أمر لا يعتريه شك في بلاد العرب.

ونتيجة تطبيق أحكام الشريعة تشير الدلائل إلى تناقص معدلات الجريمة بل وانعدامها في بعض الحدود، «فمنذ تولى الملك عبد العزيز حكم البلاد لم ينفذ حد الحرابة إلا نادراً، وبالنسبة لعقوبة الرجم فإن هذه العقوبة لم تنفذ في المملكة العربية السعودية سوى أربع مرات فقط خلال ما يزيد على ٣٥ سنة»[3].

«إلى جانب هذه الأحكام المنصوص عليها فقد ترتب على التطور الكبير الذي شهدته المملكة في عهد الملك عبد العزيز في كافة المجالات أن زادت علاقات الناس تشابكاً وتعقيداً، وظهرت صور من السلوك الضار بمصلحة المجتمع لم تكن معروفة من قبل أو كانت نادرة الوقوع، وكان من الضروري أن تتدخل الدولة لمجابهتها عملاً

---

(١) أمين الريحاني: ملوك العرب، ج ٢/ص ٧٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

(٣) رابح لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ١١٢.

بما تقرره الشريعة الغراء من حق ولي الأمر أو القاضي أن يحارب بعض الأفعال المخالفة للشرع ويفرض لها العقوبات المناسبة وطالما أنه لا يخرج على نصوص الشريعة ومبادئها العامة، ومثال هذه الجرائم الإثراء من الوظيفة وجر المغانم من الصفقات والأخطاء المسلكية وجرائم التموين والمرور وإحراز السلاح بدون ترخيص والامتناع عن أداء الزكاة»[١].

فنظرية العقوبة في الشريعة الإسلامية تجمع إذن بين حماية المجتمع من الإجرام وبين العناية بشخص المجرم وعلاجه، فقد تركت الشريعة للقاضي في جرائم التعزير الحرية في اختيار العقوبة الملائمة لظروف الجريمة وظروف مرتكبها، بحيث تترتب المصلحية للفرد والمجتمع في تلك العقوبة.

يبقى أن نشير إلى أن الفضل لله ثم للملك عبد العزيز في تحسين وتنظيم القديم والحديث من أنظمة الحكم في المملكة وأساليب الإدارة بحيث تكون الشريعة الإسلامية قانون المملكة ونظامها في مختلف أمورها الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية.

والمملكة العربية السعودية قائمة بتطبيق الشريعة والتمسك بأحكامها بفضل الله، ثم بفضل العلماء الذين كانوا يتولون مهام القضاء ومن ورائهم حرص الملك عبد العزيز على التطبيق في حزم

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٣/ ١١٤.

وحسم وما كان ينبغي أن يسبقها غيرها إلى هذا المجال وهي البلد التي شع منها نور الإسلام.

لقد نجحت المملكة نجاحاً منقطع النظير في القضاء على الإجرام وحفظ الأمن والنظام، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلاً في الحجاز قبل العهد السعودي بل كيف كان الحجاز مضرب الأمثال في كثرة الجرائم وشناعة الإجرام.

فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر في نهار أو ليل، وكانت الدولة ترسل مع رعاياها من الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم، وما كانت هذه القوات قادرة على ضمان الأمن وكبح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو الرعايا الحجازيين وخطفهم والتمثيل بهم.

فظل حماة الأمن في ذلك العهد السالف في الحجاز عاجزين عن حماية الناس حتى طبقت الشريعة الإسلامية فانقلبت الحال بين يوم وليلة وساد الأمن بلاد الحجاز وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين وانتهى عهد الخطف والنهب وقطع الطريق وأصبحت الجرائم القديمة أخباراً تروى فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها.

وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع الأخبار عن الإجرام أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام.

وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه والسيطرة عليه قوة عسكرية عظيمة أصبح الأمن محفوظاً بقليل من الشرطيين[1].

---

(١) عبد السميع إمام: أثر تطبيق الحدود في المجتمع/ من بحوث مؤتمر الفقه =

وهذا أكبر دليل على أن النظام الإسلامي في محاربة الجرائم يؤدي عملياً إلى قطع دابر الجريمة.

واعترف العالم بنجاح الشريعة الإسلامية في محاربة الجريمة وتخفيض نسبة ظهورها في المجتمع.

والحق الذي لا مرية فيه، أن الملك عبد العزيز أقام حكماً صالحاً في الجزيرة على أسس الشريعة الغراء، ونشر فيها العدل والأمن من بعد أن كانت مسرحاً للفوضى والسلب والنهب.

ولم تعرف جزيرة العرب في جميع أدوار تاريخها بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة عدلاً وأمناً مثل اليوم، إذ إن كل من فيها يعيش آمناً على نفسه مطمئناً على ماله يشهد لذلك كل مقيم على أرضها[(١)]، فكأنها ــ في أمنها ــ تحقق إلى حد كبير الأمن الذي مَنَّ الله به على الحرم الشريف في قوله تعالى: ﴿من دخله كان آمناً﴾[(٢)].

□□□

= الإسلامي المعقود بجامعة الإمام سنة ١٣٩٦ هـ، ص ٣١٠.

(١) الأحيدب: من حياة الملك عبد العزيز، ص ٢٠٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

المبحث الثاني

تأسيس العلم ونشره

في طريق الوصول بالدعوة إلى أن تكون مؤسسات قائمة عميقة الجذور في المجتمع ربط الملك عبد العزيز بين دعوة التوحيد بمعناها الديني وبين دعوة التوحيد السياسي للجزيرة العربية.

والدعوة إلى العلم ونشره تخدم الهدفين وتثبت أركانهما، ولن نستطيع تقييم هذه القاعدة إلا بتتبع الحالة العلمية لأهل الجزيرة ومبلغ الأمية التي كانت سائدة قبل عهد الملك عبد العزيز، ثم تتبع خطوات النهضة العلمية المباركة والتي تمت بخطى ثابتة تدل على عبقرية الرجل وإيمانه العميق حيث نجد معظم التجارب التعليمية التي طبقها في الجزيرة العربية كانت تأخذ الطابع الديني والاهتمام بعلوم الشريعة.

والمنهاج الأساس الذي سلكه الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ في بناء المجتمع الإسلامي السليم هو نشر العلم واعتماده وسيلة رئيسة للقضاء على الجهل والتخلف وواسطة للانفتاح على منجزات العصر الحديث والأخذ بأسباب التقدم والتطور.

«وكان يجمع في طبيعته روح الحرب وروح السلم، لا يقاتل

الناس ولا يعتدي عليهم وإنما يحارب الجهل ويقاتل الجمود ويكافح التأخر»[1].

وقد سبقت الإشارة في التمهيد إلى الحالة التعليمية في المملكة قبل توحيدها على يد الملك عبد العزيز لكنا نضيف أن المتتبع لتاريخ الدولة السعودية منذ نشأتها يلاحظ أنها دولة تعليمية لا يكاد ينفصل فيها جانب الجهاد لنشر الدعوة عن جانب التعليم ونشر العلم.

ويتفق معظم الباحثين على أن التعليم كان على نطاق ضيق. وكانت الأمية غالبة.

«فقد كان التعليم معدوماً عند قطاع كبير من سكان نجد ــ البادية ــ وكان نادراً بين فئات الحضر في هذه المنطقة»[2].

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قسوة المعيشة وندرة المعلمين المتفرغين، نظراً للظروف السياسية السائدة في ذلك الوقت.

ورغم ذلك كانت هناك محاولات لنشر العلم لا بأس بها ولكنها مقصورة على تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب.

وعلى الرغم من انخفاض نسبة التعليم، فإن البلاد عرفت عدداً من العلماء وخاصة في الرياض وبريدة وعنيزة وشقراء والمجمعة كما

---

(١) عمر أبو زلام: عبد العزيز آل سعود العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير، ص ٤٢.

(٢) عبد الله صالح العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١٦، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٣ هـ.

ظهرت مجموعة من الأدباء والشعراء[1].

«فلم تكن نجد التي تسلمها الملك عبد العزيز بعد فتح الرياض نجداً القديمة. التي اندثرت مدارسها ومجامعها وسادها من جديد التفرق والتفتت وتبددت مع الخلافات الداخلية نشوة الحركة التعليمية القديمة التي ارتبطت ببناء الدولة السعودية.

ولم يكن التعليم في هذه المرحلة إلا امتداداً ضعيفاً للحركة القديمة بفضل ما بقي من علماء في المدن المهمة»[2].

في الأحساء تأثرت المنطقة بالدعوة السلفية بالإضافة لتأثير النظام العثماني كما اجتمع في الأحساء تأثير الاحتكاكات والعلاقات التجارية مع الدول المجاورة.

«فانتشرت الكتاتيب كما قامت في المساجد حلقات الدرس وفتح العثمانيون ثلاث مدارس حكومية في الهفوف»[3].

ومع هذه التأثيرات فإن الإقليم أخرج عدداً من العلماء والأدباء والقضاة وكبار الدعاة الذين حافظوا على التراث السلفي وكان لهم دور واضح في نشر دعوتها التعليمية.

أما الحجاز فلمكانته الدينية واتصاله المستمر بالخارج عن طريق

---

(١) ظلت كتابات هؤلاء الشعراء مخطوطة لعدم توافر الطباعة الحديثة التي لم تدخل نجداً إلا في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، وضاع الكثير منها.

(٢) د. بدر الدين، أبو راس: الملك عبد العزيز والتعليم، ص ٦٦، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، العبيكان للطباعة والنشر.

(٣) محمد بن عبد الله آل عبد القادر: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد قسم (٢)، ص ٤١.

الحج، فقد عرف قدراً كبيراً من نشاط الجاليات في مجال التعليم عن طريق التدريس والمساندة الاقتصادية والتبرع بالأوقاف والهدايا مما زاد من عدد المدارس الأهلية.

كما أن الحكم العثماني والحكم الهاشمي قد أثرا في المجتمع بظهور أشكال تعليمية منقولة من النظم التعليمية العثمانية أحسن الملك عبد العزيز الاستفادة منها وتطويرها بعد أن طوعت للحركة السلفية وأشربت بخصائصها.

هذا وكان التعليم في الحجاز يتشكل من ثلاثة عناصر رئيسية هي:

١ ــ التعليم في الحرمين الشريفين.

٢ ــ المدارس الحكومية.

٣ ــ النشاط الأهلي المتمثل في الكتاتيب والمدارس الأهلية والخيرية.

«كان آخر نظام للتدريس في الحرم المكي وضع في العهد العثماني وصدر في سنة ١٣٣٢ هـ وكان هدفه مواجهة ما أصاب التدريس في الحرم من ضعف واضطراب ومواجهة ما أصاب علماء مكة المدرسين من شظف في العيش، وكانت حلقات التدريس في الحرم المكي حينذاك مائة وعشرين حلقة وعدد المدرسين سبعمائة مدرس.

أما المسجد النبوي الشريف فكان فيه ثمانية عشر مدرساً عينوا لتدريس المذاهب»[1].

ومما لاشك فيه أن كثيراً من علماء الحرمين كانوا من كبار رجال العلم والدين وقد أثروا بعلمهم في طلبة الحجاز وبقية أنحاء العالم.

كان علماء الحرمين يشكون قبل الملك عبد العزيز من سوء الأحوال المالية حيث بلغ غلاء الأقوات وغيرها مبلغاً عظيماً، وقلت الصدقات والإحسان إليهم بل اضمحلت فكاد أن يذهب العلم وطالبوه.

وإلى جانب الضيق المادي كان العلماء يواجهون قدراً من الاضطهاد والعنت من ولاة الأمور خاصة في العصر الهاشمي كما حدث للشيخ أبي بكر خوقير[2]، الذي دعا إلى محاربة البدع والخرافات فضيقوا عليه وسجنوه مع المجرمين في غرفة واحدة سنة ١٣٣٩ هـ دون تحقيق أو حكم وظل في سجنه إلى أن دخل الملك عبد العزيز رحمه الله مكة المكرمة فأفرج عنه مع كثير من المسجونين المظلومين»[3].

---

(١) الديب وأبو راس: الملك عبد العزيز والتعليم، ص ٨٩ وانظر عبد الرحمن صالح عبد الله: التعليم في مكة والمدينة، ص ١٤ ــ ١٨.

(٢) ولد بمكة سنة ١٢٨٤ هـ وتوفي بها سنة ١٣٤٩ هـ. انظر سير وتراجم ص ٢٢.

(٣) محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١٠٣، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض ١٩٧٣ م، الدريب وأبو راس: الملك عبد العزيز والتعليم، ص ٩٠ ــ ٩٢ بتصرف.

أما عن التعليم الأهلي في الحجاز والمتمثل في الكتاتيب، فإنها وإن كانت أكثر عدداً من بقية أقاليم المملكة لكنها كانت مشابهة لها في نظامها وأهدافها التعليمية.

«والمدارس الأهلية قد أوجدتها الجاليات الأجنبية مثل الجالية الهندية والأندونيسية أو بعض علماء الحجاز»[1].

أما التعليم في عسير فاعتمد أساساً على النشاط الأهلي حيث اعتاد الكثير من أهالي عسير إرسال أبنائهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لطلب العلم أو للدراسة في المساجد «غير أن الحكم التركي والذي جعل من عسير متصرفية تابعة لولاية اليمن لم يهتم اهتماماً كبيراً بنشر العلم، وإن أسس بعض المدارس في المدن الكبيرة.

فهناك مدارس أولية للتعليم الابتدائي كانت تهدف في منهجها إلى تتريك العسيرين إذ كانت اللغة التركية هي اللسان الناطق الرسمي لهذه المدرسة[2].

وهكذا نرى أن المدارس التي كانت موجودة قبل توحيد الملك عبد العزيز للبلاد السعودية كانت لها إسهامات ــ على قدر إمكاناتها ــ في مجال نشر العلم بما يخدم سياسة الدولة المسيطرة على كل إقليم.

ورغم ذلك فإن هذه المدارس قد استوعبها نظام التعليم الجديد

---

(١) من هؤلاء العلماء محمد علي زينل مؤسس مدرسة الفلاح، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح مؤسس دار الحديث بمكة. (المرجع السابق ص ٩٣).

(٢) المرجع السابق، ص ٨٣.

الذي أرسى قواعده الملك عبد العزيز حيث شرع يطورها بما يتفق والسياسات التعليمية الشرعية.

وهذه بعض ملامح السياسة التعليمية الجديدة التي بدأ مسيرتها الملك عبد العزيز: ـ

١ ـ الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

٢ ـ التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وإن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.

٣ ـ طلب العلم فرض على كل مسلم، ونشره وتيسيره في مختلف المراحل واجب على الدولة بقدر وسعها وإمكاناتها.

٤ ـ العلوم الدينية أساسية في جميع مراحل التعليم والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي[1].

٥ ـ الحياة الدنيا مرحلة انتاج وعمل يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

٦ ـ الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس، والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها.

---

(١) تعتبر كلية الشريعة بمكة المنارة الأولى للتعليم العالي بالمملكة وأنشئت سنة ١٣٦٨ هـ.

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1].

٧ ــ شخصية المملكة العربية السعودية متميزة بما خصها الله به من حراسة مقدسات الإسلام وحفاظها على مهبط الوحي واتخاذها الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ودستور حياة واستشعار مسؤوليتها العظيمة في قيادة البشرية وهدايتها إلى الخير.

٨ ــ الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد وذلك هداية للعالمين وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور وارتفاعاً بالبشر في مجال العقيدة إلى مستوى الفكر الإسلامي»[2].

وبناء على هذه السياسة أخذ الملك عبد العزيز ينظم الجهود ويوحد الصفوف لنشر العلم باعتباره ضرورة أساسية من ضرورات التقدم والبناء، كما أنه ضرورة من ضرورات الحياة وأول واجبات الدعاة أن يعلموا الناس أحكام الإسلام، ويعرفوهم حدود الله. وأن ينشروا مفاهيم الإسلام بين طبقات الأمة، فكل مسلم يعلم مسألة شرعية فلا يجوز له كتمانها ولا سيما عند شيوع الجهل وظهور البدع.

وللملك عبد العزيز فضل كبير في العمل على نشر العلم والاكثار من المدارس ومكافحة الجهالة بكل الوسائل الممكنة، فمنذ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٢) د. التركي: الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية ــ المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٩٩ ــ ١٠٠ من مطبوعات المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤٠٦ هـ.

أن فتح الرياض وهو يولي العلم اهتماماً زائداً ويحرص دائماً على توجيه أبنائه إلى العلم النافع.

يقول رحمه الله:

«قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه والبركة في العمل».

ويحث أبناء شعبه على العمل بالعلم فيقول: «أبنائي: إن من كان منكم من بيت رفيع فليحرص على ألا يكون سبباً في خفضه، ومن كان منكم من بيت آخر فليبن لنفسه مجداً فقد مَنَّ الله عليكم وأرشدكم إلى طرق الخير فاعلموا فلعلمكم منتظرون»[1].

فالمتتبع لسيرة الملك عبد العزيز يدرك أنه لم يقم بتوحيد المملكة وبناء صرحها على أساس الشريعة الغراء فحسب، بل إنه سعى في تخليصها من التخلف وجاهد في سبيل القضاء على كل ما من شأنه عرقلة عملية النمو الحضاري للبلاد.

وكان اهتمامه بنشر العلم والمعرفة واحداً من تلك الإنجازات العظيمة حيث حقق اهتمامه بهذا الجانب الذي حظي بدعمه المادي والمعنوي نجاحاً إلى حد القضاء على الجهل والأمية بنسبة كبيرة لأن أي حضارة لأي أمة من الأمم لا تقوم إلا على العلم.

(١) من خطبة الملك نشرت بجريدة أم القرى بعددها (٣٤٢) الصادر في صفر سنة ١٣٥٠ هـ.

واهتمام الملك عبد العزيز بنشر العلم قد مر بمرحلتين:

الأولى:

منذ أن استرد مدينة الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩ هـ وتنتهي بضم الحجاز لدولته سنة ١٣٤٤ هـ.

وتركز اهتمامه في هذه المرحلة بتعليم البادية أمور دينهم عن طريق إنشاء الهجر وبناء المساجد فيها وإرسال الوعاظ والمرشدين إلى تلك المناطق للقيام بمهمة الإرشاد والتثقيف، وعقد حلقات الدرس في التوجيه بعد الصلاة.

ولا ننسى أن الكتاتيب كانت منتشرة في تلك المدن والقرى حيث تقوم بتعليم الصغار القرآن الكريم والقراءة والكتابة، وكان بعضهم يتخذ من زوايا المساجد أماكن للتدريس وهكذا كان المسجد مكاناً للعبادة وداراً للعلم ومنطلقاً للدعوة كما كان على عهد رسول الله ﷺ.

أما البادية فقد عمد الملك عبد العزيز إلى سكان الهجر فأشاع في نفوسهم طمأنينة الاستقرار والأمن، وأزال عنهم ظلمات الأمية بنور العلم الشرعي الذي أضاءه الوعاظ (المطاوعة) وبث روح الخلق الإسلامي.

وبناء عليه يمكن اعتبار إنشاء الهجر أول محاولة للتعليم قام بها الملك عبد العزيز في هذا المجال. وكان يأمل رحمه الله أن يقدم للتعليم في هذه المرحلة الشيء الكثير لولا انشغاله بتوحيد المملكة وقلة الموارد المالية التي لم تمكنه من تحقيق كل تلك الآمال.

وكان نظام الهجر نظاماً دينياً تربوياً عقائدياً، واختصت الهجر باستيطان الإخوان من البدو فقط. ولتربية النفوس وتهذيبها دينياً كانت الهجرة تبنى بعد ما يشاد المسجد الذي يكون مركز القوم لتأدية الصلاة عماد الدين. ومركز الشورى فيما يعترضهم من أمور ومركز الإرشاد والتوعية لمحاربة الجهل.

وقد وضع منهاجاً تعليمياً لبث روح العلم والتبصر بأمور الحياة والفروض الدينية. وعين الوعاظ والمرشدين (المطاوعة) ليكونوا معلمين ومفقهين، فكانوا نواة التعليم الأولى في نجد والمرجع الرسمي لهم فيما انغلق عليهم من شؤون وأحوال[1].

الثانية:

وتبدأ بعد ضم الحجاز إلى نجد فقد تعلم الملك عبد العزيز من تجربة الهجر أن التهاون في تعليم الأبناء يترتب عليه صعوبة مهمة محو أمية الكبار.

وبدأ الملك عبد العزيز هذه المرحلة بإنشاء مديرية المعارف في مكة سنة ١٣٤٤ هـ وبدأت مهمتها مع إدخال المناهج الشرعية والعلمية في مراحل التعليم.

وبإنشاء هذه المديرية انتهى نظام التعليم غير المنظم وحل محله تعليم حكومي منظم وموجه لخدمة سياسة الدولة وجعله الملك

---

(١) عمر أبو زلام: الملك عبد العزيز العبقرية في التحرير والتوحيد، ص ٣٨٨ ـ ٣٩١.

عبد العزيز تعليماً مجانياً بل وأمر بصرف رواتب للطلبة تشجيعاً لهم[1].

ثم تحولت المديرية مع اتساع النشاط التعليمي إلى وزارة سنة ١٣٧٣ هـ وبين إنشاء المديرية وتحويلها إلى وزارة شهدت المملكة ميلاد صروح تعليمية كثيرة بدأها بتنظيم التدريس بالحرمين وتحسين حالة العلماء العاملين بهما ثم تلاها بالإنجازات الآتية:

١ ــ المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ.

٢ ــ مدرسة تحضير البعثات بالعاصمة سنة ١٣٥٥ هـ.

٣ ــ مدرسة الأمراء سنة ١٣٥٤ هـ بالرياض.

٤ ــ دار التوحيد بالطائف سنة ١٣٦٤ هـ.

٥ ــ كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٦٩ هـ.

٦ ــ معهد الرياض العلمي سنة ١٣٧٠ هـ الذي كان نواة للمعاهد العلمية المنتشرة في المملكة.

٧ ــ كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٣ هـ.

وكل هذه الإنجازات الناجحة كانت نواة لنهضة التعليم بعد ذلك وسوف نقوم بتفصيل إجراءات إنشاء وتطوير هذه المدارس عند الكلام على المدارس الحديثة كوسيلة من وسائل الدعوة إن شاء الله.

فعندما دخل الملك عبد العزيز مكة سنة ١٣٤٣ هـ أخذ يواصل

---

(١) راجع في ذلك. د. عبد اللطيف بن دهيش. التعليم الحكومي المنظم ص ٢٦/ ٢٧.

دعوته ويقوم بتجربة جديدة يواجه بها رواسب الماضي الذي أراد أن يخلّص منه أمته ليعيد إليها دينها في ثوبه النقي الخالص من الشوائب وكان الملك عبد العزيز يتعرف إلى العلماء الذين يعدهم للتعاون معه والعمل في مشروعاته كما أن معظم المشروعات التي نفذها كان الحيز الأكبر فيها للجانب التعليمي باعتباره يريد إحداث تغيير في النفوس والمجتمع.

وعندما أنشىء مجلس الشورى كان من اختصاصاته تعميم التعليم الديني في البلاد المطهرة والسعي في تعميم القراءة والكتابة[1].

وكان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يؤكد على العلماء الاهتمام بالتعلم وكان يدعم هذا المرفق مادياً ومعنوياً، فأمر بتوفير الكتب الدينية وطباعتها على حسابه الخاص «فاتجه الملك عبد العزيز إلى طبع النفائس من كتب التراث ومن كتب العلم المهمة أو ما يتصل بالدعوة أو الكتب الأدبية أو الشعرية التي كان يرى تشجيع أصحابها بنشرها على حسابه. وقد ينبثق بعض هذا التوجيه عن نصائح العلماء أو مستشاريه، وكان معروفاً أن جلساء الملك عبد العزيز من صفوة الرجال علماً وأدباً ورجاحة عقل»[2].

ولم يكن الملك عبد العزيز يطبع الكتب على نفقته فحسب، بل

---

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١٠١، مكتبة النصر الحديثة.

(٢) عبد العزيز أحمد الرفاعي: عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب، ص ٩ ـ ١٠، من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز بجامعة الإمام بن سعود ٢٢/٣/١٤٠٦ هـ.

كان يأمر بشراء كميات كبيرة بقصد التوزيع على طلبة العلم أو تشجيع المؤلفين، ولم يقتصر جهد الملك عبد العزيز على ذلك بل أمر بمنح المكافآت لطلاب العلم، مما كان له أثر كبير حيث أقبل الطلاب بعزيمة واجتهاد على طلب العلم لينهلوا من منابع المعرفة، مما أوجد طبقة من المثقفين تسلحت بسلاح العلم والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

كل هذه الجهود للملك عبد العزيز كانت تحدث في ظل ظروف صعبة من توحيد البلاد والعمل على نشر الأمن.

لقد كان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يرغب في أن يسير بالتعليم خطوات أبعد إلى الأمام وبطريقة منظمة لكن انشغاله في تلك المرحلة بأمور كثيرة منها سعيه المستمر لتوحيد أجزاء الدولة وبناء صرح الوحدة السياسية للمملكة، واهتمامه بنشر الأمن والعدل في كافة المناطق الخاضعة له والعمل على تنمية الموارد الاقتصادية لهذا الكيان الكبير[١].

وكان الملك عبد العزيز مع اعتزازه بتراث العروبة وحفاظه على مبادئها الروحية وتقاليدها الأخلاقية وتمسكه بتعاليم الإسلام، متفتحاً على روح العصر متطلعاً إلى المدنية يريد أن يأخذ منها ما يفيد، ويقتبس كل ما ينهض بدولته ويرقى بأمته عازفاً عن القشور حريصاً على اللباب[٢].

---

(١) عبد اللطيف بن عبد الله الدهيش: التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٦، مكتبة الطالب الجامعي ط (١) مكة سنة ١٩٨٧ م.

(٢) قدري قلعجي: موعد مع الشجاعة، ص ٢٢٩، دار الكتاب العربي.

وكان رحمه الله يرى أنه:

«إذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في سائر العلوم المادية فإنهم لا يأتون ببدعة، بل يعتبرون محيين لعهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن وقدموا للإنسان خدمات لا تنكر»[١].

لقد كانت حركة التعليم في عهده رحمه الله تسير على الأسس والأهداف الإسلامية النبيلة، وأهمها اهتمامه بالعلوم الشرعية والعقيدة الإسلامية واللغة العربية كأساس لبناء الفرد المسلم على أسس إسلامية وبلغة عربية صحيحة لأنها رواية وثيقة تقود صاحبها إلى خير الدارين وتأتي العلوم الأخرى بالدرجة الثانية من الاهتمام، وكل هذه الجهود في مجال نشر العلم قدمتها الدولة بتوجيه من الملك عبد العزيز بل ــ كما أشرنا سابقاً ــ كانت الكتب والأدوات الكتابية تقدم بدون مقابل وكذلك تخصيص المكافآت لتشجيع الطلاب على حل مشاكلهم في حالة تغريبهم عن مدنهم وقراهم، ولا نكون مبالغين إذ قلنا إن الملك عبد العزيز وضع كل إمكانات الدولة وبذل كل غال ورخيص في سبيل نشر العلم ومحو الأمية والقضاء على الجهل والتخلف، وتثقيف الشعب بعد أن كان الجهل سائداً في عموم البلاد.

فلقد كان الملك عبد العزيز يرسل المعلمين والدعاة إلى مختلف مناطق المملكة خاصة التي يرى أنها في حاجة إلى معلمين ولقد استفاد المواطنون من ذلك حيث تعلموا ما يفيدهم في أمور دينهم

---

(١) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٢٣.

ودنياهم، وسوف أورد مثالين أحدهما من جنوب المملكة والآخر من شمالها.

ففي الجنوب شجع الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله القرعاوي على الذهاب إلى منطقة جيزان وما حولها فذهب إليها وأفاد أهلها كثيراً حيث بلغ عدد المدارس التي أنشأها ٢٨٠٠ مدرسة[١] وعدد الطلاب نحو خمسة وسبعين ألف منهم خمس عشرة ألف تلميذة[٢].

وسوف أتكلم عنه إن شاء الله بشيء من التفصيل في الباب الثالث[٣].

ومن أمثلة المعلمين والدعاة الذين أرسلتهم الدولة إلى الشمال ما حدثني به الشيخ عبد الله بن سفر المغيري أن الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ أرسله إلى منطقة العلا والقبائل التي حولها في عام ١٣٦٣ هجرية فكان يتنقل بين قبائل تلك الجهة ويعلمهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم في العقيدة والفقه خاصة أحكام العبادات من الصلاة والطهارة وغيرها ويركز على تعليمهم سور من القرآن الكريم ومكث عندهم إلى عام ١٣٧١ هجرية حيث انتقل معلماً في مدرسة مزعل بالقويعية[٤].

وبإيجاز شديد، فإن كل تاريخ للتعليم الحديث في المملكة يجب أن يبدأ من ذكر حقيقة أكيدة هي أن الملك عبد العزيز هو الذي

---

(١) الفيفي/ السمط الحاوي ص ٧٩.

(٢) العمر/ الشيخ عبد الله القرعاوي وأثره في الدعوة/ ص ٩٥.

(٣) انظر ص ٧٨٧ من هذا البحث.

(٤) مشافهة مع الشيخ عبد الله بن سفر في يوم ٢٥/ ١/ ١٤١٦ هـ.

أنار الشعلة الأولى للمعرفة في شبه الجزيرة العربية عندما أسس المملكة العربية السعودية[1].

* * *

(١) أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، ص ٧٨٠، المطابع الأهلية للأوفست بيروت، لبنان ط (٣) سنة ١٣٩١ هـ.

وكان التعليم في المملكة قائماً على أربعة أسس، هي:

الأول: المدارس النظامية في المدن والقرى الكبيرة.

والثاني: المطاوعة والمرشدون، في (الهجر) والقبائل.

والثالث: البعثات إلى الخارج.

والرابع: التعليم الأهلي.

المدارس النظامية:

فأما (المدارس النظامية) فهي: قروية، وابتدائية، وثانوية. وفيما يلي عدد ما كان منها، في أوائل سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م):

ثانوية	ابتدائية	قروية	البلدة أو المقاطعة
٣	٨	٥	في مكة
١	٢	٣	في جدة
٢	٥	٦	في المدينة
١	١٢	٥	في الأحساء
١	٠	٠	في عنيزة
٢	٣	٤	في الطائف
٠	٨	٩	في شمال الحجاز
٠	٤١	٠	في نجد
٠	٢	٨	في تهامة الجبال
٠	٤	٦	في عسير
٠	٢	٣	في تهامة الساحل
١٠	٨٧	٤٩	المجموع

المدرسون في المدارس الثانوية	في الابتدائية	في القروية	
٤١	١٠٠	٥	في مكة
٤	١٦	٤	في جدة
١٢	٣٥	١٣	في المدينة
٤	٣٠	٤	في الطائف
٢	٠	٠	في عنيزة
٤	٤٦	١٠	في الأحساء
٠	٤١	٨	في شمال الحجاز
٠	١٤	١٤	في تهامة الساحل
٠	١٨٠	٠	في نجد
٠	١٣	٦	في تهامة الجبال
٠	٢٣	٥	في عسير
٦٧	٤٩٨	٦٩	المجموع

الطلاب

في الثانوية	في الابتدائية	في القروية	
٣٦٤	٢٤٢٢	١١٢	في مكة
١٠٠	٦١٧	٣١٠	في المدينة
٢٧	٧٦٨	٨٦	في الطائف
١٥	٣٧٣	٨٨	في جدة
٣٢	١٢٤٦	٢٧٦	في الأحساء
٤٤	٠	٠	في عنيزة
٠	١٣٩٦	١٧٥	في شمال الحجاز
٠	٤٩٩٤		في نجد
٠	٦٢٨	٧٣٠	في تهامة الجبال
٠	٥٦٢	١٤٥	في عسير
٠	٢٥٦	٢٦٣	في تهامة الساحل
٥٨٢	١٣٢٦٢	٢١٨٥	المجموع

إجمالي ما تقدم سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م)

عدد المدارس	المدرسون	الطلاب
١٤٦	٦٣٤	١٦٠٢٩

ونما العدد الإجمالي سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)، نمواً بطيئاً، فبلغ:

عدد المدارس	المدرسون	الطلاب
١٩٦	٩٤٣	٢٣٨٣٥

وكان في سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، آخر أيام الملك عبد العزيز:

٣٢٦ مدرسة، ١٦٥٢ مدرساً، ٤٣٧٣٤ طالباً.

عقبــة:

أول عقبة واجهتها مديرية المعارف العامة، في بدء تكونها في الحجاز، أيام الملك عبد العزيز، خلو المدارس الابتدائية والأولية، كلها أو معظمها، من المعلمين (المتعلمين) فعالجت ذلك سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) بإنشاء مدرسة سمتها (المعهد العلمي السعودي) مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات. مهمتها إعداد المدرسين للابتدائي والأولي. وملأ خريجو هذا المعهد بعض الفراغ.

المطاوعــة:

وأما (المطاوعة) فهم في الهجر والقبائل، يختارون على الغالب من متعلمي الهجر والمدن القريبة من القبائل. وأول ما عليهم أن يعلموه: القرآن الكريم، وأركان الإسلام، والعبادات، ومبادىء من المعاملات، والقراءة والكتابة، ثم بعض (المعلومات) العامة التي يسترشد بها الطالب في دينه ودنياه، أو على الأقل تخرجه من الأمية المطلقة.

ولا يقتصر عمل المطوع أو المرشد، في القبيلة، على (التعليم) بل ربما كان هذا أقل ما يقوم به. فهو واعظ القبيلة وخطيب مسجدها وإمامها في صلواتها وكاتب رسائلها والمصلح بين المختلفين من أعضاء أسرها، والمتولي لعقود الزواج فيها. وقد يكون مرجعها الديني في كل شيء، كما سلف القول فيه. وله في غير الأمور الدينية والتعليم، رأي مسموع في شؤونها العامة والخاصة.

ولم يتيسر لي الحصول على (إحصاء) لعدد المطاوعة في صحاري المملكة وعدد من يتلقى (العلم) عنهم. وفي حسباني أن

عدد الفريقين كبير، على خلاف ما رأينا في المدن حيث يتولى القضاة أعمالاً أوسع من أعمال المطاوعة، وحيث تقف النفقات (الرسمية) عند حدود معينة لا يستطيع القائمون على (إدارة المعارف) تجاوزها.
وقد عرفنا من بيان الدوائر المرتبطة برئاسة القضاة ــ في بحث سابق ــ أن في جملتها (المرشدين) وعددهم يزيد على ٦٠٠ وهم قسم من (المطاوعة) الذين تجري عليهم الأعطيات وتوزع عليهم الكساوي من الخاصة الملكية في الرياض، ولا ارتباط لهم بتشكيلات الحكومة الرسمية.

البعثـــات:

وإلى جانب إنشاء (المعهد العلمي السعودي) في مكة، سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) كان إرسال أول بعثة من خريجي المدارس، في أوائل العام الهجري نفسه. وبدأ العاملون في العهد الجديد، يدركون قيمة تعليم أبنائهم في الخارج، وكان إرسال (البعثات) الذي تعاقب بعد ذلك، أنجح عمل للمعارف في المملكة. ويمكن اعتباره (حجر الأساس) في بناء الدولة العلمي الحديث.

كانت هذه البعثة مؤلفة من أربعة عشر طالباً، أكملوا دراستهم (الثانوية) في مكة وغيرها وأرسلوا إلى مصر في هذا العام (١٣٤٦ هـ) ولم يلبثوا بعد تخرجهم أن عادوا إلى بلادهم ما بين عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) و ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) يحملون (شهاداتهم) من المعاهد والكليات الآتية:

٥ من كلية دار العلوم.

٢ من تخصص القضاء الشرعي.

٢ من كلية الحقوق.

١ من كلية الطب.

١ من مدرسة المعلمين الأولية.

١ من مدرسة التجارة المتوسطة.

١ من كلية اللغة العربية.

١ من مدرسة تحسين الخطوط[١].

١٤

التعليـم الأهلـي:

وللتعليم (الأهلي) في المملكة فضل كبير في نهضتها الحديثة. فإن القائمين بالأعمال الحكومية، في الدولة، كان معظمهم من خريجي المدارس الأهلية التي أنشئت قبل عهد الملك عبد العزيز وفي عهده.

وليس بين يدي إحصاء حديث لهذه المدارس في المملكة. فلنرجع إلى ما جاء في كتاب (البلاد العربية السعودية) الصادر سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) وفيه ذكر المدارس الأهلية في الحجاز فقط، وهي الآتية أسماؤها:

١ ــ مدرستا (الفلاح) بمكة وجدة.

٢ ــ الفخرية.

---

(١) الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٦٣٧.

٣ ــ الصولتية.

٤ ــ الفائزين.

٥ ــ الماحي.

٦ ــ الترقي العلمية.

٧ ــ مدرسة العلوم الدينية الجاوية.

٨ ــ مدرسة أندونيسيا.

٩ ــ مدرسة دار الحديث.

وكل هذه المدارس في مكة[١] وكذلك نحو عشرين كتاباً،

١٠ ــ مدرسة العلوم الشرعية.

١١ ــ الأيتام.

١٢ ــ النجاح.

١٣ ــ التربية والتعليم.

١٤ ــ الخيرية.

١٥ ــ دار الحديث.

١٦ ــ التهذيب والتعليم.

١٧ ــ القراآت والتجويد.

وهذه كلها في المدينة المنورة. وكذلك ثمانية كتاتيب.

---

(١) وفي جريدة البلاد السعودية ــ ٢٠/١/١٣٧١ هـ ــ ذكر لمدرسة عاشرة في مكة أيضاً هي (المدرسة الرحمانية) أنشئت عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) م).

وكتب الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفضل[1] أن مدرسة (الفلاح) بجدة حلت محل مدرسة كانت تدعى (النجاح) أسست سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) وكان منهاج التدريس فيها، على طريقة (السؤال والجواب)، وكانت نفقاتها من تبرعات طلابها وأهل الخير. ثم ساعدتها الحكومة (العثمانية) وجعل التدريس فيها بالتركية. وتضعضع أمرها، فأغلقت سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) وقام محمد علي زينل[2] بتأسيس مدرسة (الفلاح) فحلت محل (النجاح).

وكان عدد الطلاب في هذه المجموعة من المدارس الأهلية سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ٥٢٧٧ طالباً. منهم في مدرستي الفلاح بمكة وجدة ١٣٠٦، تلاميذ، وفي الصولتية ٥٧٥، وفي الجاوية ٥٠٠، وفي الفخرية ٣٧١، وفي العلوم الشرعية ٣٩٤، ثم في بقية المدارس والكتاتيب ٢١٣١ تلميذاً. وغني عن الذكر أن العدد قد زاد كثيراً، بعد ذلك، تبعاً لتقدم الحركة الفكرية واليقظة العامة في البلاد.

بعثة داخلية:

وبعد فتح (المعهد السعودي) في مكة، أراد الملك عبد العزيز أن يكون نفعه شاملاً. فأمر باختيار خمسين شاباً من أهل نجد، لدخوله. وبعد قدومهم إلى مكة في ذي الحجة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) اقتصر على اثني عشر منهم، فهيأت لهم وسائل المطعم والمسكن

---

(١) في مجلة المنهل ٢٦ : ٣٦٥.

(٢) توفي سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)، وكان من كبار المحسنين في مثل هذا السبيل.

والملبس وغيرها. وألحقوا بالمعهد، حتى أكملوا دراستهم فيه، فكان من بينهم القاضي ومدير المدرسة والمدرس، كغيرهم من خريجي المعهد. وابتعث بعضهم إلى مصر، فأكملوا دراستهم فيها.

مدرسة لأبناء العشائر:

واستفدت من كتاب (بلاد ينبع) الصادر حديثاً[1] وهو ممتع في موضوعه، كسائر كتب مصنفه، أنه كان في ينبع سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) مدرستان نظاميتان، وثلاثة كتاتيب أهلية لتعليم مبادىء القراءة والكتابة، لم تسبق الإشارة إليها فيما تقدم: الأولى أنشئت في العهد التركي، واستمرت إلى العهد السعودي، فاتسعت. والثانية خص بها (أبناء البادية) وقد عرفت من خبرها، أن أحد العلماء ــ ولم يشأ أن يذكر اسمه ــ كان في ينبع سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ورأى كثرة البدو، في أطرافها، من جهينة وحرب وغيرهما. فكتب إلى الملك عبد العزيز، في أمر أبنائهم، فلم يلبث عبد العزيز أن أبرق إلى أمير ينبع، بما معناه: أقيموا مدرسة خاصة بأبناء العشائر، تتسع مؤقتاً لمئة طالب. وما انتهى عام ١٣٥٣ هـ، حتى كانت المدرسة، وفيها نحو مئة تلميذ من أبناء العشار القريبة من ينبع.

قلت: لم يكتف عبد العزيز، بالهجر، لتحضير البدو، فزاد (المدارس) وهذه أولاها، فيما أعلم، أو إحداها.

* * *

ورأيت في كتاب (ماذا في الحجاز) ــ لأحمد محمد جمال ــ

---

(١) من تأليف الأستاذ حمد الجاسر. ولم يذكر تاريخ طبعه ــ الصفحة ١٣٩.

نبذة عن بعض المدارس الأهلية، جاء فيها أن المدرسة الصولتية افتتحت عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) بمكة، وسنوات الدراسة فيها أربع تحضيرية، وأربع ثانوية واثنتان عاليتان؛ والمدرسة الفخرية، بمكة افتتحت سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م)[١].

□□□

(١) الزركلي ـ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ـ الصفحة ٦٤٣.

الفصل الثاني

الجهود الشخصية للملك عبد العزيز في الدعوة

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: تنقية العقيدة.

المبحث الثاني: اهتمام الملك عبد العزيز بالدعوة من خلال خطبه ومكاتباته.

المبحث الأول

تنقيـة العقيـدة

وفيه مطلبـان:

المطلب الأول: تقرير العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: نشر العقيدة.

المطلب الأول

تقرير العقيدة الصحيحة

أولاً: تقرير الرسل واتباعهم العقيدة الصحيحة:

لا شك أن توحيد الله وعبادته أساس كل خير ومنبع كل سعادة في الدنيا والآخرة، وهو الغاية العظمى من وجود الإنسان على هذه الأرض. قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1].

فهناك غاية معينة لوجود الجن والإنس تتمثل في وظيفة، من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة وباتت حياته فارغة من القصد.

هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود هي العبادة لله أو هي العبودية لله، وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الهدف.

وإن حقيقة العبادة تتمثل في أمرين:

الأول: استقرار معنى العبودية لله في النفس، فليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود فليس ثمة إلا رب واحد هو الله والكل له عبيد.

الثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير وكل حركة في

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الجوارح وكل حركة في الحياة التوجه بها خالصة إلى الله[1].

والتوحيد قضية الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[2].

«والعقيدة الإسلامية عقيدة ناصعة واضحة في هذه النقطة فالله يأمر عباده بالخير وينهاهم عن الشر»[3].

ولقد مَنّ الله على هذه البلاد بأن جعلها موطناً لدعوة التوحيد ومنطلقاً لهذه الدعوة حيث وضع فيها أول بيت لعبادة الله وحده لا شريك له.

﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾[4].

حيث نادى إبراهيم بالتوحيد ودعا إليه وأمر بتطهير البيت للطائفين والقائمين والركع السجود.

وعلى أرض الجزيرة العربية دعا هود ـ عليه السلام ـ إلى التوحيد ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[5].

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن/ المجلد ٦ ص ٣٣٨٧/ ط. دار الشروق، وانظر: كتاب العبودية لابن تيمية.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٦.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن/ المجلد ٣ ص ١٤٠٤/ دار الشروق.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

ودعا صالح قومه إلى التوحيد: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره﴾[١].

ودعا محمد عليه الصلاة والسلام قومه إلى كلمة التوحيد: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب﴾[٢].

فتوحيد الله تعالى هو أول نداء نادى به كل رسول في قومه، وهو أول موضوع وأهم موضوع لكل كتاب أنزله الله (والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبر بها جميع الرسل «اعبدوا الله ما لكم من اله غيره» يوحد حكاية ما قالوه وذلك لتحقيق معنى وحدة العقيدة السماوية على مدار التاريخ).

«لقد جاءت الرسل بالتوحيد الخالص وبربوبية رب العالمين وبالحساب يوم الدين ولكن الانحرافات في خط الاعتقاد تمثلت في صور شتى من المعتقدات الجاهلية»[٣].

والرسل جاءت أيضاً بالأمر بتوجه العباد بعبادتهم إلى خالقهم جل وعلا، فالعقيدة هي الأصل وهي الأساس الذي تنبني عليه الشريعة وليس من الحكمة أن تعرض التشريعات الإسلامية على النفوس قبل أن تخلص هذه النفوس لله وتعلن عبوديتها له.

ويجب أن تكون الرغبة في التشريعات الإسلامية منبثقة عن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٦.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن/ ج ٣/ ١٤٠٤.

الرغبة في إخلاص العبودية لله والتحرر من سلطان سواه[1].

ثانياً: تقرير الملك عبد العزيز للعقيدة الصحيحة:

سلك الملك عبد العزيز منهجاً قويماً في ترسيخ العقيدة الصحيحة في البلاد مكّنه هذا المنهج من إحلال الأمن والاستقرار وتحقيق الرخاء في البلاد.

«**يقوم هذا المنهج على ثلاث دعائم:**

١ ـ توحيد الله تعالى وعبادته.

٢ ـ تطبيق الشريعة الإسلامية.

٣ ـ السعي إلى وحدة الأمة.

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[2]»[3].

امتداداً لجهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود قام الملك عبد العزيز بجهود عظيمة في تقرير العقيدة الصحيحة ونشرها والذب عن حياضها.

فمن تتبع الأسباب التي حملت الشيخ محمد بن عبد الوهاب على القيام بدعوته ثم تناول الكتب والرسائل التي كتبها الشيخ أو كتبها أولاده وأحفاده وتلاميذهم يلاحظ أن دعوته ركزت على ناحيتين:

---

(١) أحمد فايز: طريق الدعوة في ظلال القرآن الكريم ص ١٧٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٣) د. عبد الله التركي: الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٣٦/ ٤٣.

الأولى:

دعوة الناس إلى تجريد العبادة لله وحده؛ بحيث لا يعبد مخلوق مخلوقاً مثله من دون الله أو مع الله وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ بحيث لا يقدم قولاً أو رأياً على قول رسول الله ﷺ.

الثانية:

دعوة الناس وخصوصاً الحكام إلى تحكيم شريعة الله وحدها.

وهذا يعني أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت تحارب جاهليتين شركيتين خطيرتين:

الأولى: جاهلية عبادة المخلوق لمخلوق مثله بدعوى حب الصالحين أو التوسل بهم والذي يشبه قول المشركين:

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[1].

الثانية: جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله.

وبناء على هذه الأسس للدعوة السلفية، وفي إطار بيان مجهودات الملك عبد العزيز والعلماء في مجال تقرير العقيدة الصحيحة.

ينبغي إيضاح ثلاث نقاط هي:

(أ) تمسك الملك عبد العزيز بعقيدة التوحيد.

(ب) جهوده في تقرير العقيدة الصحيحة في المملكة باديها وحاضرها.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(ج) جهوده في الدعوة إلى هذه العقيدة الصافية عالمياً من خلال السياسة الدولية.

(أ) تمسك الملك عبد العزيز بعقيدة التوحيد..

كان الملك عبد العزيز يتمسك بعقيدة التوحيد ويبني على هذا الأساس كل قراراته وتصرفاته.

فالصفة الأكثر أهمية ووزناً وعمقاً في شخصية الملك عبد العزيز أنه رجل عقيدة قبل كل شيء ومؤدى ذلك أن الخصائص الأخرى تستمد من العقيدة قوتها وأثرها وظهورها[(١)].

فقد علم من سيرة الرسول ﷺ، ومن سيرة الخلفاء الراشدين والحكام والصالحين أن أصل الأصول في الدولة الإسلامية هو: عقيدة التوحيد.

وقد سبقت الإشارة إلى عبارته المشهورة لخالد بن لؤي حيث قال له: «كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله. إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن بها»[(٢)].

«والملك عبد العزيز رجل موحد خالص التوحيد في خاصة نفسه ملتزم منهج السلف الصالح في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يدعو غير الله ولا يشرع مالم يأذن به الله».

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة، ص ٢.

(٢) انظر ص ١٤٧ من البحث.

ومن الأدلة الواضحة على تمسكه بعقيدة التوحيد:

١ ــ محبته للتوحيد وإخلاصه له وإعلانه فاختار الشهادتين شعاراً لرايته وعلماً لمملكته وشارة لبلاده.

٢ ــ اعتباره التوحيد القاعدة الرئيسة في حياة المسلمين ــ راع ورعية إمام ومأمومين ــ وإذ يقيم الملك عبد العزيز قلبه على توحيد الله فإنه في اللحظة ذاتها يلزم من يلي أمرهم بتوحيد الله جل شأنه[١].

٣ ــ من فرط احساسه بمعاني التوحيد فإنه كان يقظاً لكل لفظ يجرح هذا التوحيد.

فالتوحيد أقام الملك عبد العزيز نفسه عليه عقيدة وسلوكاً.

«فقد كان في إحدى زياراته لبلدة الخرج في ١٧ من ذي الحجة سنة ١٣٦٣ هـ إذ دخل عليه شاعر من أهل نجد وفي يده قصيدة استأذنه في إلقائها وابتدأ بمطلعها:

أنت أملنا وفيك الرجاء...

فصاح الملك عبد العزيز قائلاً: تخسأ.. تخسأ، ولمح في المجلس أحد طلبة العلم، فقال علمه التوحيد»[٢].

فهو يدرك أن هذه الألفاظ من معاني توحيد الألوهية لا يجوز صرف شيء منها لغير الله. «والتقى يوماً بزعيم عربي وفي أثناء

---

(١) د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) د. سعود بن سعد الدريب: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٢٣.

الحديث أراد هذا الزعيم التوكيد على مسألة معينة فقال مخاطباً الملك عبد العزيز وحياة رأسك[1] فرمقه ابن سعود بنظرة موحدة وقال له: قل والله)[2].

ولما كانت عبادة الله وحده هي الغاية العظمى من وجود الإنسان اقتضت عناية الله بهذا الإنسان أن يهيىء لدعوة التوحيد رجالاً يحيون مفاهيمها وأصولها ومقاصدها في القلوب والأفهام والمسالك والحياة كلها، كل ما ران على القلوب رين من مفسدات التوحيد.

من هؤلاء الرجال الملك عبد العزيز رحمه الله الذي نقى فؤاده من أدران الشرك ودعا أمته إلى التوحيد الخالص.

قال رحمه الله: «أنا داعية أدعو إلى عقيدة السلف الصالح . . . وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما جاء عن الخلفاء الراشدين»[3].

ويقول رحمه الله:

«أما العبادة فلا تصرف إلا لله وحده لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا تخفى عليكم الآية الكريمة: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا

---

(١) والحلف لا يكون إلا بالله أو اسم من أسمائه أو صفة من صفات ذاته، أما الحلف بغير الله فيندرج تحت الشرك الأصغر. انظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٥.

(٢) د. عبد الله التركي: الملك والمملكة المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٣٧.

(٣) أم القرى، العدد ٤٣٤، سنة ١٣٥١ هـ.

ليعبدون﴾[1] بمعنى يعبدون يوحدون، فالتوحيد خاص بالله تعالى والعبادة لا تصرف إلا إليه والرجاء والخوف والأمل كله بالله ولله وما بعث محمد ولا أرسل الرسل ولا جاهد المجاهدون إلا لتوحيد الله تعالى»[2].

ويقول رحمه الله «إني أفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده، على أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وهي على حالتها من الكفر والضلال. اللهم إنك تعلم أني أحب من تحب وأبغض من تبغض.

إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب وإنما يهمنا القيام بحق واجب كلمة التوحيد»[3].

بهذا المفهوم الصادق لأصل التوحيد نظر الملك عبد العزيز إلى العالم حوله بنظرة بالغة العمق والسداد.

فالعلاقة في ذات الله تعالى وعلى توحيده، هي أنزه علاقة وأدوم علاقة. وفي ضوء ذلك لا يستغرب أن يكون الملك عبد العزيز قدوة في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل.

«كان الملك عبد العزيز داعية للتوحيد بقوله وفعله، وقد اقتدى به عدد كبير من دعاة التوحيد في العالم العربي والإسلامي ومما يدل

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) من خطبة للملك عبد العزيز في المأدبة الكبرى لضيوف الرحمن والمنشورة بجريدة أم القرى بعددها (٩٨٩) الصادر في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ هـ.

(٣) د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: منهج الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره في العلاقات السعودية المصرية، ص ٣٨.

على ذلك أن دعاة التوحيد في العالم الإسلامي كانوا يأتون ويجلسون إليه ويأخذون من أقواله ونصائحه ما يعزز نشاطهم ويحسن أساليبهم في الدعوة إلى التوحيد»[١].

ولم يقتصر الأمر على مجرد النصائح، بل تعداه إلى الدعم المادي والمعنوي لهؤلاء الدعاة بغرض نصرة هذه العقيدة، ومن أمثال هؤلاء الدعاة الشيخ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة «المنار» التي نشرت مقالات التوحيد ومحاربة الشركيات والشيخ محمد حامد الفقي والشيخ محمود الألوسي وغيرهم كثير.

إذن فالعقيدة هي أعلى ما يملك الملك عبد العزيز، وفي سبيل هذه العقيدة يقف الملك عبد العزيز أمام تيارات الوثنية والخرافات الشركية ولو كان في المداهنة لأهل هذا التيار الكسب السياسي أو المغنم الشعبي يقول الدكتور عبد الله التركي:

«عرف عن كثير من الساسة الذين يهمهم الكسب السياسي ــ فحسب ــ أنهم يجاملون الناس ويداهنون العامة في أمور العقائد بل إن منهم من يشارك العامة خرافاتها ووثنياتها رغبة في الشعبية وطلباً للتأييد.

وكان من مقتضيات المجاراة العرفية في منطق السياسيين الذين يضحون بالعقيدة من أجل أهوائهم السياسية أن يجاري الملك عبد العزيز بعض الأعراف وطوائف من العوام في البدع والخرافات

(١) المهندس/ سليمان علي الشايع: الملك عبد العزيز وأثره في التاريخ المعاصر، ص ٣٦.

التي تنال من جلال التوحيد. ولكنه لم يفعل لأن التوحيد أغلى وأسمى وأعظم من أي اعتبار آخر.

بل فعل ما هو نقيض ذلك حيث عقد العزم على تطهير الجزيرة من كل عرف أو تقليد أو عادة أو خرافة تفسد على الناس توحيدهم الخالص. وهذه طريقة في الانتصار للعقيدة لا يستخدمها إلا داعية موحد لا يقايض على التوحيد بشيء»[١].

وهكذا نرى تمسكه بهذه العقيدة التي يعتبرها منبع كل خير ومن ثم لم يفكر أن يأتي قومه بمذاهب فكرية مستوردة غريبة على عقول أمته ومعتقداتهم كما فعل بعض الزعماء المسلمين ممن عاصره أو جاء بعده ملتمسين في هذه الأفكار حل مشكلاتهم، فكان نصيبهم من هذه الأفكار والمذاهب الافلاس في جميع نواحي الحياة.

أما الملك عبد العزيز فقد تمسك بعقيدة التوحيد ودعا إليها، حتى وصف بأنه: «الإسلامي الداعية للحل الإسلامي»[٢]، وأوصى رحمه الله ولي عهده فقال:

«تعقد نيتك على ثلاثة أمور. . .

أولاً: نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد.

---

(١) د. عبد الله التركي: الملك عبد العزيز والمملكة ـ المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٣٧.

(٢) وصفه بهذه العبارة محمد جلال كشك في كتابه «السعوديون والحل الإسلامي» ص ٣٢.

ثانياً: عليك أن تجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية، والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة[1].

□ □ □

(١) الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ١٥٩.

المطلب الثانـي

نشـر العقيـدة

أولاً ــ جهود الملك عبد العزيز في نشر العقيدة الصحيحة داخل المملكة:

إن الدعوة السلفية التي نادت بتصحيح العقيدة لم تزل تنمو وتتسع بعد وفاة مؤسسيها الأوائل ــ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود ــ حتى بلغت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مبلغاً عظيماً على يد الأمير سعود المعروف (بالكبير) حفيد الإمام محمد بن سعود، فقد رفرفت أعلام التوحيد على ربوع نجد كلها حتى بلغت أطراف سوريا والعراق وعمان، وأصبحت الدعوة قوة هائلة تهدد دولة الأتراك.

ففكرت الدولة التركية جدياً في الخلاص منها، فذهبت تنشر الدعاية السيئة ضد هذه الدعوة السلفية في البلاد الإسلامية، وأخذوا يـذيعـون أن أنصـار هـذه الـدعـوة لا يحبـون أهـل البيـت ولا يحفظـون للأولياء حقاً ولا حرمة، كما وصفوا الدعوة بأنها مذهب خامس واجتهدوا في هذه الدعاية الكاذبة وجدّوا كل الجد واستعملوا في ترويجها أهل العلم من الشيوخ الرسميين، وألفت الكتب وارتفعت الأصوات على المنابر تقدح في الوهابيين وترميهم بكبيرات الأمور فنجحوا في هذا نجاحاً بقي أثره إلى يومنا هذا.

«ولم يقف الأمر عند مجرد الدعاية السيئة التي وصلت إلى حد أن جعلوا القدح في هذه الدعوة السلفية مادة تدرس، بل إنهم أرسلوا الجيوش لمحاولة ضرب هذه الدعوة وإضعافها»[1].

بهذه القوى المتضافرة ضعف سلطان آل سعود وضعفت دعوتهم واستولى حلفاء الأتراك على البلاد وأعملوا السيف وأمروا بإحراق كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وكان من نتائج هذا الاضطراب في الأحوال المحيطة بالدعوة أن عاد الناس إلى جاهليتهم الأولى فانتشرت الخرافات والشركيات من جديد، فضلاً عن التقاليد الأعجمية التي خلّفها الأتراك والتي تنافي مضمونها توحيد الألوهية ونشط أعداء الدعوة «فمنهم من طمس أعلام الموحدين وأراد إيحاء أضدادها من أعمال الجاهلية وأفعال المشركين»[2].

وعادت مظاهر الشرك تظهر من جديد وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأصغر والأكبر.

فكانوا يخرجون بالمريض إلى بعض البقاع فيذبحون عندها

---

(١) عبد الله القصيمي، الثورة الوهابية/ ص ٢٨، المطبعة الرحمانية ــ مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥٤ هـ.

(٢) الدرر السنية ج ٧/ ص ١٢٦.

ويهدون إليها الحلي والحلل وخواتم المرضى، وعاد بعضهم إلى قريب من حالته الأولى بسبب ارتكاب هذه المحرمات[1].

ولم تكن الحجاز ــ في هذه الفترة ــ بأسعد حظاً من نجد، فالانحرافات في العقيدة والخرافات تملأ البقاع حيث التوجه إلى القبور التي بنيت عليها القباب والنذر لها[2].

وافترقت القلوب وشاعت البدع «من هذه البدع بدعة المقامات للمذاهب الأربعة في الحرمين، فكنت ترى الحنفي لا يقتدي بالشافعي ويجلس فيما بين الصفوف ينتظر جماعة مذهبه، ترى هذا في المسجد الحرام الذي هو أفضل مسجد»[3].

«وقبر السيدة حواء[4] بمدينة جدة كان في أوائل الأربعينات من القرن الثالث عشر الهجري تتوسطه قبة عظيمة ومن أمام القبة وخلفها ممر طويل يدخل الناس والحجاج خاصة للزيارة ويتولى أحد المشايخ إدخال الحجيج وتلقينهم الدعاء للزيارة ويتقاضى نقوداً نظير ذلك»[5].

ولما حمل الملك عبد العزيز راية الدعوة أدرك أن هذه الشركيات قد تغلغلت جذورها في النفوس وترسّخت مفاسد وأدران

---

(١) محمد بن بلهيد، الجغرافية الأدبية/ ص ٥٠٤.
(٢) يراجع تفصيلات هذه الشركيات في كتاب (الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية) عبد الله بن سعدي الغامدي.
(٣) ترجمة المعصومي، ص ٥٧.
(٤) وهذا القبر المزعوم لا يثبت ولا يستند إلى دليل شرعي ولا تاريخي معتبر.
(٥) محمد علي مغربي: أعلام الحجاز/ ص ١٣٨.

الوثنية فشرع يخطط لاصلاح هذه النفوس وتطهيرها فجعل التوحيد قضيته المنهجية الأولى.

كانت الدعوة التي نادت بالعودة للعقيدة الصافية والتي انتهجها العلماء في عهد الملك عبد العزيز تنصب بشكل مباشر على ساكن الحضر، ومع ذلك كان ابن سعود يرى أن البدو هم عصب الدولة وأنهم يشكلون نسبة كبيرة من سكانها، والحقيقة الجديرة بالاشارة أن النجديين رغم أنهم ــ بفعل العوامل السابقة ــ قد فصلوا عن آل سعود فإنهم ما زالوا معهم في الدين والحب والعقيدة؛ وذلك لما اكتسبه آل سعود منذ عهودهم الأولى من مكانة دينية في قلوبهم بسبب نصرتهم للعقيدة السلفية.

كان الملك عبد العزيز يدرك خطر البداوة على مبادىء الدعوة السلفية وأن الجبلة التي فطرت عليها القبائل أورثتها عادات وتقاليد تتنافى مع تعاليم الدعوة[١].

لقد شخّص الملك عبد العزيز الداء واتضحت سياسته الحكيمة في معالجة الشركيات والخرافات التي اتسمت بها التقاليد في البادية فرأى في التوطين والاستقرار وتصحيح العقيدة الدواء الناجح؛ حيث لا يمكن أن تتغير هذه المعتقدات إلا بوازع من الدين وإعادتهم إلى عقيدتهم السلفية، أو بمعنى آخر إقامة معالم الدين وإزالة هذه البدع والخرافات. «هدم عبد العزيز في نفوس المسلمين من جنود الدعوة أدرانها فأقام فيها رباط الاخوة في الدين واللحمة في العقيدة بعد أن

(١) راجع في ذلك:
ــ الزركلي: شبه الجزيرة، ج ١/ ٢٥٩ وما بعدها.

قطع فيها رباط القبلية وعنجهية الأنا الطاغية»[1].

ومن ثم أصبحت الهجر موطناً للتحضير ومنطلقاً للتوحيد، ونجح العلماء في إعادة نور التوحيد من جديد لهذه الهجر فأثمر هذا النجاح الوحدة بين القبائل على أساس عقيدة التوحيد. وكانت المهمة صعبة حيث كان عدد العلماء لا يكفي لمواجهة هذه المهمة.

«وتعب الملك عبد العزيز تعباً شديداً في اختيار المرشدين الذين يواجهون أهل الهجر بالعقيدة الصحيحة والسلوك الصحيح. وقام العلماء بتحرير خطاباتهم المشتركة في توجيه القوم»[2].

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى شخصية الملك عبد العزيز المحبة للتوحيد المتمسكة به وأثرها في القوم؛ بحيث تجسدت عقائدية ابن سعود في جميع إنجازاته وخاصة بذلك المجهود في ترسيخ العقيدة الصحيحة بين أهل البادية.

وهكذا، فإن شخصية ابن سعود كانت هي التي أعطت الدفعة القوية لهذا التحول العظيم وإحاطته بمقتضيات النجاح، وهي التي جعلته يعين المرشدين لتعليم هؤلاء الرحل الزراعة إلى جانب المطوعين[3] لتعليم أسس العقيدة الصحيحة[4].

---

(١) عمر أبو زلام، العبقرية في التوحيد والتحرير والتحضر، ص ٤١.

(٢) أبو عبد الرحمن بن عقيل: معركة الفقه والتأهيل قبل توحيد المملكة، ص ٣.

(٣) (أطاع) فلان يطوع طوعاً: انقاد، طوع: مبالغة في طاع، المطوع: المتطوع للجهاد ونحوه يقال لهم المطوعة، والمطوعة ــ بتخفيف الطاء ــ وهنا الشيخ الذي يعلم الناس أمور دينهم ويذكرهم بالصلاة وغيرها (كنت مع عبد العزيز ص ٤٠).

(٤) عثمان الصالح: جوانب من عبقرية عبد العزيز، ص ١٨.

ونجح الملك عبد العزيز بتوفيق الله في أن يزيل سائر مظاهر الشرك، وأسس دولته على الاخلاص لله وحده حتى كان القوم يعتزون بأنهم «أهل التوحيد» ويرددون في معاركهم «نحن أهل التوحيد» ولم تقف همّة الملك عبد العزيز عند هذا الحد بل إنه سعى في القضاء على الأسباب المفضية إلى هذه الخرافات والشركيات.

«فحينما استولت الحكومة السعودية على الحجاز ودخل الملك عبد العزيز جدة سنة ١٣٤٤ هـ كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبة حواء، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان والتي كان يتقرب بها الناس كما يظنون إلى الله تعالى»[١].

وفي سبيل القضاء على الشائعات التي ترمي أهل نجد في عقيدتهم طلب أحد علماء الحجاز من الملك عبد العزيز أن يجمع علماء الحجاز بعلماء نجد ليتباحثوا في مسائل من الشرع. وأجابهم الملك واجتمعوا في الحادي عشر من جمادى الأول سنة ١٣٤٣ هـ

---

(١) محمد علي مغربي: أعلام الحجاز، (ومن الأمثلة على اهتمام الملك عبد العزيز بهدم مظاهر الشرك هذه الرسالة التي وجهها إلى شيخ الحرم المكي في وقته الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد وقال فيها:

(إن شاء الله على مسألة هدم القباب جميع قبه تهدم حتى تساوى بالأرض.. ولا تحتاجون توصية بذلك.. تحرصون لا يترك شيء من القباب مرة واحدة. ١٧/٩/ ١٣٤٤ هـ) من وثائق الملك عبد العزيز، ص ١٥٣.

والرسالة ــ كما نرى ــ بالغة الدلالة على تتبع الملك عبد العزيز لكل صور الشرك بالهدم والإزالة.

وأصدر علماء مكة بياناً جاء فيه: قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل أصولية منها:

١ ـ أن من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضر فهو كافر حلال الدم والمال.

٢ ـ أن البناء على القبور واتخاذ السرج عليها وإقامة الصلاة فيها بدعة محرمة في الشريعة الإسلامية.

٣ ـ من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب محرماً.

واتفق العلماء على نشر هذا البيان الذي من خلاله اتضحت وحدة العقيدة في أنحاء المملكة.

قال المعصومي:

لما تشرفت بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣ هـ انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة زادها الله تشريفاً وتعظيماً ولما شهدت توحيد الجماعة في الصلوات الخمس زادني سروراً على سرور لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضر الأشياء على عقيدة المسلمين[١].

وهكذا وفق الله سبحانه وتعالى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن لذلك الأمر العظيم وكذا تأمين الطرق كما وفقه الله لما فيه رضاه من إحياء السنة المحمدية وقمع البدع المحدثة[٢].

---

(١) مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي، ص ٩٥.

(٢) د. سعود الدريب: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم الإداري، =

يقول الملك عبد العزيز رحمه الله:

«إن سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص والخروج من أسر البدع والضلالات والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله ﷺ»[١].

وقال الدكتور عبد الله التركي:

«لما ظهر الملك عبد العزيز بدعوة التوحيد ودين الحق استطاع بعون الله ثم بوسيلة الشوكة والسلطان أن يحمي حمى التوحيد من كل ما يخالفه ويزاحمه من عقائد وعادات وأعراف ومظاهر وأساليب»[٢].

فلقد كان أول ما يهتم به الملك عبد العزيز في جميع أموره حماية جانب التوحيد والعقيدة الإسلامية من أن يخدشها ما يكدرها ولقد بذل ــ وكذلك أسلافه من قبله ــ كل طاقاتهم وصرفوا جل اهتمامهم وجاهدوا لإعلاء كلمة التوحيد وإزالة جميع ما يخالف العقيدة الإسلامية لعلمهم الأكيد أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار فبذلوا في سبيل ذلك دماءهم وأبناءهم وأموالهم فأعزهم الله بالملك في الدنيا وإن شاء الله بما وعد به عباده الذين يموتون ولا يشركون به

= ص ٢١ ــ ٢٢، عبد الله الزامل: أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود/ ص ١٥٤.

(١) قد نشرت هذه الخطبة بجريدة أم القرى بعددها رقم (٣٣٣) الصادر في ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ.

(٢) د. عبد الله التركي: الملك عبد العزيز والمملكة، المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٦٦.

شيء أن يكون مصيرهم الأخير إلى الجنة وسوف أورد ثلاثة أمثلة من حماية الملك عبد العزيز للعقيدة الإسلامية وهي:

١ ـ حرصه على إزالة جميع مظاهر الشرك المنتشرة عند بعض المسلمين مثل البناء على القبور وتعظيمها مما يؤدي إلى صرف شيء من العبادة لها ومن ذلك هدم صنم ذي الخلصة في منطقة تبالة قرب بيشة حيث هدم بواسطة عامل الملك عبد العزيز على تلك الناحية عبد العزيز بن إبراهيم ونكل بسدنتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها[١].

٢ ـ حماية المملكة من أن يتسلل إليها شيء من عقائد الكفار من نصارى وشيوعيين وغيرهم وتحريم دخول المنصرين إليها أو وجود صلبان أو غير ذلك من شعارات الكفار كما حرص على عدم دخول الشيوعيين بلاده، حدثني والدي عن الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع قال عينني والدي الملك عبد العزيز أميراً على الرياض وفي ذات يوم استدعاني على عجل فحضرت مسرعاً فقال أيدخل الشيوعيون بلادي وأنا على قيد الحياة؟ كأنه قد رأى في المنام أنه

---

(١) انظر تعليقات الشيخ محمد بن بليهد على كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٨٥ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٣ ميلادي وحرصت على ذكر هذا المثال المتعلق بصنم ذي الخلصة لأنه قد ورد في قول النبي ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس عند ذي الخلصة» رواه البخاري برقم ٧١١٦ كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان. ومسلم برقم ٢٩٠٦ كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذي الخلصة.

يوجد في الرياض شيوعي، قال فأحضرنا إليه جوازات الأجانب الموجودين في الرياض حيث كانت جوازات الأجانب في ذلك الوقت تبقى عند أمير المنطقة إلى أن يغادر الأجنبي وكان الأجانب في ذلك الوقت قلة، قال فلما أحضرنا إليه الجوازات فنظر في صور أصحابها فأخرج منها جوازاً وقال هذا هو قال الأمير فبحثنا عند فوجدناه في أحد أحياء مدينة الرياض وإذا هو شيوعي كما ذكر الملك عبد العزيز فرحل خارج المملكة.

٣ ـ تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ فقد حرص الملك عبد العزيز على إلغاء جميع القوانين التي كانت موجودة من بقايا الدول السابقة وكان يعمل بها في بعض مناطق المملكة وقد حث العلماء على إصدار فتوى بذلك فأصدروا فتوى بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ ومما جاء فيها «وأما القوانين فإن كان موجوداً منها شيء فيزال فوراً ولا يحكم إلا بالشرع المطهر»(١).

وكذلك أبطل التحاكم إلى العوايد والسلوم المخالفة للشريعة وإن لا يتحاكم إلا إلى أحكام الشريعة الإسلامية فقط.

ثانياً ـ جهود الملك عبد العزيز في نشر الدعوة للعقيدة السلفية عالمياً:

التوحيد عقيدة عالمية قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم

---

(١) الدرر السنية/ ٥/ ٣١٩.

الذي خلقكم والذي من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1].

فالخطاب موجه إلى الناس كافة: «النداء للناس كافة والأمر للبشر جمعاء أن تختار الصورة الكريمة المستقيمة، الصورة النقية الخالصة، إنه النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم؛ ربهم الذي تفرد بالخلق فوجب أن يفرد بالعبادة»[2].

ومعلوم أن المدعوين للدعوة مسلمون وغير مسلمين فالدعوة إلى الله تشملهما.

ولما تولى الملك عبد العزيز شؤون البلاد وانطلاقاً من أن من وظائف الحكومة الإسلامية نشر الدعوة الإسلامية بالحوار والحسنى قال تعالى: ﴿الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾[3].

انطلاقاً من هذا سعى الملك عبد العزيز يدعو إلى العقيدة السلفية عالمياً عن طريق استغلال مواسم الحج في الدعوة أو إيصال العقيدة النقية إلى البلدان المختلفة عن طريق نشر الكتب وتوزيعها في البلاد المختلفة مجاناً.

فمن سعة أفق الملك عبد العزيز أنه كان يستغل مواسم الحج في الدعوة إلى تصحيح العقيدة، فكانت له رحمه الله مأدبة كبرى يلتقي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ١/ ص ٤٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤١.

فيها بعلماء الدول والحجاج يدعوهم فيها إلى الله وإخلاص العبودية له. خطب رحمه الله في جمع غفير من ضيوف الرحمن فقال: «المسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده يجب أن يتدبر المسلمون معنى «لا إله إلا الله» يجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً. يجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل أما القول المجرد فلا يفيد. ما فائدة رجل يقول: لا إله إلا الله ولكن يشرك ما دون الله في عبادته.

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] إن الإشراك مع عبادة الله كفر وليس بعد الكفر ذنب. إن دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد».

ثم أضاف رحمه الله: «إن من أعظم الأوامر توحيد الله جل وعلا توحيداً منزهاً عن الشرك»[2].

وخطب رحمه الله في حجاج الهند فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «إن أول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين ومعنى الشهادة «لا إله إلا الله» إنها تفيد إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى.

لا يوجد إنسان غير مذنب لأن العصمة لله وحده. ولكن الذنوب على درجات منها ما لا يمكن معه صفح أو غفران وهو الشرك بالله»[3]

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) نشر هذا الخطاب بجريدة أم القرى بعددها رقم (٨٥٧) الصادر في الخميس ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ هـ.

(٣) نشر هذا الخطاب بجريدة أم القرى بعددها رقم (٦٢٧) الصادر في يوم الاثنين ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥٥ هـ.

وهكذا نرى أن جهاد الملك عبد العزيز كان مرتكزاً على تحقيق التوحيد في الأرض.

(كان الملك عبد العزيز يؤمن باستمرارية الحركة التي قادها وعالمية رسالتها حتى وإن اضطر هو إلى الاكتفاء بما حققه جيله.

لذلك قال لبروكلمان:

إذا وفق الله أولادي كما وفقني فسوف يتولون مقدرات مئة مليون مسلم»[1].

أما المجال الثاني الذي نشط فيه الملك عبد العزيز في مجال تصحيح العقيدة عالمياً فهو اجتهاده في إخراج المؤلفات القيّمة التي تهتم بنشر العقيدة السلفية وتطهير العقيدة من أدران الشرك لا سيما كتب الشيخ ابن تيمية وابن قيم الجوزية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأوصلت هذه الكتب إلى أيدي الناس في البلدان المختلفة ووزعت مجاناً.

فقرأها الناس وانتفعوا بها وأيقظت عندهم الفطرة الأصيلة لتوحيد الله عز وجل وخدمت هذه الكتب العقيدة السلفية أفضل خدمة.

وسوف نتعرض بالتفصيل إن شاء الله لجهود الملك عبد العزيز في نشر كتب العلم وكذلك خطبه في الفصول اللاحقة.

ومما لا شك فيه أن ما يشاهد من تطور طيب واستنارة ظاهرة في

---

(١) محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي، ص ٣٥.

عقائد المسلمين اليوم ناشىء عن هذه الدعوة وعن المؤلفات الطيبة التي تنشر بين الحين والحين.

«نفعت هذه الدعوة وأحدثت في الخارج نتائج طيبة ذات قيمة وذات معنى جليل فقد كان المسلمون في كل مكان مثل النجديين قبل الدعوة يرون في الدين والعقائد آراء في منتهى الفظاعة والطرافة»(١).

قال الملك عبد العزيز رحمه الله:

«الإسلام عزيز عليّ ورهبته في قلوب أعدائه كبيرة. فواجب المسلم أن يقوم بالدعوة إلى عبادة الله خالصة»(٢).

يقول رحمه الله:

«إن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو: الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله»(٣).

□□□

---

(١) عبد الله القصيمي: الثورة الوهابية، ص ٦٧.

(٢) نشر في أم القرى العدد ٤٣٤ في مكة المكرمة يوم الجمعة ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ.

(٣) د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: الملك والمملكة والمنهج، ص ٧٤.

المبحث الثاني

اهتمام الملك عبد العزيز بالدعوة من خلال خطبه ومكاتباته

عندما نطلق كلمة «الدعوة» فإننا لا نريد منها إلا «الدعوة الإسلامية» كذلك عندما نطلق كلمة «الداعية» فإننا لا نقصد إلا «الداعية المسلم» والدعوة تشمل أموراً كثيرة:

تشمل دعوة الأنبياء، ودعوة العلماء، ودعوة السلطان.

والداعية كذلك تارة يكون نبياً مؤيداً من الله بالوحي، وتارة يكون عالماً مؤيداً بالحجة والبرهان وتارة يكون سلطاناً مؤيداً بالقوة.

والداعية مؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة أو الخطابة أو الحديث العادي أو العمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة بكل ما يستطيع من وسائل الدعوة.

فهو كاتب وخطيب ومحدث وقدوة يؤثر في الناس بعمله وشخصه، وهو طبيب يعالج أمراض النفوس ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، وهو ناقد بصير يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله.

فالداعية قائد في محيطه، وسياسي في بيئته، وزعيم لفكرته «ولا ينتهي عمل الداعي بمجرد الافصاح عن الحقيقة ــ التي هو في سبيل تقديمها وتقريبها إلى العقول والقلوب ــ بل يجب عليه أن يجعلها من الوضوح بمكان يتذوقها الخواص ويستطيع العوام أن يسيغوها دون جهد وعناء»[١].

---

(١) أمين أحسن إصلاحي: منهج الدعوة، تعريب سعيد الأعظمي الندوي، ص ٦٧، دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت، ١٩٥١ م.

وتعتبر الخطابة من أكثر الوسائل شيوعاً وتأثيراً في دعوة الجماهير، وإذا أحسن الخطيب اختيار الموضوع وأجاد اللفظ والعبارة مع اليقظة والمتابعة وعدم الاطالة فقد تؤتي الخطبة ثمرتها وتحقق غرضها.

وقلب الخطيب متصل بعقله فينبغي أن يستعد للخطابة بأن يكون قلبه ممتلئاً بالعاطفة وعقله ممتلئاً بالمعلومات لأن الضعف في أحدهما يؤدي إلى الفشل.

وموقف الخطيب ليس سهلاً ولا يحسنه من الدعاة إلا القليل حتى افتتحت في العصر الحديث العديد من المعاهد لهذا الغرض[1].

هذا وقد استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب في نشر دعوته لكثرة فائدته وعظيم جدواه، ذلك أن الخطابة طريقة من الطرق الهامة التي تساعد على الاتصال الجماعي.

أما الرسائل والمكاتبات فلا تقل أهميتها عن الخطابة، فقد تكون كتاباً صغيراً في موضع معين، وقد تكون خطاباً من شخص إلى آخر، ويدخل ضمن هذا الأسلوب البرقيات والمذكرات والبلاغات التي يمليها الولاة على كتاب الديوان.

وتدوين الرسائل فن جميل قد يساعد على قضاء المصالح وعتق الرقاب واكتساب أروع المواقف، وقد ازدهرت هذه الصناعة في العصور الأولى حتى كانت كتابة الرسائل الناجحة ترشح صاحبها لمنصب الوزارة.

---

(١) عبد البديع صقر: كيف ندعو الناس، ص ٣٩.

وتأسياً بالرسول ﷺ قام الملك عبد العزيز يدعو إلى الله من خلال الخطب والمكاتبات والرسائل وذلك باعتبارها من الوسائل المؤثرة قديماً وحديثاً وبما وهبه الله من قدرة على البيان والاقناع.

فقد كانت لديه ملكات قوية ساعدته على النجاح في نشر الدعوة بهذه الأساليب فهو «خطيب مفوه له قدرة عظيمة على اثارة العواطف»[1].

ويصفه فهيد مولى عبد العزيز المتعب الرشيد فيقول:

«عبد العزيز متحدث مقنع باستطاعته أن يستولي على أفئدة السامعين ببيانه الفصيح»[2].

أما البيان الذي يتفرع منه الشعر والنثر والخطابة، فهذه المواهب وإن كانت جميعها متوافرة في الملك عبد العزيز بنسب متباينة فإن حظه في الخطابة كان أوفر مما سواها.

فالخطابة تكاد تكون في نظر الجميع أهم مواهب البيان الثلاثة، خاصة لمن يتولى قيادة الأمة على اعتبار أنه بحاجة مستمرة إلى مخاطبة الجماهير الشعبية على مختلف ميولهم وهو مضطر أن يقنعهم في بيانه الخطابي.

---

(١) عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد، ص ٣١٢، مطبعة دار اللواء، ط ٢، ١٤٠٠ هـ.

(٢) فهد المارك: من شيم الملك عبد العزيز، ج ١/ ص٩٩.

وإذا كان الأمر كذلك فإن لعبد العزيز الباع الوافر في هذا الميدان[1].

ولقد ألف العرب بطبيعتهم الإيجاز في التعبير وعدوه في رأس الأساليب البلاغية.

غير أنه الإيجاز الذي يقتضي الوضوح ويراعي مقتضى الحال واستيفاء المعنى.

وقد لخص الملك عبد العزيز منهجه لبناء المجتمع في عبارة واحدة ضمنها كل ما زخرت به حياته من أعمال واصلاحات فقال: «دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ فإما حياة سعيدة على ذلك وإما موتة سعيدة»[2].

ولو قدر لهذه العبارة أن تؤخذ بمنظار المناهج والبيانات الرسمية لكانت أقصر برنامج إصلاحي في التاريخ الحديث فضلاً عن وضوحها وإحكامها ودقتها.

ولعل أهم ما يميز خطب الملك عبد العزيز أنه كان حريصاً فيها على أن لا يقول إلا صدقاً مما يجعل مواهبه الخطابية ذات قيمة عظيمة وكان يخاطب البدوي بلهجة البدوي والحضري بلهجة الحضري وما استمع أجنبي إليه إلا خرج مفتوناً بحديثه.

---

(١) المرجع السابق، ج ٣/ ص ٩٩.

(٢) نشرت هذه الخطبة في صحيفة أم القرى، العدد ٤٣٤ الصادر يوم الجمعة ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ.

كتب الدكتور (فون ويزل) الذي زار الملك عبد العزيز في عام ١٣٤٥ هـ فقال:

«وفي الملك عبد العزيز ميزة أخرى وهي أنه كريم وصادق، وقد حادثته مرتين في شؤون مختلفة كان بعضها دقيقاً جداً فلم ألحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق.

نعم كان سياسياً في أجوبته ــ فلا يقول كل ما يعرفه ــ ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة.

والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع فإني لما قابلت القناصل الأجانب في جدة قالوا لي:

إذا قال ابن سعود شيئاً فثق أنه يقول لك الحقيقة التي لا تشوبها شائبة.

وسر القوة في حجة عبد العزيز أن عقله كان يسبق لسانه وأنه ينسى العاطفة أمام المنطق ولا يقول إلا ما يعتقد[١].

وكانت معظم خطب الملك عبد العزيز تبصر بجملة أحكام شرعية، وتصحح بعض المفاهيم التي تروج بين الناس وتناقش القضايا المهمة.

نماذج من خطب الملك عبد العزيز:

قال رحمه الله في الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة في مكة المكرمة في غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ:

---

(١) محيي الدين القابسي: المصحف والسيف، ص ٣٢، ٣٤ ــ دار الناصر للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢.

«اشكر الله أن أتاح لنا مثل هذه الاجتماعات الجمة الفوائد التي نحن بحاجة شديدة إليها.

ليس الغرض من هذه الاجتماعات الأكل والزينات وإنما المهم أن نتذاكر مع إخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله فهذا جل ما نقصده من هذه الاجتماعات.

إن الله ــ جلت قدرته ــ حكيم إذ جعل للاجتماع في بيته الحرام فوائد جمة أولها الإخلاص في عبادة الله في أقدس بقعة حيث جعل بيته الحرام وأرسل رسوله من أفضل قبيلة قطنت هذه الديار.

وقد جعل الله الفخار لأي كان بالتقوى لا بغيرها، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها. وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد ﷺ.

والمقصود من هذا الاجتماع هو أن نجدد رسم الإسلام ونعمل بمعناه، فالإسلام هو الاستسلام لله تعالى والطاعة له والإيمان بكتابه ورسوله. وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة وما جاء به الأئمة الأربعة فهو حق لا نحيد عنه قط، ثم إن الغاية من هذا الاجتماع هي التعارف والتآلف لعل الله أن يوفقنا بذلك لخدمة الدين ونشر حقيقته وبهذا وحده ننال العز والفخار في الدنيا والآخرة، وثقوا بأن الله يؤيد من يعمل ويسعى في هذا السبيل، وإن رابطة الإسلام هي خير واسطة للتآلف.

ومن المسائل التي يجب أن نعمل بها في هذا الشأن وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات

التي علقت بالدين وهو بريء منها، وإنما ألصقها فيه أناس نفعيون يبتغون من وراء ذلك النفع المادي.

يقولون «الحرية» ويدعي البعض أنها من وضع الأوروبيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعاً، وجاء بالآخاء والمساواة المطلقة التي لم تحكم بها أمة من الأمم، فآخى بين الصغير والكبير والقوي والضعيف والغني والفقير وساوى بينهم.

ويقولون «التمدن» والمدنية الأوروبية هي الغاية القصوى، وهذا وهم باطل فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحاً لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص والنية الحسنة، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص.

لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها، وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي، ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه، وأحب الأعمال إلينا هو العمل في هذا السبيل.. نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى لا انفصام لها»[1].

وخطب رحمه الله في حفلة الديوان العالي بأجياد في يوم الإثنين الثامن من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

---

(١) أم القرى بعددها الصادر في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ، محيي الدين القابسي: المصحف والسيف، ص ٦٠، ص ٦٢.

«تكاثرت ولله الحمد النعم، وهي ليست من عمل المخلوق، وإنما هي من نعم الله جل وعلا.. وقد قال في كتابه الكريم: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[1] يجب أن نتعظ بالماضي، لأن الإنسان الذي لا يتعظ بالماضي لا يكون التوفيق حليفه في المستقبل، فكم من قبيلة وعشيرة أرسل الله إليها الرسل كعاد وثمود ولكنها لم تتعظ فأبادها الله، والرسل من أفضل البشر وقد جعلهم الله حجة على بني الإنسان.

كلنا ــ نحن المجتمعين ــ لنا أموال وصناعات ولا نعطي هذه إلا لمن يحرص عليها، وهي من نعيم الدنيا زائلة لا محالة، ولكن هناك نعمة حقيقية لا تزول، وجزئية لا ينضب معينها هي: الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله.

وهذه النعمة مشروعة في كل مكان ولكنها لهذه البقعة المباركة ألزم، لأن الحسنات والسيئات تتضاعف فيها، ولأن الله اختارها لتكون مهبطاً للوحي، وجعل زيارة حرمها من أركان الإسلام وإنا نحمد الله على جمع الشمل، وعلى جعل الحكم في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[2] فتغيير ما بأنفسنا يعود علينا بالضرر، وهذا الضرر هو أعظم من الجهل والفساد والجرائم.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

فالواجب عليكم هو معرفة الله تعالى، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وترك البدع والخرافات، والتأدب بآداب الشريعة السمحة، وتوثيق عرى الالفة وأواصر النصيحة والإخلاص»[1].

وخطب رحمه الله في حفل أمانة العاصمة بمكة المكرمة في التاسع عشر من صفر سنة ١٣٥٦ هـ فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه:

«يسرني دائماً الاجتماع بكم والتحدث إليكم. لما في الاجتماع من فوائد ولأن في الاجتماع أكبر المصالح.

إن أشد ما يؤلمني ما كان فيه أقل ضرر على شعبي وبلادي فإذا كلفنا عليكم اليوم فلا نقصد بهذا إلا التناصح والنظر فيما فيه مصلحة الأمة والبلاد.

إن الحياة المجردة عن الدين، والزاخرة بأنواع القوة ليست حياة، كذلك عظمة الملك وجبروته ليست بالحياة، وإنما الحياة الدين والتمسك به وإقامة حدود الله، فالحياة التي تسير على أساس الدين هي القوة، أما الحياة التي تسير على غير الدين فهي كالمطر الذي يقع على السبخة فلا يجدي ولا يثمر.

إن الدين الإسلامي الصحيح في نظري هو أساس الرقي، ومن اعترضنا في ديننا أو وطننا قاتلناه ولو كان أهل الأرض، وإن الإسلام ملك علينا قلوبنا وكل جوارحنا، وليس معنى هذا أن المتمسكين بالدين يجب عليهم عدم الأخذ بأسباب القوة.. لا .. إن القوة واجبة

(١) نشر الخطاب بجريدة أم القرى بعددها (١٢٦) بتاريخ ١٣٤٥/١/٨ هـ.

قال تعالى: ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[1].

وكل خطبة من خطب الملك عبد العزيز تصلح أن تكون إضافة في مجال العمل الإسلامي، وفي مجال تقدم المسلمين والمتبع لخطب الملك عبد العزيز يلاحظ أنها تتضمن ما يأتي:

١ ـ سهولة الألفاظ.

٢ ـ الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية.

٣ ـ ملامسة عقول الناس وعواطفهم ومشكلاتهم.

٤ ـ يتخللها الوعظ.

٥ ـ ربط الحاضر بالماضي والاستفادة منه للانطلاق في المستقبل.

٦ ـ تخير المناسبات.

٧ ـ تقوم الخطب على أساس دعوى حيث تضمن معظمها المضي على:

(أ) التوحيد الخالص.

(ب) التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.

(ج) نبذ البدع والخرافات.

(د) الالتزام بآداب الشريعة السمحة.

(هـ) إخلاص النية في الأعمال كلها.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠ ـ نشرت هذه الخطبة بجريدة أم القرى بعددها الصادر في ٢٢ صفر سنة ١٣٥٦ هـ المصحف والسيف، ص ١١٢.

(و) توثيق عرى المودة والالفة بين المسلمين.

أما عن الأحاديث الصحفية التي تكلم بها الملك عبد العزيز فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

حديث الملك عبد العزيز لمندوبي الصحف العربية في مؤتمر الحج عام ١٣٥٣ هـ حينما قام ثلاثة من اليمنيين بمحاولة آثمة للإعتداء على الملك عبد العزيز لكنه نجا بعناية الله ثم برباطة الجأش وقوة الأعصاب.

وعلى أثر هذا الحادث استقبل ابن سعود عدداً من مندوبي الصحف العربية في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هـ حيث دار بينه وبينهم الحديث الآتي بعد أن قدموا التهاني بمناسبة العيد وفشل محاولة الاعتداء عليه فسئل رحمه الله عما إذا كان يفكر بزيارة بعض الأقطار العربية والأوروبية فأجاب:

«إن جماعتي شوقوني لزيارة أوروبا وعواصمها ومدنها الكبرى ولكني ما أحب أن أفارق بلادي، ولا أريد أن أرى غير بلادي العربية. وإن أكثر ما أخشاه وأحاذره الصحفيون وأقوالهم وأسئلتهم. لأن الناس شيء واحد والصحفيون أشياء، وأنا رجل ربيت تربية بدوية ما أجيد صوغ الكلام ولا رصفه وأهل الصحف يكتبون أشياء منمقة ويهندسون الكلام هندسة كاملة وأنا ليس عندي شيء من هندسة الكلام. الذي يجول في قلبي عن أساسات البناء اتكلم به فمن أحب أن يسأل شيئاً أنا مستعد لإجابته.

وسئل رحمه الله عن المحاولة الآثمة لاغتياله وأثرها في نفسه، فأجاب:

إن الذين أقدموا على هذا العمل قوم ليس فيهم دين يمنعهم.. وأنا شخص ليس يهمني سوى إقامة كلمة التوحيد والمحافظة على ما بيدي والحافظ هو الله تعالى، ولما وقع ما وقع، وقدر الله من فضله وعنايته النجاة لم يكن همي غير المحافظة على الحجاج ومنع تسرب أخبار الحادث إلى خارج الحرم.. فأمرت بإغلاق أبواب الحرم ومنع سفك الدماء فيه.. وأتممت الطواف وخرجنا عائدين إلى منى.

وسئل رحمه الله عما إذا كانت هناك لبعضهم يد في هذه المؤامرة فقال:

إن كلام الناس كثير، والناس يتكلمون بأشخاص كثيرين، ولكن نحن لا يمكننا أن نأخذ بالإشاعات وأقوال الناس.. ولا يمكن أن نقول شيئاً إلا ما تراه عيوننا وتقره قلوبنا وتطاله أقدامنا.

وسئل رحمه الله عن أثر ردود فعل المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في نفسه فأجاب:

لقد رأيت من شعوب العالم الإسلامي أجمع.. ما أثلج صدري وأشعرني باتحاد المسلمين واتفاقهم، إن هذا الأمر أهمهم كثيراً وظهر فيهم من الاهتمام به أكثر مما كنا نتصور ونظن وأن المصريين بصورة خاصة إخواننا وقد عودونا أن نلقى منهم في كل فرصة ومناسبة ما تنشرح له صدورنا من الآلفة والمحبة بيننا وبينهم لأنه لا يوجد بيننا وبينهم ما يدعو إلى خلاف أو شقاق.

والعراق منا ونحن منه، والذي يؤلم العراق يؤلمني والذي يسره يسرني فالأمة واحدة، ما يريد أحد بالعراق شراً إلا وهو يريد بي مثله.

وسئل جلالته عن رأيه في قضية فلسطين فأجاب:

إنني أتمنى لفلسطين كل خير وسعادة لأنها بلد عربي وفيها المسجد الأقصى وهو المسجد الذي قال عنه الرسول ﷺ: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى[١].

ولكن مصيبة العرب من أنفسهم ومن تخاذلهم والذي أتمناه أن يجمع الله كلمة العرب ليسلموا من شرور أنفسهم. فهم بتخاذلهم آذوا أنفسهم أكثر مما آذاهم الأجنبي»[٢].

وهذا الحديث يدل على المودة والقدر الكبير الذي شغله الملك عبد العزيز في قلوب المسلمين والعرب.

كما كان رحمه الله في مكاتباته الخاصة والعامة يوصى ويحث على التمسك بأهداب الدين الحنيف ومن أمثلة ذلك لما ولى الشيخ عبد العزيز بن عكاس قضاء الأحساء كتب إليه يوصيه فقال رحمه الله:

«من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى عبد العزيز بن عمر بن عكاس سلمه الله:

السلام عليكم بعد ذلك من يوم تاريخه إن شاء الله تتولى النظر

---

(١) أخرجه البخاري نحوه (ج ٣/ ٦٣ فتح الباري) ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم (ج ٤/ ١٢٦) كتاب الحج ـ باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

(٢) نشر الحديث بجريدة أم القرى بعددها الصادر في ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هـ.

في قضاء الإحساء فقد وليتك ذلك والذي أوصيك به ونفسي تقوى الله وتحكيم الشريعة الغراء والسهر على ذلك والله تعالى أسأل أن يتولى إعانة الجميع وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الصواب بمنه وكرمه آمين».

٢٨ ـ محرم ١٣٤١[1].

(١) كتاب/ من وثائقنا الوطنية ص ١٠١ طبع الحرس الوطني الرياض ١٤١٢ هجري.

وقال رحمه الله في رساله عامة للمسلمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى من يراه من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات والاقلاع من الذنوب والسيئات آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فالموجب لهذا هو النصيحة لكم والشفقة عليكم لأن ذلك من التعاون على البر والتقوى والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين. قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله والتقوى كلمة جامعة لكل خير لأن الخير بحذافيره فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه ومما أمرنا الله به وحضنا عليه اتباع كتابه وسنة نبيه قال تعالى اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون وقال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالواجب (. . . .) نصح نفسه وأراد نجاتها أن يتقي الله في سره وعلانيته وأن يحاسب نفسه هل قام بما أوجبه الله عليه وامتثل ما أمر الله به ورسوله ووقف عند حدوده فلم يتجاوزها أم هو منقاد مع شهواته وهواه قد اعطى نفسه هواها ولم ينهها عن ارتكاب المحرمات فلو علم أنه موقوف ومسؤول عن جميع أعماله وأقواله وأحواله لخلى بنفسه وحاسبها واتقى الله سبحانه وبحمده فيا خسارة من حاله حال البطالين والغافلين المعرضين إذا علم هذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات وأهم المهمات قال

تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون والأمة الجماعة وهذا أمر لازم لكل أحد بحسب قدرته فإذا قام به بعض المعينين له سقط عن الباقين فإذا تركوه اثموا وعوقبوا فكونوا من تركه على ظلم عظيم. قال ﷺ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق اطراً أو ليوشكن الله أن يعمكم بعذاب من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم والأحاديث في ذلك كثيرة فلا صلاح للخاصة والعامة في جميع القرى إلا بالأمر بالمعروف وينهون عن المنكر لأن ذلك سبب صلاحهم وخلاصهم في معاشهم ومعادهم وبتركه والتغافل عنه يكثر الفساد وأيضاً فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين وبقوته يقوى أهل الإيمان وبضعفه يضعف الإيمان قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم فذكر تعالى في هذه.... بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لرحمة الله فإذا رحم الله العباد أعطاهم ما يحبون ودفع عنهم ما يكرهون قال تعالى. ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لأتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً وقد رأيتم ما حصل عليكم من منع القطر وغور المياه والقحط وشدة المؤونة وأنواع البلايا والامتحانات وذلك سببه مخالفة أمر الله وارتكاب نهيه فإن الذنوب والمعاصي من أعظم الموجبات لحلول العقوبات والنقمات فارغبوا عباد الله إلى الله بالدعاء والاستغفار وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وعظموا أمر ربكم ونهيه وفي الحديث

عنه ﷺ أنه قال ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فاستدفعوا عنكم العقوبات بالتوبة النصوح وفي الحديث ما نزل بلاء (. . . . . . .)[1].

□□□

(١) هذا آخر ما وجد من الرسالة، انظر كتاب من وثائقنا الوطنية ـ طبع الحرس الوطني ص ٢٨٨.

الباب الثاني

وسائل الدعوة وأساليبها

التمهيـد:

كانت وسائل نشر الدعوة الإسلامية سابقاً عن طريق المخاطبة المباشرة أو الرسائل والمكاتبات واستغلال التجمعات في المساجد وغيرها.

أما في هذا العصر فقد وجدت وسائل أخرى سريعة الانتشار جداً، حين ألهم الله الإنسان اختراع أجهزة بإمكانها نقل الخبر إلى أنحاء المعمورة في الحال.

ولا شك أن هذه الوسائل سواء أكانت مقروءة أم مسموعة أم مرئية تؤثر على أفكار الفرد وسلوكه بما يؤهلها لأن تكون أدوات مؤثرة في نجاح الدعوة الإسلامية.

وقبل أن نتكلم عن هذه الأساليب والوسائل نتعرف على معنى الأسلوب والوسيلة.

تعريف الأسلوب:

يطلق الأسلوب في لغة العرب على عدة أشياء فيقال للطريق بين الأشجار، وللفن، وللمذهب، ويطلق على طريقة المتكلم في كلامه. يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا أي سلكت طريقه ومذهبه[1].

---

(١) المعجم الوسيط ج ١/ ص ٤٤٣.

والأسلوب اصطلاحاً:

هو الطريقة التي يسلكها الداعية لإيصال الدعوة إلى الناس[1].

تعريف الوسيلة:

الوسيلة لغة من الفعل وسل يسل وسلاً أي رغب وتقرب فنقول توسل فلان إلى الله: أي عمل عملاً يقربه به إليه.

والوسيلة: الوصلة.

والوسيلة: القربى.

والوسيلة: درجة النبي ـ ﷺ ـ في الجنة[2].

وسيلة الدعوة اصطلاحاً:

هي كل ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة إلى الناس بشكل نافع مثمر[3].

ولتوضيح الفرق بين الأسلوب والوسيلة نضرب المثال التالي:

عندما يصوغ الشاعر شعره فهذا أسلوب، والكتاب أو المنشور الذي يحمل هذا الشعر للناس وسيلة.

والكاتب الذي يكتب قطعة أدبية فكتابته أسلوب، والصحيفة التي تنقل هذه القطعة للقراء وسيلة.

والخطيب الذي يختار كلمات خطبته وألفاظها فعمله هذا

---

(١) اسماعيل الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي ص ١٣٨.

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢/ ص ١٠٣٢، وانظر: صحيح البخاري.

(٣) الدكتور عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٢٩.

أسلوب، وأما مكبر الصوت الذي يحمل هذه الكلمات والألفاظ للناس فهو وسيلة وعليه فإن الوسيلة تخدم الأسلوب[1].

وقد كان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يسلكون في دعوتهم أنسب الوسائل بالنسبة إلى عصورهم، وظلت هذه الوسائل تتطور مع تغير الأحوال والحضارات مما يدل على أن الالتزام بطريقة دون طريقة فيما يتصل بالتبليغ أمر غير مجد للدعوة.

بل يجب على الدعاة إلى الله أن يختاروا من أساليب الدعوة وطرق التبليغ مما ظهر في زمنهم ما يجعل لجهودهم الأثر الفعال.

فهذا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ يتقدم بتعاليم التوراة إلى أمته مكتوبة على الألواح قال تعالى:

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾[2].

كذلك فإن العرب لقنوا تعاليم الدين بالقلم ـ إضافة إلى التعليم الشفهي ـ وقد امتن الله عليهم بهذه النعمة، نعمة القلم فقال تعالى:

﴿اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾[3].

والمقصود أن طرق الأنبياء في الدعوة لم تكن جامدة متحجرة لكنها كانت تتغير مع تغير حياة البشر، الأمر الذي يدل على أن ما جاء

---

(١) اسماعيل الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص ١٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.
(٣) سورة العلق، الآية: ٣، ٤.

به العلم من وسائل وتسهيلات وتوافر المعلومات فإن دعاة الحق أحق باستخدامها من غيرهم.

وهذا يؤكد ــ من جانب آخر ــ حقيقة مهمة هي أن وسائل الدعوة لا بد وأن تتطور مع تطور العلم والمدنية.

فالصحافة والإذاعة والتلفاز لها قوة في التعليم والدعاية لا يمكن إغفالها مما يجعلها وسائل لتبليغ الدعوة إلى الله أكثر فاعلية من غيرها بحيث لم تعد الجبال والبحار والصحاري تحول بين أمة وأمة أو بين دولة ودولة، فيمكن للمرء أن يسمع الكثير من سكان هذه الأرض بواسطة المذياع أو التلفاز ليتحدث إليهم حديث المدرس لتلاميذه في الفصل.

ولهذا فإنه يجب على الدعاة إلى الله أن يستغلوا هذه الوسائل الحديثة أحسن استغلال، وأن يعرضوا الدعوة بأحدث الطرق حتى تكون مواجهة الباطل مواجهة قوية دافعة.

وهذا الكلام لا يعني التقليل من شأن الوسائل التقليدية بل إنها هي الأساس الأصيل والمؤثر قديماً وحديثاً لأن معظم الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله عبارة عن وسائل تقليدية دخلها التطور والتعديل.

«هذا وقد استخدم النبي ﷺ، جميع الوسائل التي راجت في الحياة الاجتماعية التي عاصرها لما رآها تعين على بث الدعوة. فلما أراد أن يعرف قبيلته بدعوته ورسالته أمر علياً، رضي الله عنه، أن ينظم مأدبة يوجه الدعوة إلى جميع بني عبد المطلب لحضورها... ولما فرغ الحضور من طعامهم قام النبي ﷺ، وخطبهم خطبة شرح فيها دعوته.

ثم سلك النبي ﷺ، طرقاً أخرى كانت ذات تأثير كبير في انتشار الدعوة حينما ذهب إلى رؤساء الحجاج بمناسبة موسم الحج[١].

وعرض عليهم دعوة الإسلام، كما بعث سفراءه إلى بعض الأعيان وكبار القوم.

وكانت تقام في الجزيرة العربية أسواق فصلية يرتادها الناس على اختلاف طبقاتهم، ولم تكن هذه الأسواق للبيع والشراء فحسب، ولكن كانت تنعقد فيها ندوات أدبية وثقافية على أرفع مستوى في ذلك العصر.

فكان ﷺ، ينتهز هذه الفرصة الغالية ويتردد على هذه الأسواق يدعو القوم إلى الله ونبذ عبادة الأصنام والأوثان. كما أنه ﷺ، استخدم وسيلة المراسلة إلى كثير من الملوك كما أشرنا سابقاً[٢].

فلم يترك الرسول ﷺ، وسيلة تقرب دعوته إلى أفهام معاصريه إلا سلكها، ما دامت هذه الوسيلة لا تخالف مبادىء الأخلاق التي وردت بها الشريعة السمحة، حيث يجب على الداعية إلى الله أن

---

(١) ورد ذلك في حديث طويل رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٤٩٢ وقد اقتدى به صلى الله عليه وسلم في ذلك الملك عبد العزيز حيث كان له مأدبة سنوية كبرى يحتفل فيها بحجاج بيت الله الحرام يتبادل وإياهم الآراء فيما ينفع المسلمين ويلقي عليهم خطبة يدعو فيها إلى التمسك بالإسلام الخالص وتوحيد كلمة المسلمين.

(٢) أمين أحسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، ص ٥٩.
تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، نور عالم الندوي.

يتجنب الوسائل التي من شأنها أن تحط من شأن الدعوة أو تنال من شخصية الداعية.

وقد تنوعت أساليب الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز، فكانت هناك وسائل أصلية معروفة كما ظهرت وسائل حديثة لم تعهدها الدعوة في شبه الجزيرة العربية قبل تولي الملك عبد العزيز.

وسوف أقوم إن شاء الله بتفصيل هذه الأساليب، الأصلي منها والحديث في هذا الباب.

□□□

الفصل الأول

وسائل الدعوة

يحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الوسائل الأصلية.

المبحث الثاني: الوسائل الإعلامية الحديثة.

المبحث الأول

الوسائل الأصلية

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرها في الدعوة.

المطلب الثاني: تعيين القضاة والمفتيين وجهودهم في الدّعوة.

المطلب الثالث: التعليم في المسجد.

المطلب الرابع: تعيين الأئمة والخطباء في المساجد للدعوة.

المطلب الخامس: إرسال العلماء والدعاة إلى البادية والهجر.

المطلب السادس: رسائل العلماء ومكاتباتهم.

المطلب السابع: التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة.

المطلب الثامن: استقبال الوفود.

المطلب التاسع: إقامة الجهاد.

المطلب العاشر: إنشاء المدارس.

المطلب الأول

إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرها في الدعـوة

يعد الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقدمة لدراسة الحسبة، فكل مجتمع منظم لا يخلو من أمر ونهي لأنهما أساس كل نظام.

ولقـد انصـرفـت غـالبيـة الـدول الإسـلاميـة عـن إقـامـة ولايـة للاحتساب تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن بما أن المملكة العربية السعودية دولة قامت على أسس إسلامية، فلذا انفردت بإنشاء هذا النظام رغبة منها في الحفاظ على الأخلاق العامة للمجتمع وحماية للشريعة الإسلامية، حيث تمّ على يد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة بعد فتح الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ، وحيث إن الحسبة في الإسلام تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لذلك كان إطلاق اسم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الهيئة التي تتولى أمر الاحتساب في المملكة يعد تسمية طبيعية حيث تسعى هذه الهيئة إلى إقامة صرح هذه الولاية الدينية المهمة (ولاية الحسبة).

وقـد عـرف المسلمـون الحسبـة منـذ فجـر الـدعـوة الإسـلاميـة

وانطلقوا من خلالها يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر باعتبارها من باب الأمر الواجب بالمعروف والنهي الواجب عن المنكر.

وقد عرف الفقهاء الحسبة بأنها:

«أمر بالمعروف إذا ظهر تركه أو نهي عن المنكر إذا ظهر فعله»[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل له فروع كثيرة من بينها الحسبة. فالصلة وثيقة بين مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ باعتباره من المبادىء العامة في الشريعة ـ وبين الحسبة التي تعد أحد تطبيقاته في الحياة العملية.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصطلح قرآني يعبر عن مهمة الرسل ووظيفة الأنبياء، كل بما أرسل معه، ولمن أرسل إليه، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في حديث لقمان لابنه:

﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وٱنهَ عن المنكر﴾[2].

فهو مبدأ إلهي عام جاء به المرسلون وعليه أقيم دين الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله»[3].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٤١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ط (٣).

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) ابن تيمية، الحسبة، ص ٢٦.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: «﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾[1].

هذه الآية دلت على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة، وقد نزلت الآية في بني إسرائيل لأنهم كانوا يقتلون من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وقد لعنهم الله بقوله: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[2]»[3].

وقال أبو حيان:

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه: ظاهره التفاعل بمعنى الاشتراك أي لا ينهى بعضهم بعضاً. ذلك أنهم جمعوا فعل المنكر والتجاهر به وعدم النهي عنه، والمعصية إذا فعلت وقدرت على العبد ينبغي أن يسترها للحديث: «ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[4].

فإذا فعلت جهاراً وتواطوء على عدم الأنكار كان ذلك تحريضاً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٨، ٧٩.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم (ج ٢/ ١٢٨٨) ط الشعب.
(٤) أخرجه البخاري (ج ١٢/ ١٠٨ فتح الباري) كتاب الحدود ــ باب توبة السارق.

على فعلها وسبباً مثيراً لإفشائها وكثرتها(١).

فما من أمة إلا وقد أمرت بالمعروف كاتباع أنبيائهم وشرائعهم، ونهيت عن المنكر كالإلحاد وتكذيب الأنبياء. وكل الرسالات السماوية كانت في مضمونها الأساس أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، كما أعلن المرسلون جميعاً ضرورة المبدأ الذي رسم معالمه بالأقوال والأفعال الركب المتتابع من رسل الله إلى محمد، ﷺ، والذي وصف بأنه: ﴿يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر..﴾(٢).

والاحتساب برز مع بداية الدعوة الإسلامية، حيث قام الرسول ﷺ، في مكة يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر باعتباره من أوضح السبل لنشر الدعوة.

وكذلك فعلت الفئة المؤمنة القليلة التي آمنت به واهتدت بسنته.

وجمهور الفقهاء على أن الحسنة واجبة على مجموع الأمة لورود نصوص الوجوب عامة دون تخصيص(٣).

وهذا الواجب لا يسقط عنهم إلا بالأداء فإذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقين وإذا لم يقم بتأديته أحد أثمت الأمة كلها والحكام والعلماء وعامة المسلمين في ذلك سواء(٤).

---

(١) البحر المحيط، (ج ٣/ ٥٤٠) ط دار الفكر ١٩٧٨ م.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) انظر: الخلال: الأمر بالمعروف ص ٨٥، وابن تيمية: الحسبة ص ٤٥، والنووي: شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٢.

(٤) د. محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص ٥٥، دار الهداية=

وليس في نصوص الكتاب والسنة ما يجعل واجب الحسبة مخصصاً بفئة دون فئة، بل إن هذه النصوص تؤكد أنه واجب عام يرتبط بالوسع ويؤديه كل مسلم حسب طاقته[1].

ولا شك أن المحتسب داعية إلى الله فهو يدعو إلى الخير ويحذر من ضده.

ويمكن تصنيف القائم بالحسبة إلى قسمين:

(أ) المحتسب الفرد (المتطوع).

(ب) المحتسب الموظف.

(أ) المحتسب الفرد:

أما الحسبة من آحاد المسلمين فثابتة لكل فرد فيهم وهي لا تتوقف إلا على مدى قدرة المكلفين.

ويمكن الاستدلال على ذلك من ترتيب مراتب الاحتساب وهي اليد واللسان والقلب. حيث إن القدرة تتعلق بالحسبة عن طريق التغيير باليد واللسان، أما مرحلة الإنكار القلبي فالقدرة عليها عامة ممكنة لأنه لا سلطان لأحد على القلب ولا يعلم ما فيه ويحاسب عليه إلا الله.

= مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦ م.

(١) من الأمثلة على ذلك قول الله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
وقال سبحانه ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ سورة التوبة، الآية: ٧١.

والمحتسب الفرد يكون من عامة المسلمين عندما يتعلق محل الحسبة بما هو معلوم من الدين بالضرورة كإقامة الصلاة وتحريم القتل لأن ما لا حاجة فيه للاجتهاد فللعالم وغير العالم أن يحتسب فيه.

ويكون المحتسب الفرد من العلماء إذا احتاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى فقه واجتهاد حتى لا يسود الأمر غير أهله[١].

(ب) المحتسب الموظف:

وهو موظف يكلفه ولي الأمر للقيام بهذا الواجب (وتتعدد صور الحسبة عن هذا الطريق فقد تنشأ ولاية الحسبة وعلى رأسها موظف كبير يهيمن على شؤونها ويكون مسؤولاً أمام ولي الأمر وينوب عنه ممثلون باختصاصات مكانية أو نوعية يمارسون الحسبة في مجالات متعددة.

وقد تتغير الصورة لظروف فنية أو سياسية فتتوزع اختصاصات المحتسب على الإدارات المختلفة في الوزارات، وهذه الصورة تلائم الدولة الحديثة بما هي عليه من تقسيم في العمل وتنوع في الاختصاصات وتطور في العلوم والحرف والصناعات حتى أصبحت تحتاج الحسبة إلى موظفين على دراية معينة يصعب جمعهم في إدارة واحدة[٢].

وهكذا نرى أن المحتسب الفرد تجب عليه الحسبة وجوباً كفائياً

---

(١) محمد كمال الدين إمام. أصول الحسبة، ص ٥٩، مطبعة دار الهداية، القاهرة، ط (١)، ١٤٠٦ هـ.

(٢) المرجع السابق ص ٦٠.

في أغلب الحالات أما المحتسب الوالي فتجب عليه الحسبة وجوباً عينياً في جميع الحالات.

الحسبة في الدولة السعودية قبيل تولي الملك عبد العزيز:

تولى الشيخ محمد بن عبد الوهاب مسؤولية الحسبة فبدأ نشاطاً مكثفاً في الدعوة إلى الله عن طريق الرسائل واللقاءات، واستطاع أن يقوم بإزالة الكثير من عناصر الشرك والبدع، كما قام بتنفيذ الحدود على مرتكبيها بالإضافة إلى أعماله الأخرى في الإفتاء والقضاء والتعليم. ثم بايع الإمام محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة شرائع الإسلام، وبذلك أصبح للشيخ محمد بن عبد الوهاب صلاحيات تجعله يقوم بواجب الحسبة باعتبارها ولاية بعد أن كانت مجرد حسبة فردية وذلك بتفويض من رئيس الدولة الأمير محمد بن سعود.

وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قام بهذه المهمة أبناؤه وتلاميذه حيث كانت لهم صلاحيات المحتسب التي كانت للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

«فقد تضامن العلماء والأمراء في الاحتساب: الأولون لتبيين الأحكام والآخرون للتنفيذ والردع»[١].

أما الحسبة في الدولة السعودية الثانية فإن العلماء استمروا يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطوعاً.

---

(١) عبد العزيز المرشد، نظام الحسبة في الإسلام ــ ص ١٦٤.

وقد عزا بعض المؤلفين[(١)] قرار إنشاء أول هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى هذه الدولة حيث قال:

«ويبدو أن تطوراً هاماً حدث في أمر الاحتساب مع إرهاصات الدولة السعودية الثانية. فقد صدرت أوامر الإمام فيصل بن تركي في فترة حكمه الأولى بإنشاء هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أول خطاب ألقاه على الشعب سنة ١٢٣٤ هـ واستمرت هذه الهيئة حتى عام ١٢٣٨ هـ ثم عادت مع عودته للحكم سنة ١٢٤٩ هـ»[(٢)].

إلا أن المؤرخين الذين كتبوا عن الحسبة في الدولة السعودية يذهبون إلى أن تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تم في عصر الدولة الثالثة على يد الإمام عبد العزيز ــ رحمه الله ــ[(٣)].

أما بالنسبة لإنشاء هيئة منظمة للحسبة في الدولة السعودية الثانية فتشير معظم المراجع إلى أن الظروف السياسية المضطربة التي شهدتها الدولة السعودية الثانية يستبعد معها التفكير في إنشاء جهاز منظم للحسبة[(٤)].

---

(١) الدكتور محمد كمال الدين إمام، ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه هذا الخبر في (أصول الحسبة).

(٢) د. محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٣١.

(٣) راجع في ذلك:

أ ــ سعد محمد ابراهيم، تاريخ المملكة، ص ١٦٤.

ب ــ رابح لطفي، حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ٩٥.

(٤) المرشد، نظام الحسبة، ص ١٩٢.

الحسبة في عهد الملك عبد العزيز:

عندما فتح الملك عبد العزيز مدينة الرياض سنة ١٣١٩ هـ كان العلماء يقومون بواجبهم في الاحتساب على مستوى فردي منهم الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ الذي كان يقوم بالحسبة تطوعاً في مدينة الرياض.

وعندما استقرت الأمور نسبياً واتسعت نظم الحكم كلف الملك عبد العزيز الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ليقوم على ولاية الاحتساب ومن ثم فقد تم تنظيم أمور هذه الولاية على أساس أن يكون الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ والياً للحسبة والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ والشيخ عبد الرحمن بن إسحاق آل الشيخ والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ مساعدين لوالي الحسبة.

وقام الملك عبد العزيز بتزويد المحتسب ببعض الرجال من أعوانه وجنوده واتسع نطاق الحسبة ليشمل تولي أمورها في المنطقة الوسطى والشرقية والحدود الشمالية مما استدعى إيجاد مقر دائم للرئيس العام بمدينة الرياض واستدعى التطور إنشاء عدة مراكز بمدينة الرياض زودت بأعضاء وجنود ورئيس يدير شؤونها (وهكذا منحت الدولة رجالها حق السلطة التنفيذية في حدود معينة كي يتمكنوا من حمل الكافة على الالتزام بأوامر الشرع والوقوف عند نواهيه[1].

(١) د. سعود بن سعد الدريب، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٢٤.

«كما تم تعيين هيئة تقوم بالاحتساب في كل مدينة أو قرية تتبع الرئاسة العامة في الرياض»[1].

وبناء على الإجراءات السابقة التي اتخذها الملك عبد العزيز فقد طرأ على الحسبة في المملكة تطورات هامة فقد تحولت الحسبة من المجهودات الفردية إلى الولاية الرسمية بشكل قاطع حيث كان للمحتسب مقر دائم وتوزعت المسؤوليات بين الرئاسة والفروع وأصبح لوالي الحسبة شرطة خاصة وسجن يؤدب فيه المذنبين ودوريات تمارس عملها كل في حدود الاختصاصات النوعية والمكانية خلال ساعات الليل والنهار.

وهكذا أصبحت هناك هيئة يقوم هدفها الأساس على غرس القيم الشرعية ومقاومة المخالفات، وتهيئة المناخ النفسي والفكري والأخلاقي السليم الذي يمكن فيه تكوين الدعاة، وتحويل الدعوة من نماذج فردية متناثرة إلى نظام عام يسود المجتمع ويقف في وجه عوامل الهدم بالوسائل العملية المؤثرة.

جهود العلماء في الحسبة في عهد الملك عبد العزيز:

أعطت ولاية الحسَبة العلماء في نجد صلاحيات خولها لهم التفويض الذي منحهم إياه الملك عبد العزيز والنصرة بالجنود والتأييد بسلطان الشرع، مما مكنهم من القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب أفضل وأيسر من الحسبة الفردية مما خدم الدعوة الإسلامية حيث قضى على كثير من المنكرات الظاهرة، وقد عرف عن

---

(١) عبد العزيز المرشد، نظام الحسبة في الإسلام، ص ١٩٢.

الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ ــ وهذا مجرد نموذج نقدمه ــ أنه إذا علم أن شخصاً ما أتى زلة من الزلات أحضره عنده وزجره وهدده بالعقاب فإن عاد قام الشيخ بجلده.

وفي مجال الصلاة كان الشيخ إذا عرف عن شخص تركه لصلاة الفجر أتى به إلى بئر من الآبار وسكب عليه دلواً من ماء فيعرف كل من رآه أنه معاقب، وكان يعاقب المتكاسلين عن الصلاة بالمناداة على أسمائهم في المسجد ويأخذ أغطية رؤوسهم فيحرقها عند باب المسجد فيعودون إلى منازلهم حاسري الرؤوس عقاباً لهم تشهيراً بهم، وكان الشيخ عبد العزيز يجمع أعوانه ويقوم بدوريات ليلية على الأحياء والدروب والأسواق ومن وجدوه في حالة مشبوهة أو كان شخصاً غير معروف بالاستقامة يحقق معه وينكر عليه فعله وقد يحبس في الهيئة حتى الصباح[1].

ويلاحظ من هذه الأنشطة أن مجالات الاحتساب اتسعت لتستوعب جميع الأنشطة العبادية والأخلاقية العامة والخاصة التي تتم في حياة الناس وذلك بفضل الله ثم نتيجة طبيعية لتنظيمها من ناحية التولية والتوجيه والسلطان.

وهناك نموذج ثان يتمثل في الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، فقد عرف منذ شبابه بالنجابة التي كانت ظاهرة عليه، وكانت الحسبة لا تولى إلا لذوي الغيرة الدينية والسياسة الشرعية، فقلده الإمام عبد الرحمن الفيصل القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) عبد العزيز المرشد، نظام الحسبة في الإسلام، ص ١٩٢.

مساعدة للشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف، فقام بهذه المهمة خير قيام وخاف منه أهل الشر وانقمع بسبب صرامته وحزمه أهل الفساد. ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره، ثم ولاه الملك عبد العزيز رئاسة هيئة الأمر بالمعروف بنجد والمنطقة الشرقية عام ١٣٤٥ هـ خلفاً للشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف واستمر في هذا المنصب إلى وفاته.

وكان حازماً قوياً صارماً بالحق لا تأخذه فيه لومة لائم فكان لذلك يهابه أهل الفجور والفسق وهو إلى ذلك دائم التذكير والوعظ والتوجيه والإرشاد فنفع الله به[١].

ومن النماذج المشرقة في هذه الفترة كذلك، ممن أسهموا في تدعيم ولاية الحسبة وكان لنشاطه في المنطقة الحجازية أثره الطيب الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ.

فقد سارت الحسبة على يديه مؤدية واجبها، ولم يزل قائماً بها مع القيام بحق العلم ونشر الدعوة السلفية لا سيما مع علماء حجاج الأمصار الذين يقابلونه في كل موسم فلا يصدر غالبيتهم إلا عن قناعة ومعرفة بحقيقة هذه الدعوة التي شوه جمالها أعداؤها ونفر عنها خصومها فجعل الله في مجالسه البركة وكان لحسن خلقه ولطف عشرته وغيرته الشديدة على دينه وعقيدته الإسلامية أثره الكبير في الدعوة إلى الله ونشر العقيدة الصحيحة والسلوك الإسلامي الرشيد.

---

(١) الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٣/ص ٧٤٢، ص ٧٤٣ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ ــ النهضة الحديثة بمكة.

وكانت الصفة التي يمتاز بها الشيخ عبد الله هي القوة في صحة الموالاة لله تعالى والمعاداة لأعدائه، فقد حقق ذلك تحقيقاً عملياً فكان لا يجامل في عقيدته ولا يحابي في دينه مهما كان الأمر وكانت الأحوال وكبرت الشخصيات أو صغرت فالميزان عنده للمحبة هو القرب من الله أو البعد عنه(١).

وكان كثير من أعضاء الحسبة يقومون بجولات ميدانية للمراقبة والاطلاع وكانوا أثناء ذلك يقومون بالتوجيه والنصح والارشاد بالقول والعمل وباللين والشدة لكل أمر يلاحظونه سواء كان فعل منكر أو إضاعة واجب أو مستحب.

وهذه بعض الأمثلة لجهود العلماء في مجال الحسبة أوردناها على سبيل المثال لا الحصر وإلا فهناك علماء أجلاء عددهم كثير من ذوي الغيرة على محارم الله يغضبون متى انتهكت محارمه كانوا يمارسون الحسبة تطوعاً إلى جانب ولاة الاحتساب. وكان هؤلاء العلماء متى سمعوا أو رأوا شيئاً ظاهراً من المنكرات لا تقر أنفسهم حتى يسعوا إلى إزالته أو تخفيفه حسب المقدرة ومراجعة من بيده المسؤولية لا سيما إذا كان ذلك يتصل بالحقوق الشرعية أو بحدود الله.

كما كان هؤلاء العلماء يجتهدون في مراجعة المسؤولين عن أسباب ظهور تلك المنكرات والسعي في علاجها فيتصلون بهيئة الأمر

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١/ص ٨٤ ــ ٨٥.

بالمعروف والنهي عن المنكر ويخبرونهم بما تجدد لديهم من معلومات عن المنكرات الظاهرة ويحثونهم على إزالتها وتغييرها أو تخفيفها.

كما كان هؤلاء العلماء المتطوعون للاحتساب يتصلون بالملك عبد العزيز ويتبادلون معه النصح في مجال الاحتساب.

وكان لهؤلاء العلماء تلاميذ فيهم حماسة وغيرة فكانوا متى سمعوا أو رأوا شيئاً من المنكرات قد ظهرت ولم يقم الحد على أصحابها راجعوا العلماء واتصلوا بالمسؤولين حتى يؤخذ على أيدي أولئك العصاة كما كان العلماء يجتهدون في تقرير عقوبة لمن ترك الصلاة أو لمن أفطر في نهار رمضان بغير عذر شرعي أو نحو ذلك[1].

وكما أشرنا فإن العقوبة كانت لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث كان لها الصلاحيات في الحبس أو الجلد أو غير ذلك مما يحصل به الارتداع.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التعاون بين المسؤولين والعلماء إن حصل الأمن في البلاد على الدين والنفس والأموال مما يؤدي إلى حصول المصالح العامة للخاص والعام من المسلمين.

وانطلاقاً من إيمان الملك عبد العزيز بدور ولي الأمر في تنظيم ولاية الحسبة والقيام عليها لم يكتف الملك عبد العزيز بتنظيم هذه الولاية في نجد، بل إنه بمجرد أن فتح الحجاز أصدر أوامره بإنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد مكاتبات تمت بينه وبين

---

(١) محمد الشثري، إتحاف اللبيب، ص ١٥٣/ الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ.

رئيس القضاة في إقليم الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد الذي كلف باختيار رئيس الهيئة والمعاونين.

«وبذلك كان للملك عبد العزيز رحمه الله الفضل بعد الله في تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة، وكان مقرها في مدرسة (أحمد عيد) بباب الصفا».

وقد تشكلت الهيئة من علماء مكة ونجد برئاسة الشيخ (عبد الله الشيبي) وكان الأساس في إنشائها هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر وحث الناس على الطاعة وجاء في قرار إنشائها أن أهدافها هي الأهداف الخمسة الآتية:

١ ــ تتبع المعاملات والعادات فما وافق الشرع منها تقره وما خالفه تزيله.

٢ ــ منع البذاءة اللسانية التي تعودها السوقة.

٣ ــ حث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة.

٤ ــ مراقبة المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم وحضور الناس بها وغير ذلك من دواعي الإصلاح.

٥ ــ أن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميع الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا أعياها أمر من الأمور رفعت مذكرة إلى ولي الأمر لإجراء اللازم[١].

---

(١) لمحات من الإصلاحات الدينية والاجتماعية في عهد صقر الجزيرة بحث ودراسة تاريخية من إعداد إبراهيم محمد سرسيق. =

ولم يقتصر عمل رجل الحسبة على البحث عن المنكرات والتأديب والتعزير عليها وإنما شمل عمله حمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين من الإكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والمارة ويشمل كذلك حماية المجتمع من غش الباعة والصناع بحيث لا يغش هؤلاء من صناعة أو وزن ومن الأطباء والجراحين والصيادلة فلا يصفون للمرضى علاجاً خاطئاً ولا يبيعونهم عقاراً مغشوشاً، ومن المحتكرين والصرافين فلا يرفعون السعر ولا يغشون في النقود إلى غير ذلك من الاختصاصات التي انتقل غالبها إلى عدة أجهزة في الدولة[1] ولا شك أن هذه الهيئة بنظامها المذكور تعتبر امتداداً إسلامياً لنظام الحسبة في الإسلام حيث كان المحتسب في عصور الرسالة الزاهرة يقوم بنفس هذه المهام تقريباً مع تخويله من السلطة ما يمكنه من امضاء التعاليم الدينية بقوة الردع إذا اقتضى الأمر.

ولا شك أنه لن يكون للهيئة من فعاليات تمكنها من تحقيق أهدافها إلا إذا تسلحت بقوة الردع عند الضرورة، وقد كان من الأمور الجديرة بالإعجاب أن ينشيء الملك عبد العزيز هذه الهيئة وهو لا يزال

= (من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين) سنة ١٤٠٧ هـ، الزقازيق، مصر، وهي ندوة أقيمت بالتعاون بين رابطة الجامعات الإسلامية وجامعتي الزقازيق وقناة السويس.

(١) د. سعود بن سعد الدريب، التنظيم القضائي في المملكة، (ص ٤٨١، الطبعة الأولى).

يخوض غمار توحيد أقاليم المملكة.

وهكذا أعطيت هذه الهيئة صلاحية اتخاذ ما تراه من وسائل عملية تكفل نجاح فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان هناك دليل لعمل موظفي الهيئة واختصاصاتهم ألفه الشيخ محمد بهجت البيطار[1] استند فيه على كتاب الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، كما حاول فيه أن يبين بعض المجالات الجديدة في مجال الاحتساب والتي ظهرت في المملكة العربية السعودية نتيجة التطور والتوسع في المعاملات بعد توحيد المملكة[2].

جهود الملك عبد العزيز الشخصية في الحسبة:

ومع أنه لا يمكن إغفال الأثر الذي ترتب على تأسيس هذه الهيئة إلا أنه لا يمكن إغفال جهود الملك عبد العزيز الشخصية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمتمثلة في رسائله ومناصحته للأمراء وعامة الناس بوجوب التزام الطاعات والانتهاء عن المنكرات.

حيث عرف من الملك عبد العزيز أنه آمر بالمعروف ناه عن المنكر متمسك بأحكام الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً في كافة المجالات عامل بما يحقق المصلحة لبلاده وشعبه محباً للعلماء كثير التوجيه والنصح والإرشاد لهم إيماناً بأن محبة الخير لإخوانه كمحبته لنفسه[3].

---

(١) وكان يعمل مديراً للمعهد الإسلامي السعودي بمكة المكرمة.

(٢) د. محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٣٤.

(٣) الدريب، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٣١.

قال الملك عبد العزيز رحمه الله في اجتماع له بموظفي الدولة «نحن وضعنا جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فبلاغاتها ومقرراتها تشمل الجميع على السواء وأنتم يا جماعة الموظفين أحق الناس باتباع أوامرها واجتناب منهياتها فإنكم أنتم المكلفون بتنفيذها فإذا كنتم لا تبدؤون بأنفسكم وتكونون قدوة صالحة للناس يصعب تطبيقها وتنفيذها»[1].

وقد أمر رحمه الله بعض منسوبي الاحتساب[2] بأمور أولها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه ــ كما يقول الملك عبد العزيز ــ هي رأس المال.

الثاني: سعة الصدر مع الناس بحيث يعطي كل ذي حق حقه بالشرع ولا يتعدى أمر الشرع...[3].

والمحلل لعبارات البرقية التي أرسل فيها الملك عبد العزيز أوامره السابقة يجد فيها من حرص الملك عبد العزيز إيمانه بضرورة الحسبة وأهميتها الكبيرة حيث نلاحظ ما يلي:

(أ) تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمور التي وصى بها.

(ب) وصفه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه (رأس

---

(١) جريدة أم القرى عدد ١٤٢ الصادر في يوم الجمعة ٦/ ربيع الأول ١٣٤٦ هـ.

(٢) هما: محمد بن ظرمان، ومحمد بن مرضي.

(٣) الرسالة مخطوطة بدارة الملك عبد العزيز تحت رقم (١٩٧٩).

المال) أي إنه أساس لا بد من المحافظة عليه.

وهناك رسالة جامعة للملك عبد العزيز رحمه الله وجهها لعامة إخوانه المسلمين بالبلاد يحثهم فيها على شكر النعم وعدم التكاسل عن الصلاة ووجوب التناصح فيما بينهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره واجباً على الجميع كل على حسب استطاعته.

ومما ورد في رسالته قوله رحمه الله: «وجب علينا القيام على أنفسنا بالخضوع والتضرع والشكر لرب العزة والنصيحة لإخواننا المسلمين...

ثم بعد ذلك رأيت بعض التغافل والتمادي في أمر هذه الدنيا وذكر لي أن الناس معهم كسل في الصلاة والمبادرة لها وهذا شيء ما هو بدليل خير فالرجاء أن تقوموا على أنفسكم وتناصحوا إخوانكم المسلمين... وتؤدوا النصيحة للخاص والعام كل على حسبه العالم على قدر علمه وموقفه وطالب العلم على قدر اقتداره والباقي من كان يقدر يقوم بما أوجب الله عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليه أن يقوم بذلك على قدر استطاعته على الأمر المشروع...»[1].

وهذه الرسالة العامة في حد ذاتها بمضمونها الواضح دعوة لتغيير النفس والمجتمع وإخضاعها للالتزام بالشرع، ومن الرسالة يتضح قيام الملك عبد العزيز بمراقبة الأمور العبادية والسلوكية، كما يتضح فقه الملك عبد العزيز بمراتب الاحتساب وتفاوت الإمكانات. ولا شك أن هذا الاهتمام من ولي الأمر يدل على أنه داعية وولي أمر

(١) الرسالة مخطوطة بدارة الملك عبد العزيز برقم ٨٨٨ قسم الوثائق.

في سياق واحد، ويدل على غيرته على الأمور الشرعية، واهتمامه بها وحثه الناس على تطهير المجتمع، وكلها أمور ذات صلة وثيقة بالدعوة في إطارها العام، بل هي أدخل في أزكى أهداف الدعوة، وهو تغيير النفس والمجتمع من أجل إصلاح الأرض وتبليغ كلمة الله بالقدوة الحسنة والسلوك الشريف ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1].

وفي رساله وجهها ــ رحمه الله ــ إلى الشيخ عبد الرحمن بن عودان يطلب منه تعيين نواب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأهل بلدة (مرات)، أمر رحمه الله في رسالته بتعيين نواب يتوافر فيهم العقل والقدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه الشرعي[2].

وكان الملك عبد العزيز كثيراً ما يتبادل الرسائل المتضمنة للآراء والتشاور مع العلماء بخصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقد وردت رسالة من أحد العلماء ينصح فيها الملك عبد العزيز بأن يختار لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمثل من يوجد ويحذره هذا العالم المخلص من أن يتولى أمر الاحتساب بعض العوام الذين لا يفقهون الشرع ولا يقدرون على النظر في الأحكام ويشير هذا العالم إلى أن المحتسب العام يجب أن يكون ممن يصلحون للقضاء وتبرأ الذمة أمام الله سبحانه وتعالى بتوليهم الحسبة وقد استقبل الملك

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) من رسالة للملك عبد العزيز مخطوطة بدارة الملك عبد العزيز قسم الوثائق برقم (٨٨٧).

عبد العزيز هذه الرسالة ـ وغيرها ـ بصدر رحب بل كان رحمه الله يدعو العلماء إلى تبادل الرأي وإرسال الرسائل إليه.

ويتضح من الرسالة السابقة[١] ومن معظم الرسائل[٢] التي طالعناها أن مناصحة الملك عبد العزيز للرعية لا بد أن تتضمن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا إن لم يأت هذا الواجب في مقدمة نصائحه في أغلب الأحيان، كما وإننا نلاحظ اهتمامه بمن يقوم بهذا العمل وإنهم يجب أن يكونوا من أهل الخير والاستقامة.

ونتيجة لتأسيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة فقد أصبح لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رئاستان الأولى في الرياض والثانية في الحجاز وغطى الاحتساب كل أقاليم المملكة حيث أمر الملك عبد العزيز بفتح هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع البلدان.

ومن الجدير بالذكر هنا أن التطور الذي شهدته الدولة السعودية في عهد الملك عبد العزيز والنمو الذي حدث في النواحي السياسية والادارية في البلاد بعد التوحيد أظهرت مجالات أخرى ذات صلة بمجال الاحتساب ومنها:

الجهات القضائية المختلفة.

الجهات الأمنية المختلفة.

---

(١) رسالة مخطوطة بدارة الملك عبد العزيز برقم (٦٦٠).

(٢) يوجد العديد من الوثائق التي تخدم هذا الموضوع لكني اكتفيت بهذا القدر تحقيقاً للغرض المقصود.

وقد أدى ظهور هذه الهيئات على نحو منظم إلى مساعدة المحتسبين والدعاة على أداء رسالتهم وتحقيق أهدافهم ويبدو ذلك واضحاً في مجال حماية الأخلاق والآداب العامة والمحافظة على قيم المجتمع الإسلامي للبلاد السعودية كذلك في مجال حماية الشباب من الانحراف ومقاومة المنكرات في العديد من المجالات، وعموماً فإن الإسلام قد جعل من مبدأ الحسبة بصوره المختلفة نظاماً شرعياً له تطبيقاته المتعددة بحيث أصبح اغفاله مخالفة شرعية كبيرة بل إنه يؤثر على حيوية المجتمع الإسلامي وفاعلية الفرد المسلم.

إن الاحتساب نظام يتأكد به دور الأمة الدعوي العام كما يتأكد به دور الجماعة الإسلامية كحارسة لقيم الدين ودور الفرد المسلم باعتباره مسؤولاً مسؤولية فردية ــ أمام الله ــ عن القيام بواجبه الشرعي ليصبح جهاز رقابة ذا فاعلية خاصة ويمهد الطريق العملي والأخلاقي في مسيرة الدعوة إلى الله عن طريق تقديم الفرد المسلم الملتزم والمجتمع المسلم.

وعليه فالحسبة تبرز أهمية المسؤولية الفردية ومكانتها في الشرع الإسلامي كما تبرز أهمية الجماعة المسلمة المتفقهة الواعية ودور الأمة كلها في مجال الدعوة كل حسب قدرته.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره رقابة المسلمين على الشرعية في المجتمع الإسلامي لم يتوقف في يوم من الأيام. فطالما كان هناك إسلام ومسلمون فلا بد أن يوجد فيهم من يؤدي هذا الواجب، ولكن قد يقل تأثير هذا الواجب في بعض الفترات لقلة الوازع الديني في كثير من الجماعات ولأن المتغيرات التي مر بها

عالمنا الإسلامي في القرون الثلاثة الأخيرة أحدثت فجوة بين الإسلام عقيدة وشريعة وبين المسلمين واقعاً ومنهج حياة، فلذلك قل تأثير الاحتساب والدعوة في بعض الفترات ولكن مع ذلك فقد بقي وجود المحتسب الداعية مقوماً أساسياً من مقومات الوجود الإسلامي لأنه ركن من أركان الدعوة لا يتخلف عنها.

وإذا كانت إقامة الحسبة في الأصل تمثل واجباً عاماً على كل مسلم شأنها شأن الدعوة عامة فإن وجودها في الحياة الإسلامية حقيقة واقعة على الأقل في صورة النصح لكل مسلم فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن جرير رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[1].

فواجب النصح الفردي مرحلة ـ أولى ـ في مجال الدعوة نقف عليها وتأتي بعدها المراحل التالية أي مرحلة الأمة وفي السطور التالية أبين الدور المباشر وغير المباشر الذي يقوم به نظام القضاء ونظام التعليم في دعم وظيفة الحسبة وتحقيق أهدافها بما يخدم الدعوة إلى دين الله الحق.

□□□

(١) أخرجه البخاري (ج ٢/ ٧ فتح الباري) كتاب مواقيت الصلاة ـ باب البيعة على إقامة الصلاة.
ومسلم ١/ ٧٥ كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

المطلب الثاني

تعيين المفتيين والقضاة وجهودهم في الدعوة

لا بد للمجتمع الإسلامي من رجال يبينون له طريق السعادة التي جاء بها الإسلام ويوضحون للسائلين حكم الإسلام كما أنه لا بد للمجتمع من رجال يعرفون العدل ويحكمون به ولا شك أن هاتين الوظيفتين من خير وسائل الدعوة للمخلصين الراغبين في سعادة البشر، وحكمة القضاء منع الظلم ونصرة المظلوم وقطع الخصومات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والقضاة هم الذين يقومون بالفصل في المنازعات بين الخصوم وهم الذين يحكمون بالقصاص ويصدرون الأحكام بإقامة الحدود أو بالتعزير ولا يصلح كل شخص لأن يتولى القضاء، بل لا بد من أن تتوافر فيه الشروط التي تجعله صالحاً لأداء هذا العمل.

واشتغال الدعاة بالقضاء ليس أمراً جديداً على الدعوة بل إنه منذ فجر الدعوة والرسول ﷺ يرسل أصحابه للدعوة والقضاء معاً فقد ورد أنه أراد أن يرسل معاذاً إلى اليمن ـ كما ورد في الحديث ـ فسأله رسول الله عليه الصلاة والسلام قائلاً: كيف تقضي إذا عرض لك القضاء؟ قال: بكتاب الله قال فإن لم تجد قال بسنة رسول الله قال:

فإن لم تجد قال: اجتهد رأيي قال: الحمد لله الذي وفق رسول الله بما يرضي رسول الله . . الحديث[1] .

ويتضح من الحديث أن الرسول ﷺ كان قد بعث معاذاً إلى اليمن يدعو إلى الله ويقضي بين أهلها بكتاب الله وسنة رسوله .

قال ابن القيم :

«وبعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك داعيين إلى الإسلام فأسلم عامة أهلها طوعاً من غير قتال»[2] .

ونظراً لأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ هما الأصلان اللذان يرجع إليهما عند التحاكم وبهما يكون الفصل في المنازعات فإن من الطبعي والحالة كذلك أن نرى الدولة تضع علماء الشريعة وفقهاء الدين في المنزلة التي تليق بهم لأنهم بذلوا الجهد لدراسة دين الله واستيعاب أحكامه وتشريعاته فهم يعلنون بما عرفوه وعلموه من دين الله لتهذيب النزعات الإنسانية والدوافع الفطرية حتى يعود الجميع إلى حكم الله ورسوله في رضى واطمئنان .

«والقضاء وإن كان مظهراً طبيعياً من مظاهر الحكم إلا أن له

---

(١) رواه أبو داود، باب اجتهاد الرأي في القضاء انظر (بذل المجهود في حل أبي داود ج ١٥/ ص ٢٦٨) وقال الترمذي: الحديث منقطع الإسناد لكن له شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس. (ورواه البخاري موقوفاً على ابن عباس كتاب الزكاة. الفتح ج ٣/ ص ٢٦١).

(٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ١/ ص ٤٦ .

اعتباره من الوجهة الشرعية التي تمنع نفاذ أحكام القاضي الشرعي ما لم يكتسب حق التولية التي يملكها الحاكم أو نائبه»[1].

ومن أهم ما يميز القضاء في هذه البلاد أن مرجع الفصل في كل خصومة شرع الله والقول فيها للقائمين عليه من أهل العلم ورجال الفقه في الدين.

والولاة يصدرون أحكامهم وتشريعاتهم عن رأي العلماء الذين لا يألون نصحهم وإخلاصهم لحاكمهم وتذكيره وإيضاح ما خفي عليه أمره في مظهر كريم من التعاون الصادق المخلص بين العلم والهدى وبين السيف والسنان، «وقد عرف الناس مدى اعزاز ملوك هذه الجزيرة وسكانها لرجال الشرع والقضاء ووضعهم في المكان اللائق بهم وبعلمهم فلست تراهم إلا ولهم الرأي المسموع والقول النافذ». «وقد اتبعت الدولة السعودية الناشئة نظام تعيين قاض وإمام في كل بلد تدين لها وحرصت على أن تجعل للقبائل المتنقلة قضاة وأئمة للصلاة يعلمون حدود الله وأحكامه»[2].

وإخلاص الولاة للمبدأ الكبير وهو إعزاز دين الله وتحكيمه في كل شؤون حياتهم العامة والخاصة أوجد في نفوس رعاياهم مبدأ الاحترام والهيبة لرجال العلم والاطمئنان والثقة فيلجأون إليهم في غير

---

(١) الشيخ حسن آل الشيخ، التنظيم القضائي في المملكة، ص ٣١.

(٢) انظر: د. عبد الله أبو راس، بدر الديب/ الملك عبد العزيز والتعليم ص ١١٥.

وقد أورد المؤرخ ابن بشر في كتابه (عنوان المجد) أسماء العديد من قضاة البلدان في الدولة السعودية منذ عهد الإمام محمد بن سعود رحمه الله.

مشاكل القضاء لاستفتائهم وطلب مشورتهم.

وأنا إذ أعبر هنا بلقب (العالم) بجانب لقب القاضي فلا أعني به تجرد الأخير من العلم لكني أشير إلى إمكان وجود علماء أفاضل لهم مكانتهم في النفوس والقلوب ممن ليسوا بقضاة وإلا فالواقع الطبعي ينفي الاستحقاق للقضاء ممن لم يضرب في العلم بسهم وافر[١] على أنه بالرغم من تبليغ العلماء ومنهم القضاة أحكام الدين للناس فقد يبقى بعض الناس جاهلاً بهذه الأحكام.

وهنا يتعين على الجاهل بالأحكام أن يسأل أهل العلم استجابة لقوله تعالى: ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٢].

وهذا ما يعرف في الشريعة بنظام (الإفتاء) والافتاء في اللغة يعني: السؤال عن أمر أو حكم مسألة.

قال ابن منظور: هو الابانة.

يقال أفتاه في الأمر أي أبانه، وأفتاه في المسألة يفتيه: إذا أجابه.

والاسم: فتوى.

وهو اسم يوضع موضع الافتاء والفتيا والفتوى: ما أفتى به الفقيه[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٣) لسان العرب، ج ١٥/ ص ١٤٧ ــ ١٤٨.

والافتاء في الاصطلاح:

هو السؤال عن أمر أو حكم أو مسألة إذا كانت هذه المسألة تعتبر من المسائل الشرعية[(١)].

وكانت علاقة الملك عبد العزيز بعلماء الشريعة مبنية على الوقار والاحترام لعلمهم الشرعي حيث نذر نفسه لتنفيذ أحكام الشريعة «ومن هنا كان لعلماء الدين المقام الأول عند الملك عبد العزيز فكان يكبرهم ويجلهم ويبالغ في إكرامهم، ويصغي إلى آرائهم المبنية على المناصحة بين الحاكم والمحكوم في مظهر للتعاون الصادق المخلص بين العلم والعمل وبين السيف والقلم وقل أن يجادلهم في أمر يرون فيه ما لا يرى قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة.

وكان لكبارهم هيبة في نفسه لا يصطنعها ولا سيما لمن اشتهر منهم بالعلم والصلاح[(٢)] ولا شك أن احترام الملوك للقضاة يرمز إلى حرمة العدل وتشجيع القضاة على حسن القيام بواجبهم وهو تأكيد لأن العلاقة بين الملك والعلماء كانت قائمة على المناصحة بين الحاكم والمحكوم.

هذا ولم يقتصر دور القاضي في عهد الملك عبد العزيز على مجرد القيام بجميع أمور وشؤون المحاكم من الفصل في المنازعات والقضايا وكتابة العدل وتولي شؤون بيت المال وعقود النكاح في البلد

---

(١) د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ١٣٠، وانظر: اعلام الموقعين لابن القيم.

(٢) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ١٥٩.

التي يعمل فيها بل تعداه إلى القيام بمهام دعوية عظيمة نذكر منها:

١ ــ القيام بدور النصح والتوجيه للحاكم والرعية في الاقليم الذي يعمل به القاضي.

٢ ــ الجهاد في سبيل القضاء على العادات المترسبة من الجاهلية والمخالفة لأحكام الشريعة.

٣ ــ السعي في الصلح بين المتخاصمين.

٤ ــ التدريس ونشر العلوم الشرعية.

٥ ــ الرد على الأسئلة والاستفتاءات بالأجوبة الشافية[١].

٦ ــ الذب عن الدعوة السلفية وتطهيرها مما لحقها من تزوير وتشويه لحقيقتها.

«لا يقتصر عمل المطوع أو المرشد في القبيلة على التعليم بل ربما كان هذا أقل ما يقوم به.

فهو واعظ البلد وخطيب مسجدها وإمامها في الصلوات والمتولي عقود النكاح فيها.

وهو مرجعها الديني في كل شيء وله رأي مسموع في جميع شؤونها»[٢].

ولعل قيام العلماء بهذه الوظائف ــ إلى جانب القضاء ــ خلال فترة حكم الملك عبد العزيز يدل دلالة واضحة على سعة علمهم وبعد

---

(١) يرجع إلى الدرر السنية للتوسع في هذا المجال.

(٢) د. سعود بن سعد الدريب، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٦٢ ــ ٦٣.

نظرهم ورجاحة عقولهم بما أهلهم للقيام بمهام القضاء والافتاء وسائر الوظائف الدعوية كالحسبة وغيرها كما كانت للعلماء ــ وخاصة القضاة منهم ــ مناظرات علمية في مواجهة علماء الضلال من الغلاة أو من أعداء الدعوة السلفية.

وإلى جانب هذه الجهود والمهام الشخصية للقضاة فقد كانت للهيئات القضائية[١] في عهد الملك عبد العزيز نشاطات واختصاصات هامة في مجال الدعوة منها:

(أ) الاشراف على هيئة المعارف:

«وذلك من خلال مراقبة التدريس والكتب وسائر المناهج التي يقررها مجلس المعارف وكذلك التنبيه على المسائل التي تكون فيها مخالفة للمسائل الشرعية»[٢].

(ب) مراقبة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«وذلك من خلال تنبيه الهيئة في حال تجاوزها العرف الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة سيرها وحضها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي حالة وقوع خلاف في الرأي يرجع إليها»[٣].

---

(١) وهي هيئة المراقبة القضائية.

(٢) جاء ذلك في المرسوم الملكي الصادر في ٢٤ صفر سنة ١٣٤٦ هـ، انظر مجموعة الأنظمة ص ٩، ص ١٠.

بتصرف من الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ص ٧٨/ ٧٩، د. سعود بن سعد الدريب.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٩. وهاتان المهمتان للقضاء وهما الإشراف على هيئة=

هـذا إلـى جـانـب قيـام هـذه الهيئـات القضـائيـة بتعييـن الأئمـة والمؤذنين والمدرسين واعتبارها رئاسة القضاة مرجع الفتوى فيما يتعلق بالمصالح المختلفة من خلال هذا العرض المختصر نلاحظ شيئين على هذه المدة الزمنية هما:

(أ) اتساع نطاق واختصاصات القاضي والمفتي من مجرد المهام الرئيسة للوظيفة إلى نطاق تبليغ الدعوة بكافة الوسائل، وبالتالي فليس بالإمكان الحديث عن القضاء دون الحديث عن الدعوة.

(ب) كان هناك وازع ديني قوي متمكن في نفوس الناس وقد بدا هذا واضحاً في ثباتهم مع الملك عبد العزيز في جهاده لنشر الدعوة وهذه نتيجة طبيعية لجهود العلماء السابقة فضـلاً عمـا تحلـى بـه أهـل هـذا الـزمـان مـن صـدق فـي المعاملة.

وبالرجوع إلى ما سبق تقريره من أهمية القضاء في شرعية الحكومة الإسلامية فقد أولاه الملك عبد العزيز اهتمامه الشخصي وحتى يطمئن إلى سلامة المنهج القضائي كان يقوم ــ بنفسه ــ بتعيين القضاة وإرسالهم إلى أقاليم الدولة المختلفة، حيث كان يختار من تحقق له كفاءتهم العلمية، ويكونون من أفضل الناس وأنزههم، ثم

= المعارف ومراقبة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما كانتا في عهد الملك عبد العزيز ثم استقلتا بعد ذلك.

يلزمهم بتولي قضاء الجهات التي يختارهم لها، ويجري عليهم مرتب من بيت المال[1].

وقد اشتهرت جهود بعض القضاة والمفتين الذين عينهم الملك عبد العزيز في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالوسائل المختلفة باعتبار هؤلاء العلماء أصحاب الرأي المسموع والقول النافذ بين الناس.

ومن هؤلاء سماحة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله والذي قام بتدريس العامة والخاصة وتحرير الرسائل والنصائح والفتاوي إلى البلدان النائية وتخرج على يديه طوائف من القضاة وسوف نترجم له في مبحث خاص إن شاء الله.

ومنهم سماحة رئيس القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ «وكان لما استعاد الملك عبد العزيز الرياض ورأى في الشيخ عبد الله الكفاية والتقى عينه إماماً في مسجد والده الإمام عبد الرحمن آل فيصل.

ثم قام الشيخ عبد الله بن حسن بنشر العلم وتثقيف البادية في أهم هجرة وهي (الأرطاوية) فتحولوا من جهلهم إلى العلم والتوحيد وفي سنة ١٣٤٦ هـ اسند إليه الملك عبد العزيز منصب رئاسة القضاء في مكة وهو مقام خطير لا يصل إليه إلا من بلغ من النضج العلمي

---

(١) انظر سعود الدريب، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٦٢.
وحسن آل الشيخ، التنظيم القضائي في المملكة ص ٣١.

مبلغاً كبيراً فضلاً عن اشتغاله بالحسبة حيث كان رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة»[١].

وللشيخ عبد الله جهود في الدعوة عظيمة سوف نفصلها ـ إن شاء الله ـ عندما نترجم له في الباب الأخير من البحث.

ومن العلماء البارزين في هذا المجال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والذي كان مستشاراً شرعياً للملك عبد العزيز في تولية القضاة وكانت له جهود علمية في مجال الدعوة سنذكرها إن شاء الله في الباب الأخير مع ترجمته والشيخ سعد بن عتيق والذي كان يتولى القضاء في الأفلاج أيام حكم ابن رشيد ثم ولاه الملك عبد العزيز على القضاء في الرياض كما أشرنا سابقاً (ومن هؤلاء القضاة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ والذي ولاه الملك عبد العزيز قضاء مدينة الرياض فكان المثل الحسن في العدل والانصاف والنزاهة والعفاف واستمر في القضاء حتى سنة ١٣٥٢ هـ)[٢].

ومنهم قاضي حائل الشيخ عبد الله بن بليهد ولما استتب الأمر للملك عبد العزيز في الحجاز عام ١٣٤٤ هـ نقل الشيخ عبد الله من قضاء حائل إلى رئاسة القضاء في مكة المكرمة فصار هو الذي يقابل الوفود الإسلامية وكان له مواقف مشرفة حمد عليها في تلك الأيام.

ونحن نجد في تولية الملك عبد العزيز للشيخ عبد الله بن بليهد

---

(١) الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١/ ص ٨٢.

(٢) الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢/ ص ٣٥٦.

لقضاء حائل حين فتحها ثم توليته قضاء مكة حين فتحها ما يدل على أمرين:

(أ) معرفة الملك عبد العزيز رحمه الله للرجال وسياسته الحكيمة الرشيدة.

(ب) العقل والحكمة السياسية التي يتمتع بها الشيخ عبد الله بن بليهد ذلك أن سكان هاتين المدينتين حين فتحهما محتاجون إلى ملاطفة وتأليف وتطمين لأنهم لم يألفوا الحكم الجديد ولا يعرفون حقيقته فهم في حاجة إلى رجل له دراية وسياسة ليطمئنهم ويقرب بينهم وبين الحاكم الجديد.

وللشيخ عبد الله بن بليهد مع غلاة البادية نشاط ملحوظ في وعظهم وتوجيههم التوجيه الحسن وله رسالة مفيدة في هذا الشأن[(١)].

ومكث الشيخ عبد الله بن بليهد رئيساً للقضاة في مكة المكرمة حتى عام ١٣٤٥ هـ حيث أعيد إلى حائل بناء على التماس قدمه أهلها إلى الملك عبد العزيز.

وكان للشيخ عبد الله بن بليهد مجلس للتدريس والافتاء والقضاء وله عدة رسائل وأجوبة مفرقة لم تجمع[(٢)].

وفي عام ١٣٥٨ هـ عين الملك عبد العزيز الشيخ سعود بن محمد بن رشود قاضياً بوادي الدواسر حتى عام ١٣٦٤ هـ حيث نقله

---

(١) وردت بعض أجزاء من الرسالة في كتاب علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢/ ص ٥٤٦.

(٢) المرجع السابق، ج ٢/ ص ٥٤٦، ٥٤٧.

إلى قضاء المجمعة ثم استصحبه الملك عبد العزيز إلى روضة خريم لحل قضايا ومشاكل خاصة هناك فأعجب بعقله وعلمه وحسن حله للقضايا فعينه في قضاء الرياض في الدماء وأعمال البادية ثم جعله رئيساً لمحكمة الرياض عام ١٣٦٧ هـ[(١)].

ومن هؤلاء العلماء الشيخ عمر بن سليم قاضي الأرطاوية من عام ١٣٣٠ هـ إلى عام ١٣٣٧ هـ «فقد كان قاضياً وواعظاً ومرشداً بجانب أكبر زعماء البادية في وقته. فيصل الدويش ــ فكان كما ظن فيه الملك عبد العزيز من الخير وحسن الدعوة.

ولما قام بواجب الدعوة إلى الله عند تلك البادية عاد إلى بريدة فعين إماماً في أحد جوامع بريدة ومساعداً لأخيه عبد الله على قضاء بريدة والخطبة والصلاة فيها وجلس لتدريس العلم فكثر طلابه وانتفع به العام والخاص وكانت دروسه تركز على التوحيد وعقائد السلف والتفسير والحديث والفقه وعلوم العربية.

ولما توفي أخوه أمره الملك عبد العزيز بتولي القضاء في القصيم خلفاً لأخيه، فباشر أعمال القضاء ومصالح المسلمين ولم يشغله ذلك عن نشاطه في التدريس والتعليم والوعظ في الجامع الكبير بالقصيم.

وقد تخرجت على يديه أفواج كثيرة ممن ولي القضاء والدعوة

---

(١) ولد في الأفلاج عام ١٣٢٢ هـ وتوفي في مدينة جدة عام ١٣٧٣ هـ، انظر: عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١/ ص ٢٧٠ وص ٢٧١.

في مختلف بلدان المملكة[1] أما أخوه الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم فقد كان مع سعة علمه تقياً صالحاً عليه وقار الحكماء وورع الصالحين.

«ولاه الملك عبد العزيز سنة ١٣٣١ هـ قضاء مدينة بريدة بعد أن كان قاضياً لبلدة البكيرية فلم يشغله القضاء عن أداء واجبه في التعليم فقام بالأمرين خير قيام وكان مكرماً مبجلاً عند الملك عبد العزيز وكان العلماء يقدرونه ويعرفون فضله وعلمه وقوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ولما تمرد زعماء البادية على الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٧ هـ أرسل الشيخ عبد الله بن سليم يفاوضهم وغيرهم بما يجب عليهم من الطاعة ولزوم الجماعة[2].

وفي سنة ١٣٢٤ هـ عين الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري قاضياً على المجمعة ومقاطعة سدير فقام بأمور هامة في مجال السلم والحرب والصالح العام وكان يقوم بواجب القضاء والتعليم والدعوة في جميع بلدان سدير مع ملاحظة رجال الحسبة وأئمة المساجد بالتوجيه والتعيين والعزل[3].

كذلك لما اشتدت صولة الاخوان في عام ١٣٤٧ هـ بتحريض بعض أعداء المسلمين عمل الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ جميع

---

(١) الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٣/ ص ٧٤٥.
(٢) الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢/ ص ٦٢٤.
(٣) الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢/ ص ٥٨٣ وص ٥٨٤.

الوسائل السلمية الحكيمة معهم ومن جملتها أن بعث هذا العالم الكبير العاقل الفاهم لأمور الدين والدنيا ليقوم بالوساطة الرشيدة بين الطرفين فقام بها إلا أن الشر قد استطار فلم تنجح مساعيه فخمدت الفتنة بتأديبهم حتى عادوا إلى الصواب[١].

وفي عام ١٣٣٦ هـ عين الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم قاضياً ومرشداً وإماماً في هجرة الداهنة عند أمير الروقة.

«وفي عام ١٣٥٨ هـ عينه الملك عبد العزيز قاضياً في الرياض ثم نقله إلى رئاسة المحكمة الكبرى في المدينة المنورة سنة ١٣٦٣ هـ.

وهو في كل بلد يحل بها يواظب على نشر العلم وإلقاء الدروس العامة والخاصة حتى نفع الله بعلمه فأخذت عنه طائفة كبيرة من العلماء»[٢].

وفي سنة ١٣٣٧ هـ عين الملك عبد العزيز الشيخ عبد العزيز الشثري قاضياً ومرشداً في هجرة الرين عند قبائل قحطان «واستمر في سلك القضاء أكثر من خمس وثلاثين سنة فقام بواجب الدعوة خير قيام وكان يستحث الولاة وكل مسؤول على القيام بواجب الدعوة في وقت كان المجتمع في حاجة ماسة إلى كل داعية إلى الخير».

---

(١) الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢/ ص ٥٨٣، ص٥٨٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٢/ ص ٥٩٠.

وكانت الحكومة السعودية الرشيدة تعين أهل الدعوة والصلاح تفتح لهم صدرها وتلبي كل مطالبهم وتشد من أزرهم كما كان ذلك رأيها ــ بحمد الله ــ مع رجال العلم والدعوة إلى الله ودأبها على نصرة الإسلام وأهله وتقوم ضد من تسول له نفسه النيل من حوزة الدين أو هدم مبانيه أو يتنافى مع الشرع المطهر[١].

وفي سنة ١٣٣٩ هـ عين الملك عبد العزيز الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان[٢] القضاء في عسيله وما حولها من السر ونقل سنة ١٣٥٤ هـ إلى قضاء شقراء ثم عنيزة «وباشر عمله بجد وحزم وجلس للطلبة بمسجد الجامع يعلمهم أصول الدين والفروع والحديث والفرائض وعلوم العربية»[٣].

وفي عام ١٣٥٧ هـ تولى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز قضاء منطقة الخرج ولما عرف به من سعة في العلم والمعرفة فقد أخذ طلاب العلم يتوافدون عليه من داخل المملكة وخارجها وخاصة من جنوب الجزيرة العربية فلما كثروا حوله طلب فضيلته من الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ مساعدتهم فأمر ببناء مكان لهم يدرسون فيه[٤].

---

(١) محمد بن عثمان القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ج ١/ ص ٢٩٨.

(٢) ولد في مدينة شقراء عام ١٣١٥ هـ وتوفي بها عام ١٣٧٤ هـ، انظر البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢ ص ٤٠١.

(٣) القاضي/ روضة الناظرين، ج ١/ ص ٢١٧.

(٤) الملك عبد العزيز والتعليم، ص ٧٤.

ومن هذه الصور الدعوية المشرقة التي قدمها القضاة، ومن الدور الخطير الذي قاموا به في مقاومة الباطل وإقرار الحق، يتضح لنا ــ من هذا وذاك ــ أن وظيفة القضاء في عهد الملك عبد العزيز لم تعرف العزلة عن المجتمع ولا الجمود عند الأحكام والأقضية وترك الحياة تعج بالفوضى، بل مزج كثير من القضاة بين وظيفة القضاء ووظيفة الدعوة، وقاموا بالدورين معاً، لأنهم أدركوا أن الهدف واحد، وإن اختلفت الوسيلة، فتقديم مجتمع العدل والحب والتناصح والانسجام هو الهدف الدنيوي، وتحقيق رضا الله من تحويل الحياة كلها إلى ساحة عبادة بكل سلوكياتها هو الهدف الأخروي، والهدفان لا ينفصلان.

□□□

المطلب الثالث

التعليم في المسجد

توجد وسائل كثيرة يمكن بها تبليغ الدعوة فهناك دعوة فردية يكون الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد أو فئة قليلة، وهناك دعوة عامة يكون الخطاب فيها موجهاً إلى جماعة من الناس بقصد التأثير فيهم.

والوسيلة الجيدة هي التي تصيب الهدف وتبلغ القصد، وهي أحد العوامل المهمة التي توفر على الداعية الوقت والجهد. ويعد التعليم في المسجد من أهم هذه الوسائل باعتبار أن المسجد قلعة حصينة للتربية الإيمانية ومنطلق للدعوة إلى دين الله منذ فجر الدعوة الإسلامية.

«ويعتبر المسجد من أهم المراكز الإعلامية بين المسلمين، وهو يحقق أوثق صلة بينهم وذلك لترددهم المستمر عليه ولقائهم فيه»[(١)]. وإن من آثار المسجد الاجتماعية إيجاد التكافل الاجتماعي بين المسلمين فالمسجد وسيلة التعارف اليومي ثم يتحول التعارف مع مرور الأيام إلى تآلف ومنه تنشأ أواصر الأخوة الإسلامية في الله.

---

(١) محمد خير رمضان، الدعوة الإسلامية ـ الوسائل والأساليب، ص ١١، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

والنتيجة الطبيعية لهذه الأخوة هي وجود مجتمع مترابط منسجم كالأسرة الواحدة.

فالمسجد إذن عامل مهم في بناء المجتمع لأنه يجمع الأفراد على أهداف واضحة مشتركة.

والمسجد: كل موضع يتعبد فيه[١] المسلمون بالصلاة؛ يشهد لذلك قول الرسول ـ ﷺ ـ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[٢].

وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع شأنه في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾[٣] وذلك بعد قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾[٤].

ولما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد ذكرها منوهاً بها فقال: ﴿في بيوت أذن الله...﴾ أي: يتعبد لله (في بيوت) عظيمة فاضلة هي أحب البقاع إليه وهي المساجد.

أذن الله: أي أمر ووصى ﴿أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾.

يدخل في ذلك الصلاة كلها فرضها ونفلها وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل وغيره من أنواع الذكر وتعلم العلم وتعليمه

---

(١) لسان العرب، مادة سجد، ج ٣/ ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري كتاب التيمم (ج ١/ ٤٣٦ فتح الباري) من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٦.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥

والمذاكرة فيها والاعتكاف وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد.

ثم مدح الله عمارها فقال:

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾[1].

فهؤلاء الرجال ــ وإن إتجروا وباعوا واشتروا فإن ذلك لا محذور فيه ــ لا تلهيهم تلك بأن يقدموها ويؤثروها على ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم ونهاية مقصدهم فما حال بينهم وبينها رفضوه.

وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال:

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم (الإمام العادل ورجل قلبه معلق بالمساجد) قال ابن حجر: ظاهره أنه من التعليق كأنه مشبهه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلاً، إشارة إلى طول ملازمته للمسجد[2].

ومن أفضل ممن جلس في المسجد يعلم الناس الخير اقتداء بالنبي ــ ﷺ ــ.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٢/ ١٤٣ ــ كتاب الأذان ــ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، الطبعة السلفية عام ١٣٧٩ هـ تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز.

وما أعظم فضل من سلك طريقه إلى المسجد يلتمس العلم.

وقد أفرد البخاري باباً عن جواز العلم والفتيا في المسجد أشار فيه إلى الرد على من توقف فيه لما يقع في المباحثة من رفع الأصوات فنبه على الجواز(١).

وقد أثبتت التجارب أن المسجد أقدر المؤسسات التعليمية في التربية وذلك للمناخ الإيماني الذي يهيئه فهو أول مؤسسة تربوية أنشئت في الإسلام، فهو أصل وغيره من المرافق فرع.

ونظراً لهذه المكانة التي يتمتع بها المسجد في المجتمع الإسلامي كان أول عمل قام به الرسول ـ ﷺ ـ بعد الهجرة هو تأسيس المسجد.

قال ابن القيم:

«فلما هاجر النبي ـ ﷺ ـ من مكة إلى المدينة سار حتى نزل في بني عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء وهو أول مسجد أسس بعد النبوة».

كما أنه شارك أصحابه في بناء المسجد وكان الرسول ـ ﷺ ـ يبني معهم وينقل الحجارة قائلاً:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة(٢)

ولم يكن بناء هذا المسجد لأداء الصلاة وغيرها من الشعائر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ج ١/ ٢٣٠ باب ذكر العلم والفتيا في المسجد.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٢/ ٦٢.

فحسب بل إنه كان مركزاً للنظر في مصالح المسلمين الدينية والدنيوية؛ فكان الرسول ﷺ يشاور المسلمين في المسجد وكان يعلن الجهاد وينظم السرايا منه كما كان يتفقد أصحابه فيسأل عن المتخلف منهم فإن كان مصاباً عزاه وإن كان مريضاً عاده.

أي إن المساجد في ذلك الوقت كانت مراكز للقيادة تجتمع فيها القلوب على الإيمان والأبدان على العبادة والعمل الصالح.

ولا شك أن رسالة المسجد تتأكد أكثر عندما تنتشر البدع والانحرافات في المجتمع. وإذا كنا نتحدث عن التعليم في المسجد كوسيلة للدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز والتي تعد امتداداً لحركة التعليم في المساجد، تلك الحركة التعليمية الدعوية الناتجة عن الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود حينما بدأ الشيخ برنامجاً مكثفاً للتدريس لأهل بلدة الدرعية ولمن قدم عليه من البلدان الأخرى؛ حيث كانت دروس العلم في هذه المدة تتمثل في دروس في المساجد يتطوع بها العلماء أو أنشطة محدودة للكتاتيب.

***

وعندما تعاون الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود على إقامة الدولة الإسلامية طلب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأمير بناء مسجد كبير ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة.

وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس خلف سترة عملت

لذلك تحجزهن عن الرجال وكانت له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت.

«واجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن معنى (لا إله إلا الله) وفقه معناها والسؤال عن أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها وأذكارها فتعلم ذلك الصغير والكبير والقارىء والأمي بعد أن كان لا يعرفه إلا الخاصة»[١]. ثم انتشر بعد ذلك في المساجد هذا النمط من المجامع التعليمية.

وهذه المجامع التعليمية تعتبر النموذج الخاص للتعليم والتأهيل والقضاء في العصر السعودي برمته[٢].

وهكذا نرى أن المجمع الأول في الدرعية كان نموذجاً لمجامع أخرى كثيرة أهمها مجامع الرياض.

يقول ابن بشر:

«وأما حالهم في الدرعية فقد بنوا مجمعاً حول مسجد البجيري يسع قدر مائتي رجل وجعلوا فيه رفّاً للنساء فإن صلوا الصبح أقبلوا لهذا المجمع وفيه معاميل وقهوة وما نابها مقيوم به من بيت المال، تارة يجلس فيه حسين بن الشيخ وتارة عبد الله وتارة علي ويقرأون في نسخ التوحيد»[٣].

وكانت الكتاتيب أحد الروافد التعليمية للمبتدئين باعتبار القرآن

---

(١) ابن بشر ج ١/١١٣ ـ ١١٤.

(٢) الملك عبد العزيز والتعليم ص ٥٥.

(٣) ابن بشر ج ١/٢٥.

الكريم الأصل الأول الذي تستنبط منه العلوم الشرعية. ثم ينتقل المبتدىء بعد حفظ القرآن الكريم إلى طلب العلم في المراكز والحلق المعدة قرب المساجد لهذا الغرض.

وكان التعليم في هذه المدة يقوم في أسسه على التربية الدينية وكانت غايته التهذيب الخلقي وإعداد الفرد إعداداً ينظم علاقته بربه وعلاقته بمجتمعه.

كل ذلك كان يتم في مجامع[(١)] قرب المساجد «ثم انتقل التعليم كلياً إلى المساجد وهجرت تلك المجمعات واستعملت كمساكن لطلبة العلم الغرباء الذين كانوا يقدمون من أنحاء البلاد لطلب العلم في الرياض باعتبارها أحد مراكز التعليم في نجد»[(٢)].

ومما زاد في أهمية المسجد ومكانته العلمية إن علماء الدعوة السلفية كانوا يرون وجوب صلاة الجماعة في المساجد على الرجال ويعاقب المتخلف عنها مما نتج عنه الإقبال المتزايد على المساجد لأداء الصلاة فيها وبالتالي حضور حلقات الدرس التي تعقد في المساجد بعد أداء الصلوات المكتوبة.

وهكذا أصبح المسجد أهم مصادر نشر العلم والدعوة حتى دخلت الدولة السعودية عهدها الثالث. وعلى الرغم من وجود بعض المدارس في مطلع هذا العهد إلا أنها كانت قليلة.

---

(١) كان في الرياض مجمعان أحدهما في دخنة قرب المسجد المعروف بمسجد الشيخ عبد الله والآخر قريب من الجامع الكبير ويدعى المديرسة، (الملك عبد العزيز والتعليم ص ٧٢).

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

وقد لوحظ أن البداوة كانت من أخطر العقبات في طريق الدعوة منذ فتح الرياض، وكان على الملك عبد العزيز أن يواجه هذه البداوة ويوظف طاقتها لخدمة الدعوة. فوفقه الله لتجربة الهجر، لكن ما يعنينا هنا أن الهجر كانت خلية اجتماعية تضم إليها أعضاء متآخين في الدين ووحدة المطلب دون أي اعتبار للأعراف القبلية التي فرضت قوالبها على المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية وأقامت منه بقعاً متنافرة تدب فيها المشاحنات والخصومات وتورثها الأحقاد والضغائن.

والذي يعنينا هنا أن بناء الهجر كان يسبقه تشييد المسجد ورفعه باعتبار أن المقصود من هذه الهجر تهذيب النفوس وتربيتها، والمسجد خير وسيلة لتحقيق هذا الغرض.

«كان نظام الهجر نظاماً دينياً لتربية النفوس وتهذيبها دينياً فكانت الهجرة تبنى بعدما يشاد المسجد الذي يكون مركز القوم لتأدية الصلاة عماد الدين ومركز الشورى فيما يعترضهم من أمور ومركز الإرشاد والتوعية لمحاربة الجهل»[١].

وهكذا كان التعليم في المسجد هو الأساس الذي اعتمد عليه الملك عبد العزيز بعد الله ـ عز وجل ـ في تخليص العقلية البدوية من ترسبات العصبية في الأعراف والمفاهيم وتوجيهها إلى خدمة الدعوة.

وقد ورد تعريف الهجر في كثير من الكتابات عن الدولة

---

(١) عمر أبو زلام، الملك عبد العزيز العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير، ص ٣٨٨.

السعودية الثالثة بأنها عبارة عن مساجد تتم فيها كل الأعمال التي كانت تتعلق بمصالح المسلمين في صدر الإسلام.

وصفها فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب» فقال:

«الهجرة من حيث الحرب والسياسة معسكرات منتشرة في أنحاء البادية والاخوان جند هذه المعسكرات يسيرون بأمر القائد عبد العزيز بن سعود في أي وقت يشاء والهجرة من حيث الدين مساجد غاصة بأهلها ممن تركوا الخرافات والبدع وعادات الجاهلية وعرف البوادي وانقلبوا إلى الحياة الدينية والرادعة حياة الطهارة والعفاف والفضيلة والإيمان»[1].

وقد رعى الملك عبد العزيز هذا المشروع التعليمي الكبير بعدد من العلماء وجههم لتلقين سكان هذه الهجر المبادىء والتعاليم الصحيحة للعقيدة والعمل فترك المشروع آثاراً كبيرة على المجتمع السعودي إلى الآن.

«ركزت حركة المصلح الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ على طلب العلم من داخل المسجد بجانب المعاهد والمدارس ومن حينها نمت حلقات علمية كبرى في مساجد المملكة وقراها يتصدرها مشايخ وقضاة أفاضل على جانب كبير من الفقه والخلق الحسن والحرص على إخلاص العقيدة وتوثيق معلوماتهم ودعوتهم من منهلها»[2].

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أنه ليست هناك مصادر كافية لمعرفة

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٧٩.

(٢) محمد بن محمد الأمين الأنصاري، ضباب على منار المسجد، ص ٣.

رجال العلم الذين اختارهم الملك عبد العزيز للقيام بهذه المهمة وسوف نذكر بعض العلماء الذين اسهموا في هذا المشروع وكانت لهم صلة مباشرة بالملك عبد العزيز وبإنجازاته في تعليم أهل هذه الهجر قريباً إن شاء الله.

ونقدم لك بعض النماذج الرفيعة التي قامت بنشاط دعوي وتعليمي في المساجد وطريقة التدريس في المسجد، وأسلوب الدعوة فيه.

ومن أبرز هذه النماذج سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ فقد شغل جل وقته في نشر العلم حيث كان يجلس في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في حي دخنة بعد صلاة الصبح لصغار الطلاب فيدرسون عليه مبادىء النحو في الآجرومية ثم يأتي بعدهم المتوسطون في العمر ثم يأتي بعدهم الكبار بالألفية وكل واحد من هذه الطوائف الثلاث يعطيه ما يناسبه من المسائل والبحث والدرس فإذا انتهت دروس النحو شرع في دروس الفقه فأخذ الطلاب يقرؤون عليه (مختصر المقنع)[١] عن ظهر قلب ثم يشرع في شرح وبيان معانيه ثم يعيدون الدرس بعد شرحه بقراءة أحدهم واستماع الباقين، وهو يقاطع القارىء بشرح جملة وتعليل أحكام وإلحاق فائدة لما هو عليه من سعة في الفقه وجودة استحضار وغزارة مادة فلا ينتهون من هذه القراءة إلا وقد أشبع رغبات الطلاب

(١) كتاب زاد المستنقع في اختصار المقنع تأليف شرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي المتوفي سنة ٩٦٠ هـ.

بما أزاح من الإشكالات وأوضح من المعاني وصور المسائل وزاد من الفوائد.

وبعد انتهائهم من درس الفقه يشرعون في درس الحديث والكتاب المفضل لديه لتدريس أصحابه هو كتاب (بلوغ المرام)[1] لاشتماله على أحاديث الأحكام وشرحها معها فهو دليلها ومستمد أحكامها ومستند تفريعها فيوضح ألفاظه ويبين أحكامه ويبرز فوائده.

وكل ما تقدم من دروس الحديث والفقه والنحو في جلسة واحدة من جلساته والتلاميذ على حلقته الكبيرة ما بين وارد وصادر وهو في مجلسه كالنبع الصافي والمورد العذب الذي لا ينضب على كثرة الواردين وازدحام الناهلين.

ثم يذهب إلى بيته فيلبث فيه بقدر ما يفرغ من حاجته الضرورية ثم يعود إلى مجلسه في المسجد فيأتيه كبار الطلاب ويشرعون بالقراءة عليه بالكتب الكبار والمراجع الضخام ثم يعود إلى بيته ويستريح فيه حتى تحين صلاة الظهر.

وبعد الفراغ من الصلاة يقام الدرس بحضور كبار التلاميذ وصغارهم بأحد الأمهات الست[2] وبعد الفراغ منها يقرأ عليه الطلاب في كتب العقيدة ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما في عقائد السلف، ويستمر الدرس حتى صلاة

(١) بلوغ المرام من أدلة الأحكام للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ هـ.

(٢) الأمهات الست هي صحيح البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

العصر وبعد الصلاة إلى قرب المغرب وهو في جلسة واحدة لاستقبال الطلاب فوجاً بعد آخر وهم ما بين كتب التوحيد أو الحديث أو الفقه أو النحو وبعد صلاة المغرب يخصص وقته لعلم الفرائض فإذا قرب العشاء شرع في درس عام فقرأ عليه القارىء تفسير ابن كثير وهو يعلق على التفسير والآيات الكريمات بما يرى الحاجة تدعو إلى ذكره وإلحاقه حتى الساعة الثانية والنصف ليلاً بالتوقيت الغروبي(١) وهكذا قد فرغ كل أوقاته وصرف جميع حالاته في خدمة العلم وتحصيله ونشره(٢).

هذا وقد تخرج على يد الشيخ محمد بن إبراهيم علماء كبار مثل: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ عبد الرحمن بن قاسم، والشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي.. وغيرهم كثير.

ويحدثنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن حلقات التدريس في المسجد على الشيخ محمد بن إبراهيم فيقول:

«كنت ممن قرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم ولازمته نحواً من عشر سنين فكنا نعتني بحفظ المتون لما فيها من الفائدة العظيمة فقد كانت هناك مقولة مشهورة مضمونها:

ليس العلم بما حواه السطر　　ما العلم إلا ما وعاه الصدر

هذا باعتبار أن حفظ المتن أساس عظيم للانتفاع بالعلم حيث إن

---

(١) أي بعد غروب الشمس بساعتين ونصف.

(٢) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١/ ٨٩ ـ ٩٠.

افتقاد حفظ هذه المتون قد يضعف التماس المسائل ودليلها من مظانها والحفظ مما يعين الطالب على العمل.

وكانت مجالس الشيخ عامرة بالعلم والتوجيه للخير والحرص على العمل الصالح والأمر بالمعروف والنصح لله ولعباده والإجابة عن أسئلة الطلبة مع العناية بالدليل والترجيح فجزاه الله خير الجزاء»[١].

«ولا يزال الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله يقدم خدمات جليلة للمسجد حيث كانت حلقاته العلمية والإفتاء والمحاضرات والندوات في المساجد وهي جزء من حياته المباركة وقد استفاد منها خلق كثير من طلاب العلم وخاصة من الشباب الذين هم في حاجة إلى توجيه من داخل المسجد حتى ولو كان مؤهلاً من الجامعات»[٢].

ولما كان المسجد الحرام أشرف المساجد على الإطلاق فإنه لما تم للملك عبد العزيز توحيد المملكة كان عليه أن يهتم بتطوير التدريس في الحرمين ومعالجة ما أصابه من ضعف خلال الحكم السابق.

فعندما دخل الملك عبد العزيز مكة سنة ١٣٤٣ هـ أصدر نظاماً جديداً للتدريس في الحرم المكي[٣] أشار هذا النظام في بدايته إلى

(١) شريط مسجل للشيخ عبد العزيز بن باز بعنوان (في طريق الدعوة).

(٢) محمد الأنصاري، ضباب على منار المسجد، ص ٣.

(٣) كان هناك نظام أصدره حسين بن علي سنة ١٣٣٢ هـ وهو مطبوع على نفقة الشيخ محمد ماجد الكردي والذي عين وكيلاً للمعارف فيما بعد كان هذا النظام يركز أساساً على تحديد مرتبات واستحقاقات المدرسين (الملك والتعليم ص ١٤١).

الحالة السيئة للتدريس في المسجد الحرام حيث جاء فيه: «أما بعد: فإن غالب العلماء بالمسجد الحرام لما اشتغلوا عن التدريس وتعليم الطلبة الكرام لضيق معيشتهم وكثرة عيلتهم حتى خشي مع ذلك أن يقل التدريس والمدرسون بل خيف مع ذلك أن يضمحل العلم والمعلمون ويتولى رؤوس جهال على المسلمين ويكثر الضلال فقد أصدر أمير مكة أمره بتشكيل لجنة من خمسة عشر عالماً وكاتباً ومفتشين من العلماء ليحيا بهم العلم بالمسجد الحرام وليرتب لهم في الحال ذلك الذي عينه لهم من المال معاشاً شهرياً يكون معيناً لهم على معيشتهم وباعثاً لهم على فراغهم للقيام بوظيفتهم وبتدوين نظام جديد يكون ضابطاً لمرام الدولة»[1]. إلا أن هذا النظام لم يحقق الغرض إذ إنه ركز على تنظيم النواحي الإدارية والمالية أكثر من تنظيم وتحسين عملية التدريس.

وفي ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ صدر الأمر الملكي مصدقاً على ما يأتي:

«أمر الملك عبد العزيز بتأليف لجنة علمية برئاسة سماحة الشيخ عبد الله بن بليهد وأعضاؤها فضيلة مدير المعارف العمومية[2] ومدير المعهد الإسلامي السعودي ومدير معهد الفلاح ونائب رئيس القضاة وتدعى هذه (الهيئة العلمية).

ويقرر النظام أن وظيفة هذه اللجنة الإشراف على سير الدروس

---

(١) أم القرى العدد (٣٤) الصادر في ٣٠ محرم سنة ١٣٤٤ هـ.

(٢) افتتحت مديرية المعارف في رمضان سنة ١٣٤٤ هـ.

في الحرم المكي وانتقاء الكتب النافعة وتعيين الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة وحسن السيرة والسير على طريقة السلف الصالح وبالتدقيق في بنود هذا النظام نلاحظ أنه اهتم أساساً بمضمون التدريس في الحرم وذلك على النحو التالي:

١ ــ يقرأ فقه المذاهب الأربعة والعلوم العربية بكرة وأصيلاً ودرس التوحيد والتفسير والحديث والوعظ بين العشائين.

٢ ــ يجب على المدرسين أن يبينوا في أصول العقائد ومباحث الصفات مذهب السلف الذي أجمع عليه أئمة أهل السنة على أنه أسلم المذاهب وأحراها بالقبول.

٣ ــ يجب على المدرسين أن يبينوا للناس في أثناء دروسهم أنواع البدع التي شوهت سمعة الدين الحنيف وأنواع الخرافات التي أخرت المسلمين وهبطت بهم إلى الحضيض)[١].

كما رأى الملك عبد العزيز ضرورة الاستعانة بالكفاءات المختلفة من العلماء في بلاد العالم الإسلامي لتطوير التدريس في الحرم والنهوض بمستواه.

«ولم يمر عام على هذا النظام حتى شكل الملك عبد العزيز هيئة لرئاسة القضاء سنة ١٣٤٦ هـ أوكلت إلى الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ والذي كلف بحكم وظيفته ومكانته العلمية بالإشراف على

(١) الملك عبد العزيز والتعليم، ص ١٣٨ ــ ١٣٩.

التدريس في الحرم وتحددت العلوم التي تدرس في الحرم»[1].

ويعتبر ظهور الأنظمة الجديدة للتدريس في الحرم الشريف إعلاناً عن خطوات الملك عبد العزيز في تكوين النهضة العلمية الجديدة حيث بدأ بإعادة تنظيم التدريس في أقدس بقاع الأرض وأكثرها تأثيراً في نفوس المسلمين.

حقاً إن المسجد مدرسة يوم أغفلها المسلمون فتحوا أبواباً كثيرة للجهل والأمية وبدأ الرباط الوثيق بين الجماعة المسلمة من حول المسجد يتفكك ويتقطع إلى أوصال لا يعرف بعضها بعضاً غير أنه يجب التأكيد على أنه إذا فقدت ريادة المسجد فإنه لن تستطيع الجامعات ولا المعاهد ولا المحاكم ولا المحاضرات أو المؤتمرات أن تعوض عن المسجد.

إن المسجد جامعة حضارية فوق كل الأكاديميات يمكن أن تسترجع ما فقدناه إذا أخلصنا ما بيننا وبين الله عز وجل استجابة لقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[2].

وكما نرى من العرض السابق فإن العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس في المساجد لم يقفوا عند حد الاستظهار والتلقين والتعليم، بل كانت الدعوة مقصدهم الأسمى، وبالتالي فهم لم يخرجوا فقهاء أو متخصصين وإنما خرجوا أئمة هدى ودعاة خير وأمثلة حية للعمل في سبيل الله، من خلال خدمة الأمة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية

---

(١) جريدة أم القرى بعددها رقم (١٨٥) الصادر في ١٨/ ١/ ١٣٤٧ هـ.
(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

الصحيحة . . لقد كان المسجد الذي تولى الوظيفة الدعوية ولا سيما المسجد الحرام جامعة حضارية لبناء الإنسان المسلم بالمعنى الشامل لهذا المصطلح الكريم.

□□□

المطلب الرابع

تعيين الأئمة والخطباء في المساجد للدعوة

إن استعراض واقع الدعوة في أنحاء الجزيرة العربية قبيل الملك عبد العزيز وخلال سنوات التوحيد يؤكد أن السمة السائدة لنشر مبادىء الدعوة هي اتباع الأسلوب التقليدي داخل نموذج قديم لمدرسة المسجد والكتاب.

والحقيقة أن هذا الأسلوب قد حافظ على قدر كبير من آثار الدعوة السلفية والتراث العلمي القديم فضلاً عن تخريجه مجموعة من العلماء والقضاة.

فالمسجد هو القاعدة التي تنطلق منها رسالة المؤمن، وهو المدرسة التي تربي المسلم من جميع الجوانب ـ علماً وعملاً، وشجاعة وجهاداً وتواضعاً لله ـ وبذلك أثر المسجد في الرعيل الأول. فكانوا مصلين وقادة فاتحين منتصرين.

ومن أهمية المسجد تنبثق أهمية الإمامة فيه فهي مسؤولية كبرى أولاها الإسلام عناية فائقة دل على ذلك الشروط التي أفاض الفقهاء في شرحها وذهبوا إلى وجوب توافرها في الإمام وهي ليست مجال البحث.

ولا يقتصر دور الأئمة في المسجد على إمامة المصلين في الجماعات وخطبة الجمعة بل يكون لهم دورهم في التثقيف والتربية والتعليم وذلك لعقد الندوات والمحاضرات التي تتعرض لمشاكل العصر والتي يتعرض لها المسلم وتوضيح موقف الإسلام من هذه المشاكل.

والإمامة درس عملي في حسن الاقتداء قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لقد كانت سنة المصطفى وسائر خلفائه الراشدين ومن سلك سبيلهم من ولاة الأمور في الدولة الإسلامية أن الأمير هو الذي يكون إماماً في الصلاة والجهاد وكان ـ ﷺ ـ إذا بعث أميراً على حرب كان هو الذي يتولى إمامة الصلاة، وكذلك إذا استعمل رجلاً نائباً على مدينة، كان نائبه ـ ﷺ ـ هو الذي يصلي بهم ويقيم فيهم الحدود، وكذلك خلفاؤه بعده، ومن بعدهم الأمويين وبعض خلفاء العباسيين وذلك لأن أهم أمر الدين الصلاة والجهاد[1].

فالإمامة مرتبة عالية وفضيلة ظاهرة لا يستحقها إلا من هو أهل لها بالعلم والعمل.

ولا شك أن وجود الإمام الصالح الحافظ لكتاب الله الفاهم للإسلام والشريعة وقضاياها فهماً صحيحاً يسهم في خدمة الدعوة إلى الله.

فهي وظيفة من أداها بإخلاص على الوجه المشروع استحق أن يكون وريث الأنبياء كما في الحديث الذي أخرجه البخاري «العلماء

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ج ٢٨/ ٢٦٠.

هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

هذا ويعتبر الإمام قدوة للناس وغير خاف على أحد أثر القدوة الطيبة من تأثير حسن في التربية والسلوك.

ولا يفوتنا أن ننوه هنا إلى أهمية صلاة الجمعة وخطبة الجمعة التي أحاطها الإسلام بسياج من الأهمية وصل بها إلى درجة أنها واجبة وركن في أداء صلاة الجمعة وألزم المسلمين الإنصات لها وكأنهم في صلاة «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت ــ والإمام يخطب ــ فقد لغوت»[2].

وأمر المسلمين في وقتها أن يتركوا كل عمل سواها بل حرم في وقتها البيع والشراء وكل المعاملات.

قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾[3].

قال الشيخ السعدي: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها من حين ينادى لها. والسعي إليها أي المبادرة والاهتمام بها وجعلها أهم الأشغال.

﴿وذروا البيع﴾: أي اتركوا البيع إذا نودي للصلاة وأمضوا إليها

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١/ ص ١٦٠ طبعة السلفية.

(٢) أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة (ج ٢/ ٤١٤ فتح الباري).
قال الحافظ وروى أحمد عن علي رضي الله عنه (من قال صه فقد تكلم ومن تكلم فلا جمعة له)، وانظر المسند ١/ ١٣٠.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٩.

فإن (ذلكم خير لكم) من اشتغالكم بالبيع أو تفويتكم لصلاة الفريضة التي هي من آكد الفروض.

وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة[1].

فخطبة الجمعة شأنها عظيم في الدعوة إلى الله فهي حدث هام وعنصر من عناصر تربية الأمة الإسلامية جدير بالعناية وخليق بأن يهتم المسلمون به.

قال ابن القيم:

«إنه يوم اجتماع الناس وتذكيرهم بالمبدأ والمعاد وقد شرع الله سبحانه وتعالى لكل أمة في الأسبوع يوماً يتفرغون فيه للعبادة ويجتمعون فيه لتذكيرهم المبدأ والمعاد والثواب والعقاب ويتذكرون اجتماعهم يوم الجمع الأكبر قياماً بين يدي رب العالمين.

وكان أحق الأيام بهذا الغرض المطلوب اليوم الذي يجمع الله فيه الخلائق وذلك يوم الجمعة، فادخره الله لهذه الأمة لفضلها وشرفها فشرع اجتماعهم فيه مع الأمم لنيل كرامته فهو يوم الاجتماع شرعاً في الدنيا وقدراً في الآخرة ولما خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وتعرف بذلك إلى عباده على ألسنة رسله وأنبيائه شرع لهم في الأسبوع يوماً يذكرهم فيه بذلك وحكمة الخلق وما خلقوا له في

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ٧/ ص ٣٨٢.

السموات والأرض وعود الأمر كما بدأه سبحانه وعداً عليه حقاً وقولاً صدقاً»[1].

جهود الإمام في الدعوة إلى الله:

يلزم في إمام المسجد أن يكون قدوة صالحة لمن حوله ليؤدي دوره في الدعوة باعتبارها أهم الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها في المسجد.

وفي خطبة الجمعة والعيدين مجال واسع لدعوة الناس وتوجيههم إذا أحسن الإمام استغلالها. لهذا جعل الإسلام خطبة الجمعة تتكرر كل أسبوع تلبية لحاجة الناس إلى الإرشاد والعلم كما جعل خطبة العيد في العام مرتين ليتسنى للخطيب طرح الحلول المناسبة لمشاكل الناس وما يتطلبه واقع المسلمين، فالخطابه تعتبر أعظم وسيلة قولية لتبليغ الدعوة إلى الناس حيث يمكن للخطيب استمالة المدعوين وإقناعهم بما يدعوهم إليه فيملك قلوبهم ويشد انتباههم إلى محاسن الدين وأهمية التوحيد.

قال ابن القيم رحمه الله:

«ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته

(١) زاد المعاد، ج ١/ ص ١٤٤.

وشكره وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم.

لا كخطب عصرنا التي تفيد أموراً مشتركة وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله ولا توحيداً له ولا معرفة ولا بعثاً للنفوس على محبته فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلي التراب أجسامهم فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به»[١].

ونظراً لأهمية الخطابة فقد حظيت بعناية المؤلفين[٢] لما لها من أهمية بالغة في الدعوة إلى الله.

واهتم العلماء وولاة الأمر بإعداد هذه الوسيلة الهامة فضمنوها مناهج الدراسة في دور العلم والمعرفة.

ويجب أن يكون الخطيب ذا ثقافة واسعة في الدين والاجتماع والتاريخ والأدب وغير ذلك من المعارف حتى يملك قلوب الناس بحسن ألفاظه وصدق تعبيراته وجودة إلقائه.

أما إلقاء الدروس والمحاضرات والندوات في المسجد سواء قام بها إمام المسجد أو غيره من العلماء فتأثيرها في نجاح الدعوة كبير.

«ومن أهم مزايا الدرس أنه أكثر فائدة من الخطبة والمحاضرة

---

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ١/ ص ١٤٥.

(٢) مثل الشيخ علي محفوظ مؤلف كتاب (الخطابة) وهداية المرشدين ــ والشيخ محمد أبي زهرة مؤلف كتاب (الخطابة أصولها وتاريخها عند العرب) والدكتور محمد طاهر درويش مؤلف كتاب (الخطابة في صدر الإسلام).

والندوة حيث يستطيع المشارك في حضور الدرس أن يسأل ويستفسر عن كل ما يجول بخاطره أو يشكل عليه وبذلك تكون فائدته أعمق وأدق لقرب المدرس من الطلاب وإفساحه المجال لهم بالسؤال والتعليق والإضافة»[١].

أما المحاضرة فهي مجال رحب للدعوة إلى الله تعالى، من خلالها يستطيع: إمام المسجد أن يستقطب جمهوراً كبيراً ويؤثر فيه إذا قام بهذا الأمر كما ينبغي ويكون تأثيرها أكبر لو اختار المواضيع المناسبة للزمان والمكان واختار العلماء المتخصصين.

والندوة لا تقل في الأهمية عن المحاضرة وفائدتها إلا أنها تختلف عنها قليلاً، فالندوة يكون المتحدث فيها أكثر من واحد فتعم الفائدة جمهور المستمعين وغالباً تكون هناك توصيات وقرارات تعرض على الحاضرين للموافقة عليها نتيجة لما أسفرت عنه المناقشة وإن تعدد المتحدثون في الندوة دفعاً للملل وتعميماً للفائدة حيث يأتي المتحدثون على كل جوانب الموضوع محل الندوة.

وهكذا تتضح لنا أهمية الخطب والدروس والمحاضرات والندوات ودورها في دعوة الناس وتوجيههم؛ لذا كان على إمام المسجد أن يحرص على عقد الدروس والمحاضرات والندوات وأن يدعو إليها من علماء الأمة ومفكريها من يستطيع التأثير على الناس ودعوتهم إلى طريق الصلاح والهدى.

وهكذا يؤدي حضور الجمعة والجماعة إلى تعميق المعرفة

---

(١) راجع في ذلك البهي الخولي، (تذكرة الدعاة)، ص ٤٨٥.

الدينية ويتأثر سلوك الفرد بالجماعة. ويؤثر فيها؛ وذلك أن المسلم يسلك داخل جماعته الإسلامية سلوكاً ينسجم مع قيم هذه الجماعة ومثلها العليا.

ونظراً لأهمية الإمامة فإن الدولة السعودية ــ منذ نشأتها كانت حريصة على تدعيم هذا المرفق الهام فقد اهتمت بتعيين الأئمة والخطباء فكانوا رجالها في مجال نشر الدعوة السلفية وتثبيت أركانها في المجتمع.

فمثلاً عندما دخل سعود الأول الإحساء سنة ١٢١٠ هـ وامتدت حركة الدعوة السلفية إلى الإحساء نقل لنا ابن بشر ما يلي:

«أقام سعود قريباً من شهر ورتب أئمة المساجد وأمرهم بالمواظبة على الصلوات وإقامة الجمع والجماعات ونادى بإبطال جميع المعاملات الربوية وما خالف الشرع.

ورتب سعود الدروس وجعل فيهم رجالاً علماء يعلمونهم التوحيد ويذاكرونهم ويعلمونهم أصول الإسلام»(١).

ومع إشراقة الدولة السعودية الثالثة كان أغلب المساجد بدون أئمة لقلة الدعاة وازدادت حدة المشكلة مع توالي الفتوح وتوحيد البلاد فقد اتسعت رقعة الدولة وازداد عدد المساجد بالإضافة إلى مساجد الهجر الجديدة فكان على الملك عبد العزيز أن يواجه هذه المشكلة وقد انتهج الملك عبد العزيز في هذا المجال عدة تدابير منها: ــ

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١/ ص ١٢٩.

١ ـ شغل المساجد الكبرى بأئمة وخطباء غير متفرغين ممن كانوا يشغلون مناصب القضاء والتدريس وغيرها وذلك لما كان يتمتع به شاغلو هذه المناصب من درجة كبيرة من العلم، فقد كان هؤلاء العلماء يوقظون بمواعظهم القلوب ويكشفون عن الشبهات ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكانت لهم خطى ثابتة في نشر العلم ومكافحة الجهل المنتشر في ذلك الوقت.

والمتأمل في سيرة العلماء الذين جعلهم الملك عبد العزيز أئمة في مساجدهم يجد أن معظم هؤلاء العلماء قضوا حياتهم في نفع العباد ونشر العلم لوجه الله.

منهم الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ(١) فقد عينه الملك عبد العزيز إماماً في مسجد والده الإمام عبد الرحمن آل فيصل فاستمر إماماً وواعظاً ومدرساً في هذا المسجد وقام بذلك خير قيام.

كما كان رحمه الله إماماً للملك وقاضياً للجيش وواعظاً ومرشداً ولما استتب الأمر في الحجاز في مدنه وقراه جعله الملك عبد العزيز إماماً وخطيباً في المسجد الحرام سنة ١٣٤٤ هـ وكما أسند إليه الملك عبد العزيز منصب رئاسة القضاة ورئاسة الأمر بالمعروف كما أسند إليه تعيين الأئمة في المساجد واختيارهم، كما جعل المشرف العام على أحوال المسجد الحرام والمدرسين والوعاظ فيه وتعيينهم وتوجيههم.

فعمرت المساجد والخطب وقام بالتدريس والوعظ في المسجد

---

(١) انظر التعريف بهذا العالم في الباب الأخير مع أشهر الدعاة.

الحرام على أحسن ما يرام من تقرير عقائد السلف وتدريس مذهب أهل السنة والجماعة مع سائر العلوم الشرعية والعربية»[1].

وعين الملك عبد العزيز الشيخ سعد بن عتيق إماماً في جامع الرياض الكبير، وفي هذا المسجد الواسع عقد له حلقتين للتدريس إحداهما بعد طلوع الشمس حتى امتداد النهار والثانية بعد صلاة الظهر.

وكان حريصاً على ما يلقيه من الدروس شديد التثبت لمعنى ما يقرأ عليه فلا يلقي درسه ولا يسمعه من الطالب حتى يراجع فيه شروحه وحواشيه وما قاله العلماء فيه وضبطه لغة ونحواً وصرفاً حتى يحرر الدرس تحريراً بالغاً لذا أقبل عليه الطلاب واستفادوا منه فوائد جليلة»[2].

وهكذا قامت الدعوة في كل بلد على كبار العلماء فيه وتحت رعايتهم.

٢ ــ إنشاء المؤسسات التعليمية التي تكون نواة لتخريج أئمة مؤهلين مثل إنشاء دار التوحيد في الطائف سنة ١٣٦٤ هـ.

«وليس هناك شك في أن الذي سعى إلى تأسيس دار التوحيد هو الملك عبد العزيز، وكان يهدف إلى تأسيس معهد ديني يخرج شباباً عقائدياً مؤهلين لوظائف القضاء والتعليم والعمل في السلك الحكومي والوظائف الدينية. لاسيما وأن المملكة في بداية تأسيسها كانت في

---

(١) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١/ ص ٨٢ ــ ٨٤.
(٢) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ١/ ص ٢٦٧.

أشد الحاجة إلى مثل هذا النوع من الرجال»[1].

٣ ـ أسند إلى رئاسة القضاء الشرعي المهام المتعلقة بالمدرسين في المساجد. حيث نص نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي[2] على ما يلي: ـ

«جميع المدرسين الرسميين في المساجد يكون تعيينهم وفصلهم وتنقلاتهم وغير ذلك من اختصاص رئاسة القضاء»[3].

وكان من حق رئاسة القضاء مراقبة الدروس بحيث لا يقر فيها ما يخالف العقيدة ويتنافى مع الشرع الحنيف.

ويتضح من ذلك أن عملية تعيين الأئمة والخطباء قد دخلها شيء من التنظيم فقد أصبح هناك مدرسون رسميون للمساجد بدلاً من المتطوعين.

٤ ـ توجيه الاهتمام بأحوال الأئمة: فإنه نظراً لتطور الظروف المعيشية وجب أن يمنح القائمون بوظيفة الإمامة والخطابة والدعوة إلى الله الحقوق المادية التي تؤهلهم للتفرغ الكامل لوظائفهم وتضمن لهم المعيشة الكريمة الهادئة فلا يشغلون بمعاشهم ومعاش أسرهم عن التفرغ لمهماتهم.

ويأتي في مقدمة هذه الحقوق أن يلحق بكل مسجد دار تعد

---

(١) أبو راس/ الديب، الملك عبد العزيز والتعليم ـ ص ٢٠٤.

(٢) صدر في ١٤/ ١/ ١٣٧٢ هـ.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٢.

لإمام المسجد لتسهل له مهمته للإمامة في كل الصلوات وفي الحر والبرد. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد كانت حجرات نسائه ملاصقة للمسجد وأبوابها شارعة إليه. وقد تنبه الملك عبد العزيز لهذه الناحية فلما زادت موارد الدولة نتيجة تدفق البترول شرع يخصص رواتب للأئمة ويشتري لهم البيوت وبأيدينا مخطوطة تتضمن خطاباً من الملك عبد العزيز إلى الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري يكلفه بشراء بيوت للأئمة والمؤذنين[١].

ومن اهتمامه أيضاً ترتيب أئمة في المساجد يعينون بصفة ثابتة ودائمة، فقد ورد في أحد كتبه: «من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى عبد الله بن ناصر إن شاء الله تستقيم عند جماعتك تصلي بهم، وتعلمهم قراءة القرآن وتعلمهم أوامر دينهم.

٢٦/١١/١٣٣٨ هـ»[٢]

وفي كتاب آخر ورد قوله: «من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى عبد الله بن ناصر توكل على الله وانحر[٣] إخوانك ابن ضنمة وجماعته واستقم عندهم تصلي بهم وتعلمهم أمر دينهم.

٢٨/١/١٣٤٢ هـ»[٤]

---

(١) المخطوطة بدارة الملك عبد العزيز برقم (٧١٩).

(٢) من وثائق الملك عبد العزيز ص ٧٧.

(إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة ٦٠). ١٤١٠ هـ ــ الحرس الوطني.

(٣) انحر: توجه.

(٤) من وثائق الملك عبد العزيز، ص ٩١. =

ولقد كان لإمام المسجد في عهد الملك عبد العزيز دور كبير في الدعوة خاصة بعد تأسيس الهجر سنة ١٣٣٠ هـ فقد كانت لهم إسهامات في مجال الدعوة نتيجة لاتصالهم بالناس في اليوم خمس مرات.

ولم يقتصر دور الإمام في هذه الفترة على مجرد الإمامة في الصلاة بل إن الإمام كان مرجعاً للجماعة في المسائل الدينية حتى كانوا يسألونه عما يشكل عليهم كما كان الإمام في ذلك الوقت يقوم ببعض أعمال الحسبة بالإضافة لعمله الأساس في الإمامة والخطابة والوعظ والتدريس والتصدي لإفادة الطلاب والعامة حيث كان لمعظم الأئمة دروس خاصة للطلاب ودروس عامة لسائر الناس.

وكان الأئمة لهم نشاط كبير في الدعوة حيث كانوا يستغلون فرصة إقبال الناس على الدين فنشطوا في تثقيف العامة ونشر العلوم الدينية وكان من عادة الأئمة في أغلب المساجد عقب صلاة الفجر أن يختار أحد الحاضرين ويسأله عن ثلاثة الأصول[١]:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وهكذا يخصون المسائل الضرورية بمزيد العناية وكثرة المراجعة كما كان لإمام المسجد درس يومي عقب صلاة العصر وغالباً ما يكون

= (إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة ٦٠) ١٤١٠ هـ ـ الحرس الوطني.

(١) ثلاثة الأصول: للشيخ: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله استنتجها من فتنة القبر وأسئلة الملائكة لأهلها. طبع عدة مرات.

في رياض الصالحين[1] أو الترغيب والترهيب[2] ودرس آخر قبل صلاة العشاء يكون في تفسير ابن كثير[3] أو السيرة النبوية. وكانوا يتخولون الناس بالموعظة كراهة الملل ويزداد نشاطهم في الدعوة مع مواسم الخير كشهر رمضان وكان على المؤذن أن يتفقد جماعة المسجد ومعرفة المتخلف عن الصلاة حتى يؤدوا حقه في العيادة إن كان مريضاً أو المواساة إن كان مصاباً أو مجازاته إن كان متخلفاً بغير عذر وذلك بإذن الإمام.

وكان الأئمة والخطباء يرجعون إلى بعض الكتب والدواوين الوعظية في خطب الجمعة والأعياد وأشهرها في ذلك الوقت ديوان الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب[4].

أما بالنسبة لراتب الإمام فإنه في البلدان الكبيرة غالباً ما يكون هناك وقف على المسجد ينفق منه على المسجد وإمامه وأما المساجد في البلدان الصغيرة التي ليس لها أوقاف فإن كان الإمام غنياً عمل تطوعاً وإلا جعل له جماعة المسجد راتباً.

وأما بالنسبة للهجر التي أنشئت في ذلك العصر وهي كثيرة فكان إمامهم قاضياً مكلفاً من قبل الملك عبد العزيز. فإن لم يكن هناك قاض طلبوا من الملك عبد العزيز إماماً (مطوعاً) فيرسل لهم من يقوم

---

(١) رياض الصالحين: الإمام النووي.

(٢) الترغيب والترهيب: المنذري.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير.

(٤) من علماء الخرج ولد سنة ١٢٣٠ هـ وتوفي سنة ١٣١٧ هـ، من قبيلة بني هاجر. (البسام، علماء نجد ٢/ ٢٥٣).

بذلك مثل هجرة آل عاطف حينما طلب أميرهم من الملك مطوعاً فأرسل لهم الشيخ صالح بن مطلق رحمه الله[1] وكان له مرتب سنوي من بيت المال يصرف عادة من الزكاة تمراً أو قمحاً ونحوه.

ولما تدفق البترول وازدادت موارد الدولة رتب الملك عبد العزيز الرواتب للأئمة واهتم بأحوالهم المعيشية.

وهكذا كان للملك عبد العزيز يد طولى في تنظيم تنصيب الأئمة والخطباء للوعظ والإرشاد والتوجيه وإمامة الناس في الصلاة. وقد أصبحت الإمامة وظيفة ثابتة لها مخصصات وعليها واجبات وللقائم بها حقوق مادية ومعنوية. وبالتأكيد فقد مكن هذا التطور من تحقيق أهداف المسجد، وأهمها الدعوة إلى الله بالعبادة والوعظ والتوجيه. في عصر أصبح لا يكفي فيه الاعتماد على الأعمال التطوعية.

□□□

---

(١) ولد سنة ١٣٠٧ هـ وقرأ على مجموعة من العلماء، عين إماماً مرشداً لهجرة الرين الأوسط عام ١٣٦١ هـ، توفي عام ١٣٨٥ هـ (إتحاف اللبيب ص ١١٨).

المطلب الخامس

إرسال العلماء والدعاة إلى البوادي والهجر

لا تستطيع دعوة أن تؤتي أكلها ما لم تساندها برامج تربوية منهجية تدريجية وذلك شيء تحتاج إليه كل دعوة.

فالدعوة لا تؤمن بإصلاح جزئي إنها تعمد إلى الحياة البشرية بأجزائها وأبعادها وأعماقها فتقلبها وتعطي خطة جديدة لحياتها الاجتماعية ولذلك فإن الأمر يقتضي برنامجاً تربوياً تدريجياً لا يقل أهمية عن الدعوة.

وهذه المرحلة ـ بعد فتح الرياض ـ من تاريخ الدعوة في المملكة والتي هي بمثابة وضع الأساس للدولة الإسلامية المنشودة هي أشق مراحل الطريق وإن لم يبرز لها كيان ظاهر شأنها شأن أساس أي بناء.

وكلما كان الأساس صلباً ومتيناً ظل صامداً لا تؤثر فيه معاول الباطل، وكان أدعى إلى استقرار البناء عليه مهما علا وارتفع.

هذه القاعدة الصلبة تتمثل في إعداد جيل مؤمن استحوذت عليه العقيدة الإسلامية فملكت عليه حياته وسخر لها كل طاقاته وإمكاناته حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

وهذه القاعدة الدعوية كانت إحدى الدعائم التي سار عليها الملك عبد العزيز فعندما عاد إلى الرياض شعر بعظم المسؤولية التي

أوكلتها الدعوة السلفية إليه لذلك رأى الملك عبد العزيز ــ والدعوة في طورها الأول ــ أن يوجه اهتمامه إلى البناء الداخلي لإيجاد جبهة منيعة قادرة على الصمود في وجه أعداء الدعوة.

ومعلوم أن البدوي الذي يواجه التحدي من جانب البيئة ومناخها صفاته خشنة وطباعه غليظة أصعب من الحضري وأشد تمنعاً في قبول الأوامر والاستكانة للتعاليم مما جعل تهذيبه وتعليمه من المشاكل الكبرى، «وقد حل الملك عبد العزيز هذه المشكلة بطريقة لم يسبقه إليها أحد من ملوك العرب قديماً أو حديثاً فهو من هذا القبيل المصلح الأكبر في العرب[1] أجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل أجداده وأدخلهم في دين التوحيد كما فعل أسلافه ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد، بل قال سنعطيهم أرضاً ونساعدهم في بناء البيوت»[2].

وقد كان عام ١٣٣٠ هـ هو بداية استيطان البادية وبداية التنظيم الجماعي الجديد في حياة الحل والترحال وعام جمع قلوبهم على عقيدة التوحيد. وقد اختط أول هجرة في قلب التجمع القبلي في شمال القصيم ما بين شمر الجبل وبدو القصيم وبدو الأحساء، وعلى

(١) الحقيقة أن الفكرة كانت موجودة في حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأن هناك إشارات تؤكد أنه دعا المؤمنين إلى الهجرة إليه حيث جرى تحويلهم إلى عقائديين. وقد ورد في كتاب (الأصول الثلاثة) أن الهجرة قائمة إلى قيام الساعة، إلا أنه لم يتم تنفيذ إنشاء فكرة الهجر بشكل كبير إلا في عهد الملك عبد العزيز.

(٢) عمر أبو زلام ص ٣٨٧، انظر: عبد العزيز آل سعود العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير.

الطريق المؤدية إلى الكويت أسس هجرة الأرطاوية[١] وسكنها أحد رؤساء حرب هو سعيد بن مثيب ثم أعطيت لفيصل الدويش زعيم قبيلة مطير وأحد قادة الإخوان»[٢].

وبالرجوع إلى كتابات بعض المؤرخين عن الهجر نجد أنهم يعتبرون الهجر مجرد مشروع زراعي أو حركة للتوطين وهذا يقلل من أثر الجهود التي قام بها العلماء والذين أرسلهم الملك عبد العزيز لهذه الهجر.

فإن الحقيقة التي تستند إلى الواقع وإلى روايات المعاصرين لهذه الهجر وإلى كتابات المحققين المحللين لهذا المشروع تؤكد أن الهجر كانت هجرة بالمعنى الديني غرسها علماء الدعوة في قلوب البدو مما جعل من هذه التجربة ظاهرة لم تتكرر منذ عصر النبوة.

فالبدوي الذي يواجه تحدياً من جانب البيئة ــ أكبر من أن يقاوم ــ لكنه استطاع ــ بفضل الله ــ ثم بجهود علماء الدعوة أن يقهر تأثيرات هذه البيئة على سلوكه لأنه ما كان أحد يستطيع أن يخرجه من سلطان هذه البيئة إلا العقيدة.

لقد نجح الملك عبد العزيز في ربط مشروعه للإمساك بالقبائل البدوية المتنقلة بإحياء العقيدة الصحيحة.

---

(١) سميت الأرطاوية لأن الأرطي مرعى الإبل المعروف يكثر في جوارها (انظر: الريحاني تاريخ نجد الحديث، ص ٢٦٢.

(٢) وقع الخلاف بين المؤرخين حول أول هجرة وسنة تأسيسها وزعيمها والأشهر أنها الأرطاوية سنة ١٣٣٠ هـ وكانت لفيصل الدويش.

«وأن شخصية الملك عبد العزيز هي التي أعطت الدفعة القوية لهذا التحول العظيم وأحاطته بمقتضيات النجاح لهذا العمل الكبير وهي التي جعلته يعين المرشدين لتعليم هؤلاء الرحل الزراعة والرعي إلى جانب المطوعين لتعليم أسس العقيدة الصحيحة.

ليس هذا فحسب بل إنه رأى أن مقتضيات النجاح الاهتمام بتعليمهم لغتهم العربية التي هي لغة القرآن.

كما وجه العناية ببناء المساجد لعلمه أن الصلوات الخمس هي أهم رابط لهؤلاء السكان كما أنها ستوفر رقابة مستمرة للمطوعين على هؤلاء البدو»(١).

«والبدوي ليس وحده الذي يتأثر بالعقيدة، فالإنسان لا يضحي ولا يستشهد إلا في ظل قناعة عقدية، وليس في التاريخ حركة تغيير أو بعث أمة من الأمم نجحت إلا باسم العقيدة حيث اقتنع الناس في الزمان والمكان المعينين بأن الموت في سبيلها أفضل من حياتهم الحالية.

والتاريخ حافل بالأمثلة على قدرة العقيدة على قهر العوامل المادية فالبدو أثبتوا أنهم أكثر تضامناً وأخوة وترابطاً من كل الأمم حولهم»(٢).

هؤلاء البدو الذين التزموا بالدين هم الذين نادى فيهم الملك عبد العزيز وهو ذاهب لحرب ابن رشيد في حائل فقال:

---

(١) عثمان الصالح، جوانب من عبقرية عبد العزيز، ص ١٨.
(٢) بتصرف من: محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص ٥٧٣.

يجب أن تعرفوا أننا مقدمون على أمر خطير فمن أراد الشهادة فليتبعنا ومن شاء فليعد إلى زوجته، فتعالى بكاء الاخوان وأقسموا على الموت وبدأوا يستعدون للشهادة بالتوبة من المعاصي، ثم كتب كل منهم وصيته وجاءه جندي بمائتي جنية ذهباً أخذها غنيمة فسأله الملك عبد العزيز من رآك تأخذها. رد الرجل الله وحده.

وهم الذين نقل عنهم الشريف عون بن هاشم الذي شاهدهم في معركة تربة فقال: «من أعجب ما رأيت، رأيت الأخوان في أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون للقتال»[١].

فقد أدرك الملك عبد العزيز دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة ولذلك أرسل العلماء إلى تلك الهجر على منهاج الدعوة السلفية القائمة على العقيدة التي هي أساس التعليم وهدفه.

«ومن هنا كان الخطأ الفاحش في تقويم تلك الفكرة العملاقة بتصويرها كمشروع زراعي أو إصلاح اجتماعي يهدف إلى توطين البدو وبتحويلهم إلى مزارعين. وإنما هي تشكيل عقدي لجيش تحرير توجهه العقيدة فهي هجرة بالمعنى الإسلامي»[٢].

من هذا العرض السريع يتبين لنا أن الهجر مجتمعات تعيش لتحقيق رسالة التوحيد ورفض كل ما يخالف هذه الرسالة أما الزراعة أو التجارة أو حتى التعليم فليست إلا مجرد وسائل لزيادة قدرة الدعوة

---

(١) بتصرف من: محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص ٥٨٩، وص ٥٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٧٤، ص ٥٧٥.

ودعمها بالقوة التي تمكنها من الانتشار وبسط سلطان الشرع في الأرض لذلك كان الأخوان في وقت السلم يزرعون ويحصدون ويتاجرون ويرعون مواشيهم فلم تمنعهم الدعوة عن أعمالهم. بالإضافة إلى تدينهم وسلوكهم وشجاعتهم وكفاءاتهم القتالية في وقت الحرب.

«وقد تحدث ابن سعود نفسه عن الهجر فلم يشر من قريب أو بعيد للمشروعات الزراعية أو بناء المدن بل وصفهم بقوله:

يجيئوننا في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون منا شيئاً، في أيام الحرب يحتزم الواحد منهم بحزام الرصاص ويبادر إلى البندق ثم يركب الذلول إلى الحرب ومعه شيء من المال والتمر نعم كانت الحاضرة أثبت قدماً وأشد بأساً من البادية، أما الآن فالبادية المتحضرون أهل الهجر هم في القتال أثبت من الحاضرة وأسبق إلى الاستشهاد.

وهكذا استطاع الملك عبد العزيز بالنظام الجديد إقناع كل القبائل التي استمرت تقاتل بالأسلوب البدوي بل استطاع بفضل الله ثم بواسطتهم هزم جيش الأتراك النظامي والدائم وكذلك جيش الملك حسين رغم مدافعه وطائراته وخبرائه الروس والشوام وأقنع بريطانيا بتجنب مواجهته وجعله يفخر بقوله:

«إن ورائي ما لا يقل عن أربعمائة ألف مقاتل إن بكيت بكوا وإن فرحت فرحوا وإن أمرت نزلوا على إرادتي وأمري وإن نهيت انتهوا. وهؤلاء هم جنود التوحيد.. أهل التوحيد إخوان من أطاع الله. ومعلوم أن هتافات الاخوان هي خيال التوحيد.. أهل التوحيد.. أخو

من أطاع الله ــ هبت هبوب الجنة. . وين أنت يا باغيها. . يا ويل عدو الشريعة منا»[1].

وبذلك يتقرر ما سبقت الإشارة إليه من أن نظام الهجر كان نظاماً دينياً لمحاربة الجهل وتثبيت العقيدة.

فإن المجتمع المفكك المضطرب لا علاج له إلا الالتزام بمبادىء الإسلام، وقد أدرك الملك عبد العزيز أن نشر مبادىء هذه الدعوة هو الضامن الوحيد لهذه الأمة كي تنهض من غفلتها وتتحرر من الضعف والانحلال.

ويؤكد هذا المعنى الريحاني بقوله:

الفكرة الدينية في الهجر هي الفكرة الأولى، فالهجرة هي الانتقال إلى دار الإسلام فهي إذن هجرة إلى الله والتوحيد وهي أيضاً هجرة مدنية.

فالداعي إلى الهجرة إذن ثلاثة أمور:

ــ تعليم البدو الدين.

ــ إفادة البدو بالحياة المدنية.

ــ احتواء البدو وسهولة توجيههم[2].

وفي سبيل تحقيق الهدف الأول ــ تعليم البدو الدين ــ أرسل

---

(١) بتصرف من المرجع السابق، ص ٥٧٨، ص ٥٨٨.

(٢) بتصرف، الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٦١.

الملك عبد العزيز الدعاة (المطاوعة) ليعلموا أهل هذه الهجر دين التوحيد.

«وآخى بين رجال تلك القبائل المتنافرة مقتفياً سنة محمد عليه الصلاة والسلام عندما آخى بين المهاجرين والأنصار وبعث لسكان الهجر (مطاوعة) أي علماء دين وحفظة قرآن يعلمونهم القراءة ابتداء من حروف الهجاء حتى إن الإنسان إذا مر برجال تلك الهجر يسمع لهم دوياً كدوي خلية النحل ولذلك فإن الإبل التي كانوا يرعونها باعوها بأبخس الأثمان اعتقاداً منهم أن هذه الإبل شغلتهم عن طاعة الله»[1].

ومن المعروف أن إرسال العلماء للدعوة من الوسائل التي حث عليها الرسول ﷺ قولاً وعملاً فقد أرسل عليه الصلاة والسلام مصعب بن عمير ليعلم مسلمي المدينة القرآن الكريم، وقد ظل مصعب يعلم القرآن ويدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون[2].

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى قبائل من العرب ليدعوهم إلى الإسلام ويعلموا من أسلم منهم[3].

---

(١) فهد المارك/ من شيم الملك عبد العزيز ج ٣/ ص ١٩٢.
والمطوع مقتبسة من الآية ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات..﴾ سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٢) ابن هشام ج ٢/ ص ٢٠٨.

(٣) انظر ابن هشام/ سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٠٣، ٢٣٣ الطبعة الأولى سنة =

أما المنهج التعليمي لهذه الهجر الدعوة فكان يهدف إلى بث روح الفقه الدعوي والعلم بحقائق الإسلام والتبصير بأمور الحياة في ضوء التشريع الإسلامي والعقيدة الإسلامية وقد قدم لنا الريحاني نموذجاً من نماذج الدعوة التي اقتفى فيها الملك عبد العزيز أثر السلف الصالح فقال:

باشر ابن سعود اصلاحه الكبير بالوسائل الدينية فكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى ما دعاهم إليه من إيمان يستشعرونه، وبيت يأوون إليه، وأرض يحرثونها[(١)].

وقال فيلبي:

«إن المشروع بدأ بإرسال دعاة، أو مطوعين ليطوفوا في القبائل يدعون للهجرة، فتجمع سنة ١٣٣٠ هـ عدد من الدعاة في بلدة حرمة، بالقرب من بلدة المجمعة للتفقه في الدين».

وقد قرر عدد من الإخوان في حدود خمسين رجلاً، وعائلاتهم الهجرة إلى الأرطاوية، بين الكويت، والقصيم فأصبحت معسكراً

= ١٤٠٨ هـ ابن كثير/ البداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٥، سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٠.

(١) الريحاني/ تاريخ نجد الحديث ص ٢٦١ هذا وقد روعي في اختيار أماكن الهجر وجود المياه الجوفية الصالحة للشرب ولزراعة الأقوات الضرورية وساعدهم الملك عبد العزيز مادياً لبناء مساجدهم ومساكنهم فضلاً عن تخصيص الأقوات والمساعدات لكل هجرة بما يضمن الاستقرار في هذه الحياة الإسلامية عوضاً عن الحل والترحال في الحياة البدوية.

للمتدينين المقاتلين، وانتشرت الفكرة في طول البلاد، وعرضها.

وقد كان ابن سعود هو الذي بدأ حركة البعث بواسطة دعاته، ووفر لهذه المستعمرات كل احتياجاتها؛ من المال، والأدوات الزراعية، والمعلمين الدينيين، والسلاح، والذخيرة للدفاع عن العقيدة التي كان البند الأول فيها هو التخلي عن العادات الجاهلية، والقبلية، والتآخي بين كل الذين يقبلون النظام الجديد، بصرف النظر عن قبائلهم، وأصولهم الاجتماعية.

وهكذا وجه الملك عبد العزيز النزعة القتالية عند الأعراب، إلى خدمة الإسلام، وفي المقابل حرمت عليهم الغارات القبلية، وأعمال النهب، وشرب الدخان، وكل خطايا الحياة القديمة[١].

ومن نماذج الدعاة الذين أرسلهم الملك عبد العزيز للهجر:

الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ أرسله الملك عبد العزيز إلى الأرطاوية أول الهجر إنشاءً وكان أمير الأرطاوية هو فيصل الدويش من أشهر رؤساء البادية ومن أرفعهم ذكراً وهجرته عاصمة هجر قبيلة مطير، فجعل الله في رحلته الخير والبركة، حيث تبدلت طباع أهل البادية بفضل الله، وتمكن الشيخ بالتوجيه الحسن أن يحول الجفاء لطفاً والغلظ ليناً والجهل توحيداً وفهماً فصنعت مواعظ الشيخ ودروسه من هذه البادية الجافية الجاهلة قوة فتحت البلدان وأقامت العمران تحت قيادة الملك عبد العزيز رحمه الله[٢].

---

(١) انظر محمد كشك/ السعوديون والحل الإسلامي/ ص ٥٥٩، ٥٦٠.

(٢) بتصرف من علماء نجد خلال ستة قرون البسام ج ١/ ص ٨٣.

ومنهم الشيخ عمر بن سليم الذي بعثه الملك عبد العزيز إلى نفس الهجرة سنة ١٣٣٠ هـ لما علم فيه من رجاجة عقله وبعد نظره وسعة العلم وحسن الدعوة[١].

ومنهم الشيخ محمد بن عثمان الشادي الذي نفع الله بوعظه وإرشاده في بلدة الغطغط، وكان رئيسها سلطان بن بجاد فصار يغزو مع الجيش تحت راية الملك عبد العزيز مرشداً للجيش وقاضياً حتى تم فتح الطائف سنة ١٣٤٣ هـ[٢].

كما أرسل الملك عبد العزيز أيضاً الشيخ عبد الله بن حمد بن عتيق مرشداً وواعظاً لهجرة الغطغط حال إقبال البادية على السكن في القرى والرغبة في الدين والجهاد في سبيل الله. وكان أهل هذه الهجر هم أقوى ساعد لإمام المسلمين في الجهاد في سبيل الله فاختاره لهم ولا سيما وقد علم أنه دخل معهم أناس يدعون العلم وقد فتنوا كثيراً منهم بالتشديد والغلو ـ عن حسن قصد ـ مع عدم المعرفة بحقوق المسلمين وإمامهم، فعندما وصل هذا العالم الجليل إلى هذه الطائفة رأى منهم الجفاء وافتتانهم بمن لديهم من الأدعياء فرجع إلى الرياض وطلب إعفاءه من الرجوع إليهم ودعوتهم لكنه رجع إليهم. مع دخول شهر رمضان فلما تقدم هذا العالم الجليل والقارىء الذي لم يكن له مثيل لصلاة التراويح يرتل القرآن فخشع السامعون وكثر الباكون وأقبلت القلوب إلى الرغبة فيما عند علام الغيوب.

---

(١) المرجع السابق ج ٣/ ص ٧٤٥.

(٢) المرجع السابق ج ٣/ ص ٨٩٨.

ولم يخرج هذا الشهر الكريم إلا وقد أصبح لهذا الشيخ مكانة رفيعة في قلوب أهل هذه الهجرة حتى أصبح أحب إليهم من أولادهم وإخوانهم، وأقبلوا يستمعون إلى وعظه وإرشاده، وأقبل الشيخ عليهم بالنصح والتعليم فنفع الله به تلك الطائفة ولم يحصل منهم أي خلاف في حياته[١].

أثر علماء الدعوة في الهجر:

تسببت الهجر في بداية أمرها للملك عبد العزيز في مشكلة كبيرة، وهي أن البدو أقاموا في الهجر بعد بيع جمالهم لا يعملون شيئاً في أيام السلم غير الصلاة والعبادة في المساجد، فكادت تنتشر البطالة بين أهل هذه الهجر.

ولكن الإمام المجاهد لم يعدم طريقة تنقذ إصلاحه من الخطر فشحذ ذهنه واستشار العلماء في تلك الحالة فأشاروا عليه بحث أهل الهجر على العمل والكسب وزودوا الدعاة والمطاوعة بكتب التاريخ وأخبار السلف التي تدل على أن السلف الصالح كانوا يعملون في الزراعة والتجارة، فراح هؤلاء الدعاة ينشرون هذه الأفكار وغيرها ضد البطالة والكسل، وراحوا يعلمون المتحضرين أن الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وأن المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير ويضربون الأمثال بأبي بكر رضي الله عنه الذي كان يملك ثمانية آلاف رأس من الإبل والخيل... ثم يقولون لهم: هل تدرون أيها الاخوان ما كان يرغب فيه أبو بكر؟ وهل تشكون في أن الله سبحانه وتعالى

(١) بتصرف من البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون/ ج ٢/ ص ٥٢٨.

يفتح لكم ـ إذا أنتم زرعتم وتاجرتم ـ أبواب الثروة والجاه؟

وقد أفلح المطاوعة في تحبيب العمل والغنى والكسب إلى الإخوان فشرعوا يزرعون الأرض حول الهجر ويتاجرون دون أن تضعف فيهم روح القتال وحب الاستشهاد[1].

كما كانت الهجر تضم الكثير من الصالحين من أنصاف المتعلمين ـ غير المتمكنين في العلم ـ والذين جنحوا إلى التشديد عن حسن قصد.

إلا أن العلماء ـ بما غرسته الدعوة في قلوبهم من أدب في الاقناع ـ أخذوا يواجهون غلوهم ويردونهم بالحجة ويدعونهم إلى الرجوع عن غلوهم بالدليل الشرعي مما كان له أحسن الأثر في اعتدالهم ورجوعهم عن غلوهم بعد أن كانوا يكفرون من لم يتحضر من البدو.

وقد صدرت عن العلماء فتوى بخصوص تعصب بعض الاخوان وذلك سنة ١٣٣٧ هـ ونقتبس منها هذه السطور:

«من عبد الله بن عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبد الله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن بليهد وعبد الرحمن بن سالم إلى الاخوان كافة من أهل الهجر وغيرهم وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

---

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٦٢، وص ٢٦٣.

إنكم تفهمون ما منّ الله به علينا من نعمة الإسلام وتجديد هذه الدعوة. والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ولا يخفى عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبه وهي على ثلاثة أمور:

الأول: وهو الأكثر طلب الخير، والاجتهاد، ووقوع الناس في أمور تخل بدينهم، ودنياهم لأنهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل... فلما تحقق ذلك عند أولي الأمر، وعند العلماء أحبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم، وولاة الأمر منهم، فلما حضروا سألنا الإمام عبد العزيز بحضرتهم عن أمور هي:

أولاً: هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم، القائمين بأوامر الله، ونواهيه أم لا؟

ثانياً: هل من فرق بين لبس العقال، ولبس العمامة إذا كان معتقدهما واحد أم لا؟

ثالثاً: هل في الحضر الأولين، وفي المهاجرين الآخرين، فرق أم لا؟

رابعاً: هل في ذبيحة البدوي، والحضري فرق أم لا؟

خامساً: هل للمهاجرين أمر، أو رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا؟

وأجاب العلماء وقرروا بعد البحث ما يأتي:

١ ــ الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم.

٢ ــ لا تفاوت بين لابس العقال، ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحداً.

٣ ـ لا فرق بين الحضر الأولين، والمهاجرين الآخرين.

٤ ـ لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين، ودربه دربهم، ومعتقده معتقدهم، وبين ذبيحة الحضر الأولين، والمهاجرين.

٥ ـ لا حق للمهاجرين أن يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا بأن يضربوهم أو يلزموهم، الهجرة.

٦ ـ لا حق لأحد أن يهجر أحداً بدوياً كان، أو حضرياً بغير أمر واضح، أو كفر صريح[١].

وفي هذا المقام، فإننا نشير إلى أن بعض المؤرخين عن المملكة قد نسبوا الكثير إلى علماء الهجر عن وقوفهم ضد تيار التمدن واعتبر هؤلاء المؤرخون أن الدين عائق عن التقدم، وكثرت رواياتهم عن موقف العلماء من اللاسلكي والسيارة وغير ذلك.. ونسي هؤلاء المؤرخون أن المسلم أقدر على التعامل مع الحقائق العلمية بمجرد أن يفهم سرها، وعندئذ يتقبلها بيسر وسهولة وذلك للعقلية العلمية التي يتميز بها العالم المسلم ومرجع ذلك إلى حث القرآن الكريم على استخدام العقل والعلم في آيات كثيرة، ولكن هذا الرفض للمخترعات قبل فهمهم سرها، يدل على عقلية أكثر علمية، وأكثر احتراماً للنفس من المتخلف الذي يتعاطى هذه المخترعات دون أي انفعال، رغم

---

(١) الريحاني/ تاريخ نجد الحديث/ ص ٢٦٥.
وانظر الدرر السنية ج ٧/ ص ٣٩٦ رسالة الشيخ محمد عبد اللطيف والعنقري لأهل الأرطاوية.

مخالفتها لكل قوانين عالمه، وجهله المطلق بفكرتها.. إن الخوف من المجهول، أولى درجات العلم.

فقد كان البدو يستعملون ـ من عهد الإمام فيصل بن تركي ـ طلمبات الماء الميكانيكية ويستعملون البنادق وكلها تعمل كالشيطان. والحقيقة لمن يمعن النظر، هي وجود دافع ديني لهؤلاء العلماء خوفاً من أن تسهل هذه المخترعات للأجنبي ـ وهي فعلاً تسهل ـ غزو بلادهم، لأنها تأتي بالعدو باعتباره مخترعها، فيأتي في شكل امتيازات وإدارات أجنبية، وكله يفتح الباب للتدخل الأجنبي، وقد فقدت معظم دول المنطقة استقلالها وكانت البداية امتيازاً حصل عليه الأجنبي(١).

ولكن الملك عبد العزيز كان بعيد النظر فاستطاع أن يحافظ على استقلال المملكة من أي ضغوط أو امتيازات أجنبية مع انتفاعه بكل وسائل المدنية الحديثة.

بقي أن نشير إلى أن العلماء لم يقتصر دورهم على الهجر فحسب فقد كان لهم نشاط ظاهر في تثقيف العوام وإرشاد الناس إلى تعاليم الدين الحنيف في كل أنحاء المملكة.

فقد قام الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي بالدعوة في جنوب المملكة العربية السعودية على أسس إسلامية سلفية صحيحة، وفتح عندهم المدارس وركز لديهم المجالس العلمية وبث فيهم العقيدة السلفية فكثر لديه المتعلمون، وانتشر التعليم في الجنوب والغرب،

---

(١) بتصرف من محمد جلال كشك/ السعوديون والحل الإسلامي/ ص ٥٨٨.

وقد استطاع أن يستعين ببعضهم حتى عم كثيراً من مناطق تهامة والحجاز العلم النافع والعقيدة السلفية والدين الخالص، وتخرج على يديه الكثير من طلاب العلم الذين أصبحوا قضاة ومرشدين ومدرسين فصار لهذه الدعوة أثر كبير ونفع عظيم[1].

وكان قد سبقه في الذهاب إليهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف، ومكث عندهم مدة من الزمن، يدعو إلى الالتزام بدين الله، وعندما رجع ظل على صلة دعوية معهم عن طريق المراسلة، وكان مما كتبه إليهم هذه النصيحة:

من محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ إلى من يراه من أهل القرى، ورؤساء القبائل من أهل الجنوب وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر، وقحطان، وغامد، وزهران، وكافة أهل الحجاز وغيرهم هدانا الله، وإياهم لدين الإسلام، وجعلنا وإياهم من أتباع سيد الأنام آمين.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته...

(أما بعد) فإنه لما كان في هذه السنة ــ وهي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحية ــ بعثنا الإمام المقدم، والرئيس المفضل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود أعلى الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم وتعبدكم به من دين الإسلام الذي معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة؛

---

(١) بتصرف من الشيخ البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون/ ج ٢/ ص ٦٣٢.

والجهل به والاعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار. فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا بعض أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتمادوا في الغيِ والطغيان والإعراض عن النور والهدى، وفرقوا أمرهم وكانوا شيعاً، وغلب عليهم الجهل وإيثار الشهوات، واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادي جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين، وهذا هو دين أهل الجاهلية الأولين، الذي بعث فيهم سيد المرسلين وإمام المتقين.

فلما رأينا ذلك وجب علينا الدعوة إلى الله بالحجج والبراهين، وهي طريقة النبي الأمين، وسبيل من اتبعه من الصحابة والتابعين، ومن سلك منهاجهم إلى يوم الدين، كما قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[١] وكتبنا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والعقائد السلفية إلى القبائل والبلدان بعدما سفت عليها السوافي، وقل من يعرفها من أهل القرى والبوادي، نصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين، وصار بعض الناس يسمع بنا معاشر الوهابية ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه، وينسب إلينا ويضيف إلى ديننا ما لا ندعو إليه.

فاعلموا أن حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه ونجاهد على التزامه والعمل به، أنا ندعو إلى دين الإسلام، والتزام أركانه،

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وأحكامه، الذي أصله، وأساسه شهادة أن لا إله إلا الله والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له[1].

وفي رسالة ثانية له يبين حقائق الدعوة بصورة أوضح فيقول:

«فاعلموا أن الذي نعتقد وندين الله به وندعو الناس إليه ونجاهدهم عليه هو دين الإسلام الذي أوجبه الله على عباده وحقه عليهم الذي خلقهم لأجله.

ثم قال.. وبالجملة فإنا نأمر بما أمر الله به في كتابه، وأمر به رسول الله ﷺ، وننهي عما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله، ولا نحرم إلا ما حرم الله، ولا نحلل إلا ما حلل الله، فهذا الذي ندعو إليه، ومن كان قصده الحق ومراده الخير والدخول فيه التزم ما ذكرنا وعمل بما قررنا فيكون له ما لنا وعليه ما علينا ونجاهد من لم يقبل ذلك ونستعين بالله على جهاده ونقاتله حتى يلتزم ما أمر الله به في كتابه وأمر به رسول الله ﷺ»[2].

وليس هناك شك ـ بعد هذا العرض ـ أن خطة الملك عبد العزيز في إرسال الدعاة إلى البادية والهجر كانت من أنجح الوسائل في نشر الدعوة، وكان من العوامل المساعدة في إقامة دولة الإسلام في الجزيرة العربية على أسس مستقرة، كما أنها قضت على نزعات الخروج والاجتهادات الفردية الجامحة التي تميل إلى التطرف، والتي تسيء إلى صورة الإسلام، والمسلمين في نهاية الأمر.

---

(١) ابن قاسم/ الدرر السنية/ ج ١ ص ٢٨٤.

(٢) ابن قاسم/ الدرر السنية/ ج ١ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

المطلب السادس

رسائل العلماء ومكاتباتهم

من البديهي أن القيام بواجب تبليغ الدعوة إلى الله يكون عن طريق القول والكلمة المسموعة والمقروءة، كما يكون عن طريق العمل الفردي والجماعي فالقول، أو الكلمة، هو الأصل وهو الوسيلة الأولى للتبليغ؛ حيث إن الفعل يقتضي إيماناً واقتناعاً وهما لا يتحققان إلا بالكلمة التي تخاطب العقل والوجدان، وجدير بالذكر أن القول تتفاوت أنواعه وفنونه؛ فقد يأتي في شكل حوار ثنائي بين الداعي والمدعو، وقد يأتي في صورة خطاب أو رسالة، كما يأتي في صورة خطبة أو درس أو محاضرة، أو كتاب أو مقالة أو غير ذلك مما يدخل في فنون القول ويتوجه به صاحبه إلى قطاع كبير من الناس.

والكتابة ــ كما هو معروف ــ إنما هي وسيلة قولية يتحدث بها الكاتب لمن لا يمكنه المشافهة معه، كما أنها تحقق أحياناً ما لا يمكن للقول المنطوق أن يحققه.

وهذه الكتابة ــ كما ألمحنا ــ قد تكون كتابة رسائل يتوجه بها الداعي إلى من يريد دعوتهم إلى الإسلام لتصحيح عقائدهم، وهذه الرسائل ذات طابع فردي، على الأغلب إلا أن تكون منشوراً يقرأ على عامة الناس في المساجد أو المحافل.

وقد تكون الكتابة متجهة لتأليف الكتب والمقالات والأبحاث والقصائد الشعرية وغيرها.

وفيما يتعلق بالرسائل ـ التي هي موضوع بحثنا هنا ـ والتي تتصل بوظيفة الدعوة هذه الرسائل كانت وسيلة قديمة أصيلة معروفة منذ ظهر الإسلام، فقد أرسل الرسول ﷺ الرسائل إلى الملوك والأمراء، وكان يكتب لكل منهم حسب حالته العقدية أو السياسية داعياً إياه ومن معه إلى الدخول في الإسلام.

روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ «كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى»[1].

كما استخدم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم هذه الوسيلة الدعوية الهامة (الرسائل)؛ فالخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجه عدداً من الرسائل إلى رؤساء القبائل، وإلى بعض المرتدين يدعوهم إلى الإسلام والثبات[2] عليه، كما كانت الرسائل من أقوى وسائل الإعلام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي عهد غيره من الخلفاء، وقد حفظ لنا التاريخ طائفة صالحة من الرسائل التي بعث بها الخليفة عمر رضي الله عنه إلى قواده في الحرب وإلى عماله في الأقاليم، وإلى القضاة الذين كان يبعث بهم إلى الأمصار[3] كما كان العلماء والدعاة على امتداد التاريخ الإسلامي

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٣٩٧ برقم ١٧٧٤ كتاب الجهاد باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٤٩، ابن كثير. البداية والنهاية ٦/ ٣١٥.

(٣) انظر مثلاً رسالة عمر إلى القاضي أبي موسى الأشعري رواها البيهقي =

يرسلون الرسائل إلى حكام المسلمين يدعونهم فيها إلى الالتزام بما أمرهم الله به ويذكرونهم ويعظونهم.

ومن ذلك مثلاً رسالة الأوزاعي[1] إلى الوالي العباسي في الشام حول أهل الذمة ولزوم رعاية حقهم[2].

ومن أمثلة رسائل العلماء إلى بعضهم في عهد السلف الصالح رسالة عبد الرحمن بن مهدي[3] الإمام المحدث إلى عالم زمانه الإمام الشافعي يسأله عن قواعد الاستنباط، فأرسل إليه كتاب الرسالة[4].

ومن أمثلة رسائل العلماء إلى العامة رسالة الإمام أحمد (الصلاة) حيث صلى مع قوم فلم يرهم يحسنون الصلاة ويسابقون الإمام فكتب رسالة مختصرة في الصلاة وأحكامها[5].

= ١٠/ ١١٥، والدارقطني ٤/ ٢٠٦.

(١) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي: إمام محدث فقيه، ولد في عهد الصحابة وتوفي سنة ١٥٧ هـ في بيروت (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧).

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٦٣ ط ٣ سنة ١٤٩٦ هـ سنة ١٩٧٦ م.

(٣) عبد الرحمن بن مهدي البصري، إمام محدث حافظ، ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفي سنة ١٩٨ هـ (انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢ وابن العماد، شذرات الذهب ١/ ٣٥٥).

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ٢/ ص ٦٤، مقدمة أحمد شاكر لكتاب الرسالة ص ١١.

(٥) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، دار المعرفة ــ بيروت، ج ١ ص ٣٤٨، حيث روى الرسالة بسنده إلى الإمام أحمد وقد طبعت أكثر من مرة منسوبة إليه.

وقد تكون الرسالة شخصية أو موجهة لوال أو نصيحة لإداري أو بحثاً علمياً أو استفساراً عن مسألة فتوجه لعالم أو مفتٍ. وينبغي للداعية استغلال هذه الوسيلة لتكون أداة مؤثرة يبلغ من خلالها ما يراه مناسباً لحال المرسل إليه، ويجيب على ملاحظاته بتفصيل وترتيب ويعطي الموضوع حقه من البحث أو ينبه للرجوع إلى ما يمكن الرجوع إليه بسهولة.

ولقد كان لوسيلة الرسائل بأنواعها وخصائصها المتميزة إسهام كبير في الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله وفي الصفحات القادمة سوف أتناول بالدراسة بإذن الله بعض الرسائل التي توضح أثر هذه الوسيلة بأنواعها المختلفة في تحقيق أهداف الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله.

وتتصف رسائل الدعاة في عهد الملك عبد العزيز بما يأتي:

١ ــ البداءة ببسم الله الرحمن الرحيم دون الحمد وغيرها من العبارات وهم في ذلك متبعين للنبي ﷺ في كتبه(١).

٢ ــ أن اسم المرسل يذكر فيه أولاً ثم اسم المرسل إليه كما قال

(١) روى البخاري في كتاب بدء الوحي ٦/١ برقم ٧ كتاب النبي ﷺ لهرقل ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

تعالى عن كتاب سليمان ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[1] وكما في كتب النبي ﷺ إلى ملوك عصره.

٣ ــ الدعاء للمرسل إليه وليس فيها إطراء له ولا مدح زائد عن حده كما هو شائع في بعض الأقطار الإسلامية بل يعيبون ذلك.

٤ ــ السلام على المرسل إليه حيث يعملون في ذلك بالنصوص المرغبة في إفشاء السلام.

٥ ــ وضوح العبارة مع عدم استخدام المحسنات البديعية المتكلفة، وقد يأتي بعضها عفواً.

٦ ــ تضمين الرسالة الأدلة من الكتاب والسنة غالباً.

٧ ــ إنهاء الرسالة بالإيصاء بتبليغ السلام لمن يشارك المرسل إليه في قرابة أو عمل.

٨ ــ وضع التاريخ في آخر الرسالة.

٩ ــ وضع الختم في آخر الرسالة مقتدين في ذلك بالنبي ﷺ[2].

وفي عهد الملك عبد العزيز كانت رسائل العلماء على عدة أنواع:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٠.

(٢) رواه البخاري ٨/ ٢٠٣ برقم ٥٨٧٥ كتاب اللباس: باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم.

أولاً ــ الرسائل الخاصة:

وهي تشمل رسائل العلماء للملك عبد العزيز.

والرسائل المتبادلة بين العلماء بعضهم البعض.

ورسائل الإفتاء والرد على أسئلة المستفتين.

ثانياً ــ الرسائل العامة:

وهي أشبه بالبيانات التي تتضمن نصائح عامة للأمة، وغالباً ما توجه من الملك أو العلماء إلى عامة الناس الذين تقرأ عليهم في المساجد ونفصل القول في كل نوع من النوعين:

أولاً ــ الرسائل الخاصة وقد ذكرنا سلفاً أن هذه الرسائل على أنواع:

النوع الأول:

رسائل العلماء للملك عبد العزيز وهذه الرسائل تثبت لنا قيام العلماء بواجبهم تجاه قادة البلد وولاة الأمر، ولم يكن جهد هؤلاء العلماء مقصوراً على الإجابة عن الأسئلة التي يوجهها الملك إليهم وإنما كانوا يوجهون رسائلهم إليه ابتداء، فقد كان يوصيهم أنهم «إذا بدا لهم أمر فيه خير للمسلمين أن يكتبوا بذلك كتاباً يمهرونه بتوقيعاتهم ثم يعرضونه عليه حين لقائهم أو يرسلون من ينوب عنهم لتقديمه»[1].

ولقد كان للملك عبد العزيز سياسة راشدة في الأخذ بقول

---

(١) إبراهيم محمد سرسيق، لمحات من الإصلاحات الدينية والإجتماعية في عهد صقر الجزيرة، من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية، ص ٣٤٧.

العلماء وقبول اعتراضاتهم[1] ومناقشاتهم التي ترد في رسائلهم.

ولهذا النوع من الرسائل نماذج كثيرة منها:

ـ رسالة الشيخ سعد بن عتيق للملك عبد العزيز التي تتضمن ملحوظاته على بعض الدعاة الذين أرسلوا إلى الحجاز لكنهم

---

(١) أرسل العلماء إلى الملك عبد العزيز اعتراضاً على عيد الجلوس فرد بالجواب التالي:

«من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل.

إلى حضرات الإخوان الكرام قرة عيني وبهجة قلبي علماء المسلمين، وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا وإياهم في جماع عبيده وأوليائه آمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلني كتابكم المكرم الذي هو غاية مرادي، والذي ابتهج به قلبي وسرني غاية السرور.

وقد أخذته بعين القبول، وهذا الذي يجعلني أزداد حباً لكم ووثوقاً بكم، وهذا الذي أرجو أن يكون دائماً منكم لي ولأمثالي بالنصيحة وإن الله يجعل القبول مني وممن ولاه الله أمر المسلمين. بذلك إني أقول (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي) فما عملته من عمل موافق لكتاب الله فهو من الله، وما عملته مخالفاً لأوامر الله فهو مني ومن الشيطان وأستغفر الله. وبحول الله وقوته سترون إن شاء الله ما يسركم في كل أمر يعلي الله به كلمته، ويزيل الله به كل أمر يخالف أوامره بحوله وقوته، وإني لا أزال رهين فضلكم ونصائحكم الثمينة. وأرجو من الله أن يحيينا على ملة الإسلام، ويقيم بنا أوامره، ويرسل الله فضله وكرمه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». . ١ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ.

«نشر هذا الجواب في أم القرى العدد ٣٤١ الصادر في مكة المكرمة يوم الجمعة ١٠ صفر سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٣١ م».

تهاونوا في القيام بواجباتهم[1].

ـ ومن هذا النوع من الرسائل الرسالة التي وجهها الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ حسن بن حسين والشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى الملك عبد العزيز رحمه الله ينصحونه فيها بحفظ الثغور، ومنع الناس من الغزو إلا بإذن الإمام[2].

ومن هذا النوع من الرسائل الرسائل التي كان يرسلها إليه أفاضل العلماء مثل الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ صالح بن عبد العزيز والشيخ محمد بن إبراهيم[3] والشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري[4] وهذا النوع من الرسائل يشير إلى وقائع معينة ويعالجها بالحكم الشرعي وهي تشكل تفاعلاً رائعاً بين العلماء وبين الملك عبد العزيز رحمه الله للوصول بالأمة إلى ما فيه عزها وعلو شأنها ورفعة كلمتها واتحاد أمرها.

فكان لهذه الرسائل دور بارز في القضاء على الخرافات والبدع وفي تحقيق وحدة البلاد السعودية على أساس عقيدة صحيحة وشريعة ربانية.

وفي ذلك إشارة إلى أهمية معرفة العلماء بواقع البيئات التي

---

(١) اسماعيل بن عتيق المجموع المفيد من فتاوى ورسائل الشيخ سعد بن عتيق ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) الدرر السنية، ص ٢٧٧ مجلد ٥.

(٣) انظر الدرر السنية من ج ٧ ص ٣٢٧ وما بعدها وانظر ص ٣٣٠.

(٤) انظر صورة الرسالة الخطية في الملاحق.

يعيشون فيها من أجل تطبيق الأحكام الشرعية على الوقائع مع مراعاة الفروق المتصلة بالواقع والبيئة.

النوع الثاني من رسائل الدعاة الخاصة:

الرسائل المتبادلة بين العلماء أنفسهم للتباحث في بعض المسائل العلمية والفقهية أو للتشاور في بعض الأمور والمصالح.

ومن هذا النوع من الرسائل الرسالة التي وجهها الشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى بعض طلبة العلم يبين له فيها معنى قول الرسول ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»(١) أي من مكة لأنها أصبحت دار إسلام، وأن الهجرة لا تزال واجبة عن بلاد الكفر إذا استشعر الإنسان خطراً على نفسه أو دينه أو ذويه(٢).

ومن أمثلة هذه الرسائل أيضاً رسالة الشيخ سعد بن عتيق للشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري حول بعض مسائل الذات والصفات ومسائل أخرى في العقيدة الصحيحة(٣).

وهذه الرسائل تدل على محبة العلماء بعضهم لبعض ورغبتهم في الخير وعدم خجلهم من السؤال عما لا يعلمون، وكانت تلك الكتابة مبنية على أسس قوية مستمدة من الكتاب والسنة بواسطة القواعد الأصولية غير مغفلة لآراء العلماء واستنباطاتهم فكانت ذات

---

(١) رواه البخاري، ٤/٢٨ برقم ٢٨٢٥ كتاب الجهاد: باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية.

(٢) انظر عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، ص ٢٠٣ المجلد الخامس.

(٣) اسماعيل بن عتيق، المجموع المفيد من رسائل الشيخ سعد بن عتيق، ص ٨٤ ـ ٨٥.

هذا الملك أو العلماء إلى الكتابة إليهم لتحذيرهم عن اتيان هذه المخالفات وبيان خطرها الجسيم وحاثاً لهم على فعل الواجبات والمسنونات، وذلك كله انطلاقاً من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله.

وتأخذ هذه الرسائل الصفة الشخصية في المرسل والصفة العمومية في المرسل إليه فيرد في مستهلها، على سبيل المثال، الأسلوب الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى من يراه من إخواننا المسلمين، أو من محمد بن إبراهيم إلى من يراه من المسلمين... ثم يأتي نص الرسالة مبدوءة بالسلام عليكم. ويلاحظ في الرسائل التي تكتب لعامة الناس ضرورة أن تكون سهلة الأسلوب واضحة المعنى بحيث يستطيع أن يفهمها أقل الناس قدرة على فهم الخطاب.

ويعزز من تأثير هذه الوسيلة وأهميتها قلة الدعاة في ذلك الوقت، فمن المعروف أن العالم أو الداعية قد لا يستطيع إلا مشافهة قوم محددين وبخاصة قبل انتشار المذياع والتلفاز لكنه يستطيع تربية طائفة ودعوتهم بطريقة مباشرة وتربية آخرين ودعوتهم بطريق غير مباشر بواسطة الرسائل، فيتحقق له بالرسائل ما لا يستطيع أن يتحقق له بالمشافهة لتبليغ الدعوة وإظهار الحق.

١ ــ ومن هذا النوع من الرسائل رسالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى الحجازيين والنجديين واليمنيين والتي ينصحهم فيها بالفقه بمعنى لا إله إلا الله فكراً وتطبيقاً والفقه بمعنى

النصيحة لله ولرسوله والعمل بمحكم كتاب الله والإيمان بمتشابهه والعمل على توحيد المسلمين على العقيدة الصحيحة الموجودة في كتاب الله وسنّة رسوله والإيمان بشفاعة الرسول ﷺ إذا أذن الله له وتكفير الذي يفرق في الإيمان بين الكتاب والسنة[١].

٢ ــ ومن نماذج الرسائل العامة أيضاً الرسالة التي وجهها الشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى الاخوان من أهل الأرطاوية يحثهم فيها على تقوى الله ولزوم طاعته واستعمال منهج الإسلام في الدعوة حتى لا تقع مفسدة كبيرة من أجل مصلحة صغيرة ووجوب التثبت وعدم الطيش والعجلة والحرص على الرفق والملاطفة في الدعوة ووجوب استفتاء العلماء الراسخين وعدم العمل بأقوال الذين لا يملكون بصيرة في العلم والدين[٢].

٣ ــ ومن أمثلة هذا النوع من الرسائل العامة الرسالة التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان في بيان معنى الطاغوت ووجوب الحكم بما أنزل الله وترك التحاكم إلى العادات[٣].

وهذه الرسائل وإن انطلقت من باعث محدد إلا أنها تعالج أمور عامة في الجملة ليس أدل على ذلك من قول الملك عبد العزيز في رسالته السابقة «والذي حملني على هذه النصيحة هو ما رأيت في هذا الزمان وفي أهله من الفساد وما اقترفنا من الذنوب كبيرنا وصغيرنا

---

(١) أم القرى، العدد ٦٤٧ الصادر يوم الجمعة ١٩ صفر سنة ١٣٥١ هـ.
(٢) عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، ص ٤١ من المجلد الخامس.
(٣) عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، ص ٢٧٤ من المجلد السادس.

نستغفر الله ونتوب إليه، وما عليه الحالة اليوم والناس في هذا الزمان. . . »[١].

فإن الباعث حمل الرعية إلى استحضار الحالة العامة للمسلمين وهو بالتالي يوجه إليهم توجيهاً إجمالياً يتتبع فيه عوامل تخلفهم وجهلهم بدينهم.

وسأحلل رسالة الملك عبد العزيز[٢] السابقة باعتبارها نموذجاً وافياً لهذا النوع من الرسائل حيث نستطيع أن نستخلص منها خصائصه ومميزاته.

هي أولاً خطاب لعدد كبير من الناس (الحجازيين والنجديين واليمانيين).

وهي ثانياً تذكير بالإسلام في الجملة.

وهي ثالثاً عرض سلفي ملتزم بمذهب السلف الصالح.

وهي رابعاً تنبعث من شعوره بالوضع الإسلامي المؤلم.

وهي خامساً مقاومة للأفكار والبدع الغازية من الجاهلية القديمة والحديثة التي تمثل الخطر الحائق بغيرنا من الأمم.

وهي سادساً دعوة إلى إنقاذ شباب الأمة وأطفالها ونسائها عن طريق التربية الإسلامية السديدة.

وهي سابعاً دعوة إلى تبادل النصح وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل الإيمان تطبيقاً حياً يمشي على

---

(١) أم القرى، عدد ٦٤٧.

(٢) انظر نص الرسالة في الملاحق.

الأرض والتعاون الجماعي على الخير والتقوى ويلاحظ أن أسلوب هذه الرسائل يمتاز بالأطناب والشرح والبساطة أكثر من الرسائل الخاصة حيث إنها توجه إلى مستويات كثيرة مختلفة الفكر والثقافة وإلى قطاعات كبيرة من الناس.

□□□

المطلب السابع

التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة

يقف جهل الشعوب بحقيقة الدعوة السلفية عقبة دون نشر الإسلام الصحيح في مختلف البلدان العربية والإسلامية. كما يدفع هذا الجهل أعداء هذه الدعوة لإثارة الشبهات حولها. ولهذا يجب على الدعاة تجلية حقيقة الدعوة ونشرها وتفنيد الشبهات وإظهار الحق أمام الناس بالحجة الواضحة والبراهين الساطعة وذلك برفق وصبر وتحمل واحتساب عند الله.

إن حقيقة الدعوة السلفية وأهدافها تقوم على ثلاثة أصول:

١ ــ تصحيح العقيدة وتجريدها بتخليصها مما علق بها من بدع وخرافات، ومع إفراد الله وحده بكل أنواع العبادة.

٢ ــ تحكيم شرع الله والالتزام بمنهج الإسلام في شؤون الحياة.

٣ ــ القيام بواجب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذه الدعوة السلفية تعبر عن مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين في العقائد والعبادات واتباع مذهبهم في احترام النصوص وإبعادها عن التفاسير المجافية لذوق اللغة أو للمأثور والدعوة السلفية هي التي هذبت النفوس أمام النصوص مع الحرص على التطبيق بقدر المستطاع، وأصبح لها أبناء يستميتون في الدفاع عنها والدعوة إلى الله من خلالها بعد ما رأوا فيها المخلص من ذلّ

الحياة الدنيا ومن عذاب الآخرة فدافعوا عنها لينشروها كما فعل المجاهدون الأولون من المسلمين باعتبارها عقيدة عالمية لا تخص العرب وحدهم بل هي لعامة الإنس والجن.

ولقد تناولت بعض الأقلام العربية والأجنبية هذه الدعوة السلفية بعين الإنصاف وأقلام أخر تناولتها بإجحاف وظلم...

ويمكن تصنيف هذه الأقلام على النحو التالي:

(أ) أقلام حاولت أن تتناول الدعوة السلفية بإخلاص وأن تصفها وصفاً يكون أقرب إلى الحقيقة وقد أيدتها وسعت إلى نصرتها بناء على اقتناعها بصفائها وامتثالها للنهج القويم الذي جاء به محمد ﷺ من عند ربه مثل الشيخ محمد سالم البيحاني في كتابه (أشعة الأنوار على مرويات الأخبار)(١) ومثل الأمير شكيب أرسلان(٢) الذي أثنى على الدعوة في كتابه (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى اقدس مطاف)(٣).

(ب) وطائفة أخرى جاهلة بالدعوة ولم توفق إلى من يقوم بتعريفها بحقائقها ونتيجة لجهلهم بالدعوة جاءت كتاباتهم

---

(١) لم أعثر على ترجمة وقد ذكر ناشر كتابه أنه إمام جامع مدينة عدن باليمن والكتاب طبعته إدارة إحياء التراث بقطر سنة ١٤٠٦ هـ الطبعة الأولى وقد أثنى فيه على الملك عبد العزيز والدعوة.

(٢) شكيب بن حمود أرسلان أديب كاتب ولد سنة ١٢٨٦ هـ بلبنان وتوفي بها سنة ١٣٦٦ هـ (الأعلام ج ٣ ص ١٧٣).

(٣) انظر الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠ هـ مطبعة المنار بمصر.

مليئة بالخلط والتشويه وإن سلم قصد بعضهم مثل محمد جميل الشطي[١] فيه كتابه الوسيط بين الافراط والتفريط.

(ج) وهناك طائفة حاربت الدعوة بالقلم والسلطان وسعت إل تشويه صورتها وصد الناس عنها بالكذب والتزيين وذلك لدوافع سياسية وطائفية ودينية ولمصالح شخصية أمثال يوسف الدجوي[٢] الذي حشا مجلة نور الإسلام[٣] بمقالات متعددة يطعن فيها بعقيدة السلف الصالح التي دعا إليها اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد رد عليه عبد الله القصيمي في كتابه البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية[٤].

ومثل يوسف النبهاني[٥] الذي ألف كتاب عارض به الدعوة سماه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق وقد رد عليه الشيخ محمود الألوسي في كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني. وقد

---

(١) ولد بدمشق سنة ١٣٠٠ هـ وتوفي سنة ١٣٧٩ هـ اشتغل بالقضاء والإفتاء (انظر النعت الأكمل ص ٤٣١).

(٢) يوسف الدجوي من علماء الأزهر ولد في مصر سنة ١٢٨٧ هـ وتوفي سنة ١٣٦٥ هـ (انظر الأعلام ج ٨ ص ٢١٦).

(٣) انظر المجلد الأول ص ٥٨٨ المجلد الثاني ص ٢٩ المجلد الرابع ص ٢٥٥.

(٤) انظر الطبعة الثانية سنة ١٩٨٩ م توزيع مكتبة رياض الجنة مكان الطبعة لم يبين في الكتاب.

(٥) عمل في القضاء والصحافة، توفي سنة ١٣٥٠ هـ في بيروت، الأعلام ج ٨ ص ٢١٨ مجلة المنار ج ١٠ ص ٧٩٧.

حال بين كثير من الناس وبين هذه الدعوة أهواء سياسية وكان يبعدهم عنها جهلهم بها[1].

ولولا هذه الأمور لما كان هناك عائق من أن يجتمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على هذه الدعوة وينضموا تحت رايتها.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة أن حفظ هذه الدعوة السلفية منذ أكثر من قرنين ونصف في الجزيرة العربية وأيدها بالدعاة والولاة، فظلت الدعوة الإسلامية صحيحة حية.

وأصحاب هذه الدعوة لم يقصروا في إبلاغها وتعريفها للناس بالكتابة وغيرها، لكن الدعوة كانت في حاجة ملحة إلى بيان أسسها وحقيقتها في خارج المملكة على أساس أنها دعوة عالمية.

وفي هذا المطلب نتناول الجهود التي قام بها الملك عبد العزيز والعلماء في مجال شرح منهج الدعوة خارج المملكة عن طريق تدعيم الدعاة والعلماء في بعض البلدان حيث كان الملك عبد العزيز يأمل في جمع الأمة كلها على الأخوة الإسلامية.

وكان رحمه الله لعمق إيمانه وحماسه للدعوة يقول: «نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله وبكتابه وبسنة نبيه نحن ندعو إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن»[2].

---

(١) القصيمي/ الثورة الوهابية ص ٧٣.

(٢) ألقي هذا الخطاب في مكة المكرمة مساء يوم الجمعة ٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ، انظر صحيفة أم القرى عدد ٢٨٣ الصادرة في مكة المكرمة يوم الاثنين ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ.

وقد ساعد الملك عبد العزيز على نشره للدعوة السلفية أنه في الوقت الذي كان مشغولاً فيه بتأسيس دعائم الدولة السعودية كانت معظم البلدان العربية والإسلامية تعاني من سيطرة الاستعمار بمختلف أشكاله مما ألقى على عاتق الدولة السعودية مسؤولية دعوية كبيرة تجاه هذه البلدان باعتبار أن المملكة كانت الدولة الوحيدة التي تنعم بالاستقلال التام ولذلك كان عليها من الحقوق للمسلمين ما ليس على سواها.

فكان عليها أن تقوم بدور المرشد الديني فتبعث العلماء إلى البلدان للتعريف بالمنهج الإسلامي لما في ذلك من قيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالإضافة إلى دعم العلماء في مختلف البلدان مادياً ومعنوياً ليدافعوا عن هذه الدعوة ضد ما أثير حولها من شبهات.

كان الملك عبد العزيز يسعى قدر طاقته لتعريف المسلمين في البلاد العربية والإسلامية بالعقيدة الصحيحة بعدما طرأ عليهم من الخرافات والبدع وذلك من خلال عدة وسائل أهمها: ـ

١ ـ اللقاء بوفود الحجيج وحثهم على التمسك بالدين الصحيح ليكونوا دعاة إلى المنهج السلفي بعد عودتهم إلى بلادهم(١).

٢ ـ دعم ونشر الكتب والمجلات والنشرات الإسلامية التي

(١) سوف يأتي توضيح ذلك إن شاء الله في المطلب الثامن من هذا المبحث.

توضح الدين الحق والإسهام في توزيعها وإرسالها إلى العديد من البلدان[١].

٣ ــ دعم العلماء السلفيين في مختلف البلدان مادياً ومعنوياً لإيضاح الحق والرد على من يحاول تشويه صورة الدعوة وحقيقتها[٢].

٤ ــ إرسال الدعاة إلى هذه البلدان للتعريف بالمنهج السلفي حيث أرسل الملك عبد العزيز الكثير من العلماء والدعاة إلى العديد من البلدان يدعون إلى توحيد الله وعبادته[٣].

وقد وجد هؤلاء الدعاة الناس في حاجة إلى تعريفهم بدينهم الصحيح ولا سيما بعد أن نشطت الفرق الضالة في الترويج لمذاهبها وبعد أن عمل دعاة النصرانية والإلحاد في نشر مبادئهم فاجتهد هؤلاء الدعاة[٤] ليعرفوا الناس بالمنهج السلفي فنادوا إلى التمسك بالدين الصحيح وترك البدع والخرافات، معتمدين في دعوتهم على الحديث الصحيح: «... كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[٥] ويجب أن نشير إلى أن هؤلاء الدعاة كانوا يعملون في ظل ظروف صعبة: فمعظم

---

(١) وقد بسطت الكلام عن هذا في المبحث الثاني من هذا الفصل.
(٢) وسوف أورد إن شاء الله أمثلة من ذلك في هذا المطلب.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٥١) وابن ماجه (٤٢) وصححه الألباني (في صحيح سنن ابن ماجه (٤٠) والدارمي (ج ١/ ٤٤) باب اتباع السنة والترمذي رقم ٢٦٧٨.

البلدان التي نزلوها وجدوا الاستعمار قد أفسد عقائد شعوبها وأفسد أخلاقهم. ومعلوم أنه ليس هناك شيء يضعف القوى مثل فساد العقيدة ثم فساد الأخلاق.

ومن أمثلة الدعاة الذين كان لهم تأثير في خارج المملكة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، حيث سافر للخليج وكان رئيساً لنادٍ دعوي في البحرين من أجل تحرير المقالات وإعداد الردود على المبشرين الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية والخليج العربي وكان له في ذلك جهود طيبة كما أنه رحل عام ١٣٣٤ هـ إلى قطر فتولى فيها التدريس والخطابة والقضاء نحواً من ثلاث وعشرين سنة فنشر المنهج السلفي القائم على العلم الشرعي ورحل إليه الطلاب من عمان وسائر بلدان الخليج وأخذوا عنه أثناء هذه الفترة الطويلة[١] وممن قام بالدعوة خارج المملكة الشيخ عبد الله المحمود[٢] حيث أرسله الملك عبد العزيز إلى قطر عام ١٣٥٩ هـ وقد قام بالدعوة والخطابة والافتا والتأليف بالاضافة إلى عمله في القضاء.

ولا شك أن دعوة الناس إلى خلاف ما ألفوه من الخرافات أمر صعب لكنه سهل على المسلم المخلص الداعية الواعي الذي يتحلى بالصبر والحكمة.

ونظراً لمكانة مصر بين البلدان الإسلامية لوجود الجامع الأزهر بها والذي كان له دوره الكبير في مسير الحركة العلمية والثقافية

---

(١) عبد الله البسام/ علماء نجد ج ٣ ص ٨٣٠.

(٢) الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ولد في بلدة الحوطة عام ١٣٢٩ وقد استقر في قطر حتى كتابة هذه السطور، انظر إتحاف اللبيب ص ١١٥.

بالإضافة إلى وجود العديد من المدارس العربية التي جعلت الحالة الثقافية في مصر أحسن منها في بلاد الشام وغيرها من البلدان، ونظراً لهذا كان الملك عبد العزيز يوجه اهتمامه إلى مصر وذلك بدعم العلماء السلفيين فيها مثل الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد حامد الفقي(١) ومحمد خليل الهراس(٢) وعبد الرحمن الوكيل(٣) وغيرهم من أعلام الدعوة السلفية في مصر.

وكان الشريف حسين قد سعى إلى تشويه سمعة الدعوة السلفية في البلاد الإسلامية بما يستطيعه من وسائل، واشتدت تلك الحرب الكلامية وانتشرت في كثير من البلاد الإسلامية وعلى رأسها مصر والتي كان يقيم بها رشيد رضا، وقد حرص مناصرو الشريف حسين في حروبهم للسعوديين إلى التعرض لعقيدتهم السلفية فسبوا الحركة الإصلاحية السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصفوها بالابتداع والخروج عن الإسلام.

ولم يقف رشيد رضا متفرجاً إزاء ذلك بل أخذ قلمه يصول ويجول في خضم المعركة مناصراً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتباعها ــ فكتب مقالات عديدة في صحف مصر ومجلاتها يشرح فيها

---

(١) محمد حامد الفقي ولد في البحيرة سنة ١٣٠٩ هـ والتحق بالأزهر حصل على العالمية ثم عمل بالمملكة سنة ١٣٤٦ هـ، حيث أصدر مجلة الإصلاح وأسهم في التدريس في الحرم المكي والمعهد العلمي ثم عاد إلى مصر وأنشأ جمعية السنة المحمدية توفي سنة ١٣٧٨ هـ.

(٢) من أكبر الدعاة السلفيين في مصر وله عدة كتب في الدعوة رحمه الله.

(٣) كان معروفاً بعدائه لأهل البدع له كتاب هذه الصوفية.

حركة الشيخ ومبادئها وأهدافها وحالة أتباعها في عصره وأنهم هم الأمل الوحيد في إعادة ما للمسلمين من عزة ومجد لأن عقيدتهم تقوم على مبادىء الإسلام الصحيح كما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ[1].

وقد كانت له مقالات في صحيفة (الأهرام) القاهرية وفي مجلة (المنار) ترد على مزاعم أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية التي كان يحرص أعداؤها على تشويهها أمام شعوب العالم الإسلامي.

كما كان للشيخ محمد رشيد رضا العديد من الكتب التي توضح الحقائق وترد على أعداء الدعوة مثل كتابه (الوهابيون والحجاز) حيث وضح أن حقيقة الدعوة التي انتعشت في الجزيرة تهدف إلى العودة إلى الإسلام في أصوله الأولى ومحاربة الأمور الدخيلة والبدعية في الدين.

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يقدر الشيخ رشيد رضا باعتباره عالماً إسلامياً مصلحاً، ولهذا كان يستنير بآرائه ويصغي لنصائحه وتوجيهاته، وكانت العلاقة بينهما تقوم على أساس تمسكهما بالدعوة الإسلامية.

وكانت الرسائل المتبادلة بين الملك عبد العزيز ورشيد رضا تحمل ألواناً من النصائح والموضوعات الشرعية ومما جاء في بعض الرسائل التي كتبها رشيد رضا إلى الملك عبد العزيز: «ولقد عاهدناكم

---

(١) محمد بن عبد الله السلمان، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٨٩، ٣٩٠.

على أن نؤيدكم ونخدمكم في إقامة السنة وهدم البدع وإحياء الإسلام على منهاج السلف في أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية في أمور الحرب»[1].

وهناك رسائل أخرى في أمور شرعية تبحث في نواحٍ عقائدية وأحكام فقهية دارت بين رشيد رضا وعلماء الجزيرة العربية تبرز بجلاء كبير اهتمام علماء المسلمين بتصحيح عقائد المسلمين[2].

ولقد ساعد الملك عبد العزيز رشيد رضا وغيره في تمويل طبع الكتب السلفية التي تقوم بطباعتها مطبعة المناز ولم يقصر في تقديم أي مساعدات للسلفيين باعتبارها نصرة للسنة ومذهب السلف، وبفضل الله ثم بفضل دعم الملك عبد العزيز قامت في بعض البلاد العربية العديد من الجمعيات السلفية وعلى رأسها (جماعة أنصار السنة المحمدية) بالقاهرة، وهي الجمعية التي أنشأها الشيخ (محمد حامد الفقي) في مصر وهو من تلاميذ رشيد رضا وتولى رحمه الله نشر العقيدة السلفية في مصر من خلال مجلته ومحاضراته وخطبه.

وبدعم من الملك عبد العزيز تولى الفقي طبع عدد كثير من الكتب على نفقة الملك. حيث كانت لجماعة أنصار السنة المحمدية مطبعة خاصة ومن مؤلفاته (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الاجتماعي والعمراني)[3].

---

(١) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٣ غرة جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ هـ.

(٢) انظر مجلة المنار المجلد ٢٩ ص ١٤٧.

(٣) د. علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية (المملكة العربية السعودية) المجلد ٢/ ص ٢٢٠.

ولا ننسى كتب القصيمي في أول أمره حيث كان يقوم بنشر الدعوة السلفية والانتصار لها وكانت له مؤلفات عديدة في هذا المجال[(١)].

كذلك كان الشيخ عبد الله بن يابس[(٢)] يكتب في الصحف والمجلات وكانت له قدرة على التعبير وله مؤلفات عديدة مخطوطة ومطبوعة تدل على سعة الاطلاع.

وفي الشام قام الشيخ محمد بهجت البيطار[(٣)] بدعم من الملك عبد العزيز بنشر الدعوة السلفية من خلال نشاطاته الدعوية المتنوعة.

وممن كان له جهد كبير في نشر الدعوة السلفية في سوريا الشيخ عبد القادر بدران[(٤)] وهو الذي قام بتحرير العديد من المؤلفات في

---

(١) منها (الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم) و(الثورة الوهابية).

(٢) ولد سنة ١٣١٣ هـ بالقويعية وحفظ القرآن ثم رحل إلى الرياض فأخذ عن علمائها ثم ذهب إلى القاهرة وتوفي سنة ١٣٨٩ هـ (روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد/ محمد بن عثمان الصالح ج ٢/ ٣٨).

(٣) محمد بهجت البيطار من علماء الشام الذين عملوا بالحجاز أيام حكم الملك عبد العزيز حيث عمل مدرساً بدار التوحيد وكانت له جهود سلفية أهمها قيامه بإكمال تفسير المنار من حيث وقف السيد/ محمد رشيد رضا، كما كانت له مقالات قيمة عن التربية الإسلامية في صحيفة المنهل (معجم المطبوعات العربية، المملكة العربية السعودية المجلد ٢/ ص ٢١٩).

(٤) هو الشيخ عبد القادر بدران فقيه أصولي حنبلي، كان سلفي العقيدة قانعاً بالكفاف، عاش وتوفي في دمشق. له تصانيف منها (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد) (شرح روضة الناظرين لابن قدامة) وغيرها من التصانيف. توفي رحمه الله في سنة ١٣٤٦ هـ، انظر الأعلام للزركلي مجلد ٤/ ٣٧.

نصرة الدعوة السلفية وخدمة الفقه الإسلامي وأغلبها طبع على نفقة الملك عبد العزيز[1].

وفي العراق وجد الشيخ محمود شكري الألوسي[2] الذي كان

---

(١) وممن كانت له جهود سلفية في الشام أبو اليسار الدمشقي وناصر الدين الحجازي وقد وجه لهما الملك عبد العزيز رسالة ضافية جاء في بعضها:

«. . . فاغتنموا رحمكم الله الدعوة إلى الله وإلى دينه وشرعه، ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من البينات والهدى، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالحجة والبيان، حتى يمنّ الله الكريم عليكم بمن يساعدكم على هذا، فإن القيام في ذلك من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، وأفضل الأعمال الصالحات، لا سيما في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر شره.

«. . . ومن حسن توفيق الله لكم أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاة إلى الحق، وحجة على الخلق فاشكروه على ذلك، واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لا بد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان، فليقتد بمن سلف من الأنبياء والمرسلين، ومن على طريقهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله، فإن الحق منصور وممتحن، والعاقبة للمتقين في كل زمان». (انظر ابن قاسم/ الدرر السنية ج ١/ ص ٣٠٤).

(٢) هو: أبو المعالي محمود شكري الألوسي نسبة إلى ألوسي قرية على الفرات ولد سنة ١٢٧٣ هـ في بغداد في بيت علم ومجد حيث كان أبوه عالماً وأديباً وكاتباً بارعاً فأخذ العلوم عن أبيه وعلماء بغداد، توفي سنة ١٣٤٢ هـ، أشهر مؤلفاته: (غاية الأماني في الرد على النبهاني)، (الآية أو الراية الكبرى عن ضلال النبهاني) ألفه رداً على النبهاني لما سب شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ رشيد رضا وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (بلوغ الأرب في أحوال العرب)، (يد السفان في الذب عن أبي حنيفة النعمان)، (تاريخ نجد)، (فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) =

يرى أن مذهب السلف هو الواسطة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميم وعدم مراعاة الدليل.

وكان رحمه الله يحمل على أهل البدع في درسه وفي المسجد ويرد عليهم في كتبه ورسائله ومما ألفه في هذا الصدد (غاية الأماني في الرد على النبهاني) ولهذا عاداه كثير من الناس وسعوا به لدى والي بغداد فأصدر السلطان عبد الحميد أمراً بنفيه إلى الأناضول فاحتج أهل الموصل وكتبوا للسلطان يحتجون فسمح له بالعودة إلى بغداد.

وقد اتصل بالملك عبد العزيز في نجد سنة ١٣٣٣ هـ وتزعم حركة الإصلاح الإسلامي في العراق وكتب عدة مقالات في مواجهة بعض المذاهب الإسلامية المنحرفة.

كما كانت في لبنان وغيره من البلاد الإسلامية جماعات سلفية لها نشاط في الدعوة ومحاربة البدع والخرافات ففي طرابلس الشام وجدت جماعة من تلامذة الشيخ محمد رشيد رضا وأقاربه يقومون بالدعوة السلفية خير قيام ويرسلون في ذلك الوفود إلى الجبل وبلاد الساحل[(١)].

كما وصلت مبادىء الدعوة السلفية إلى الكثير من دول شرق آسيا عن طريق الطلاب الذين كانوا يدرسون من هذه البلدان في الحرمين الشريفين، حيث عين الملك عبد العزيز ـ بعد توحيد

= وأكثرها مطبوع متداول، انظر الاعلام ـ الزركلي مجلد ٧ ص ١٧٢، انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني للألوسي المجلد ١ ص ١١.

(١) عبد الله بن خميس، شهر في دمشق، ص ٢٨١.

المملكة ـ علماء سلفيين في الحرمين انتصروا لهذه الدعوة ونشروها بين طلاب العلم.

وقد كان من حنكة الملك عبد العزيز في مجال نشر الدعوة السلفية خارج المملكة أنه كان يختار للمناصب السياسية في المفوضية السعودية في البلدان المختلفة الشخصيات الصالحة حيث كانت هذه الشخصيات تدعو إلى الإسلام بما تحلت به من أخلاق فاضلة وفكر سديد.

وكانت تعطي أهل تلك البلدان انطباعاً صادقاً عن أتباع الدعوة السلفية ومدى تمسكهم بالدين الحنيف، فعلى سبيل المثال كان الشيخ فوزان بن سابق الفوزان[1] يسافر بتجارته إلى العراق ومصر، وعينه الملك عبد العزيز معتمداً له في دمشق.

وهناك اتصل برجال العلم وقرأ على مشاهير العلماء مثل الشيخ طاهر الجزائري والشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار ثم نقل إلى المفوضية السعودية بالقاهرة[2].

فكانت رحلاته إلى هذه البلدان الهامة واتصاله بالعلماء ذات أثر كبير في بيان الدعوة السلفية.

---

(١) ولد سنة ١٢٧٥ هـ في بريدة ونشأ فيها وتعلم في كتابها ثم رغب في العلم فشرع في القراءة على علماء بلده (عمر بن سليم)، ـ سليمان بن مقبل ـ (محمد بن عمر آل سليم) ثم سافر في طلب العلم إلى الرياض والهند واشتغل بالتجارة إلى العراق بمصر.

انظر/ البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون/ ج ٣/ ٧٥٩.

(٢) البسام/ علماء نجد/ ج ٣/ ٧٥٩ ـ ٧٦٠.

قال الزركلي:

صحبته اثنى عشر عاماً وهو قائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بمصر وأنا مستشار لها وكان من التقى والصدق والدعة وحسن التبصر في الأمور والتفهم لها على جانب عظيم[١].

ويقول القصيمي:

ها هو التقي الورع السيد الفوزان السابق معتمد حكومة هذه الدعوة في مصر يصلي في كل المساجد المصرية مع شدة احتياطه لدينه[٢].

ولا شك أن نشاط هؤلاء العلماء في نصرة الدعوة السلفية خارج المملكة كان له نصيب كبير من النجاح والانتشار وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الدعوة التي جاهد رجالها من أجل نشرها هي دعوة قائمة على أساس إسلام سليم يوافق الفطرة السليمة.

فهي دعوة سهلة الفهم بعيدة عن التعقيدات العقدية لأنها هي الدعوة إلى الإسلام بعينه.

وكان من نتائج هذه الجهود أن ثمار الدعوة السلفية قد أينعت في كثير من بلدان العالم مما يشير إلى أن هذا المجتمع الإسلامي ككل سوف يلتقي مع هذه الدعوة السلفية المباركة إن عاجلاً أو آجلاً فالمؤمنون وإن تباعدت أوطانهم واختلفت لغاتهم تربط بينهم رابطة فوق روابط الوطن والنسب والدم، وهي رابطة العقيدة.

---

(١) الزركلي، الأعلام، المجلد الخامس، صفحة ١٦٢.

(٢) عبد الله القصيمي، الثورة الوهابية/ ص ٦٢ بتصرف.

ومن الذين أرسلوا للدعوة خارج البلاد: «عبد العزيز بن رشيد البداح الذي كانت له جولات في البلاد الإسلامية، فقد سافر إلى العراق ومصر والشام والهند وتركيا، واجتمع بأكابر علماء هذه البلدان، وبحث معهم واستفاد منهم، وكان ممن أقام علاقة قوية معه العلامة محمد رشيد رضا في القاهرة؛ وفي آخر رحلاته وفد على الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ فلما رأى معتقده ونشاطه في الدعوة بعثه إلى أندونيسيا لنشر الدعوة الإسلامية هناك فرحل وقام بمهمته خير قيام»[١] رحمه الله رحمة واسعة.

وهكذا نرى بعض نشاطات الملك عبد العزيز في حقل نشر الدعوة السلفية الصحيحة خارج المملكة، وهي نشاطات عظيمة إذا قسناها ببدائية المواصلات وقلة الإمكانات وظروف الملك في توحيد الجزيرة، وإذا أخذنا في الاعتبار الصورة المشوهة التي حاول الاستعمار نشرها للدعوة السلفية والإمكانات المضادة التي كانت تواجه بها الدعوة في داخل البلاد العربية والإسلامية وخارجها!!

□□□

---

(١) البسام/ علماء نجد/ ج ٢/ ٤٥، آل الشيخ/ مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٣٣٩.

المطلب الثامن

استقبـال الوفـود

للاتصال المباشر تأثير كبير على الفرد والمجتمع، ذلك لأنه يتيح فرصة المقابلة المباشرة والحوار وتبادل الأفكار، يضاف إلى ذلك أن الاتصال المباشر في الغالب يتسم بالالفة وتبادل المصلحة وتحقيق التعارف، ولذلك كان أسلوب الاتصال المباشر بالوفود والقادمين من أبرز وسائل الدعوة التي سلكها النبي ﷺ، حيث كان يقابل وفود الحجيج في مكة[1] ووفود العرب في أسواقهم، في عكاظ وغيرها من الأسواق ويدعوهم إلى الإسلام ويبذل جهده في ذلك[2] وقد أثمر ذلك نتائج هامة للدعوة الإسلامية، حيث أسلم بعض القادمين من يثرب ثم

---

(١) انظر سنن أبي داود حديث رقم ٤٧٣٤ كتاب السنة باب في القرآن وابن ماجه حديث رقم ٢٠١ في المقدمة والترمذي في ثواب القرآن (٢٩٢٦) باب حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. أهـ. ومسند الإمام أحمد الجزء الثالث صفحة ٣٢٢.

(٢) ينظر: «الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني» للبنا (٢٠/ ٢٦٤ ــ ٢٦٦) باب ما جاء في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على إحياء العرب في مواسم الحج بمنى في منازلهم... ألخ وقد أورد في هذا الباب أحاديث في هذا المعنى، قال عن بعضها: سنده جيد. أهـ. وانظر تاريخ الإسلام للذهبي قسم السيرة النبوية صفحة ٢٩٨.

وفدوا عليه في العام التالي وبايعوه عند العقبة[1].

وأيضاً قد اشتهر عام ٩ من هجرة النبي ﷺ ـ عند أهل السير ـ بعام الوفود حيث أتته وفود العرب من أدنى الجزيرة وأقصاها وحدود الشام والعراق والخليج واليمن[2].

* * *

وفي عهد الملك عبد العزيز أيضاً استفادت الدعوة حيث استخدمت وسيلة الاتصال المباشر بالوفود في الدعوة إلى الله سبحانه سواء من الملك أم العلماء.

والوفود منها وفود من داخل المملكة ومن خارجها وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد جعل استقبال بيته الشريف في هذه البلاد المباركة واجباً على المسلمين في اليوم والليلة خمس مرات كما أوجب عليهم الوفود إليه مرة في العمر مع الاستطاعة قال تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾[3] فيسعى إليه المسلمون من شتى أقطار الدنيا، وقد غلبت عليهم حالة روحانية

---

(١) رواه أحمد ج ٤ صفحة ١١٩ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٤٨): رواه أحمد مرسلاً ورجاله رجال الصحيح. أهـ. وانظر ابن هشام السيرة النبوية ج ١ ص ٤٢٨.

(٢) انظر ابن هشام ج ٢ ص ٥٦٠ وذكر ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم أحد عشر وفداً وفدوا على النبي ﷺ في السنة التاسعة ج ٣ ص ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ٧٩.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٧.

ويكونون أحرى لقبول الدعوة إلى الخير والصلاح مما يجعل مقابلة هذه الوفود من أعظم فرص الدعوة إلى الله ولقد كان الملك عبد العزيز يحرص على راحة الوفود ويكرم قادتهم وعلماءهم ويتألف قلوبهم بالهداية مما يجعل الكثير منهم يعود داعية إلى التوحيد وتتبدل نظرتهم إلى السلفية التي قد أثيرت ضدها الدعايات الكاذبة كما أن الملك عبد العزيز كان يخصص اجتماعاً سنوياً لوفود الحجيج يناقش فيه معهم ما يهم المسلمين في دينهم ودنياهم، فمثلاً في عام ١٣٤٩ هـ أقام مأدبة في يوم ٦/ ذي الحجة ودعا إليها خمسمائة ونيف من الوافدين إلى مكة المكرمة من مختلف البلدان الإسلامية وفي مقدمتهم ملك أفغانستان والسيد أحمد السنوسي والأمير أحمد وحيد الدين من أمراء آل عثمان ووفد الأفغان الرسمي، ووزراء الأفغان المفوضون والسيد عبد الكريم الغزاوي وحسن أنيس باشا وأمراء آل خليفة وحمد أديب خان وحافظ بك وغيرهم، وقد ألقى فيهم الملك عبد العزيز خطاباً ترجم إلى الأوردية، ومما ورد فيه: «إن المسلمين ينقذهم مما هم عليه من تأخر وانحطاط إلا الاعتصام بحبل الله وبكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وطريقة الاعتصام بحبل الله هي توحيد الله جل شأنه وحده دون أحد من الكائنات... التوحيد الخالص من الشرك والبدع... يقولون إن المسلمين في تأخر، وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين فما وجدوا أمامهم إلا أن يقلدوا الأوروبيين ولكنهم لم يقلدوا الأوروبيين بما كان سبب قوتهم ومنعتهم بل قلدوهم فيما لا يسوغ في دينهم، فقد مضى على هؤلاء الذين يدعون الإسلام عشرات السنين وهم يدعون الناس بالسر والعلانية بالقول والعمل لتقليد الأوربيين، ولكن من منهم عمل إلى اليوم إبرة أو صنع طيارة أو

عمل بندقاً أو مدفعاً. . . لقد قلدوهم ولكن في غير ما يعود عليهم بالنفع. . . قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب إليه المسلم فقلدوا ملاحدتهم في الإعراض عن دين الله ثم هم بعد ذلك يدعون أنهم مسلمون: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾(١).

إن الإسلام هو الوسيلة لسعادة الدنيا والآخرة: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾(٢).

لقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالاً شديداً ولكنا صبرنا وصمدنا. . . . لقد دعونا إلى الله من قبل وندعو من بعد في المواسم وفي سائر المواقف حتى نقوم بالواجب المفروض علينا كما هو مفروض على كل مسلم من الدعوة إلى الله.

إني أدعو المسلمين جميعاً في هذا الموقف إلى دعوة الله وحده والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح لأنه لا نجاة للمسلمين إلا بهذا(٣).

وهكذا كان دأب الملك عبد العزيز رحمه الله في كل عام مع وفود الحجاج إلى بيت الله الحرام، وهو أسلوب الدعوة إلى الله بالحكمة، وخاصة مع رؤساء الوفود من العلماء والقادة. أما الوفود من داخل البلاد السعودية فكانت تصل إليه بشكل يومي بالعشرات من

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٣) نشر هذا الخطاب في جريدة أم القرى الصادرة يوم الجمعة الموافق ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ عدد ٣٣٣.

مختلف البلدان وفي كل مكان يحل فيه وكان في حديثه معهم يحثهم على الحرص على إقامة شعائر الدين.

وكنموذج لاجتماعات الوفود العامة في عام ١٣٤٧ هـ حينما حدثت فتنة الدويش، فقد توافد إلى الرياض أكثر من ثمانمائة عالم وأمير[1]، وقد اجتمع بهم الملك عبد العزيز في يوم ٢٢/ جمادى الأولى وكان مما قاله لهم:

«أيها الإخوان تعلمون عظم المنة التي منّ الله بها علينا بدين الإسلام، إذ جمعنا به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد المذلة، واذكروا قوله سبحانه: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾[2]، إن شفقتي عليكم وعلى ما منّ الله به علينا، وخوفي من تحذيره سبحانه بقول: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[3].

كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان لتتذكروا: أولاً ما أنعم الله به علينا، فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة، وثانياً لأمر بدا في نفسي، وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحد أي شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي، بإساءة كانت عليه، أو يمنعه حقاً من حقوقه فأردت أن أعرف ذلك منكم لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك وأكون قد أديت ما علي من واجب وثالثاً: لأسألكم عما في

(١) أورد يوسف ياسين أسماء أغلب أولئك العلماء والأمراء في جريدة أم القرى عدد ٢٠٨ الصادر في شوال ١٣٤٧ هـ.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.

خواطركم وما لديكم من الآراء مما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم)[1].

كما أن حالة بعض الأقطار الإسلامية التي لم يتمكن فيها بعض الدعاة من القيام بواجب الدعوة لأسباب كثيرة منها سيطرة الاستعمار في ذلك الوقت على كثير من البلاد مما جعل البعض من أبناء تلك الأقطار وخاصة العلماء إلى الوفود إلى المملكة العربية السعودية لما عرفوه من الوضع الديني والأمني المستتب وكان قادة وعلماء هذا البلد يكرمون من وفد إليهم ويبذلون له العلم والمال ومن ذلك أنه وفد إلى المملكة العربية السعودية حوالي سبعين رجلاً من بلاد اليمن وكان كبيرهم الشيخ أحمد بن سنان ثم صار بعده الشيخ يحيى بن حزام وبعد وفاته صار كبيرهم الشيخ محمد بن أحمد بن سنان وكانوا يعرفون بالمهاجرين وقد اقبلوا على التعلم وخرج منهم رجال قاموا بالدعوة في بلاد اليمن وفي المملكة العربية السعودية وما زال بقيتهم إلى يومنا هذا يدرسون القرآن والعلم في مسجد الشيخ عبد الرحمن الفريان بالرياض[2].

وكان الملك عبد العزيز يوصي المشايخ في الحرمين الشريفين للحرص على إكرام الوفود وخاصة علماء أقطار البلاد الإسلامية ومن أمثلة ذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لما قدم من غرب أفريقيا من أجل الحج وكان ينوي بعد الحج العودة إلى بلاده وكان في بلاده

---

(١) أم القرى عدد ٢٠٨ في شوال عام ١٣٤٧ هـ.

(٢) مقابلة مع الشيخ محمد بن سنان في مسجد الشيخ ابن فريان، بعد العصر من يوم ٩/٩/١٤١٣ هـ.

كغيره يسمع الدعاية المغرضة ضد الدعوة الإسلامية التي تقوم بها هذه البلاد حيث يشنع عليها بأنها مذهب جديد يسمى الوهابية فلما قدم المدينة التقى بالشيخين الشيخ عبد الله بن زاحم والشيخ عبد العزيز بن صالح وتناقشا حول هذه الدعاية وكان صريحاً معهما حيث ذكر لهما ما يسمع عن هذه البلاد والدعوة فيها وكانا حكيمين فيما يعرضانه عليه فأوضحا له حقيقة الحال وما عليه أهل هذه البلاد من مذهب في الفقه ومنهج في العقيدة وقدما له كتاب المغني في الفقه وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ليظهر له صحة ما دعيا إليه فلما تمعن الشيخ الشنقيطي فيها وجدها تنهج منهجاً سليماً في العقيدة السلفية تعتمد على الكتاب والسنة، فعرف زيف الدعاية الباطلة وظهر معدن الحقيقة ووجدت رغبة متبادلة في بقائه في المدينة لإفادة المسلمين فابتدأ التدريس في المسجد النبوي بأمر من الملك عبد العزيز وانضم إلى رجال الدعوة والتعليم في هذه البلاد إلى أن توفي فيها رحمه الله[1].

وهكذا كان أسلوب استقبال الوفود، ولا سيما كبار رجال العالم الإسلامي ومن داخل البلاد السعودية من أساليب الدعوة في عهد الملك عبد العزيز لنشر العقيدة الصحيحة وللعمل على بعث الأمة الإسلامية وتحقيق وحدتها، فضلاً عن تحقيق الأمن والوحدة في الجزيرة العربية وفي المملكة الناشئة.

□□□

(١) انظر ترجمة الشيخ محمد الشنقيطي تأليف محمد عطية سالم ص ٣٥ في آخر كتاب أضواء البيان، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.

المطلب التاسع

إقامة الجهاد في عهد الملك عبد العزيز

الجهاد لغة: بذل الإنسان جهده وطاقته.

فالجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو[1].

والمراد به في الشرع: بذل المسلم طاقته وجهده في القتال نصرة للإسلام ابتغاء مرضاة الله[2].

والجهاد ذروة سنام الإسلام وبه ينال العز في الدنيا والآخرة كما به تحفظ الأوطان وتصان الحرمات وينشر العدل ويسود الأمن ويعم الرخاء، وتزرع الهيبة في نفوس الأعداء وتشاد به الممالك وتعلو راية الحق على كل راية وهو طريق الرسول ﷺ وطريق صحبه الكرام الذين أمرنا بالاقتداء بهم والسير وراءهم.

والجهاد نوعان: جهاد طلب وجهاد دفاع.

وأعظم الجهاد وأكده على العباد جهاد الدفاع عن الدين وأوطان المسلمين وحرماتهم ومقدساتهم فإن العزة والكرامة لا تحصلان إلا بدفع ثمنهما.

والجهاد من أعظم وسائل الدعوة إلى الله وأشرفها.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الأصفهاني، ص ٩٩ ـ ط. دار الفكر.

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٢٦٢.

وقد كان على رجال الدعوة إقامة شعيرة الجهاد وذلك لأن حالة الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز كانت بالغة السوء عقدياً وسياسياً وأمنياً ـ كما أوضحنا في التمهيد ـ وكانت مجزءة إلى دويلات متناحرة مختلفة الأهواء والمذاهب وكان بعض الحكام يفرضون سلطانهم بيد من حديد لتكون الطاعة لهم مطلقة وإن تعارضت مع طاعة الخالق جل وعلا، وما كانوا يسمحون بوصول الدعوة والدعاة إلى شعوبهم بل وصول الأمر لدى بعض الحكام إلى قتل الدعاة وإحراق كتب الدعوة، وذلك لأن الشيطان يخوفهم من أن وصول الدعوة الإسلامية إلى رعاياهم يعني تهديد ملكهم وسلطانهم ولذلك كان لا بد من الجهاد لفتح الطريق لنشر الحق ومنع الفساد والظلم والمقاومة بغير الحق وإلزام الجبابرة باحترام العقل والحرية وتحقيق الأمان لمن يريد أن ينعم بالشرع الحكيم.

وفي سبيل نصرة الدين الحنيف استطاع الملك عبد العزيز أن يشكل بعد فتح الرياض من اثنتي عشرة قبيلة جيشاً نظامياً من المجاهدين الذين عودتهم طبيعة الصحراء القاسية على الصبر والجلد وعلمهم دينهم على الاستشهاد في سبيل الله.

ومن المعروف أن القتال لم يكن محبوباً للنبي ﷺ إنما المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الله والاستشهاد في سبيله ولذا قال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

كذلك كان الملك عبد العزيز وجنوده كارهين للقتال وإزهاق الأرواح لكنهم كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد وتوجيه الناس للحق والحرية والعقيدة السلفية والإيمان بالله وحده لا شريك له. وبالتالي فهم لا يلجأون للجهاد إلا إذا أكرهوا عليه.

وقد جاء في قول للملك عبد العزيز «لست من المحبين للحرب وشرورها وليس أحب إلي من السلم والتفرغ للإصلاح»[1].

والكلام عن جهاد الملك عبد العزيز وتوفيق الله له في فتح البلاد رغم اتساع رقعتها، وتأمين ما كان منها مهلكة، وعن عبقريته في تجهيز السرايا وتعيين القواد وتحديد الزمان والمكان للجولات والصولات وحسن معاملته للغزاة والمجاهدين وغير ذلك من مجالات الحرب ليس مجال البحث هنا وقد وفاها الباحثون[2]. لكننا نشير إلى بعض النقاط الهامة المتصلة بموضوع بحثنا...

لقد كانت الدعوة للجندية وتهيئة الجيش للقتال قبل التنظيم الحديث عمادها أن كل فرد في نجد محارب بطبيعته يحمل السلاح منذ نشأته ويتمرن عليه فإذا دعي تقلد بندقيته وركب ناقته ومضى إلى المعركة.

وإذا أراد الملك عبد العزيز دعوة الجيش أو قسم منه كتب إلى بعض الجهات أو كلها وأمر بتعيين أمير لكل فريق منهم ثم يصدر

---

(١) الوجيز/ ص ٤٨.

(٢) انظر في ذلك الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز.

مجالسهم وجميع أوقاتهم بدروس العلم والوعظ فيرجع الجنود بحصيلة دينية جيدة.

وأيضاً فإن جيش الملك عبد العزيز إذا فتح بلداً أزال عنها جميع ما فيها من شرك وبدع ومعاصي وجميع ما يخالف الدين وما زالت بحمد الله آثار هذه الجيوش على البلدان إلى يومنا هذا بإقامة الدين وترك ما يضاده.

ولا يقتصر دور العلماء عند هذا الحد، بل كانوا يراسلون القواد يحثونهم على الثبات والصبر وامتثال أوامر الإمام ويحذرونهم من التنازع والتفرق.

وهناك رسائل كثيرة نقلتها لنا كتب التاريخ تصور تعاون العلماء التام مع الملك عبد العزيز ومن أمثلة هذه الرسائل الرسالة التي وجهها الشيخ سعد بن عتيق والتي يقول فيها: من سعد بن حمد بن عتيق[١] إلى جميع إخواننا المجاهدين والمرابطين وفقهم الله تعالى للعمل بما يرضيه.. أما بعد.

فالموجب للكتاب هو إبلاغكم السلام وتذكيركم ما منّ الله به عليكم من النعم العظيمة والمواهب الجسيمة..

ومن أعظم ما منّ الله به عليكم وأسداه من فضله وإحسانه إليكم الجهاد في سبيله والحراسة والرباط فيه وإغاظة أعداء الله وإنزال الضيق والضرر بهم فيا لها من مراتب ما أعلاها ومواهب ما أشرفها وأسناها

---

(١) ولد في بلدة الحلوة سنة ١٢٧٩ هـ...
انظر ترجمته مع أشهر الدعاة في الباب الرابع من هذه الرسالة.

وقد تضمن كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ من الترغيب في ذلك والحث عليه وبيان ما يترتب عليه من الأجر والثواب ما يحرك القلوب الواعية قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات﴾ . . [1].

وقال النبي ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أو يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة»[2].

فعليكم عباد الله بالصبر والثبات ولزوم المراكز والمعسكرات وإياكم والضجر والسآمة والملل وغير ذلك مما يؤول بصاحبه إلى الوهن والفشل واحذروا التفرق والتنازع والتخالف والانسحاب عن شيء من تلك المقامات والمواقف فإن النصر مع الصبر وإن الله ناصر حزبه وجنده ومظهر دينه على الدين كله ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض وعليكم بلزوم الطاعة وملازمة الجماعة وامتثال أمر من ولاه الله أمركم وعدم الاختلاف عليه والتخلف عن

---

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠ ــ ١٢.

(٢) أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة (ج ٦/٦ فتح الباري) كتاب الجهاد ــ باب أفضل الناس مؤمن مجاهد، لمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة (كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد إلى سبيل الله) صحيح مسلم ١٤٩٨/٣ حديث رقم ١٨٧٨ كتاب الإمارة باب مقتل الشهادة في سبيل الله.

طاعته فعلى الله فاعتمدوا وبه فثقوا وعليه فتوكلوا ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[١] . . »[٢].

وقد جاء في رسالة للشيخ محمد بن عبد اللطيف[٣]:

«الحمد لله الذي فرض الجهاد بالقلب واليد واللسان وجعله أحد أركان الإسلام والإيمان ووهب لمن قام به الغرف العالية في الجنان.

من محمد بن عبد اللطيف إلى كافة من يراه من إخواننا المسلمين وفقهم الله لنصرة الملة والدين وأعانهم على جهاد من خالف ما جاء به سيد المرسلين أما بعد. .

فموجب هذا الكتاب هو النصيحة لكم والوصية بتقوى الله وامتثال ما أوجبه عليكم. وأعظم الواجبات التي أوجبها الله ورسوله وفرضها عبادته بالإخلاص وترك عبادة ما سواه والتزام شرائعه والجهاد في سبيل الله.

ولا يتخلف عن الجهاد إلا منافق معلوم النفاق فالحذر كل الحذر من الاصغاء والالتفات إلى المخذلين والمثبطين وما يلقونه من الشك والريب وإساءة الظن بأهل هذه الدعوة الإسلامية الذين أقامهم الله في آخر هذا الزمان أنصاراً لدين الله وأعواناً لمن قام به، فالقيام معهم ونصرتهم من الواجبات الدينية لأنهم أنصار الإسلام أولاً

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) باختصار من المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن أحمد بن عتيق ــ جمع اسماعيل بن سعد بن عتيق ص ٨٨ ــ ٩٤.

(٣) ولد في مدينة الرياض سنة ١٢٧٣ هـ.

وآخراً أطال الله للمسلمين بقاءهم وخذل جميع من ناوأهم لا سيما فارس الإسلام وركنه وكهفه المنيع وحصنه أعني به البطل الهمام والشجاع المقدام قائد جموع أهل الإسلام الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل.

فإذا دعاكم أيها المسلمون إلى الجهاد والنفير فاسمعوا واطيعوا واحذروا أن تكونوا كالذين قالوا سمعنا وعصينا فإن القيام معه ونصرته من الواجبات الدينية لأننا لا نعلم أحداً على وجه الأرض اليوم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً تجب طاعته ويجب الجهاد معه أولى منه»[١].

ويوضح الملك عبد العزيز نفسه أغراضه من الجهاد وتوحيد المملكة حينما قال لأبيه الإمام عبد الرحمن عندما أراد الخروج لمكة، وعندما احتشد أهل الرياض لتوديعه فقال: «إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم عنها.

إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشرع ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع»[٢].

لقد كان رائده في هذا الجهاد أن يؤدي ما أوجب الله عليه من الدعوة رغبة في الأجر ابتغاء العودة بالمسلمين إلى النهج القويم الذي يضمن لهم سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ويعيد إليهم العزة والمنعة والسيادة بعد أن ضيعتهم الأهواء فشدتهم إلى غير سبيل ومزقت أشرعتهم رياح الفرقة وأهواء المطامع الدنيا.

---

(١) الدرر السنية، ج ٧ ص ١٣ ـ ١٥ كتاب الجهاد.

(٢) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ٨٦.

إن الملك عبد العزيز آل سعود لم يقتحم ساح المعارك بدافع طفرة من نزق[1] أو ثورة من حمية ولم يسمح قط لعواطفه أن تستبد به وتتملك عقله مهما كانت الأسباب والمبررات، ولقد كان خوضه الحرب حينما لا يجد مفراً منها وليس هناك من لغة غيرها تفعل في الخصوم فتردعهم عن الاعتداء وإعادة الحق إلى نصابه وكان عبد العزيز مقتنعاً بشرعية مطلبه واثقاً من عدالة قضيته مؤمناً بأن العناية الإلٰهية ستمكنه من النصر طالما بقي مصمماً على بلوغه مهما غلت التضحيات وعظمت الأهوال[2].

وهكذا كان الجهاد إحدى الدعائم التي بنيت عليها الدعوة السلفية في هذا العهد، وبفضلها ــ بعد الله ــ تمهد الطريق لبناء الدولة وخوض غمار الاصلاح الشامل لجميع مرافقها، حتى أصبحت بذلك أغلب الجزيرة العربية بلداً واحداً مترابطاً موحداً يسوده التآلف بعد أن كانت إمارات ضعيفة متفرقة يحارب بعضها بعضاً.

□□□

(١) نزق: خف وطاش، ومنه النزق: الخفقة والطيش في كل أمر والعجلة في جهل وحمق يقال في كلامه نزق ــ المعجم الوسيط ج٢/ ٩١٤.

(٢) عمر أبو زلام، عبد العزيز آل سعود العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير، ص ٤٤ ــ ٤٥.

المطلب العاشر

إنشاء المدارس

في منتصف القرن الثالث عشر الهجري كان التعليم قد نشط في كثير من البلاد العربية وبخاصة مصر والشام ولم يكن ذلك النشاط من عمل الدولة العثمانية. لأن عنايتها بالتعليم كانت محصورة في البلاد التركية أما البلاد العربية فحين بدأت افتتاح المدارس في سوريا والعراق والحجاز جعلت التعليم فيها باللغة التركية وجلبت لها مدرسين أتراكاً يدرسون العلوم بالتركية وكان ذلك جزءاً من حملة التتريك التي كانت تطمع من ورائها إلى هيمنة اللغة التركية على جميع الشعوب.

ولذا بقي التعليم في الجزيرة العربية بعامة على ما كان عليه من نظام المدارس البدائية (الكتاتيب) والتي كانت تحرص على تعليم الصبية مبادىء القراءة والكتابة وشيئاً من قواعد الحساب والخط والإملاء.

وكانت هذه الكتاتيب تقوم بتدريب الصبية على قراءة القرآن الكريم وحفظه أو شيء منه. وكانت منتشرة في المدن والقرى. فإذا نبغ فيها الصبي ورغب هو وأهله الاستمرار في التعليم فإن عليه أن يلتحق بحلق الدرس ومجالس العلم في المساجد وبيوت العلماء والتي كانت موجودة في المدن الكبيرة مثل الحرمين الشريفين والدرعية

والرياض والأحساء ونحوها ورغم ازدهار تلك الحلق والمدارس وازدياد عددها فإنها لا تستطيع أن تغني عن المدارس الحديثة خاصة وأن ما أنشأه الأتراك من مدارس كان حرباً على اللغة العربية.

إلا أن هذا الوضع قد أيقظ بعض المتحمسين لنصرة اللغة العربية فأنشئت المدارس التي تعنى بلغة القرآن الكريم فأنشئت المدرسة الصولتية[١] سنة ١٢٩٢ هـ ثم المدرسة الفخرية[٢] سنة ١٢٩٦ هـ.

ومضى أكثر من ربع قرن والصولتية والفخرية الوحيدتان في تعليم اللغة العربية في مكة المكرمة حتى قام تاجر اللؤلؤ محمد علي زينل بإنشاء ثلاث مدارس سنة ١٣٢٥ هـ في كل من مكة وجدة وبمباي أطلق على كل منها (مدرسة الفلاح).

وقد كان اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم منذ أن استرد مدينة الرياض سنة ١٣١٩ هـ بإرسال الوعاظ والمرشدين إلى مضارب البادية حيث كانت المساجد في المدن والقرى والهجر مراكز للدعوة والوعظ والإرشاد ومعاهد للعلم بجانب رسالتها العظمى وهي أنها مكان للعبادة.

---

(١) الصولتية: نسبة إلى امرأة هندية تدعى «صولة النساء» حجت سنة ١٢٩١ هـ وأرادت أن تخدم الإسلام والمسلمين فاشترت أرضاً وبنت عليه المدرسة.
(الأدب الحديث تاريخ ودراسات/ أ.د. محمد بن سعد بن حسين/ ج ٢ ص ١٦).

(٢) أنشأها الشيخ عبد الحق قاري بدعم من أثرياء الهند (المرجع السابق ج ٢ ص ١٦) بتصرف.

وقد اتجه الملك عبد العزيز بعد توحيد المملكة إلى إنشاء المدارس الحديثة باعتبارها وسيلة أساسية لنشر العلم وخدمة الدعوة خاصة بعد أن اتسعت رقعة الدولة وكان يهدف أول الأمر من إنشاء هذه المدارس إلى الاهتمام بالعلوم التي تخدم الدعوة وهي العلوم الإسلامية والعقيدة واللغة العربية.

«وفي غرة شهر رمضان سنة ١٣٤٤ هـ صدر أمر الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ بإنشاء إدارة خاصة للإشراف على التعليم أطلق عليها اسم (مديرية المعارف العامة) وكانت مهمة هذه الادارة نشر العلوم والمعارف والصنايع وافتتاح المكاتب والمدارس وحماية المعاهد العلمية مع فرط الدقة بأصول الدين الحنيف[(١)].

ونظراً لأن التعليم الابتدائي هو القاعدة الأساسية للتعليم وهو المهد الذي يحتضن النشأ ويعمل على تربيته بما يخدم دينه بالإضافة إلى أن التعليم الابتدائي هو الذي تتزود منه مراحل التعليم الأخرى لذلك فقد اهتمت الدولة بهذه المرحلة ونشر مدارسها في الحاضرة والبادية على حد سواء بهدف تهذيب النشء بما يتفق والأهداف السامية والمثل الإسلامية العليا التي دعت إليها الشريعة الإسلامية السمحاء وذلك بقراءة كتاب الله وتدبر معانيه ومعرفة العلوم الشرعية.

ومن المدرك ــ بداهة ــ أن إنشاء مدارس منظمة لتعليم البدو في مرحلة ما قبل استقرارهم وتوطينهم من الأمور التي لا يمكن القيام

---

(١) نشر نظام إنشاء مديرية المعارف العامة بجريدة أم القرى بعددها رقم (٦٦) الصادر في ١٩ رمضان سنة ١٣٤٤ هـ.

بها ما داموا على حالتهم من عدم الاستقرار ومع ذلك ففي هذه المرحلة قامت الحكومة الجليلة بمعالجة هذه الناحية بثلاث وسائل:

١ ــ إرسال الوعاظ والمرشدين.

٢ ــ فتح مدارس في القرى والبلدان التي ينتابها البدو ويكثرون الإقامة بقربها كالدوادمي والشعراء وعفيف والسيل وقد دخل بعض أبناء البدو في هذه المدارس فأدركوا حظاً من التعليم.

٣ ــ فتح مدارس خاصة لأبناء البادية: وقد ساعدت الحكومة في هذا الأمر بإقامتها مدارس مثل مدرسة (المسيجيد) وفي عام ١٣٥٣ هـ فتحت الحكومة مدرسة (أبناء الصحراء) في المسيجيد وينبع ولوحظ أن أبناء البادية على جانب عظيم من الذكاء»[١].

ولم يقتصر اهتمام الملك عبد العزيز على المرحلة التحضيرية والابتدائية والتي بدأت سنة ١٣٤٥ هـ بل إنه اهتم بسائر المراحل فقد جاء فتح أول مؤسسة تعليمية على مستوى التعليم المتوسط والثانوي وقد عرفت هذه المؤسسة باسم «المعهد السعودي» سنة ١٣٤٥ هـ ثم أسس مدرسة (تحضير البعثات) بمكة المكرمة سنة ١٣٥٥ هـ ثم أسست مدرسة (دار التوحيد) سنة ١٣٦٤ هـ بالطائف ثم فتحت مدارس ثانوية وفصول متوسطة وثانوية ملحقة بالمدارس الابتدائية كما فتح المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٠ هـ مشابه لمعهد مكة المكرمة

---

(١) مقالة للإستاذ حمد الجاسر ــ مجلة اليمامة ــ العدد الخامس ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ هـ.

وسوف أقوم بتفصيل هذه التجارب التعليمية لما في إنشائها من تأسيس قاعدة دعوية هائلة كان لها أكبر الأثر في نشر الدعوة السلفية.

المعهد العلمي السعودي:

تأسس هذا المعهد في مستهل سنة ١٣٤٥ هـ في مكة المكرمة وأطلق عليه في البداية اسم «المعهد العلمي الإسلامي» وهو أقدم مؤسسة تعليمية حكومية في المملكة لما فوق المرحلة الابتدائية. وكان الهدف من تأسيسه هو رغبة الدولة في إعداد معلمين متخصصين للتدريس في المدارس الابتدائية التي تزايد عددها في المدن والقرى وتزويد الدوائر الحكومية بالموظفين المؤهلين[١].

«وكان الملك عبد العزيز يتابع تطور هذا المعهد وشارك في اختيار مديره وأساتذته كما اختار خمسين طالباً من نجد للدراسة فيه[٢] وكانت موضوعات الدراسة في هذا المعهد تشمل القرآن الكريم مع التجويد والدروس الدينية والإملاء والحساب والقراءة والمحادثة والإنشاء والقواعد والخطابة ومسك الدفاتر وتقويم البلدان وسنن الكائنات والأخلاق واللغة الفرنسية»[٣] وعندما تخرجت أول دفعة من المعهد سنة ١٣٤٩ هـ التقى بهم الملك عبد العزيز وخطبهم قائلاً:

«إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر وأن

---

(١) د/ الدهيش/ التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز ص ٦٦/ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ مكة المكرمة.

(٢) بدأت الدراسة الفعلية بالمعهد سنة ١٣٤٧ هـ.

(٣) التعليم الحكومي المنظم ص ٦٧.

العلم كما يكون عوناً لصاحبه يكون عوناً عليه، قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه»[1].

مدرسة تحضير البعثات:

في سنة ١٣٥٥ هـ أنشئت مدرسة تحضير البعثات والتي كانت نافذة على العلوم الحديثة فبعد عشر سنوات من نجاح تجربة «المعهد العلمي السعودي» فتح المجال لتخصصات جديدة حيث أنشئت مدرسة تحضير البعثات على مستوى المرحلة الثانوية تؤهل الطالب بعد التخرج منها للالتحاق بالكليات المتخصصة النظرية والعملية في الجامعات العربية وخاصة مصر بعد أن أصبحت الدولة في تلك المدة في حاجة ماسة إلى ابتعاث أكبر عدد من الطلاب لإكمال دراستهم العليا[2] في التخصصات العلمية كالطب والزراعة والهندسة خاصة وأن الطلاب الذين سبق ابتعاثهم قد واجهوا صعوبات كبيرة نتيجة اختلاف المناهج بين المملكة والدول المبتعث إليها الطالب.

«وكان الأمر الملكي يقضي بإرسال أربعة عشر تلميذاً من الحجاز للتعليم في الخارج للتخصص في التدريس والقضاء الشرعي والتعليم الفني (الميكانيكا والزراعة والطب)»[3].

وتوالت بعد ذلك البعثات وأصبحت سياسة ثابتة للمملكة في مجال الاستفادة من العلوم الحديثة لكن حجم هذه البعثات كان

---

(١) فهد المارك/ من شيم الملك عبد العزيز ج ٣/ ص ١٤٥.

(٢) نظراً لعدم وجود تعليم عالٍ في المملكة في هذه الفترة.

(٣) الملك عبد العزيز والتعليم عن النشرة التربوية العدد السادس من ربيع الأول سنة ١٣٩٢ هـ.

يختلف حسب التخصص وحاجة البلاد مع النمو المستمر في نظام التعليم بالمملكة.

ولعل في إنشاء هذه المدرسة دليل على سعة أفق الملك عبد العزيز إذ إن نهضة الدعوة لن تقوم على التعاليم الدينية والشرعية فحسب بل لا بد من التعرف على أسباب المدنية التي تسهم في إعداد القوة المطلوبة للجهاد من أجل إعلاء كلمة الدين.

ولا يملك المرء إلا أن يتأمل ماذا كان يمكن أن يحدث لتاريخ الدولة السعودية وتاريخ المنطقة لو أن هذا البرنامج التعليمي قد طعم بقدر أكبر من العلوم الأخرى إلى جانب المعارف الدينية والمعتقد الصحيح غير أن هذا التوسع في مضمون البرنامج التعليمي لم يلتفت إليه التفاتاً جدياً ومركزاً إلا على يد الملك المصلح عبد العزيز بن عبد الرحمن وذلك بعد أن واجهت الدولة السعودية في أطوارها المتعاقبة تجارب قاسية مع جيوش أكثر اعتماداً على الأسلحة الحديثة ودول أكثر معرفة بالعلوم الطبيعية(١).

ولعل من تتبع هذه المدرسة والعديد من التجارب التعليمية نلاحظ أن أبرز خصائصها، الاستشراف للمستقبل والاستفادة من العلم الحديث بخطوات محسوبة في ضوء تعاليم الشريعة.

دار التوحيد:

وهي من المؤسسات التعليمية الفريدة وقد أنشئت بالطائف سنة

---

(١) د. عبد الله سعيد أبو راس ــ بدر الديب/ الملك عبد العزيز والتعليم/ ص ٥٢، ٥٣.

١٣٦٤ هـ بعد إنشاء مدرسة طيبة الثانوية بالمدينة المنورة والمدرسة الثانوية بجدة كلاهما سنة ١٣٦٢ هـ.

كانت هذه الدار تشبه تجربة الهجر وتوطين البدو غير أنها تتميز بأن الملك عبد العزيز قد فرضها إيماناً منه بقيمة العلم الديني وأثره على الدعوة حيث يتخرج منها المؤهلون لهذا العمل الجليل.

«كانت دار التوحيد النواة لتطوير مؤسسات التعليم الديني وتخريج الأفواج الأولى من المؤهلين لمتابعة دراساتهم العليا في المجال الديني كما كانت نموذجاً للمعاهد العلمية الدينية التي افتتحت بعدها بست سنوات عام ١٣٧٠ هـ»[١].

ويرى المؤرخون أن الملك عبد العزيز قد استخدم نوعاً من القوة في استحضار الطلبة النجديين الحاصلين على ابتدائية أو ما يعادلها «وقد أحضرهم الملك عبد العزيز بقوة الترهيب وحافز الترغيب فمن حيث الأولى فقد بعث الملك لهؤلاء الطلاب مندوبين يأتون بهم إلى المعهد بدون موافقة أهلهم بل بما يشبه القوة.

ومن حيث الثانية فقد وفر للطلاب المسكن والغذاء الحسن والمرتب المجزي»[٢].

ولا شك أن هذا الأسلوب يتضح فيه توجه الملك بأن يجعل هذه الدار بذرة للتعليم النظامي في المملكة السعودية ولو بالقوة وقد أثمرت الفكرة بالفعل حيث ازدهر التعليم في المملكة ازدهاراً كبيراً.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٦.

واتجاه الملك عبد العزيز إلى إنشاء هذه الدار كان يهدف إلى تحقيق غاية تعليمية سامية هي فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها وتزويد الطلاب بالقيم والتعاليم الإسلامية والاتجاهات السلوكية البناءة.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان ــ رحمه الله ــ حريصاً على ألا يدخل هذه الدار إلا الطلاب الطيبون ذوو المهارات العلمية النافعة في الدين والدنيا قال ذلك في رسالة كتبها إلى الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان[١] وأمره أن ينتخب لدار التوحيد من الطلاب الطيبين الذي يلتمس فيهم النفع للدين والدنيا[٢].

لقد افتتحت دار التوحيد ووفق الملك عبد العزيز في تجربة جديدة من تجاربه التعليمية وكأنما كان يستشرف المستقبل ويرى الطريق الذي ستفتحه دار التوحيد أمام تطور وازدهار مؤسسات التعليم الديني في المملكة على جميع المراحل والمستويات وأن تطور هذه المؤسسات التعليمية من الناحية الدينية ما هو إلا تطوير في الأساليب الدعوية التي كان لها أكبر الأثر في نشر الدعوة السلفية في أنحاء الجزيرة العربية.

---

(١) ولد سنة ١٣١٥ هـ في مدينة شقراء وذهب بصره وهو في الرابعة من عمره إثر إصابته بالجدري وسافر إلى الرياض وأجاد في التوحيد والحديث ثم عين في قرية العسيلة ثم شقراء وعنيزة كما عين مدرساً في المعهد العلمي بالرياض وتوفي سنة ١٣٧٤ هـ.

(٢) من رسالة للملك عبد العزيز بدارة الملك عبد العزيز قسم الوثائق برقم (٨٨٩).

وتعد هذه الدار ـ بحق ـ ظاهرة تربوية فريدة؛ فقد خرجت أعداداً كبيرة من القضاة والمدرسين والكتاب والشعراء المعروفين والباحثين التربويين الذين يشغلون اليوم مناصب عليا في مؤسسات الدولة التعليمية والتنفيذية[1].

ولكن أهم إنجاز حققته دار التوحيد هي أنها كانت منطلقاً لافتتاح كلية الشريعة سنة ١٣٦٨ هـ كأول مؤسسة للتعليم العالي في المملكة وتطوير وإصلاح المعاهد العلمية والتي قام الملك عبد العزيز بافتتاح أولها سنة ١٣٧٠ هـ.

وقد نشأت حركة المعاهد العلمية على نفس الأسس التي قامت عليها دار التوحيد واستمر تطور هذه المعاهد والإقبال عليها وكثرت طلبات البلاد لافتتاح معاهد مماثلة بعد معهد الرياض سنة ١٣٧٠ هـ مما جعل هذه المعاهد تجربة تعليمية تنسب بدايتها إلى الملك عبد العزيز وإن كانت قد ازدهرت وتمت في عهد أولاده حتى زادت عن خمسين معهداً علمياً سنة ١٤٠٣ هـ فضلاً عن الجامعات الإسلامية كجامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة أم القرى فما أكبر الفارق بين الثلاثين طالباً الذين بدأت بهم دار التوحيد سنتها الأولى وبين هذا المجموع الضخم من أبناء البلاد وأبناء العالم الإسلامي الذين يدرسون حالياً دعوة التوحيد في هذه المؤسسات التعليمية الإسلامية[2].

---

(١) الملك عبد العزيز والتعليم ص ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٤.

كلية الشريعة:

أنشئت بمكة المكرمة سنة ١٣٦٨ هـ كامتداد طبيعي لتأسيس (دار التوحيد) وازدهار (المعهد العلمي السعودي) من حيث مواصلة أبناء الوطن دراستهم للعلوم الشرعية حيث رفع مجلس المعارف إلى الملك عبد العزيز توصياته والذي وافق على فتح الكلية بمكة المكرمة.

«وهكذا بدأت أول تجربة رائدة للتعليم العالي في المملكة العربية السعودية لتخريج المدرسين في العلوم الدينية والعربية ومناصب القضاء»[١].

وهكذا أصبحت هناك مدارس نظامية على مستوى جميع المراحل في المدن والقرى ذات مناهج تخدم الدعوة الإسلامية بالإضافة إلى المساجد المنتشرة في كل قرية أو مدينة كلها تعمل جنباً إلى جنب في سبيل تحقيق هدف واحد هو نشر تعاليم العقيدة السلفية.

ولقد أينع الغرس حقاً وازدهر وظلت فريضة العلم ودعوة التوحيد مرفوعة مؤداة في أنحاء البلاد.

ولقد قام المئات، بل الألوف، الذين تخرجوا من هذه المعاهد العلمية والكليات ودار التوحيد والمدارس ــ بواجب تربية النشء وتدريس الدين وعلومه، وتولي مناصب الاحتساب والفتوى والقضاء والتربية وغيرها ــ ولقد انطلق بعضهم من خلال الوسائل الاعلامية الحديثة وذهب آخرون في مهمات دعوية إلى خارج المملكة، وحصل

---

(١) أحمد علي/ كلية الشريعة وكيف تأسست/ ص ١٢.

بعضهم على شهادات عليا، وألفوا المؤلفات في الإسلام وعلومه وفي النواحي العلمية الدنيوية والدينية وكل هذا بفضل الله ثم هذه النهضة التعليمية المباركة التي رعاها الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ثم انشئت وزارة المعارف وكان أول وزير لها هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وفقه الله.

□ □ □

المبحث الثاني

الوسائل الإعلامية الحديثة

ويحتوي على تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد في أهمية الوسائل الإعلامية الحديثة.

المطلب الأول: الصحافة.

المطلب الثاني: الإذاعة.

المطلب الثالث: طباعة الكتب الإسلامية ونشرها.

تمهيـــد

في أهمية الوسائل الإعلامية الحديثة

أصبح الإعلام قوة مؤثرة ومهمة في المجتمع الحديث بعد أن تعددت المخترعات الحديثة وتنوعت أساليب الإدارة، وتعقدت سبل الحياة، فهو ترجمان الأمة والمعبر عن وجهتها وقضاياها ومصالحها.

ولا شك أن وسائل النشر والإعلام تؤثر تأثيراً خطيراً على نفوس الناس، وأعمالهم، ولا جدال في أن هذه الوسائل لها خطرها الكبير في تكوين الاتجاهات، والمعتقدات.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الوسائل الإعلامية الأكثر جاذبية تشد المستقبل لها بأساليب مختلفة، لذلك صارت الوسائل المرئية المسموعة أكثر جذباً وتأثيراً، ومن ثم تسابقت الأحزاب والمذاهب المختلفة إلى التحكم في هذه الوسائل ونشر أكبر كمية من الموضوعات المختلفة من خلالها، تريد بذلك بث فكرتها، ونشر مبادئها، حتى تكسب الجولات، وتسيطر على العقول، وتضمها إلى طرفها لتقوية جانبها، وإحكام سيطرتها.

ولا شك أيضاً في أن غياب الدعوة الإسلامية عن مجالات هذه الوسائل، أو قلة مشاركة الثقافة الإسلامية، خسارة كبيرة للبشرية، نظراً لما تتعرض له المجتمعات من أفكار هدامة، وموضوعات مخلة، ولما كانت الرسالة الإسلامية؛ هي البناء المتكامل لكل ما ينشده المرء

في حياته، لذلك ينبغي استغلال كل وسيلة إعلامية ممكنة لتبليغ هذه الدعوة والاجتهاد في معرفة خصائصها وأسلوب الدعوة الناجح من خلالها، حتى تصل إلى عقل كل إنسان، وتنفذ إلى كل جارحة منه، فيعلم الصحيح من السقيم.

وموضوع هذا المبحث هو الوسائل الإعلامية الحديثة التي اعتمدت عليها الدعوة في عهد الملك عبد العزيز وهذه الوسائل هي:

١ ــ الصحافة.

٢ ــ الإذاعة.

٣ ــ طباعة الكتب والمخطوطات ونشرها وتوزيعها.

مع ملاحظة أن السياسة الإعلامية في عهد الملك عبد العزيز كانت تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وشريعة فكانت مسخرة لخدمة الدعوة. وقد استمرت السياسة الإعلامية بعد ذلك العصر على هذا النهج. حيث نصت المادة الأولى من هذه السياسة الإعلامية على أن «يلتزم الإعلام السعودي بالإسلام في كل ما يصدر عنه ويحافظ على عقيدة السلف ويستبعد من وسائله جميعها كل ما يناقض شريعة الله التي شرعها للناس».

وتنص المادة الثانية والعشرون على ما يلي:

«يؤكد الإعلام السعودي على أن الدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولذلك فهو يقوم بنصيبه في أداء هذا الواجب الجليل سالكاً في دعوته إلى الله سبيل الحكمة والموعظة الحسنة معتمداً على مخاطبة الفكر ومبتعداً عن كل

ما من شأنه أن يثير حفائظ الآخرين»[1].

وقد استعمل الرسول ﷺ كلمة (الدعاية) مكان (الدعوة) في رسائله بقوله (أدعوك بدعاية الإسلام)[2] بكسر الدال من قولك دعا يدعو دعاية نحو شكا يشكو شكاية، ولمسلم (بداعية الإسلام)[3] ولكن الاصطلاح الحديث كسا الدعاية ثوباً قشيباً بتغير يسير.

فالدعوة إرشاد وتوجيه والدعاية ترويج وترغيب، وإن أي دعوة مهما كانت من السمو لا يمكن أن تجتذب إليها الأنظار إلا إذا كانت لها دعاية، وقد اتخذت الدعاية في العصر الحديث وسائل عديدة في صرف أنظار الناس إلى شيء ما ومن تلك الوسائل:

١ ــ الإعلان بالأقلام في الصحف والمجلات.

٢ ــ الإعلان بالكلام في الإذاعات المسموعة والمرئية.

٣ ــ الإعلان بالنشرات.

□□□

---

(١) د. التركي، الملك عبد العزيز والمملكة المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ١٠١.

(٢) رواه البخاري رقم ٦ كتاب بدء الوحي (ج ١ ص ٣٢ فتح الباري).

(٣) أي الكلمة الداعية إليه وهي شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله. انظر صحيح مسلم ١٣٩٦ كتاب الجهاد حديث رقم ١٧٧٣ باب كتاب النبي ــ ﷺ ــ إلى هرقل.

المطلب الأول

الصحافة

الصحافة فن من فنون الاتصال الجماهيري، يعتمد على الكلمة المطبوعة لتقديم الرأي المدروس، والفكرة البناءة، والنقد الإيجابي.

كما أن الصحافة تقدم تسهيلات ثقافية متميزة، حيث يستطيع القارىء أن يطلع على المعلومات التي يحتاج إليها، ويراجع ما يريد مراجعته بالسرعة التي تناسبه، وفي أي وقت يشاء.

وهي وسيلة جيدة لنشر الموضوعات والدراسات ذات التفاصيل المتشعبة مما يمكن القارىء من الاستفادة من النقد المدروس مع العناية بالتفاصيل الدقيقة.

كما أن وسيلة الصحافة ترضي بأسلوبها الفني العديد من الأذواق والاتجاهات المتباينة. هذا بالإضافة إلى أن هناك عاملاً يجعل من الصحافة وسيلة دعوية مهمة في كثير من المجتمعات وهو أنها أقل وسائل الاتصال تكلفة بالنسبة للجمهور إذا ما قورنت بغيرها من وسائل الاتصال.

لذلك فإن الجمعيات والمنظمات والأقليات في مقدورها إصدار صحف خاصة بها معبرة عن رأيها.

ومما يلاحظ في عملية الاتصال عن طريق الصحافة أنها تتيح

فرصة المشاركة الفعالة من القارىء في سبيل استقبال المعلومات المتاحة.

فالحق، أن قارىء الصحيفة يستطيع قراءتها مرة، ومرتين إذا أراد وهو في كل مرة يزداد تثبتاً من الفكرة ويتمكن من تقليب وجوه الرأي فيها، وهو ما لا يتاح للمستمع إلى مذيع أو مقدم حديث في أحد البرامج الإذاعية أو برامج التلفزيون[1].

وقد يتصور بعض العاملين في حقل الصحافة الإسلامية وجوب انفصالها شكلاً ومضموناً عن الصحافة العام أو غير الإسلامية، وفي ذلك ظلم كبير يقع على الصحافة الإسلامية، حيث إن ما قدمه العلم الحديث من نظريات وإمكانات لخدمة الصحافة العامة يجب ألا تبتعد عنه الصحافة الإسلامية بل يجب أن تستفيد من كل نظرية أو أسلوب يدعم عملية الاتصال ويقلل الفجوة بين القارىء ومحتوى الصحيفة بما لا يتعارض مع المنهج الإسلامي الذي تتميز به والذي تستمده من التزام محرريها بتعاليم القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

ولما كان الدين الإسلامي دين دعوة فإن الصحافة الإسلامية يجب أن تكون ذات منهج دعوي بغض النظر عن الهيئة التي تصدرها لأن الإسلام حث على استخدام كل وسيلة نافعة يمكن أن توصل تعاليمه إلى قلوب الناس.

والصحافة في عالمنا المعاصر ـ عالم المؤثرات الإعلامية ـ تعد مؤثراً إعلامياً خطيراً حيث تبرز فعاليتها داخل المجتمعات

---

(١) د. مصطفى حسين كمال: الصحافة الإسلامية المنهج والتطبيق، ص ١٨٠.

باختلاف نظمها وظروفها، فهي إذاً سلاح من أسلحة هذا العصر يجب على المسلمين أن يتجهوا إلى استخدامه لخدمة دينهم وبأسلوب مناسب حتى تصل الدعوة إلى كل قارىء.

والصحافة الإسلامية بما أنها إحدى وسائل الاتصال الجماهيري وبما ترعاه من مصالح المجتمع فإنها تركز على التحرير بالكلمة اعتماداً على العلم واستناداً إلى العقيدة الصحيحة حيث كانت الكلمة هي وسيلة القرآن الكريم في إيصال تعاليم الله إلى عباده.

وللصحافة الإسلامية متمثلة في محرريها قدوة حسنة في رسول الله ـ ﷺ ـ بما يمكنها من وضع إطار لأخلاقيات العمل الصحفي حيث يستطيع المحرر بامتثال هذه الأخلاقيات أن يزرع السلوك الاجتماعي القويم.

ومن الواجب أن تتميز الصحافة الإسلامية بالصفات الأخلاقية الإسلامية وهذه بعضها:

١ ـ إخلاص النيه لله في كل ما يعمل.

٢ ـ حفظ أسرار المهنة وشرفها.

٣ ـ الحفاظ على حرية المواطنين وعدم التشهير بأفراد المجتمع.

٤ ـ البعد عن استغلال غرائز النفس البشرية.

٥ ـ احترام الآداب العامة للمجتمع.

٦ ـ الأمانة في نشر الوقائع.

٧ ـ الالتزام بتصحيح أي خطأ تم نشره فوراً.

٨ ــ لا ينسب أي حدث أو خبر أو معلومة إلى شخص دون موافقته أو التأكد من عدم الإضرار به.

٩ ــ احترام سمعة الآخرين.

١٠ ــ نشر الحقائق واضحة غير محورة أو غامضة.

١١ ــ الالتزام بمعالجة المشاكل الاجتماعية استناداً إلى الشريعة الإسلامية.

١٢ ــ العمل على نشر الدعوة إلى الله بأسلوب مناسب[(١)].

ظروف الصحافة السعودية قبل توحيد المملكة:

واجهت الصحافة السعودية قبل التوحيد مجموعة من العقبات أخرت عمليات نشأتها وتطورها. وأهم هذه العقبات:

١ ــ التخلف الثقافي والتعليمي.

٢ ــ انتشار الأمية.

٣ ــ عدم استقرار الأمن مما يجعل توزيع الصحف أمراً شبه متعذر.

٤ ــ عدم توافر المتخصصون، والإمكانات الصحفية.

ويوضح الشيخ يوسف ياسين[(٢)] مسؤول الصحافة والنشر في

---

(١) أ.د. مصطفى حسين كمال: الصحافة الإسلامية ــ المنهج والتطبيق، مجلة هذه سبيلي ص ١٨٧ (العدد الخامس سنة ١٤٠٣ هـ) يصدرها المعهد العالي للدعوة.

(٢) هو المشرف على الصحافة والنشر في عهد الملك عبد العزيز.

عهد الملك عبد العزيز الجهات التي في الغالب تصدر الصحف بالآتي:

١ ــ أن توجد حكومة تصدرها وتتحمل نفقاتها.

٢ ــ أن يكون هناك حزب أو هيئة تصدرها لنشر مبادئها وترويج سياستها.

٣ ــ أن يصدرها صاحبها لإشباع هوايته ولا يتطلع إلى الربح أو الكسب.

وإذا نظرنا في ضوء هذه الأسس إلى الأوضاع قبل توحيد البلاد نرى أنها لم تكن تسمح بإنشاء صحف جديدة أو استمرار صدور ونجاح الصحف القائمة.

لقد كانت البداية الأولى في الحقبة التي سبقت توحيد البلاد متعثرة ولم يفد منها أبناء الوطن فائدة صحفية واضحة ذلك أنهم لم يدعو للمشاركة في العمل الصحفي بل كانوا يتلقون ما يكتب في هذه الصحف ويقفون منه موقفاً سلبياً[(١)].

الصحافة في عهد الملك عبد العزيز:

ولدت الصحافة في جو من الاستقرار وفهم لرسالتها وأهميتها. فالاستقرار السياسي الذي تمتعت به البلاد بعد عام ١٣٤٣ هـ قد أوجد جواً ملائماً لأنشطة صحفية متعددة.

فقد كان من نتائج هذا الاستقرار أن دعي الكتاب والأدباء

---

(١) د. صلاح الدين عبد الحميد: الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز (من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية، ج ١/ ٤٢٠).

والصحفيون إلى تسيير دفة الصحافة والأدب في البلاد فانصرفوا إلى معالجة مختلف الموضوعات الصحفية والدعوية.

وكان على الصحافة السعودية أن تتحمل واجبها تجاه توحيد البلاد وقد حملت الصحافة السعودية عبئاً ثقيلاً تجاه نهضة البلاد ولا سيما صحافة الأفراد التي نشأت في عهد الملك عبد العزيز وكانت أهدافها تتجه حول الإسهام الفعلي في نهضة البلاد ورقيها.

ومن بين هذه الصحف والمجلات (أم القرى) (صوت الحجاز) (المنهل) (المدينة المنورة) (اليمامة)، فقد كانت أعدادها تفيض علماً، وثقافة، ومعرفة[1].

ويمكن تصنيف الصحف والمجلات التي صدرت في عهد الملك عبد العزيز ــ دون الصحف والمجلات الواردة من الخارج أو الصحف والمجلات التي صدرت خارج المملكة وأخذت مسميات سعودية ــ على النحو التالي:

الصحيفة	تاريخ الصدور
جريدة أم القرى	١٣٤٣ هـ
مجلة الإصلاح	١٣٤٧ هـ
جريدة صوت الحجاز	١٣٥٠ هـ
مجلة المنهل	١٣٥٥ هـ
جريدة المدينة المنورة	١٣٥٦ هـ[2]

(١) المرجع السابق ص ٤٢٣.

(٢) ذكر الدكتور محمد بن حسين في كتابه الأدب الحديث أن جريدة المدينة المنورة ابتدأ صدورها عام ١٣٥٥ هـ، بينما ذكر الأستاذ محمد العوين في =

مجلة النداء الإسلامي	١٣٥٦ هـ
مجلة الحج	١٣٦٦ هـ
مجلة اليمامة	١٣٧٢ هـ[١]

ونوجز التعريف ببعض هذه الصحف فيما يأتي:

١ ــ جريدة أم القرى:

صدرت (أم القرى) ــ أولى صحف العهد السعودي ــ بمكة المكرمة في ١٥/ ٥/ ١٣٤٣ هـ (١٢/ ٢/ ١٩٢٤ م) وهي صحيفة أسبوعية رسمية توجت صفحتها الأولى بالآية الكريمة: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾[٢] وأعلنت أن مبدأها هو (خدمة الإسلام والعرب)[٣].

٢ ــ مجلة الإصلاح:

صدرت في مكة المكرمة سنة ١٣٤٧ هـ بدعم كامل من الملك عبد العزيز، وأعلنت أنها مجلة دينية علمية اجتماعية أخلاقية وتولى الشيخ محمد حامد الفقي أحد علماء الأزهر ورئيس شعبة الطبع والنشر بمكة إدارتها والاشراف على تحريرها[٤].

= كتابه عن المقالة أنها صدرت عام ١٣٥٦ هـ ووافقه في ذلك الأستاذ صلاح الدين محمد في بحثه عن الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز انظر بحوث ندوة العلاقات السعودية المصرية ج ١ ص ٤٢٨.

(١) د. محمد بن حسين/ الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ج ٢ ص ٢٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٧.

(٣) د. محمد الشامخ: الصحافة في الحجاز ص ١٣٥، مطبعة دار الأمانة بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ.

(٤) د. محمد الشامخ: نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص ١٦٧، =

٣ ــ جريدة صوت الحجاز:

وهي جريدة أسبوعية صدرت في مكة المكرمة سنة ١٣٥٠ هـ وتعد أول جريدة أهلية في المملكة العربية السعودية وكان صاحبها ومديرها محمد نصيف يفتح صفحاتها لكل نتاج أدبي وثقافي جيد للأدب وقد توافر لهذه الصحيفة وسائل الطباعة الحسنة والمعلومة الأدبية الجيدة وقد قامت بدور إعلامي ثقافي جيد إبان تأسيس المملكة السعودية[١].

٤ ــ مجلة المنهل:

صدرت في المدينة المنورة سنة ١٣٥٥ هـ وتهتم بنشر الأدب والثقافة والعلم صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري[٢] وما زال ابنه الأستاذ نبيه يصدرها ماضياً على نهج والده.

٥ ــ جريدة المدينة المنورة:

جريدة أسبوعية صدرت في سنة ١٣٥٦ هـ اصدرها عثمان حافظ وجلب لها مطبعة وفنيين وكان أول رئيس تحرير لها أمين مدني وما زالت تصدر إلى يومنا هذا[٣].

٦ ــ مجلة النداء الإسلامي:

صدرت في مكة المكرمة سنة ١٣٥٦ هـ وكانت شهرية وتشمل

= وأيضاً الشامخ: الصحافة في الحجاز ص ١٥٢.

(١) د. محمد الشامخ: نشأة الصحافة، ص ١٤٥.

(٢) مجلة المنهل، عدد يناير ١٩٤١ م.

(٣) محمد بن حسين: الأدب الحديث ج ٢ ص ٤٦، ومحمد الشامخ: الصحافة في الحجاز ص ١٢٧.

اهتماماتها المجالات التاريخية والدينية والاجتماعية والأدبية[1] وكان شعارها قوله تعالى: ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾[2].

٧ ــ مجلة الحج:

صدرت في ١٣٦٦ هـ في مكة المكرمة وهي مجلة رسمية تابعة لوزارة الحج والأوقاف تهدف إلى خدمة قضايا الحجيج وإرشادهم وتوجيههم وحل مشكلاتهم. وما زالت تصدر إلى اليوم ولكن استبدل اسمها باسم التضامن الإسلامي[3].

فهي مجلة إسلامية تهتم بالبحوث الإسلامية والأدبية والتاريخية وكانت أعمالها تترجم من العربية إلى لغات أخرى[4].

٨ ــ مجلة اليمامة:

وهي أول صحيفة تصدر في المنطقة الوسطى، فقد أنشئت في الرياض سنة ١٣٧٢ هـ وهي مجلة شهرية جامعة. ثم أصبحت أسبوعية وكان رئيس تحريرها هو الشيخ حمد الجاسر[5].

---

(١) الشامخ: نشأة الصحافة ص ١٧٩، وأيضاً الصحافة في الحجاز ص ١٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

(٣) حسن قزاز: الإعلام في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٢ من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز عام ١٤٠٦ هـ.

(٤) مجلة الحج عدد جمادي الثانية سنة ١٣٦٧ هـ.

(٥) أثر الصحافة على الحركة الأدبية في المملكة ــ فاطمة النجار ص . . =

رسالة الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز:

تعددت أهداف الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز لكنها كلها أهداف إسلامية وحضارية تعمل على بعث الأمة تحت راية الإسلام وأهم هذه الأهداف:

١ ــ المحافظة على شخصية المجتمع السعودي عقب توحيد البلاد:

فإن المسؤولية الرئيسية للصحافة الوطنية في هذا العهد هي غرس اعتزاز الفرد بانتمائه إلى هذا الكيان العربي المسلم الموحد الملتزم بدينه الواثق بعقيدته، وهذه واحدة من الغايات السامية التي تجد الصحافة نفسها مكلفة بالمشاركة في تحقيقها واضعة في الحسبان أن المبادىء الإسلامية والقيم الاجتماعية الأخلاقية هي الإطار الذي تعمل من خلاله.

فالملك عبد العزيز قام بإنجاز الوحدة وقد أسسها على مبادىء الشريعة الإسلامية واضعاً في الاعتبار الأول احترام القيم الاجتماعية والمبادىء العامة المعترف بها في أعراف الحاضرة، والبادية في المملكة، وهذا سر نجاحه في تحقيق الاستقرار لهذا الإنجاز.

ومسؤولية الصحافة هي بيان ذلك بوضوح وجلاء يؤدي إلى إقناع الشيوخ والرجال وأهل الحل والعقد في القبائل بعظمة هذا الإنجاز والتحمس له.

وقد تركز نشاط الصحافة من أجل تحقيق هذا الهدف على جانبين:

= ٢٥٦، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى.

(أ) **وظيفة التنشئة**: فقد عملت الصحافة على تحقيقها ونجحت فيها كثيراً، بالعمل على امتداد التواصل بين الأجيال بعضها ببعض وتنشئة الأفراد على العادات والتقاليد الإسلامية.

(ب) **وظيفة تثبيت القيم** وكان على الصحافة السعودية عقب التوحيد أن تقوم بالمساعدة على تثبيت القيم العربية والإسلامية والمحافظة عليها.

ومن ثم تتحقق رسالة المحافظة على شخصية ومقومات المجتمع السعودي[١].

ومن أمثلة ذلك مقال نشر في جريدة أم القرى عدد ٣٨٥ بتاريخ ٢/ ذو الحجة/ ١٣٥١ هـ بقلم محمد سعيد عبد المقصود يدعو فيه إلى التمسك بتقاليدنا الإسلامية ويحذر من العادات الوافدة المخالفة للدين والأخلاق ومما قال فيه: «ولو أخذنا ما يوافق ديننا ووطننا وما يعود علينا بالخير وتركنا ما يضرنا ويسري كالسم فينا لكان ذلك أولى ولكننا أخذنا نقلد غيرنا في أشياء لا نجني من ورائها غير تبذيرنا أموالنا وخروجنا عن عروبتنا التي يجب أن نحافظ عليها حتى آخر قطرة من دمائنا.

٢ ــ **قيام الصحافة بتوضيح المفاهيم وتوعية الناس** بأهداف التغييرات الواجب إحداثها، وإلقاء الضوء على القضايا

(١) د. صلاح عبد الحميد: الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز، ص ٤٣٧.

والموضوعات الملحة المطلوب معالجتها بعد تمام التوحيد.

من أهم هذه القضايا التي ركزت على القضاء عليها عمليات الاعتداء والغزو والعداوات القبلية والخروج على روح الشريعة ووجوب تنقية العقيدة الإسلامية مما كان يشوبها بالإضافة إلى قضايا التعليم والصحة وغيرها مما كان على الصحافة أن تسهم في مواجهتها.

ومن أمثلة ذلك ما نشرته صحيفة صوت الحجاز محذرة من الجهل والخمول وحاثة على العلم الذي هو سبب نهضة الأمم وكان ذلك في عددها رقم ١١ بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٣٥١ هـ ومما جاء في المقال قوله: «لقد كفانا موتاً وخمولاً في كل حياتنا الماضية وكفانا ما فينا من الجهل الفاضح، والجمود الفادح اللذين كانا سبباً في انحطاطنا وضياع أمجادنا ومفاخرنا.. وليست نهضتنا الحالية إلا بعث عقب موت، واستدراك بعد فوت، وإن لم نتفقدها بما يضمن سيرها في سبيل التقدم ويكفل بقاءها بين الكوارث والحوادث فيا للخيبة والخسار».

كما نشرت جريدة أم القرى في عددها الأول بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٣٤٣ هـ مقالة بعنوان «عونك اللهم» مثنية فيها على رجال الدعوة الذين هم من أسباب نهضة البلاد وتوحيدها ومما جاء في المقالة قوله:

«ولقد قدر الله الكريم لطائفة من هذه الأمة العربية أن شغلت بنفسها عن الناس أجمعين وسعت في السير على السنن التي كانت لهذه الأمة أول يوم أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر

فأخذ الله بيدها واجتمع عليها عصبة ذات قوة، وبأس، وجعلت تنشد الدعوة للطريق الذي اتبعته تدعو الناس أجمعين للأخذ بما أخذت به، لعل الله أن يبدل للمسلمين من بعد خوفهم أمناً ومن بعد ذلهم عزة، ومن بعد ضعفهم قوة».

وقد كان للصحافة دور كبير في إحداث تغيرات في عقلية المواطن تجاه هذه المشكلات بما يتماشى مع أحكام الشرع الحنيف.

فقد واجهت الملك عبد العزيز مجموعة عوامل سلبية منها عجز بعض القبائل عن إدراك معجزة التوحيد، وقد وصل الأمر ببعضها إلى الوقوف سلبياً تجاه توحيد البلاد. ولهذا كان دور الصحافة معالجة الموضوعات التي تقلق رجال وشيوخ القبائل على أساس أن الهدف من وراء توحيد البلاد ليس إخضاعها أو إذلالها كما هو مفهوم من وراء الغزوات والحروب التي كانت تحدث عادة بينها ولكن الهدف هو الوصول إلى دولة واحدة قوية[١].

وكانت الصحافة تقوم بدعم هذا الهدف على قاعدتين أساسيتين:

الأولى: أن العدالة التي تهدف إليها الدولة الموحدة هي عدالة الشرع الإسلامي التي يعيش في ظلها كل الناس في جميع البلاد وتهتم بالجميع على قدم المساواة وأن توحيد البلاد يقوم على التوازن بحيث تنال كل المناطق والقبائل حظها من الاهتمام والرعاية دون إهمال منطقة منها.

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤٠.

الثـانيـة: إبـراز دور جميـع أفـراد الشعـب تجـاه هـذا التـوحيـد ومشاركتهم في عملية البناء[1].

٣ ـ المساعدة في نشر الأمن والعدل في ربوع البلاد:

فقد كان على الملك عبد العزيز في هذه المرحلة إقناع رجال وشيوخ القبائل بتحويلهم إلى جنود مهيئين دائماً لخوض كل معركة في سبيل رفع راية التوحيد. ولا يتحقق هذا إلا بعد نشر الأمن، والعدل حتى أن الراكب أصبح يستطيع السير بأمان، بعد أن كانت الطرق تعج بالقتلة، واللصوص، وقطاع الطريق، وهذا الهدف ألقى على الصحافة مسؤولية كبيرة تبلورت في المساعدة على حماية المجتمع ضد الجريمة، وضد الخارجين على مبادىء الشريعة الإسلامية.

ومن أمثلة ذلك ما نشرته جريدة أم القرى بتاريخ ٦/ رجب/ ١٣٤٧ هـ عدد ٢٠٨ وذلك حينما حاولت بعض القبائل زعزعة الأمن وعقد الملك عبد العزيز اجتماعاً في الرياض حضره العلماء وأمراء القبائل والبلدان لمناقشة هذه القضية ونشر الأمن في ربوع البلاد والمحافظة على وحدتها ومعاقبة المخالفين وقد قامت جريدة أم القرى بنشر تفاصيل أخبار الاجتماع لتعم الفائدة للجميع.

وكانت جريدة أم القرى تقوم بالعبء الأكبر في هذا المجال ولها جهود طيبة على مدى عقود طويلة خلال فترة حكم الملك عبد العزيز رحمه الله.

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤١.

وبالإضافة إلى هذه الإنجازات الصحفية كان للصحافة دور كبير في بعض المجالات الأخرى مثل:

(أ) مساندة جهود التنمية.

(ب) حمل عبء النهضة الأدبية والثقافية في المملكة، حيث ازدهر الأدب السعودي وأصبح له مكان بين أدب البلدان العربية.

وكان لمجلة المنهل وجريدة المدينة دور كبير في هذا الشأن ومن أمثلة ذلك ما نشرته مجلة المنهل في عدد جمادى الأول عام ١٣٦٧ هـ تحت عنوان هل أفاد الأدب، ومما جاء في المقال قوله: «ليس ثم ميدان إلا وللأدب فيه فتح وعمران، والتقدم الذي نراه في كثير من النواحي مدين للأدب وللدعوات التي جهر بها الأدب، وتركت آثارها في حقل الاصلاح العام وظهر ذلك في تقارب الطبقات، وسمو الذوق، والوعي القومي، والاتجاه إلى العلم، والعمل والصبوة إلى الكمال، والتوثب إلى العلا، والقلق الذي يحمل على السعي، والكفاح، والاتصال بالعالم، والتأثر بحركاته وأحداثه، وكل هذا سبيل يمهد لرفع مستوى المعيشة، والخلق، والعقل.

ويؤكد دور الصحافة، وأهميتها في عهد الملك عبد العزيز، أنها ظلت الوسيلة الإعلامية الوحيدة على الساحة الدعوية لمدة طويلة[١].

ولأن الصحف تمتاز عن الوسائل الإعلامية الأخرى بتناولها للقضايا المختلفة بعمق وتوسع وتفصيل، وبناء عليه فإن النهضة الصحفية التي نعيشها اليوم هي نتيجة طبيعية لتلك المؤسسات

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤١.

الصحفية التي كانت على عهد الملك عبد العزيز، تلك المؤسسات التي كانت حريصة على الالتزام بالآداب الشرعية للإسلام ولا تتضمن إلا ما اتسم بالنزاهة شكلاً ومضموناً باعتبار أن الصحف والمجلات كان لها الدور الأول في تثقيف المجتمع وفي توجيه الرأي العام.

لقد كانت الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز تقوم بدورها في نشر الدعوة الإسلامية، بالإضافة إلى القيام بدورها في مجال التنمية الاجتماعية الإسلامية بعرض ومناقشة وحل المشكلات الاجتماعية حلاً مبنياً على العقيدة الإسلامية ومن خلال شريعتها.

وحيث إن الحل الإسلامي لمشكلات العالم لا بد أن يأخذ مكانه حتى تنحسر معالم الشرك والضلال، لهذا ينبغي أن يكون هذا الحل الإسلامي علنياً قوياً مقنعاً، ولكي يتم ذلك فإنه لا بد أن يكون الإعلام الإسلامي بأساليبه إعلاماً على مستوى العصر مطبقاً لكل الأساليب والنظريات الحديثة التي وفرها العلم والتكنولوجيا.

ومن خلال منهج الصحافة الإسلامية الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله يمكن التصدي للأفكار الغربية والملحدة، ويمكن وضع حلول إسلامية عادلة لكل المشكلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

□□□

المطلب الثاني

الإذاعـــة

إن مهمة تبليغ هذا الدين مهمة شريفة ذات مقاصد نبيلة وذات ثواب جزيل.

ومن تمام نعمة الله وإكماله تعالى لدينه أن جعل وسائل إبلاغه من السهولة بحيث يدركها العام، والخاص ممن وفقهم الله تعالى لذلك.

والقول بأهمية وسيلة دون أخرى أمر بالغ الصعوبة؛ حيث تدخل متغيرات مادية ومعنوية فتجعل من وسيلة أهم من الأخرى في ظرف معين دون الآخر. لكن لا خلاف في أن الوسائل الإعلامية المختلفة لها من الأهمية، والتأثير في عملية الدعوة ما ليس لغيرها.

والإذاعة من أقوى الوسائل الإعلامية، حيث توصل الخبر إلى المستمعين في نفس الوقت الذي يذاع فيه دون أن يحول بينه وبين مستمعيه أي حدود طبيعية وهي وسيلة الاتصال الدولي الوحيدة التي يمكن أن تعطي أماكن واسعة من العالم مجتازة الحدود والقيود، في ذلك الوقت على الأقل.

والإذاعة تعطي الأبعاد المختلفة لموضوع من الموضوعات المذاعة، وتنتقي الأخبار المهمة التي تحدث في أماكن مختلفة من العالم ــ قريبة وبعيدة ــ لتقدم ملخصاً عما يدور في العالم من حول

المستمع، كما تقدم برامج مختلفة من حيث الأغراض، وتنقل وقائع الاجتماعات الدينية وغير الدينية، وأخبار الاكتشافات العلمية والفكرية، كما تساعد الإذاعة على التعبئة السريعة للقوى والنجدات إذا حدثت كوارث أو حالات طارئة في أماكن معينة.

وتقدم الإذاعة للدعاة وسيلة سهلة تعينهم على أداء رسالتهم، فقد كان الطغاة والخائفون من الحقيقة، يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله إلى الناس فجاءت الإذاعة لتنهي هذه الوصاية[١].

فالمذياع أكثر فاعلية وأهمية في الانتشار من أي وسيلة إعلامية أخرى ــ في المجتمعات النامية مثلاً ــ بحكم انتشاره في الأثير وعدم خضوعه لأي لون من ألوان الحجب الإعلامي. وتوافر أجهزته لدى كل مستوى من الناس قد لا تتيح لهم ظروفهم المادية التمتع بوسائل الاتصال المتطورة الأخرى مثل التلفزيون، ولا ظروفهم الثقافية والمادية من التمتع بوسائل الاتصال المطبوعة كالكتب والمجلات[٢].

وتتفوق الإذاعة على معظم وسائل النشر الأخرى كالدوريات من صحف ومجلات، فهي أسرع الوسائل الإعلامية لنشر المعلومات والأخبار، فهي تتفرد بالسبق الإخباري، ولها أولوية النشر. ومعلوم

---

(١) عن مقالة لزين العابدين الركابي بعنوان (النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية) ص ٣٠٨ ــ نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي سنة ١٣٩٩ هـ.

(٢) عبد الله سعد الضياف، القدوة الحسنة وأثرها في الإعلام بالإسلام. ص ٥٣ سنة ١٤٠٥ هـ.

أن الأثـر الأول للخبـر أو الـرأي لا يمحـى بسهـولـة، كمـا يصعـب معارضته[1].

وبإمكان هذه الوسيلة الحية أن تقدم كل ما يتعلق بالإسلام ونظامه في الحياة.

وقد أمكن لكثير من البلدان الإسلامية استغلال هذه الوسيلة العظيمـة، ممـا أدى إلـى ظهـور إذاعـات متخصصـة لخـدمـة الـدعـوة الإسلامية ومبادئها مثل إذاعة القرآن الكريم.

وعنـدمـا استقـرت كـافـة الأوضـاع السيـاسيـة والاجتمـاعيـة والاقتصـاديـة بتـوحيـد المملكـة العـربيـة السعـوديـة، وتمكـن الملـك عبد العزيز من جمع شمل القبائل بعد أن كان يسودها التمزق والتفرقة لينقلها من حياتها التقليدية إلى الحضارة والمدنية في نظام استمد أسسه ومفاهيمه من مبادىء وقيم شريعة الإسلام السمحاء، في هذا الوقت تأكدت الحاجة والضرورة لوجود أداة إعلامية للاتصال نشأت الإذاعة السعودية.

ومن الجدير بالذكر أن تأسيس أول نظام إذاعي في المملكة العربية السعودية يرجع إلى عهد الملك عبد العزيز حيث تم في مبنى السفارة السعودية في القاهرة توقيع أول عقد بين الحكومة السعودية وإحدى المؤسسات التابعة للشركة العالمية للتلفزيون والتلغراف في الثالث والعشرين من رجب سنة ١٣٦٨ هـ بتركيب وصيانة إذاعة

---

(١) د. محمد معوض نصر، الإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز. ج ١/ ٣٧٣، من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية.

لاسلكية في المملكة هدفها بث البرامج الدينية والثقافية باللغة العربية للدول المجاورة الناطقة باللغة العربية.

كان الهدف من إنشاء الإذاعة السعودية هو خدمة المواطن السعودي في مجال الأخبار والتوجيه والتثقيف وترسيخ أسس الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي والتعريف بقضايا العالم العربي والإسلامي والدفاع عنها، ومن هذا المنطلق فقد كانت استراتيجية الإذاعة السعودية واضحة وثابتة تحددها أهدافها على النحو التالي:

أولاً: ترسيخ الوحدة الوطنية بين أفراد الأمة.

ثانياً: التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وتوجيه البرامج لخدمة هذا الغرض السامي.

ثالثاً: الالتزام بالصدق والأمانة، والواقعية في نقل الأخبار الداخلية، والخارجية، والابتعاد عن المبالغة، والتهويل.

رابعاً: الالتزام بمبدأ أخلاقي لمنهج أعلامي تسير عليه البلاد، وذلك حينما تقرر عدم التعرض للغير عن طريق الشتم، أو النقد.

خامساً: بث تعاليم الدين الإسلامي عبر موجات الأثير.

سادساً: الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية من موقع المسؤولية القيادية والدينية التي يتبوأها هذا البلد الأمين[(١)].

وفي الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٦٨ هـ أصدر

---

(١) حسن قزاز، الإعلام في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٦، من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز ١٤٠٦ هـ.

الملك عبد العزيز أول مرسوم ملكي[1] يقضي بتأسيس أول نظام إذاعي في المملكة العربية السعودية، ويحدد فيه طريقة اختيار مديرها المسؤول عن تنفيذ سياستها أمام الدولة ومكانها وما يذاع فيها[2].

ومما ورد في المرسوم قوله:

أولاً: ينتخب مدير أو مستشار مسؤول أمام الحكومة عن محطة الإذاعة وما يذاع فيها وعن الأعمال الإدارية وهي تهيئة المقالات والأخبار التي ستذيعها وتدقيقها وتمحيصها والعمل على تحسين هذه البرامج.

ثانياً: يوضع برنامج للإذاعة تشرفون عليه وينفذ بعد موافقتكم عليه.

ثالثاً: يلاحظ في البرنامج:

(أ) نشر الأخبار الخارجية كما هي وإنما يلاحظ عدم شتم أحد أو التعريض بأحد أو المدح الذي لا محل له.

(ب) يلاحظ في الأخبار الداخلية الواقع وتلاحظ عادتنا في السكوت على ما اعتدنا السكوت عليه ونشر ما عتدنا نشره.

(ج) ينظر فيما يمكن إذاعته من القرآن الكريم والمواعظ الدينية والمحاضرات التاريخية عن الإسلام والعرب يكون معمّماً والسلام حرر في ٢٣ رمضان المبارك ١٣٦٨ هـ.

---

(١) رقم المرسوم (٧/ ٣/ ١٦/ ٣٩٩٦) في ١٨/ يوليو/ ١٩٤٩ م.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧١ بتصرف.

وقد اختيرت مدينة جدة لتكون مقراً للإذاعة وذلك لقربها من الأماكن المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، مما يساعد على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة بين الحجاج والزوار والعمار الذين يفدون إلى الأراضي المقدسة، ومما يؤكد ذلك أن البداية الفعلية للإرسال الإذاعي في المجتمع السعودي كانت يوم الوقوف بعرفات ٩/ ذو الحجة/١٣٦٨ هـ، وقد أكد المرسوم على ضرورة تمحيص وتدقيق ما يذاع لكي يكون ملتزماً بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. كما أكد المرسوم على ضرورة الاهتمام بنشر وإذاعة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة باعتبارها مصدر الحكم والتشريع والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم في المجتمع السعودي. بالاضافة إلى إذاعة المحاضرات التاريخية التي تربط المواطن السعودي بتاريخ أمته[١].

وحيث إن الملك عبد العزيز وحد الجزيرة على أساس العقيدة والشريعة وأقام الأمن والنظام في بقاع كانت تسودها الفوضى والفرقة فجاءت نشأة الإذاعة لتكمل عملية الأمن والنظام بالمعرفة، فالمعرفة قوة والمعرفة حاجة أصيلة مستمدة من صميم الوجود الإنساني. والإذاعة الصوتية من أهم عوامل نشر المعرفة والفكر وتوعية الأمة.

وقد أولت الحكومة السعودية الإذاعة الاهتمام الذي يتناسب وخطورتها وأهميتها[٢] فقامت بالإشراف المباشر عليها وبدأت بإدارتها

---

(١) بدر كريم، نشأة الإذاعة ص ٤١.

(٢) بدأ الإرسال المنتظم للإذاعة السعودية في تمام الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الأحد الموافق الوقوف بعرفات سنة ١٣٦٨ هـ. (المرجع السابق ص ٣٧٥).

وتنظيمها وتشغيلها وفق القواعد والخطط والأهداف التي وضعتها حيث جعلت تسخيرها لخدمة الدعوة في المقام الأول.

قال الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ بعد أن حمد الله وأثنى عليه بمناسبة افتتاح إذاعة المملكة: يسرنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من هذا البيت الحرام في هذا اليوم المبارك، ونتناصح ونتواصى بالبر والتقوى، وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله وإخلاص العبادة له وحده كما أمرنا ربنا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ندعو حجيج بيت الله الحرام لنبذ كل ما يخالف أمر الله واتباع ما أمر الله به، كما ندعو كل المسلمين لأن يجمعوا قلوبهم على كلمة الإخلاص، وأن يزيلوا ما بينهم من خلافات، وأن يعتصموا بحبل الله.

هذه دعوتنا لإخواننا المسلمين عامة، ولإخواننا العرب خاصة[1].

وبدأت الإذاعة السعودية إرسالها باللغة العربية لفترة واحدة يومياً في المساء، ثم تطورت لتصبح أربع فترات تقدم باللغة العربية، تصل مدتها إلى ثلاث ساعات وربع الساعة طوال اليوم، لتحقيق الأهداف الرئيسة: من تثقيف وتوجيه وإخبار، حيث كانت تبدأ كل فترة بآيات من الذكر الحكيم، تليها البرامج الدينية في شكل مواعظ مباشرة، ثم البرامج الثقافية هذا إلى جانب الأحاديث الاجتماعية، ونشرات الأخبار.

---

(١) ألقى الخطبة الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في المنطقة الغربية حينذاك ــ أم القرى بعددها الصادر في ١٣ ذي الحجة ١٣٦٨ هـ.

وكانت الإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز تعتمد على البرامج الجدية أكثر من برامج الترفيه، والتسلية، وكان للأدب نصيب كبير، ولكن الأدب الذي يخدم الدعوة، يتضح ذلك من ذكر أسماء بعض البرامج الأدبية في ذلك الوقت مثل:

(قال العلماء)، (أمجاد في التاريخ)، (روائع الشعر)[١] وهو شعر إسلامي في الأغلب.

وكلها، أو معظمها يخدم الدعوة حيث تعد القصة، والموعظة الحسنة من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله.

أما التقسيم الإداري لبرامج الإذاعة الأخرى في ذلك الوقت في بلدان العالم والمتضمنة: الأحاديث، الموسيقا، الغناء، الأخبار، الشؤون السياسية، الدراما الإذاعية، وغيرها، فما كان منها يخدم الدعوة ولا يتعارض مع تعاليم الشريعة دخل ضمن عناصر البرامج الرئيسة في الإذاعة السعودية. وإذا تعارض مع هذه التعاليم خلت منه البرامج.

وكان هذا حقيقة قائمة، فلقد ابتعدت برامج الإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز، عن البرامج المعروفة على مستوى الإذاعات العالمية، كالمنوعات، والتمثيليات، والبرامج التي تهدف إلى الإضحاك والتسلية، كالألغاز، والبرامج الاستعراضية، والبرامج التي تعتمد على الشخصية الفكاهية الواحدة، والبرامج الدرامية.

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٧٧.

وبتحليل النسب المئوية لنوعيات البرامج خلال هذه المرحلة يتضح ما يلي:

٣٠٪ برامج دينية.

٢٥٪ برامج إعلامية (أخبار).

٤٥٪ برامج ثقافية وأدبية.

وفي حج عام ١٣٧٠ هـ سجلت الإذاعة عدد وافر من التلاوات القرآنية لقراء مجيدين ووجهت الدعوة إلى العلماء في شتى تخصصاتهم وكذلك إلى الشعراء للمساهمة معها في أداء رسالتها الاجتماعية[١].

وعلى الرغم من محاولة البعض إدخال بعض الأناشيد الدينية والأغاني الشعبية إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل ليقظة المسؤولين فقد كانت الإذاعة تحمل اسم مكة المكرمة آنذاك فكيف يرتبط هذا الاسم بالموسيقا والغناء وفيهما ما يخالف تعاليم الإسلام[٢].

ولقد عمل المسؤولون بالإذاعة السعودية على تطويرها في عهد الملك عبد العزيز، حتى تمكنت من البث المباشر فقد تمكنت من نقل أذان العشاء حياً على الهواء مباشرة من الحرم المكي الشريف بعد استكمال الوسائل الفنية لربط الحرم بمحطة الإذاعة، وفي بداية شهر رجب سنة ١٣٧١ هـ قدمت الإذاعة لأول مرة فترة إرسال إضافية يوم

---

(١) بدر كريم، نشأة الإذاعة السعودية، ص ٥٤.

(٢) انظر محمد نصر/ الإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز ص ٣٧٩.

الجمعة كل أسبوع لإذاعة شعائر صلاة الجمعة على الهواء من الحرم المكي، كما تمكنت من نقل أذان المغرب في رمضان من العام نفسه كما تم نقل صلاة الفجر وصلاة عيد الأضحى المبارك وخطبة العيد على الهواء مباشرة في الشهر نفسه. ولا يخفى أثر نقل هذه الشعائر من مظاهر دعوية مهمة.

«واستمر المسؤولون في إدخال التحسينات الفنية والهندسية على الإذاعة السعودية حيث انضمت الإذاعة السعودية إلى هيئة الـ بي. بي. سي (راديو لندن) في شوال سنة ١٣٧١ هـ»[١].

إلا أن الإذاعة السعودية لم توسع جهودها في مجال الدعوة إلى الله إلا بعد عام من إنشائها، حينما بدأت توجه انطلاقاً من دورها في الدعوة إلى الله برامجها الدعوية إلى شعوب العالم، وهو ما يطلق عليه في عرف الإذاعيين (البرامج الموجهة) أو (الإذاعة الخارجية).

وتزداد أهمية الإذاعات الإسلامية الموجهة لحمل لواء الدعوة ومناصرة قضايا الحق ومناهضة الظلم وزيادة الوعي بأمور الدين الإسلامي الحنيف؛ في الوقت الذي تقتحم فيه موجاتها معظم الدول التي تعاني فراغاً دينياً يتمثل في انحراف في السلوك أو ضلال في العقيدة.

«وتقوم الإذاعات الموجهة عبر الإذاعة الإسلامية بأغراض أساسية، أهمها: الإعلام عن الدين الإسلامي والدفاع عنه والدعوة إليه، وتعليم فروضه ومبادئه وقيمه، وتعليم اللغة العربية باعتبار أن

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٨٤.

الصلة بينها وبين الإسلام وثيقة فهي لغة القرآن، كما أن في تعليم اللغة العربية سواء للناطقين بها أم غير الناطقين بها من شعوب العالم أساساً لفهم القرآن الكريم وفهم معانيه»[1].

ولقد نشأت فكرة الإذاعة الموجهة في عهد الملك عبد العزيز حينما رأى المسؤولون أن يستفيدوا من تجمع آلاف الحجاج عام ١٣٦٩ هـ لأداء فريضة الحج بتوجيههم إلى التمسك بتعاليم الإسلام[2].

ولا يعني الاهتمام باللغة العربية إغفال غيرها من اللغات، فإنه من تمام الحجة وحسن الدعوة مخاطبة الناس بلغاتهم، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[3] قال الشيخ السعدي «هذا من لطفه بعباده أنه ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم ما يحتاجون إليه ويتمكنون من تعلم ما أتى به».

ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله[4].

وبناء عليه كانت بداية البث التجريبي الموجه لحجاج بيت الله الحرام يتضمن اللغتين الأندونيسية والأردية إلى جانب العربية وذلك لكثرة المتكلمين بها من الحجاج.

---

(١) مجلة الفن الإذاعي ــ العدد ١٠٤ يناير ١٩٨٥/ ص٣٧.

(٢) محمد معوض نصر، الإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٨٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج ٤/ ص ١٢٣.

ملامح السياسة الإذاعية السعودية في عهد الملك عبد العزيز:

تعد الإذاعة السعودية من أحدث وسائل الاتصال وأهمها في عهد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ منذ بدأت في ذي الحجة سنة ١٣٦٨ هـ. وكان هدفها بث البرامج الدينية والثقافية باللغة العربية للناطقين بها. وبذلك كانت أول إسهام إعلامي لخدمة الدعوة في المنطقة. «وتعتبر السياسة الإذاعية السعودية في ذلك الوقت جزءاً من السياسة العامة للمملكة، والتي تنبثق من الإسلام وتلتزم به، وتستمد معانيها من شريعته، وتستند في قوتها ومتانتها إلى الفكر الإسلامي الواعي والضمير الإنساني اليقظ»[١].

فالإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز نشأت في ظل نظام يحترم العقيدة الإسلامية ويرتبط بها، ولذلك ــ كما أشرنا سابقاً ــ أكد المرسوم الملكي الذي أصدره الملك عبد العزيز والخاص بتأسيس أول نظام إذاعي في المملكة، على ضرورة تمحيص وتدقيق ما يذاع حتى يكون متماشياً مع ما جاء في كتاب الله، ومع المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهو سنة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فلقد أسست الإذاعة السعودية على الالتزام بالشريعة الإسلامية التي تدين بها الأمة وبكل ما يصدر عنها ويحافظ على عقيدتها، وعلى

(١) من كلمة الأمير نايف بن عبد العزيز في تقديم لكتاب السياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية الصادر من وزارة الإعلام بالمملكة.

أن تستبعد من مضمون برامجها كل ما يناقض شريعة الله التي شرعها للناس كافة[1].

وما زالت إذاعة القرآن الكريم سائرة على هذا المنهج وقائمة بدور كبير في الدعوة في المملكة السعودية خاصة وفي بلدان المسلمين عامة، كما أن هناك بعض البرامج الإسلامية التي لها أثر واضح في الدعوة مثل برنامج نور على الدرب الذي يتولى فيه العلماء الإجابة عن أسئلة المستمعين التي ترد من مختلف بلدان العالم وقد سمعت سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز يثني على أثر هذا البرنامج في الدعوة[2].

ولا ننسى أن الإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز عملت على مناهضة كافة التيارات الهدامة، والاتجاهات الإلحادية، والفلسفات المعادية التي نشطت من أجل صرف المسلمين عن عقيدتهم، حيث كانت الإذاعة تكشف زيف هذه التيارات على أساس أن ذلك من القواعد التي وردت في المرسوم الملكي الخاص بتأسيس الإذاعة السعودية.

فقد أكد المرسوم الصادر بهذا الشأن على إذاعة المواعظ الدينية والمحاضرات التاريخية عن الإسلام، والعرب مؤكداً على أهمية التراث والحاجة إلى إحيائه[3].

---

(١) انظر محمد نصر، الإذاعة السعودية في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٩٠.

(٢) في لقاء بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في منزله بالرياض بعد صلاة المغرب من يوم ١٢/ ١/ ١٤١٠ هـ.

(٣) السياسة الإعلامية في المملكة العربية السعودية ص ١٧/ صادر عن =

والحقيقة أن الرجوع إلى هذا المرسوم يعطي انطباعات عن الصبغة الإسلامية التي أحاطت بجميع بنوده حيث نص[1] بخصوص نشر الأخبار على ملاحظة عدم شتم أحد أو التعريض بأحد أو المدح الذي لا محل له وكلها آداب حث عليها الشرع الحكيم.

أما دور الإذاعة السعودية في مجال نشر الثقافة الأدبية فإن الإذاعة في عهد الملك عبد العزيز قد وضعت للأدب أهدافاً تتماشى مع ما تدين به الأمة لذلك حرصت الإذاعة على أن يكون الأدب المذاع ــ شعراً كان أم نثراً ــ يدعم القيم الروحية ويعمقها في النفوس ويبصر بالقيم الفاضلة والسلوك الصحيح وتعريف الناس بمقومات المجتمع السعودي وأهدافه وما يجب أن يسود فيه من قيم وصفات اجتماعية إسلامية لتحقق الالفة والتجاوب بين أفراد هذا المجتمع.

كما كان للإذاعة السعودية دور كبير في تعريف المسلمين بأنهم جزء من الأمة العربية الإسلامية تربط بينهم عقيدة التوحيد والدين الإسلامي واللغة العربية والقيم المشتركة كما تتيح الإذاعة السعودية من خلال برامجها تمكين المستمع من الحكم على كثير من الأمور بمنظور إسلامي صحيح وذلك بفضل مراعاة الإذاعة في جميع برامجها للقيم والمثل الإسلامية كما كان للإذاعة السعودية دور كبير في نشر الأمن وضبط المجتمع عن طريق بثها للأخبار والحوادث الداخلية من قتل وسرقة وإقامة الحدود وتطبيق الشريعة الإسلامية مما ساعد على

= المجلس الأعلى للإعلام، طبع وزارة الإعلام.

(١) الملاحظة أ، ب من المرسوم.

تثبيت القواعد الأخلاقية والوقوف أمام مظاهر الانحراف والتسيب بالمرصاد لمواجهة السلوكيات الخارجة عن أحكام الشريعة.

كما أسهمت الإذاعة السعودية الإسلامية في الانتقال بالمجتمع من الحياة التقليدية إلى الحياة العصرية التي تزايد فيها إسهام الأفراد في البناء، فعملت الإذاعة على توظيف الجهود من أجل الصالح العام لتحقيق حاجات المجتمع وأهدافه، وهذا تطلب من الإذاعة تزويد الأفراد بالمعلومات والمعارف التي تواكب عملية التنمية، وذلك باعتبار أن الإنسان هو الخليفة المسؤول بين جميع خلق الله، ومكانه في أشرف مكان بين المخلوقات.

وهكذا كان للإذاعة في عهد الملك عبد العزيز إسهامات كبيرة في الدعوة إلى الله، وذلك باعتبارها أسهل وأسرع الوسائل الإعلامية في نشر الدعوة، محطمة كل قيود العزلة والمسافات، وبقدرتها على تحريك النفوس بسرعة تفوق العديد من الوسائل الدعوية الأخرى.

وهكذا أسس الملك عبد العزيز الإذاعة السعودية لتكون وسيلة من الوسائل الهامة الداعية إلى الله في عهده الذي كانت الشريعة الإسلامية والعقيدة السلفية هدف الدعوة فيه (ثم أخذت الحكومة تمد في برامج الإذاعة وتقوي من أجهزتها ليتسع انتشارها، وما زالت بها بعد وفاته ــ رحمه الله ــ حتى صارت من أقوى المحطات العربية، وصارت تسمع في أنحاء آسية وافريقية، بل سائر العالم، وصارت

برامجها تغطي أكثر ساعات اليوم والليلة[1].

□□□

(١) أ. د محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث تاريخ ودراسات ــ الطبعة الخامسة سنة ١٤١١هـ، ج ٢/ص٣٩.

المطلب الثالث

طباعة الكتب الإسلامية ونشرها

الكتب من الوسائل الإعلامية المهمة التي أسهمت في حفظ التراث وتسجيل الأحداث وتدوين جميع جوانب الحياة لمختلف المجتمعات.

وقد أنزل الله ـ عز وجل ـ الكتب على رسله عليهم السلام تتضمن دستوراً ونوراً لحياة أممهم، والقرآن الكريم كتاب الله الخالد ومعجزة الإسلام الخالدة كان وسيبقى المصدر الأول لجميع وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله فهو المنهج المستقيم لجميع أمور الحياة.

وقد كثرت المؤلفات الإسلامية في شتى العلوم، من تفسير وحديث وأصول وفقه وتاريخ وطب وغيرها، وما زالت الألوف من المخطوطات في كثير من مكتبات العلم تنتظر التحقيق والتوثيق لترى النور.

وقد كانت هذه الكتب وسائل إعلامية مهمة، أفادت الغرب في بناء حضارته الحديثة على كثير من علوم المسلمين النظرية والتجريبية، كما كانت دليلاً ساطعاً لما وصل إليه المسلمون من حضارة فائقة.

والكلمة المطبوعة في الغالب تمتاز بوضوح المقاصد والأهداف والتفكير وتقليب وجوه الرأي في البحث قبل نشره؛ وهو ما لا يكون غالباً في الوسائل الإذاعية ولذلك فإنها تكون أكثر تثبيتاً وتركيزاً،

وأفضل مجالاً للإقناع، كما أنها أقدر على الاحتفاظ بالمعلومات.

والدعوة الإسلامية كانت وما زالت في حاجة إلى الكتاب الذي يبرز جوانب الإسلام المتعددة، المتعلقة بالعقائد والتشريعات والأخلاق وحكم الإسلام فيما يستجد من أمور الحياة وبيان أسباب تأخر المسلمين وسبيل النهوض بهم ومما يزيد من تأثير وفعالية هذه الكتب أن تترجم إلى اللغات العالمية وتوزع في كافة أنحاء العالم(١).

ونظراً لأهمية الكتب والمخطوطات في نشر الدعوة، فقد اتجه الملك عبد العزيز إلى طبع نفائس من كتب التراث المخطوطة ومن كتب العلم المهمة، مما يتصل بالدعوة وكذلك الكتب الأدبية وغيرها مما يجد في طباعته ونشره خدمة للدعوة السلفية أو تشجيع المؤلفين والناشرين.

أما سياسة الملك عبد العزيز في طبع الكتب والمخطوطات فإنه كان يأخذ بما يشير به عليه العلماء، وكذلك كانت الكتب التي أسهم في طبعها تضم كتب الدعوة المعتمدة، والتفاسير المعتبرة، وكتباً في الحديث، والفقه الإسلامي في موسوعاته الكبرى، وكتباً تاريخية عظيمة الفائدة، وكتباً في الأدب ودواوين بعض الشعراء.

ولم تقتصر جهوده في النشر على الكتب العربية وحدها، بل إن هناك كتباً نشرها باللغة الجاوية والهندية لتعميم نشر الدعوة في الأقطار الإسلامية.

---

(١) انظر محمد خير رمضان، الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، ص ٣٣.

لقد أراد الملك عبد العزيز أن ينشر الدعوة إلى الدين الخالص في سائر الأمصار، فاستشار العلماء في خير الكتب التي ينبغي نشرها بين الناس، ليعمل جهده في توفيرها، فذكروا له الكتب التي تبين حقيقة التوحيد، منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع، فاشترى من المطبوع مئات الكتب أو الآلاف، وما لم يطبع منها أمر بطبعه وتوزيعه[1].

ويمكن لنا من خلال هذا البحث أن ندرك الهدف من طبع هذه الكتب وتوزيعها، وهو رغبة الملك عبد العزيز في تعميم الدعوة السلفية، وفي إتاحة كتب الفقه وغيرها لطلاب العلم.

ولما كانت المطابع من أهم الوسائل التي تقوم عليها دعامة نشر العلم وتعميمه فإن الملك عبد العزيز حرص على أن تكون هناك مطبعة حكومية، تقوم إلى جانب طباعة ما يلزم للحكومة، طباعة كتب أخرى نافعة. وقد طبعت مجموعة كتب إسلامية في هذه المطبعة.

إلا أنه على الرغم من حرص الملك عبد العزيز على هذه الناحية فإن تقدم الطباعة كان بطيئاً لا يتناسب مع نواحي الأنشطة الأخرى في الدولة، وظلت الطباعة منزوية على الشاطىء الغربي من شبه الجزيرة.

كانت في مكة مطبعة حكومية هرمة من بقايا العهد العثماني وجدد إنشاؤها في عهد الملك عبد العزيز، إلى جانب بضع مطابع أهلية صغيرة اشترتها الحكومة السعودية وضمتها إلى الأولى، وسمتها جميعاً: مطبعة أم القرى.

---

(١) جريدة أم القرى بعددها رقم (٢١٩) الصادر في ١٣٤٧/١٠/٢٧ هـ.

وكانت هناك مطبعة أنشأها الشيخ ماجد الكردي سنة ١٣٢٧ هـ.

وأنشىء في عهد الملك عبد العزيز بمكة ثلاث مطابع، وفي جدة المطبعة الشرقية، ومطبعة الفتح ومطبعة الشركة العربية وفي المدينة مطبعة واحدة اشتريت من مصر سنة ١٣٥٥ هـ[١].

ويبدو أن هذه المطابع لم تكن لتسعف الرغبة الدعوية لدى الملك عبد العزيز في نشر العديد من كتب التراث والدعوة وسائر العلوم، خاصة أنه قام بتمويل طباعة كتب كبيرة من أمهات كتب الفقه والتاريخ.

وهنا يتضح السر في اتجاه الملك عبد العزيز إلى الهند والشام ومصر لنشر العديد من كتب السنة والفقه الإسلامي والتاريخ «تلك الكتب التي ما كان يكتب لها النشر لولا رعايته ــ رحمه الله ــ وعنايته»[٢].

والجدير بالذكر أن جهود الملك عبد العزيز في مجال الكتب اتخذت ثلاثة مسارات:

(أ) تمويل طباعة الكتب.

(ب) تدعيم ناشري الكتب مادياً قبل الطبع وبعده.

(ج) شراء كميات من الكتب بقصد التوزيع والتشجيع.

وإذا أردنا أن نتعرف على أهم الكتب والمخطوطات التي أسهم الملك عبد العزيز في طباعتها، فسنجد أن بعض المؤلفين قد تعرض

---

(١) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ٣٣٥.

(٢) حافظ وهبة، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ٤٢.

لها بشيء من الاختصار[1] كما أن وزارة المعارف قد وضعت دليلاً للكتب التي قام الملك عبد العزيز بطباعتها على نفقته الخاصة أسمته (دليل المؤلفات السعودية)[2] وهذا الدليل قد أورد بياناً باثنين وسبعين كتاباً، تمثل بعض ما نشره الملك عبد العزيز وليس كلها.

هناك كتباً فات هذا الدليل ذكرها وفيها ما يشير إلى أن الكتاب طبع على نفقة الملك عبد العزيز.

وقد أورد الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في بحثه عن (عناية الملك عبد العزيز بطبع الكتاب)[3] ملحقاً بالكتب التي طبعت على نفقته، تضمن ثمانية وتسعين عنواناً، مع ملاحظة أن بعض هذه الكتب عبارة عن مجموعة رسائل[4].

والآن وقبل أن نطالع ــ باختصار ــ أهم الكتب التي حرص الملك عبد العزيز على طباعتها لتكون في متناول الدعاة وطلاب العلم في مختلف البلدان الإسلامية فسوف نشير إلى البلدان التي اتجه الملك عبد العزيز للطباعة فيها.

(أ) الطباعة في الهند:

إن عناية الإمام عبد العزيز ــ رحمه الله ــ بنشر الكتب المتعلقة

---

(١) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ٣٣٨.

(٢) أصدرت وزارة المعارف هذا الدليل سنة ١٣٨٤ هـ وأطلق على هذا المبحث (عنايته بكتب السلف).

(٣) من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز سنة ١٤٠٦ هـ، ص ٦.

(٤) مثل (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) مجموعة خمس رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها.

بإيضاح الدعوة السلفية والرد على معارضيها بدأ في عهد مبكر من حكمه، حين كانت صلة نجد بالهند أقوى من صلتها بغيرها من البلاد التي توجد بها مطابع، ولذلك كانت أولى مطبوعاته تطبع في الهند، حيث طبع كتاب (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام)[1] طبع في بمباي سنة ١٣٣٢ هـ، كذلك ديوان الشيخ سليمان بن سحمان المسمى (الجواهر المنضدة الحسان) ومجموعة كتب من تأليف الشيخ سليمان بن سحمان في الرد على أناس عارضوا الدعوة[2].

وهكذا نرى أن الملك عبد العزيز بدأ بطباعة الكتب في الهند قبل اتجاهه إلى الطباعة في مصر.

(ب) الطباعة في مصر:

في سنة ١٣٤٠ هـ بدأ الملك عبد العزيز بطبع الكتب في القاهرة على نفقته في مطبعة المنار، واستمر ذلك مدة طويلة، تم خلالها طبع مجموعة من أشهر المؤلفات، كتفسير ابن جرير، وتفسير البغوي، وكتاب المغني في الفقه، والشرح الكبير، وكتب أخرى في الحديث والتوحيد والفتاوي والآداب الشرعية وكذلك كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير في التاريخ.

وعندما توفي الشيخ محمد رشيد رضا ــ رحمه الله ــ سنة ١٣٥٤ هـ الموافق ١٩٣٥ م كانت (مطبعة المنار) قد طبعت العديد من الكتب على نفقة الملك عبد العزيز، ثم انتقلت الطباعة إلى مطبعة

---

(١) المعروف بتاريخ ابن غنام.

(٢) من حديث للشيخ حمد الجاسر عن الكتب التي طبعها الملك عبد العزيز انظر (عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب/ عبد العزيز الرفاعي ص ١٠).

(أنصار السنة)، حيث قام الشيخ محمد حامد الفقي تلميذ الشيخ رضا بطبع العديد من الكتب السلفية على نفقة الملك عبد العزيز، وكذلك قامت المطبعة السلفية بطبع العديد من الكتب بإشراف محب الدين الخطيب.

لقد كان لمطبعة المنار، لصاحبها الشيخ رشيد رضا أكبر الأثر في نشر كتب العقيدة، والفقه الحنبلي حيث طبعت نوادر الكتب لعلماء أجلاء، وأن أكثرها، وأهمها ما أمر بطباعته الملك عبد العزيز قبل بلوغه مكة، وقد بدأ في عام ١٣٤١ هـ بطبع كتاب (المغني) للموفق ابن قدامة، و (الشرح الكبير) لعبد الرحمن بن قدامة[١].

يقول الشيخ رشيد رضا:

«إذا يسر الله تعالى لكتاب المغني من يطبعه، فأنا أموت آمناً على الفقه الإسلامي أن لا يموت. ثم ما زلت أفكر في السعي لطبعه إلى أن هداني الله تعالى إلى تبليغ أمنيتي هذه إلى السلطان عبد العزيز، إمام نجد وملحقاتها، فبلغت عنه أولاً أنه أيد الله تعالى به العلم، والدين، وأعز بسيفه الإسلام والمسلمين، عازم على طبع هذا الكتاب، مع كتب أخرى لإحياء العلم، وتوسيع نطاقه في بلاده، ثم خاطبني هو آخراً في طبعه، مع كتاب الشرح الكبير، وطبع تفسيري ابن جرير وابن كثير، وكتب أخرى من كتب السنة، والفقه»[٢] وكان طبع كتاب المغني، قد تزامن مع طبع مجموعة أخرى من الكتب،

---

(١) حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة ـ بحث للدكتور أحمد الضبيب ـ مجلة دارة الملك عبد العزيز السنة الأولى العدد الأول بتصرف.

(٢) مقدمة كتاب المغني لابن قدامة المقدسي ـ مطبعة المنار.

كمجموعة الحديث، وتفسير ابن كثير.

(ج) الطباعة في الشام:

امتدت عناية الملك عبد العزيز بطبع الكتب إلى الشام؛ حيث قام بطبع بعض الكتب لدى مطبعة (الترقي) بدمشق، منها كتاب (روضة المحبين، ونزهة المشتاقين) للإمام ابن قيم الجوزية، وكتب على غلاف هذا الكتاب (من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ملك نجد، والحجاز)[١].

(أ) أما أهم الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز مما اطلعت على نسخه الأصلية في المكتبات فهي:

في التفسير: تفسير القرآن الكريم للإمامين ابن كثير والبغوي[٢].

في التاريخ: البداية والنهاية لابن كثير[٣].

طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى[٤].

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب[٥].

---

(١) صحح الكتاب وعلق عليه الأستاذ أحمد عبيد.

(٢) تفسير القرآن الكريم للإمامين ابن كثير والبغوي، طبع على نفقة الملك عبد العزيز، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٥ هـ في تسعة أجزاء.

(٣) البداية والنهاية، طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥١ هـ على نفقة الملك عبد العزيز في أربعة عشر جزءاً.

(٤) طبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى طبع على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٧٠ هـ بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة بتصحيح الشيخ محمد حامد الفقي في جزءين.

(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، طبع على نفقة الملك عبد العزيز سنة

مختصر طبقات الحنابلة لشمس الدين النابلسي[1].

روضة الأفكار (تاريخ ابن غنام)[2].

في الفتاوي: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لجماعة من علماء نجد[3].

الدرر السنية في الأجوبة النجدية لجماعة من علماء نجد[4].

في الفقه وأصوله: المغني والشرح الكبير لابن قدامة المقدسي[5].

روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه الحنبلي لابن قدامة وشرحها للشيخ عبد القادر بدران

= ١٣٧٢ هـ بمطبعة السنة المحمدية في القاهرة بتصحيح الشيخ محمد الفقي في جزءين.

(١) مختصر طبقات الحنابلة للنابلسي، طبع على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٥٠ هـ بمطبعة الاعتدال ومطبعة الترقي بدمشق في جزء واحد.

(٢) طبع في بمبي بالهند سنة ١٣٣٢ هـ.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، طبعت الطبعة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٦ هـ بمطبعة المنار في مصر في أربعة أجزاء وأشرف على طبعها وتصحيحها الشيخ محمد رشيد رضا.

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وطبعها الملك عبد العزيز الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة في ثمانية أجزاء.

(٥) المغني والشرح الكبير، طبع الطبعة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٥ هـ في مطبعة المنار بمصر بإشراف وتعليق الشيخ محمد رشيد رضا.

المسمى نزهة الخاطر العاطر[1].

التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح للشويكي[2].

مناسك الحج على المذاهب الأربعة[3].

في الحديث: كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل[4].

جامع الأصول لابن الأثير[5].

شرح تهذيب سنن أبي داود لابن القيم.

معالم السنن للخطابي.

مختصر السنن للمنذري[6].

---

(١) روضة الناظر وجنة المناظر ومعها شرحها نزهة الخاطر العاطر لعبد القادر بن بدران، طبع على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٢ هـ بالمطبعة السلفية في مصر بإشراف الشيخ محب الدين الخطيب.

(٢) التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح للشويكي، طبع الطبعة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٧١ هـ بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

(٣) مناسك الحج على المذاهب الأربعة، طبع على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٦٦ هـ بمطبعة دار إحياء الكتب العربية مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة.

(٤) كتاب السنة تأليف عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، طبع على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٩ هـ في المطبعة السلفية بمكة المكرمة بتحقيق لجنة من العلماء برئاسة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ في ثلاثة أجزاء.

(٥) جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ تأليف ابن الأثير طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ هـ على نفقة الملك عبد العزيز بتحقيق محمد حامد الفقي في اثنا عشر مجلداً.

(٦) شرح وتهذيب سنن أبي داود لابن القيم، معالم السنن للخطابي، مختصر السنن للمنذري.

هذه الثلاثة كتب طبعت مجتمعة وذكر الزركلي (الوجيز ص ٣٣٨) أن =

في الآدب: الآداب الشرعية لشمس الدين ابن مفلح[(١)].

روضة المحبين لابن قيم الجوزية[(٢)].

في التوحيد: التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة[(٣)].

مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين[(٤)].

في العقيدة: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية للشيخ ابن أبي العز الحنفي[(٥)].

= الملك عبد العزيز أمر بطباعتها والطبعة التي اطلعت عليها طبعت سنة ١٣٦٧ هـ بمطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة على نفقة الأمير سعود بن الملك عبد العزيز وحققها أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي.

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح، طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٤٩ هـ وقد اعتمد في طبعه على عدة نسخ خطية منها نسخة أوقفها الإمام عبد الرحمن الفيصل وأخرى أوقفها الإمام عبد الله الفيصل.

(٢) روضة المحبين لابن قيم الجوزية، طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٩ هـ على نفقة الملك عبد العزيز بتصحيح أحمد عبيد.

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة، طبع الطبعة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٥٣ هـ في المطبعة المنيرية بالقاهرة في مجلد واحد وصححه وعلق عليه الشيخ محمد منير آغا الدمشقي.

(٤) مجموعة التوحيد النجدية، طبع الطبعة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٦ هـ بمطبعة المنار بمصر وأشرف على طبعها وتصحيحها الشيخ محمد رشيد رضا.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، طبع الطبعة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٩ هـ في المطبعة السلفية بمكة الكرمة بتصحيح لجنة من العلماء برئاسة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ.

مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية[١].

هذه بعض من الكتب التي اطلعت عليها والتي بذل الملك عبد العزيز رحمه الله مصاريف طباعتها أوردتها كأمثلة على العشرات من الكتب والتي انتفع بها طلبة العلم الدعاة في ذلك الوقت وكانت خير زاد لهم في الدعوة وبخاصة إذا عرفنا قلة الكتب في ذلك الوقت وكان أكثرها خطية وكان طلبة العلم ممن لم تصل لهم نسخة من كتاب يقوم باستعارة ونسخ ما يصل إلى أيديهم من الكتب فإذا حصلوا على نسخة حرصوا على قراءتها على أحد العلماء[٢]، كما أن نشر كتب التوحيد والعقيدة ساعد على تعريف الكثير من المسلمين بالعقيدة الإسلامية الصحيحة بعد أن كانت كتب السلف محاربة ويشاع ضد أصحابها الافتراءات لتنفير الناس منها.

كما سار على سنته الحسنة في طباعة الكتب مجموعة من الفضلاء نورد أسماء بعضهم:

معارج الألباب/ لحسين النعبي، طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ هـ في مطبعة السنة المحمدية على نفقة الأمير سعود بن الملك عبد العزيز بتحقيق محمد حامد الفقي.

موافقة صحيح المنقول لصحيح المعقول لابن تيمية، طبع سنة

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، طبع على نفقة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٨ هـ في المطبعة السلفية بمكة المكرمة في جزءين.

(٢) إتحاف اللبيب، ص ١٥.

١٣٦٩ هـ بمطبعة السنة المحمدية في القاهرة في جزءين على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز.

مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ في بمبي بالهند المطبعة المصطفوية على نفقة عبد المحسن بن محمد بن مرشد.

كما طبع سنة ١٣٣٥ هـ في المطبعة المصطفوية في بمبي بالهند باهتمام الشيخ علي محمد بن حسين مجموع من مؤلفات الشيخ سليمان بن سحمان يحتوي على:

(أ) الصواعق المرسلة الشهابية.

(ب) تبرئة الشيخين الإمامين.

(ج) كشف الشبهات في الرد على البغدادي.

(د) الجهر بالذكر بعد الصلاة.

تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧ هـ بمطبعة الترقي الماجدية بمكة على نفقة مالكها محمد ماجد الكردي.

كتاب الفصول في اختصار سيرة الرسول لابن كثير، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧ هـ بمطبعة العلوم بمصر على نفقة إبراهيم الشوري وأحمد مظهر.

المحرر في الفقه لمجد الدين ابن تيمية، طبع سنة ١٣٦٩ هـ بمطبعة السنة المحمدية في القاهرة في جزءين على نفقة الأمير سعود بن عبد العزيز.

كتاب الشريعة للآجري، طبع بتحقيق محمد حامد الفقي في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ هـ على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز.

الروض المربع في شرح زاد المستنقع تأليف الشيخ منصور البهوتي وحاشيته للشيخ عبد الله العنقري، طبع سنة ١٣٧٠ هـ بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز.

أحكام الأحكام لابن دقيق العيد، طبع سنة ١٣٧٢ هـ بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة بتحقيق محمد حامد الفقي في جزءين على نفقة المعهد العلمي السعودي بالرياض.

(ب) أما عن مساعدته لناشري الكتب فإن لدينا عشرات من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب أمر الملك عبد العزيز بشراء مجموعات منها لتوزيعها مجاناً على طلبة العلم في مختلف الأمصار، ذكر الزركلي منها على سبيل المثال:

التفسير: تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا.
تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الحديث: الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل لعبد الرحمن البنا.
السنن الكبرى للبيهقي.
مسند الإمام أحمد.
جامع الترمذي وشرحه تحفة الأحوذي.
المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.
فيض الباري على صحيح البخاري للكشميري.

نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي .

التاريخ: أخبار مكة للأزرقي .

عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر .

الاجتماع: حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان .

الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء .

الفقه: كشاف القناع للبهوتي .

شرح منتهى الإرادات .

زاد المستقنع لشرف الدين الحجاوي .

عمدة الفقه لموفق الدين ابن قدامة .

المناقب: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي .

العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي .

متفرقات: الفروسية لابن قيم الجوزية .

تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي[1] .

ومن هذا العرض للكتب التي طبعها الملك عبد العزيز على نفقته، أو ساعد ناشريها على إخراجها لطلاب العلم، تتأكد لنا أهمية هذه الوسيلة (الطباعة) في الدعوة، كما يتأكد لنا حرص الملك عبد العزيز (رحمه الله) على نشر العلم وتعميمه، وتولي مهمة إحياء

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز للزركلي ص ٣٣٩ ص ٣٤٠ ويمكن الرجوع لبقية الكتب التي طبعها الملك على نفقته أو ساعد على نشرها إلى بحث الأستاذ عبد العزيز الرفاعي (عناية الملك عبد العزيز بطباعة الكتب) .

العديد من المخطوطات التي تنفع المسلمين في سائر الأمصار، حيث إنها جميعها تخدم العقيدة الإسلامية ومن ثم كان لها الأثر الكبير في نشـر الـدعـوة السلفيـة فـي مختلـف البلـدان، وبخـاصـة وأن هـذه المطبوعات تضمنت العديد من الكتب التي تذب عن الدعوة الإسلامية والعقيدة الإسلامية النقية وترد على المشككين فيها ولا شك أن الملك عبد العزيز ـ إن شاء الله ـ بهذه الجهود ثواب الألوف من النسخ التي يوزعها على طلبة العلم مجاناً منها ما ينفعهم في دينهم ودنياهم نظراً لما لهذه المطبوعات المختارة من عظيم الفائدة حيث أكدت حقيقة هامة هي أن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كانت له رغبة قوية في تعميم الدعوة السلفية الإسلامية ونشر العقيدة الصحيحة والإسلام الصحيـح بيـن المسلميـن وممـا لا شـك فيـه أن فـي نشـر هـذا التـراث الإسلامي العظيم خدمة للدعوة الإسلامية، ونشراً للثقافة والوعي الإسلاميين، وهي وسائل كانت المملكة العربية السعودية الموحدة على يد الملك عبد العزيز في حاجة ماسة إليها لتنطلق للقيام بدورها العالمي في الدعوة الإسلامية.

□□□

[illegible]

[illegible]

الدعوة في عهد

الملك عبد العزيز

رحمه الله

٢

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

٢١٨/٥
٨
ش ن ح

٧ رمضان ١٤٢٩

الدعوة في عهد
الملك عبد العزيز

٢٣
٤١٢
١٠٠--٩٨ ك

رحمه الله

الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
وكالة الرئاسة لشؤون المسجد النبوي الشريف
مكتبة المسجد النبوي الشريف
رقم الكتاب: ٢٢٢٧
تاريخ التسجيل: ٢٢ / ١٧ / ١٤٢٧هـ ج

ح / ١

تأليف

الدكتور محمد بن ناصر الشثري

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني

أساليب الدعوة في عهد الملك عبد العزيز

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الدعوة بالأساليب العملية.

المبحث الثاني: الدعوة بالأساليب القولية.

المبحث الأول

الدعوة بالأساليب العملية

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: القدوة الحسنة.

المطلب الثاني: الحكمة.

المطلب الأول

القـدوة الحسنـة

القدوة من الاقتداء والمحاكاة، وهو شيء فطري في الإنسان، فالطفل يقتدي بما يراه من سلوك، ويقوم بتقليده بشكل تلقائي فطري ويتخذ من والديه ومن يكبره من إخوته قدوة يقتدي بهم.

ولخطورة هذا التأثير والتأثر الشعوري واللاشعوري بالوسط الذي يعيش فيه الإنسان، حذر رسول الله ﷺ من مجالسة الأشرار خشية التأثر بهم، وذلك فيما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك أو تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة»[1].

ولغريزة التقليد أثر فعال في ميدان الإعلام وميدان التربية والتعليم على السواء[2].

وفي القرآن الكريم آيات عديدة توجه أنظار رسول الله ﷺ إلى

---

(١) رواه مسلم (ج ٨/ ٣٨) كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين.

(٢) عبد الله سعد الضياف، القدوة الحسنة، ص ٢١٦.

الاقتداء، بمن سبقه من الرسل مثل قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾[1] ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾[2].

ويضرب لنا النبي ﷺ القدوة المثلى في أهم المواقف وأكثرها علاقة بحياة الإنسان ومصيره، وهي الصبر والجهاد وبذل النفس، فإذا كان أثمن ما يملكه الإنسان في هذه الحياة هي نفسه، فإن التضحية بها على النحو الذي أثنى الله به على رسوله ﷺ بالاقتداء به، تعتبر قمة القدوة وهو عليه الصلاة والسلام قدوة لنا في جميع شؤون الحياة قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[3].

يقول ابن كثير «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل إلى يوم الدين. ولهذا قال للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي: فهلا اقتديتم وتأسيتم بشمائله ﷺ ولهذا قال: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[4].

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٤) تفسير ابن كثير، ج ٣/ ٤٧٤.

ومعروف أن القدوة الحسنة تقدم واقعاً عملياً يغني عن الكثير من أساليب التبليغ والتأثير المختلفة، كما تقدم أسلوباً مغايراً للأساليب الحديثة والقديمة. وفوق اختلافها في الأسلوب فإنها تختلف فيما هو أهم من الأسلوب وهو الهدف من الإعلام الذي يتمثل في هداية الناس لطريق الحق والخير في الدنيا والآخرة، باتباع أمر الله في كل شيء.

وقد كان رسول الله ﷺ يقدم تعاليمه في الواقع المعاش، ليتطابق الامتثال وتحصل القدوة المطلوبة. ومن ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح، فصام حتى بلغ، كراع الغميم[1] فصام الناس. فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإن الناس ينظرون ما فعلت، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعضهم وصام بعضهم، فبلغه أن ناساً صاموا فقال: أولئك العصاة»[2].

والنفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا يوافق فعله قوله[3].

قال الله تعالى حكاية عن شعيب: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله﴾[4].

---

(١) كراع الغميم: موضع على بعد ثلاثة أميال من عسفان.

(٢) أخرجه مسلم (ج ٤/ ١٤١، ١٤٢) كتاب الصوم.

(٣) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٦٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٨٨.

وقد أودع الله في الرسالة الخاتمة كل أسباب الانتشار ووسائل التبليغ، وفيها الأسوة الحسنة التي تظهر أهميتها الخاصة بكونها تنطق حين تسكت كل وسائل الإعلام الأخرى وذلك مثل عند تعذر تبليغ دعوة الإسلام بين أقوام تختلف لغتهم عن لغة الداعي، ففي هذه الحالة تعتبر الأفعال مغنية عن الأقوال، ويكون الاقتداء والتقليد مكان التلقين والتعليم، في الأخلاق والنماذج السلوكية.

وإذن فالداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثال حي متحرك للمبادىء التي يعتنقها[1]. ولقد جرت العادة أن أغلب الناس يقلد من فوقه وكما قيل: إن الناس على دين ملوكهم يتبعونهم في الخير والشر. قال تعالى: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾[2].

والناس مولعون بتقليد القادة والكبراء. وكذلك أصحاب القلوب الكبيرة الذين لهم من المكانة العالية والمنزلة الرفيعة ما يبعث على الإعجاب بهم والركون إليهم.

هذا إذا كان في الشر وهو مخالف للفطرة، فكيف إذا كان السادة والكبراء على الخير الموافق للفطرة؟ فهم أحرى بالاتباع والاقتداء.

ومما عرف عن الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ أنه كان قدوة حسنة في أفعاله أكثر تأثيراً منه حال كونه متكلماً بليغاً محيطاً بنواحي

---

(١) محمد الغزالي/ دراسات في الدعوة والدعاة، ص ٢٩٧، طبعة القاهرة ١٤٠١ هـ.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

البيان المشرق أو الديباجة المؤثرة، ويظهر ذلك في حرصه رحمه الله على إقامة الواجبات الشرعية وسياق برنامجه اليومي ويظهر ذلك بما يأتي:

حرص الملك عبد العزيز على إقامة الواجبات:

وتعتبر الخطوة الأولى من المنهج القويم لدى الملك عبد العزيز هي حرصه على توجيه الناس إلى العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص لله عز وجل علماً وعملاً، وحيث إنه قدوة صالحة في خاصة نفسه، ملتزم بمنهج السلف الصالح في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يدعو غير الله، ولا يسأل غير الله، ولا يشرع ما لم يأذن به الله، وليس له منهج يطبقه على نفسه وآخر يلزم به الأمة.

فالتوحيد هو القاعدة الرئيسة في حياة جميع المسلمين، وبما أن الملك عبد العزيز كان يقيم قلبه وفكره على توحيد الله، فقد كان يطلب ممن يلي أمرهم بالتزام المنهج نفسه، فلا ينفرد بأسباب التقرب إلى الله دون شعبه. ومن محبته للتوحيد والإخلاص اختيار الشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) شعاراً لرايته وعلماً لمملكته[١].

وقد عزم على تطهير الجزيرة من كل عرف فاسد أو تقليد أو عادة أو خرافة تفسد على الناس توحيدهم الخالص.

وهذه كانت طريقته في الانتصار للعقيدة، وهي طريقة

---

(١) انظر الدكتور عبد الله التركي/ الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٣٧ مرجع سابق.

لا يستخدمها إلا داعية موحد صادق العقيدة ملتزم بها.

وقد كان الجد الأعلى للملك عبد العزيز وهو الإمام محمد بن سعود ــ رحمه الله ــ قد نفر لدعوة التوحيد، فكان في جهاده وانتصاره لدعوة التوحيد التوفيق والتمكين والشرف والعز والمجد لدولة آل سعود، وقد نجح رحمه الله في القضاء على الخرافات التي كانت قد انتشرت في أماكن الجزيرة ومعاقل التوحيد وحصونه[1].

وقد علم الملك عبد العزيز ذلك كله، فهداه الله إلى أن جعل التوحيد قضيته المنهجية الأولى ومما قاله الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ في هذا المجال مشيراً إلى جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب «هذه عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الذي أظهر الله به الدين في نجد، بعد أن كانوا في ضلال مبين، وقوم شرائع الدين بعدما وهنت أركانه بين العالمين في مراسلاته ومناصحاته ودعوة الخلق إلى دين الله ورسوله»[2].

وقال أيضاً ــ رحمه الله ــ «أنا داعية إلى عقيدة السلف الصالح»[3] «إنني والله لا أحب إلا من أحب لله حباً خالصاً من الشرك والبدع، ولا أعمل إلا لأجل ذلك»[4].

ومن أمثلة جوانبه السلوكية والعملية التي كان لها تأثيرها في

---

(١) انظر المرجع السابق ــ ٣٧، ٣٩.
(٢) الدرر السنية، ج ٧/ ٣٠٥.
(٣) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز/ ص ٢١٦.
(٤) عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد، ص ٣٦٦.

تحقيق القدوة الحسنة أيضاً حرصه رحمه الله على الصلاة جماعة في المسجد في أوقاتها.

وقد كان البرنامج اليومي للملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ يدور حول أوقات الصلاة التي تبدأ بصلاة الفجر وتنتهي بصلاة العشاء، وكانت أسفاره منظمة جداً، فقد كان ينطلق بعد ساعة ونصف من شروق الشمس، ويتوقف وقت الصلاة[١].

ويصلي الملك عبد العزيز علاوة على الفروض السنن الرواتب والنوافل. ويؤدي جميع الصلوات المكتوبة مع الجماعة، حيث ينهض من فراشه قبل الفجر بأكثر من ساعة، وبعد أن يوتر يشرع في تلاوة القرآن، أو القراءة في ورد خاص به مأثور ومكتوب بخط جلي واضح، إلى أن يؤذن المؤذن، فيصلي السنة، ثم يصلي الفجر جماعة[٢].

ثم ينام قليلاً، وحينما يستيقظ تعرض عليه الأعمال التي تحتاج إلى سرعة البت. ثم ينام قليلاً ويغتسل، ويخرج إلى المجلس الخاص به. فتعرض عليه مهام الحكومة. ولا تخلو مجالسه من سماع شكوى أو إسداء نصيحة.. وفي نهاية يومه، له مجلس عام يجلس فيه قارىء يقرأ من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب، ومن المشهور عن الملك عبد العزيز أنه يحافظ على برنامج عمله، لا يطرأ عليه تغيير[٣].

---

(١) محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٣١٥، مصدر سبق ذكره.
(٢) انظر فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٣٠.
(٣) المرجع السابق ــ ص ٣٤، ٣٥.

ويقرأ قبل المغرب في الغالب ورده المشار إليه، وبعد الانتهاء من كل صلاة يدعو الله قائلاً: ربي أجرني من النار، ويكررها ثم يقول: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير؛ ويكررها ثم يقول: رب اغفر لي ولوالدي[1].

ونستمع إلى كلام القريبين من الملك عبد العزيز عن تدينه وعبادته فيحدثنا الزركلي بقوله:

أخبرني أحد ضباط القصر الملكي، قال: رأيت الملك عبد العزيز في الهزيع الأخير من الليل، عند صلاة الفجر قائماً عند الكعبة ويدعو الله قائلاً: «اللهم إن كان هذا الملك خيراً لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي، وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني ومن أولادي»[2].

ويقول الشيخ صالح بن عبد الله السليمان[3]:

«ما عهدت عن الملك عبد العزيز إلا أنه رجل طيب، في الصلاة

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٣٠.

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ٣٣٤.

(٣) من أهل عرقة ولد سنة ١٣٢٤ هـ والتحق بالخدمة وهو في ريعان شبابه، حضر عدة مغاز، عمل على زكاة الأحساء وفي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
(كنت مع عبد العزيز/ المجلد الأول طبعة ١٤٠٨ هـ ــ الحرس الوطني.

يحض إخوانه[1] على الصلاة، وإذا شاف[2] الرديء في الصلاة قال أبعدوه عني. وهو حريص على شعبه، يحض الجميع على الصلاة والتوحيد، قائماً بالواجب، ويحض عياله[3] على الصلاة، وإذا شاف الذي فاتته الصلاة من عياله تكلم عليه، وأقامنا ونحن جالسون وقال: قوموا صلوا. قوموا صلوا»[4].

ويقول الشيخ عقيل بن فهد بن عبد الرحمن الخطيب[5]:

«كان الملك عبد العزيز يفرغ من صلاة الفجر ويلتفت يميناً ويساراً يتفقد المصلين، ويحصي من حضر ومن تخلف عن المسجد، وعندما يشك في غياب أحد من الرجال دون عذر، يرسل إليه واحداً من حرسه لإحضاره، ويسأله عن عذره، فإذا جاء بشيء مقنع أخلى سبيله، وإلا أمر الرجال بشد وثاقه وتوقيع العقوبة عليه، وبعد أن يستوفي منه الجزاء كان الملك عبد العزيز يلتفت إليه قائلاً يا ولدي الدنيا ليست بدار قرار فلا تتهاون في صلاتك ولا تتكاسل عنها، فالصلاة ركن الدين وصلة الإنسان برب العالمين، من ضيعها ضيعه الله وباء بغضبه ولعنته»[6].

---

(١) إخوانه: أي المسلمين.

(٢) شاف: رأى.

(٣) عياله: أولاده.

(٤) كنت مع عبد العزيز ـ ص ١٥٧، ١٥٨.

(٥) صاحب الملك عبد العزيز وعمره ١٣ أو ١٤ سنة، كنت مع عبد العزيز، ص ٣٠٥.

(٦) كنت مع عبد العزيز، ص ٣٠٥.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الله العبيكان[1]:

«التدين أساس حياته، وفي يقظته ونومه، وفي ممشاه، كان عبد العزيز يسري الليل إذا حاول الغارة على المعتدين في البادية، وإذا جاء الصبح نوخوا[2] وكل شخص يتوسد عضد مطيته، أما هو فلا، ويقعد ليقرأ القرآن، فإذا جاء الفجر قال: أذن يا حمدي. ويجمع عبد العزيز الجماعة ويصلي مع الجماعة»[3].

ويقول الفريق سعد بن محمد بن عبد العزيز العمري[4]:

«وكم شاهدت عبد العزيز يخرج من خيمته أو قصره ليغتسل ويصلي النافلة، ثم يجلس ليقرأ القرآن حتى يحين موعد فريضة الصبح، فيأمر بالصلاة».

---

(١) ولد في الرياض سنة ١٣١٧ هـ، اشتغل في المنطقة الشرقية في تجارة اللؤلؤ وتجول في قطر وعمان ومصوع، التحق بالخدمة سنة ١٣٤٩ هـ، عمل أميراً لبيشة وتفقد البعثات التعليمية في مصر وسوريا ولبنان ثم التحق بالسلك الدبلوماسي، وعمل وزيراً مفوضاً وعضواً في مجلس الشورى ــ كتاب ــ كنت مع الملك عبد العزيز، ص ٣٤٥.

(٢) نوخوا: أناخ: برك ونزل بناقته.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٤٩.

(٤) التحق بالخدمة في الخامسة عشرة من عمره سنة ١٣٥١ هـ عندما أرسلت الحكومة جنوداً إلى حدود اليمن التي شكلها عبد الله بن سليمان بأمر الملك، كنت مع عبد العزيز، ص ١٠٢.

يقول حسن بن ناصر بن فهد بن غشيان[1]:

«كان عبد العزيز يقسم الليل ثلاثة أثلاث، فبعد صلاة العشاء يستمع إلى القرآن، وكان يقرأ عليه أحد المشايخ، وبعد انتهاء قراءة القرآن كان يذهب إلى المكتب في القصر نفسه، فيعمل ويصرف شؤون الدولة، وبعد ذلك يأوي إلى النوم حتى الثلث الأخير من الليل، ثم ينهض ويمر في جوارنا ونحن نيام وهو ذاهب إلى مكان الوضوء، ثم يعود إلى غرفته ليصلي صلاة التهجد، ويستمر حتى أذان الفجر، فيوقظنا للصلاة»[2].

وكـان الملـك عبـد العـزيـز ذا ثقـافـة إسـلاميـة عـريقـة وعميقـة ومتنوعة، وكان على علم بالأمهات والأصول والمقاصد، ومن هذا المنبع علم أن الغاية العظمى للإنسان في هذه الأرض هي عبادة الله وحده لا شريك له[3] إن شخصاً هذه سيرته وتلك قيمه وأخلاقه وشيمه كان حرياً أن ينجح في توحيد أجزاء الجزيرة ويضم بعضها إلى بعض تحت راية التوحيد وحكم الشريعة وينادي بالإسلام ويرفع شعاره: (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) ويؤسس ـ بالتالي ـ دولة تبهر القوى الدولية بكونها دولة إسلامية جديدة فتية سليمة العقيدة تستقطب المسلمين حولها، وتبعث فيهم الثقة بالنفس والاعتزاز بصلاحية هذا

---

(١) ولد في الرياض سنة ١٣١٩ هـ، عمل لدى الملك عبد العزيز منذ كان عمره أحد عشر عاماً حضر غزوات الرغامة والسبلة والدبدبة، كنت مع عبد العزيز، ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٣) التركي/ الملك والمملكة والمنهج، ص ٨٧.

الدين وقدرته على البقاء والاستمرار»[1].

وإذا كنت قد أسهبت في ذكر الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كونه قدوة صالحة، وذلك لأنه بمثابة رأس الهرم في المجتمع السعودي، وأعين المجتمع متطلعة إليه، وتعمل مثل ما يعمل، ومحاكاة الملوك والقادة عادة اجتماعية معروفة عند من له علم بأحوال المجتمعات ولها أثرها في الدعوة سلباً وإيجاباً، وفي المثل: الناس على دين ملوكهم.

أما العلماء فقد أفردت لهم باباً كاملاً عن بعض آثارهم الدينية التي يقتدى بهم فيها، وسوف أورد هنا باختصار ثلاثة أمثلة عن العلماء، وكيف كانوا خير مثال على القدوة الحسنة في التمسك بالدين والأخلاق الإسلامية، وإلى يومنا هذا يضرب المثل في مجتمعنا المعاصر، بعلماء ذلك العصر من حيث الصدق والشجاعة في قول كلمة الحق والصلاح والتقوى وحسن الخلق وصلاح السريرة، والزهد والورع والعفة والنزاهة وحسن معاملة الناس وتلقيهم بالبشر والوجه الطلق وإكرامهم وتقديرهم، وإنزالهم منازلهم، والتواضع معهم ورفع حاجاتهم إلى ولاة الأمر، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. مع ما كانوا يتصفون به من اعتزاز بالدين وعدم الخضوع لغير الله مهما كان، والإخلاص لله وحده، انطلاقاً من عقيدة التوحيد التي جاء بها سيد المرسلين محمد ﷺ والتي دخل عليها بعض الشوائب والانحرافات في نجد وغيرها، فهيأ الله لها في نجد شيخ الإسلام

(١) انظر: عبد العزيز بن عبد الله بن حسن، لمحات حول القضاء ـ ص ٥٨، ٥٩.

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وأيده على هذه الدعوة الإصلاحية والعودة بالمسلمين إلى العقيدة الصحيحة، الأئمة من آل سعود في نشرها ومناصرتها، وهذه الصفات جعلتهم قدوة للشعب، فساروا على نهجهم واقتفوا آثارهم، وأصبحوا محبوبين عند الخلق، ولكلامهم وأقوالهم وقع في قلوب الناس.

فممن يقتدي به في العلم والدعوة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ يرحمه الله، الورع الزاهد العابد، ذو الرأي الصائب والأخلاق الحسنة المرضية، حيث كان آية في الفهم والذكاء والفطنة، أجمع أهل وقته على فضله، وشهد ذووه بنبله، وأثنى عليه أهل المعرفة.

كما أثنى عليه الشيخ سليمان بن سحمان في قصيدة طويلة منها:

تقي نقي ألمعي مهذب   كريم سليم القلب دمث الخلائق
لبيب أريب أحوذي موفق   نقيبة التقوى وبغض المماذق

إلى أن يقول:

فسيرته محمودة مستفيضة   لدى الناس لا تخفى على كل رامق
بكل جميل من محاسن من مضى   تحلى فأضحى فائقاً كل فائق

وكان رحمه الله هيناً ليناً مهاباً سمحاً كريماً متحبباً، ومفيداً للطالبين قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم له قوة وإقدام، وشهامة وله هيبة منها العجب كريماً عن الدنيا لا يذكرها ولا تدور في ذهنه روي من كرم أخلاقه وحسن

عشرته ووفور حلمه وغزير فطنته ما لا يدرك[1].

وسود نورد له ــ إن شاء الله ــ ترجمة في الباب الثالث ــ رحمه الله ــ ورحم جميع موتى المسلمين.

وقد فاق بعض العلماء أهل زمانه في التطبيق العملي للدعوة الإسلامية والالتزام بأحكام الشرع وتنفيذها، فكان بذلك قدوة لغيره من أهل المناصب الادارية، مثال ذلك في عصر الملك عبد العزيز الشيخ عمر بن الشيخ حسن آل الشيخ، الذي تقلد وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معاوناً لابن عمه الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد اللطيف، وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً، ثم ولاه الملك عبد العزيز رئاسة هيئة الأمر بالمعروف بنجد فقام بواجب ما وكل إليه خير قيام حيث كان غيوراً على محارم الله قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله ــ جل وعلا ــ لومة لائم يتتبع أهل الجرائم، وينكر عليهم بدون رأفة ولا هوادة تنفيذاً لحكم الشرع الشريف فهابه أهل الفسوق من العصاة وانزجروا.

وكان رحمه الله مشهوراً بالتقوى، يحيي غالب الليل قراءة وتهجداً، ويتابع بين الحج والعمرة كل عام، ويلتقي بكبار علماء الأمصار الوافدين للحج، ويقيم لهم المآدب ويكرمهم، ويناقشهم في مهام الشرع وأصول الدين وفروعه ويقنعهم عند النزاع بدلائل الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، لأن الله وهبه الإحاطة والشمول وجمع له بين الحفظ والفهم وسعة الاطلاع وقوة الذاكرة، وسرعة البديهة في

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم/ الدرر السنية، ج ١٢، ص ٨٤، مرجع سابق.

استحضار نصوص الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم من المفسرين والفقهاء وغيرهم الشيء الذي لا يعرفه ويتصوره إلا من قدر له ارتياد مجالس سماحته والاستماع إلى ما يمليه حفظاً من النصوص والأحاديث ومسائل أصول الدين والفقه وغير ذلك من أشعار العرب وشواهد اللغة وأقوال المفسرين وغيرهم من أهل العلم، هذا إلى جانب ما يتصف به سماحته من كرم الأخلاق والتواضع الجم، فهو على هدى علماء السلف الصالح وسمتهم لا يعرف الكبر إلى قلبه العامر بالإيمان سبيلاً[1].

ومن العلماء الذين هم قدوة صالحة في الخير للجميع، ومثال حي في الاقتداء والاتباع، وشهد الناس بفضلهم ورحابة صدورهم: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الذي كان ثمرة من ثمار الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، وعمل بالدعوة والقضاء، في عهد الملك مدة تزيد على الخمسة عشر عاماً وذلك من سنة ١٣٥٧ هـ ــ ١٣٧٣ هـ وما زال إلى يومنا هذا قائماً بالدعوة إلى الله، فكان خير مثال معايش ليس لعامة المجتمع فقط بل هو قدوة صالحة للعلماء والدعاة والمصلحين.

وإن ما اتسم به من صفات كريمة، جعلت ولاة الأمر يثقون بصدق دعوته ورجاحة فكره وقوة علمه، مما أهله لتولي القضاء في منطقة الخرج مدة تزيد على الأربعة عشر عاماً، وذلك من سنة ١٣٥٧ هـ إلى سنة ١٣٧١ هـ، وكان إضافة لمنصبه القضائي، قائماً

---

(١) عبد الرحمن آل الشيخ/ مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص ١٩، مرجع سابق.

بواجب الدعوة خير قيام يفد إليه طلبة العلم المستفتون من جميع الجهات.

ثم انتقل إلى الرياض للعمل مدرساً بالمعهد العلمي سنة ١٣٧٢ هـ وكلية الشريعة بالرياض، وذلك بعد إنشائها سنة ١٣٧٣ هـ.

وقد جمع بين التعليم والتربية، فيما بين طلابه الذين تتلمذوا على يديه، وفق منهج تربوي إسلامي عملي، فهو صاحب حلم فلا يجرح المشاعر، ولا يتهكم على الناس، ولا ينال منهم، ويحفظ لهم قدرهم، ولذلك أحبه الطلبة والتفوا حوله، وله سلمه الله في علماء الأمة من السلف الصالح القدوة الطيبة، وخاصة فيما هو عليه قائم في دروسه الصباحية بعد صلاة الفجر على طلبة العلم وحتى طلوع الشمس... ومن الكتب التي يقرأ منها، فتح الباري، والفتاوي لابن تيمية، والطحاوية... والكتب الستة، وكتب ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرها من كتب السلف، وللشيخ اهتمام كبير بالمحاضرات، وخاصة مع العامة، حيث يجلس إليهم، ويعلمهم، ويربيهم.

وهو على صلة دائمة بالعلماء في المشاورة والمناصحة، ومما عرف عنه حفظه لكتاب الله، وسرعة استحضاره للآيات الكريمة والأحاديث النبوية مع معرفة من خرجها ودرجة صحتها بحيث يقرن الفتوى بالدليل، وهو يحفظ بلوغ المرام، وألفية ابن مالك، ومختصرات لابن حجر، ولمحمد بن عبد الوهاب، وهو نحوي، فرضي كبير، محدث، يحفظ متوناً كثيرة من السنة النبوية الشريفة، وعلى معرفة برجال الحديث جرحاً وتعديلاً.

وفقهه من السنة مباشرة بواسطة القواعد الأصولية، ويتحرى الكتاب والسنة في جميع أموره، وهو غير متكلف ولا متنطع في الكلام... إنما يحمل في فكرة ذهناً وقاداً... مع سكينة الزهاد، وتواضع العلماء العاملين، وهو لا يتردد في قوله كلمة الحق مع حكمة وروية وبدون إثارة، لكنه يجهر بالحق عندما يلامس ظلماً أو تعدياً على حقوق الله، وله خطابات للزعماء ينكر عليهم عدم تحكيم شرع الله.

ويهتم الشيخ بأمور المسلمين عامة، وبأحوال الأقليات الإسلامية خاصة، فهو لا يفرغ من فتيا، أو كتابة شفاعة، أو إصلاح بين الناس، أو اتصال، أو توجيه، أو وقوف مع محتاج.

ومن المعالم البارزة في حياته أيام منى في الحج، حيث يفتح خيمته للناس، فينهال عليه الناس بالآلاف يستفتونه، ويتناولون الطعام على مائدته، ويجلسون معه، ويتعلمون منه وهو يعلمهم ويدعو لهم.

وهو صاحب كرم عجيب، فهو ذو عطاء مستمر للفقراء والمحتاجين.. وقد عرف عنه أنه لا يدنو وحده إلى طعام... بل يحضر مائدته طلبة العلم، والمفكرون، والعامة، والفقراء، والمساكين، والمسؤولون.. فيحيي الجميع.

وقد بارك الله في جهوده... بهذا الخلق الرفيع... والعلم الواسع... والكرم العجيب... وصار له تلامذة ودعاة يقبلون على

علمه وفتاواه وتوجيهاته... متفرقين في أنحاء العالم الإسلامي[1].

□□□

(١) انظر، محمد خير/ مؤلفات الشيخ ابن باز ص ١٤، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ نشر دار ابن خزيمة، ومقدمة كتابه مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة.

المطلب الثاني

الدعـوة بالحكمـة

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[(١)].

ففي هذه الآية يأمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الناس إلى الله بالحكمة وهو ما نزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة، أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس: ذكرهم بها ليحذروا بأس الله، ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن وبلين ورفق وحسن خطاب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يؤتي الحكم من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[(٣)].

والحكمة لا تخص بالنبوة بل هي أعم منها وتأتي النبوة في ذروة

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) انظر: د. عبد الله بن اسحاق آل الشيخ، التيسير لتفسير ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، ج ٢/٥٤٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

الحكمة، والحكمة هي كل كلام وافق الحق كما أنها الكلام المعقول المصون عن الحشو[1].

وعن الشوكاني ــ رحمه الله ــ أن:

الأمر الذي يمنع عن السفه، هو الحكمة، والمعنى: أن كل كلمة وكل مقالة تردع عن السفه وتزجر عن الباطل فهي حكمة، وهكذا كل مقال واضح صريح في نفسه فهو حكمة، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة، والسنة الصحيحة حكمة، وقد سماها الله سبحانه حكمة في كتابه العظيم، قال تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[2] يعني السنة، فالأدلة الواضحة تسمى حكمة، والكلام الواضح المصيب للحق يسمى حكمة كما تقدم[3].

والحكمة هي كلمة تمنع من سمعها من المضي في الباطل وتدعوه إلى الأخذ بالحق والتأثر به والوقوف عند الحد الذي حده الله عز وجل[4].

ومن الحكمة تعرف: «أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أكبر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه

---

(١) الجرجاني، التعريفات ص ٩١ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٢٨٩.

(٤) الشيخ عبد العزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق العلماء، ص ٢٤.

لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله ورسوله يبغضانه ويمقتان أهله، وذلك خشية وقوع ما هو أعظم منه.

فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو أشر منه.

والأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة[1].

وتظهر رجاحة العقل في حكمة تغيير المنكر، فعلم بذلك الأسلوب الحكيم والطريق المستقيم في الدعوة أن يكون الداعي حكيماً في الدعوة، بصيراً بأسلوبها، لا يعجل ولا يعنف، بل يدعو بالحكمة، وهي المقال الواضح المصيب للحق، من الآيات والأحاديث وبالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فهذا هو الأسلوب الذي ينبغي أن يستخدم في الدعوة إلى الله عز وجل. وأما الدعوة عن جهل فإنه يضر ولا ينفع، لأن فرص إصابته الحق والسلامة تكون قليلة، وهكذا الدعوة بالعنف والشدة، فإن ضررها أكثر، والمشروع هو الأخذ بما يبينه الله عز وجل في آية النحل ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[2].

---

(١) ابن القيم، أعلام الموقعين، ج ٢/٢، طبعة دار الحديث، القاهرة.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

إلا إذا ظهر من المدعو العناد والظلم، فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾»[1][2].

وينبغي أن يتميز الدعاة بالأخلاق الحسنة ومنها:

١ ــ الرفق:

فهو الذي يجمع القلوب حول الدعوة، ولو أنك سألت رجلاً ما هو الشيء الذي يجمع القلوب على كلمة سواء؟ لقال لك: إنه الرفق واللين، وضده العنف والشدة فالحدة أو الغلظة على الناس سبب لانصرافهم عن الداعية والدعوة.

والرفق: هو حسن التواضع مع الناس، والأخذ بالأسهل من الأمور بالفعل والقول، لذلك فتح الله عز وجل بالرفق والرحمة لرسول الله ﷺ قلوباً غلفاً وآذاناً صماً، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[3].

يقول ابن كثير: «لو كنت سيىء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك، وتركَوك ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم»[4].

وذلك لأن الرسول ﷺ ذكر أن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق العلماء، ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج١/ ٤٢٠، طبعة دار التراث القاهرة.

على العنف والحدة فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[1] «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[2] «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[3] «من حرم الرفق حرم الخير»[4].

واقتضت حكمة الله عز وجل كما يقول ابن حجر العسقلاني: «أنه يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده، ويثيب عليه ما لا يثيب على غيره»[5].

وبالرفق فتح الله للسلف الصالح، مغاليق كثيرة، وجمع شملهم على كلمة التوحيد وإذا سألنا عن أسباب تفرق القلوب والتنافر بين أفراد المجتمع، فإن العنف والحدة والغلظة تكون من الأسباب الواضحة في ذلك.

٢ ــ الصبر:

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلبان عزماً وصبراً. قال تعالى: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[6].

«وقد علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قد يناله من الناس أذى فأمر بالصبر على أذى الناس، وذلك من عزم الأمور».

---

(١) رواه مسلم (ج ٨/ ٢٢) كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق.

(٢) رواه مسلم (ج ٨/ ٢٢).

(٣) رواه البخاري (ج ١٠/ ٤٤٩ فتح الباري) كتاب الأدب.

(٤) رواه مسلم (ج ٨/ ٢٢) كتاب البر والصلة.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ١٠/ ٤٤٩).

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٧.

وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[١].

وبمراعاة أحوال الناس ودعوتهم بالرفق واللين تكون النتيجة الطيبة إن شاء الله، فلعل منهم من يتذكر أو يخشى الله، وعلى الداعية أن يصبر على المجادلة والمناقشة ولا يستعجل النتيجة، وقد أمر الله عز وجل موسى وهارون لما بعثهم إلى فرعون أن يقولا قولاً ليناً وهو أطغى الطغاة: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾[٢].

وكان أعداء الدعوة السلفية قد أحسوا بقوتها فصاروا يوجهون إليها سهام نقدهم وسموم حقدهم، فانبرى لذلك رجال قد اشتد عودهم واستقام لسانهم للرد على المغرضين والمارقين، فصاروا يكيلون لهم الصاع صاعين بقوة الكلام وسطوع الحجة وصحة البرهان فدحضوا أقوالهم وردوا شبههم من أمثال الشيخ سليمان بن سحمان، الذي صار لسان هذه الدعوة ومحامي الملة[٣].

وقد حارب الدعوة السلفية كثيرون على أساس العصبية القبلية التي تتضمن عنصرين سلبيين هما:

الأول: إن الولاء للقبيلة يتضمن رفض القبائل الأخرى، سواء كان ذلك في شكل عدائها أم مخالفتها أم مهادنتها.

الثاني: أن الولاء للقبيلة مرتبط بالمصالح المباشرة، مثل الدفاع

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٣) انظر: البسام، علماء نجد، ج ١/ ٢٨٠، مصدر سبق ذكره.

عـن الحيـاة ومـوارد العيـش، أو الحصـول علـى هـذه المقومات بالنهب والسلب، ومن هنا يتحرك البدوي للغزو، فهو الوسيلة الأساسية لانتزاع حق الحياة[1].

لكن بالمبادرة والصبر واجه حماة الدعوة السلفية التحديات، وانتصروا للعقيدة، ولم تزل آثار هؤلاء باقية في نشر الدعوة السلفية بين قبائل الداخل والوافدين من حجاج الأمصار الذين يقابلونهم في كل موسم، بحيث لا يصدر غالبيتهم إلا عن اقتناع ومعرفة بحقيقة هذه الدعوة التي سعى إلى تشويه جمالها أعداؤها ونفروا عنها، ولكن جعل الله في مجالس دعاتها البركة والغيرة على العقيدة وصحة الموالاة في الله تعالى. فالميزان عندهم هو الحب في الله والبغض في الله.

«فكانت الدعوة إلى صراط الله المستقيم، وهو الإسلام دين الله الحق... هذا هو محل دعوتهم التي بعث الله بها نبيه ﷺ، فهم لا يـدعـون إلـى مـذهـب فـلان ولا إلـى رأي فـلان، بـل يـدعـون إلـى صراط الله المستقيم، وهو ما دل عليه الكتاب والسنة المطهرة، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، إلى الإخلاص لله، وتوحيده بالعبادة، والإيمان به وبرسله، والإيمان باليوم الآخر، وبكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، وبهذه الحكمة الدعوية التي تتكىء على الرفق والصبر والعزيمة وتدعو الناس بالرسائل والمكاتبات والسلوك العملي إلى توحيد الله والإخلاص له، وإقامة العبادات ويدخل في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص ٥٧١، ٥٧٢.

المنكر وقيادة الناس وتوجيههم إلى الأخذ بما شرع الله في الطهارة والصلاة والمعاملات والنكاح والطلاق والجنايات والنفقات والحرب والسلم، حيث إن هذا الدين شامل، يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وينهي عن سفاسف الأخلاق وسيىء الأعمال»[١].

وهذه الدعوة الحكيمة المتصلة بحياة الناس تمثل متابعة يومية لبرنامج حياتهم العائلية والفردية، وحسن توجيه لهم، وتحصيناً لهم من عوامل السقوط، ودفعاً لهم للأخذ بما شرع الله والثبات على الطريق القويم.

ويكفي أن أذكر في مناسبة الحكمة أحد الأعلام الكبار في الدعوة في عصر الملك عبد العزيز ذلك العالم الذي عرف بحكمته وأسلوبه اللطيف وقدرته الفذة على حل المشكلات والتوجيه التربوي السليم ألا وهو الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد، الذي كان يقوم بالدعوة في جميع بلدان القصيم وفي عام ١٣٣٣ هـ عينه الملك قاضياً لقرى القصيم وبواديها فكان يتجول بينها لفصل القضاء وإرشادهم وتعليمهم حتى عام ١٣٤١ هـ حيث عينه الملك عبد العزيز في مدينة حائل وما يتبعها من حاضره وباديه أول ما فتحت.

ولما فتح الملك عبد العزيز الحجاز واستتب له الأمر فيها نقل الشيخ عبد الله ابن بليهد من قضاء حائل إلى مكة المكرمة، وكان يمثل الدولة السعودية الإسلامية خير قيام فكان هو الذي يقابل الوفود الإسلامية وكان له مواقف مشرفة حمد عليها في تلك الأيام القلقة

---

(١) انظر: الشيخ عبد العزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق العلماء، ص ٢٨.

ومن تلك المواقف حينما جاء وفد من الهند برئاسة ــ شوكت علي ــ وذلك بعد فتح الحجاز وطلبوا من الملك عبد العزيز أن يعين لهم مجلساً يكون مؤتمراً إسلامياً تجتمع فيه وفود الدول الإسلامية فوافق الملك عبد العزيز وانتدب الشيخ عبد الله بن بليهد متكلماً عنه فاجتمع الوفد في بناية المالية بمكة ولما تكاملت الوفود تكلم ــ شوكت علي ــ بكلام تحامل فيه على الحكومة السعودية. ولما فرغ من كلامه قام الشيخ بن بليهد فتكلم بكلام بليغ بأسلوب لطيف مقنع رد فيه على ــ شوكت علي ــ فانفض المؤتمر وقد حمدت الوفود وكذلك الملك عبد العزيز الشيخ بن بليهد على كلامه[١] وإنك تجد في تولية الملك عبد العزيز للشيخ ابن بليهد لقضاء حائل حين فتحها وتوليته قضاء مكة حين فتحها ما يدل على أمرين:

الأول: معرفة الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ لرجال وسياسته المحنكة الرشيدة.

الثاني: العقل والحكمة السياسية التي يتمتع بها الشيخ عبد الله بن بليهد ذلك أن سكان هاتين المدينتين حين فتحهما محتاجون إلى ملاطفة وتأليف وتطمين لأنهم لم يألفوا الحكم الجديد ولا يعرفوا حقيقته ويتخوفون منه فهم في حاجة إلى رجل له دراية وسياسة وحنكة ليطمئنهم ويقرب ما بينهم وبين الحكم الجديد حتى يألفوه ويعرفوه فكان الرجل المختار هو هذا العالم العامل الحكيم عبد الله بن سليمان بن بليهد ــ رحمه الله تعالى ــ ولما اشتهر أمر البادية على الناس بأمر الدين وصار منهم تلك الغلظة والجفاء كان

---

(١) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢/ ص ٥٤٥.

المترجم له ممن يعظونهم ويوجهونهم التوجيه الحسن وقد اطلعت على رسالة له بخطه جاء فيها:

«من عبد الله بن سليمان آل بليهد إلى من يراه من الاخوان، وفقهم الله تعالى لسلوك طريق مرضاته وحماهم من الشيطان ونزغاته.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فالموجب لتحرير هذا الكتاب هو النصح لكم والشفقة عليكم وتنبيهكم إلى ما يدخل عليكم بسببه من الخلل في دينكم من أمور تبلغنا عن أناس منكم يتكلمون بغير علم ويلزمون الناس بمقالاتهم ويقصدون بذلك الخير والأمر بالمعروف وسبب ذلك إساءة الظن بالغير وإحسان الظن بأنفسهم وقياس الأمور برأيهم وهذا أمر خطير ومخوف وضرره على الدين كبير والمقصود التنبيه إلى الأمور التي حصل فيها الغلط كالتعدي على الناس بالضرب والشتم وجعل ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين ولكن المتكلم فيه والقائم به يحتاج إلى علم حتى يكون أمره ونهيه على موجب الشرع ويميز بين آحاد الناس في ذلك وما يختص به ولاة الأمور من إقامة الحدود المقدرة في الشرع والتعزيرات التي يدخلها الاجتهاد وقد تختلف باختلاف الأحوال كما هو معروف عند أهل العلم ومن أشكل عليه شيء من أمر دينه فالواجب عليه سؤال العلماء امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾. وأما الأمور التي تحتاج إلى تنفيذ فيلزم رفعها إلى نواب الإمام من الأمراء وغيرهم وستنفذ على موجب الشرع، فهذا الذي نرى وندين الله به ونسأل الله الكريم أن يهدينا وإخواننا المسلمين إلى سواء

السبيل وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وهي رسالة طويلة اقتصرت منها على هذه النبذة[1].

وإذا كان من أصول الحكمة في الدعوة هي مراعاة عقول المخاطبين، وبيئتهم، وملاحظة عدم التعرض لأمور جانبية تثير بينهم الفرقة والحساسية فإن هذا يذكر بحق العلماء العاملين، والحكماء العارفين، الذين لا يريدون من وراء علمهم ودعوتهم إلا هداية الناس وتوجيههم نحو الحق والخير والالفة والتعاون على البر والتقوى.

ومما يذكر في هذا ما حدثني به أبي قال كنت أقرأ على والدي في جامع هجرة الرين بحضور الاخوان من قبيلة قحطان وذلك بعد أذان العشاء إلى حين الاقامة ــ وكانوا يؤخرون صلاة العشاء طلباً للأفضلية ــ فقرأنا في كتب كثيرة ومن ذلك كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير فأتممنا سيرة النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين فلما بلغنا قول ابن كثير (فصل في مقتل عثمان ــ رضي الله عنه ــ) فقال الشيخ عبد العزيز (بركة)[2] اقرأ في التفسير، قال والدي فلما قضيت الصلاة دعاني أبي وقال إن عقول الاخوان لا تتحمل قصة مقتل عثمان ولكن تجاوز هذا الفصل إلى الذي بعده.

وذلك إن الاخوان كان لديهم حماسة واندفاع فخشي أن يقرأ

---

(١) البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٢/ ص ٥٤٦.

(٢) كلمة يقولها الشيخ في نجد للقارىء ومعناها حسبك أي ما قرأته فيه بركة ويكفي.

عليهم هذا الفصل فيتأثرون من هذه الفتنة فيسب بعضهم بعض الصحابة أو يحدث بينهم نزاع وخلاف في ذلك فمن الحكمة مراعاة عقول ومفاهيم المدعوين ومخاطبتهم بما يفهمون قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «ما أنت بمحدث قوماً حديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[1].

هذا وسترد ـ إن شاء الله ـ في الباب الأخير من هذه الرسالة أمثلة أخرى عن الأسلوب الدعوي للعلماء في ذلك العصر.

□□□

---

(١) مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/١١.

المبحث الثاني

الدعوة بالأساليب القولية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الدعوة بالموعظة الحسنة.

المطلب الثاني: المجادلة بالتي هي أحسن.

المطلب الثالث: القصص وضرب الأمثال.

المطلب الأول

الدعوة بالموعظة الحسنة

إن الأساليب التي حثّ الله سبحانه عليها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1] إنما حثّ عليها لكونها أساليب صالحة لكل زمان ومكان، وقادرة على مخاطبة العقل والوجدان في سياق واحد.

ومن المعروف أن أساليب الدعوة بالحكمة تقتضي أن تكون أساليب الدعوة متنوعة بحسب تنوع البيئات، فما يصلح للدعوة في بيئة قد لا يصلح أن يقاس عليه في كل بيئة.

والقلب هو مركز التفاعل في الإنسان، ومن أهم خصائصه أنه ذو حساسية مرهفة. فكما أنه قابل للإشراق والضياء والصفاء، فهو قابل ـ كذلك ـ للإظلام والذبول والصدأ. ولذلك كان على الداعية أن يعنى بقلب المدعو ويوجه اهتمامه إليه عن طريق الوعظ الذي يوقظ القلب.

قال الشيخ السعدي: عن المدعو «فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو: الأمر والنهي المقرن

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل»[1].

والمقصود بالترغيب هنا: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه. والمقصود بالترهيب: كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

وقد وردت بعض التعريفات للموعظة، ومنها أنها: «التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة»[2].

وقال أبو حيان: «الموعظة الحسنة هي التي لا تخفي عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها.

والموعظة الحسنة: مواعظ القرآن. وهي الأدب الجميل الذي يعرفونه.

والموعظة الحسنة: أن تختلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وقال ابن عطية: الموعظة الحسنة التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل)[3].

---

(١) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ج ٤/ص ٢٥٤.

(٢) علي الجرجاني، التعريفات/ ص ٢٣٦.

(٣) أبو حيان، تفسير البحر المحيط/ج ٥/ ص ٥٤٩.

ويتضح من هذه التعريفات أن الموعظة الحسنة هي قول الحق الذي يلين القلوب ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية.

ونظراً لأهمية الموعظة الحسنة فقد انتهجها رسول الله ﷺ في الدعوة. فقد روى العرباض بن سارية رضي الله عنه. قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب.

فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم ير اختلافاً كثيراً. وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»(١).

«ومهمة الداعية في وعظه تنبيه القلوب الغافلة وإيقاظ القلوب الميتة والتذكير بحسن الأخلاق والاقتداء بالأنبياء والصالحين ويذكر بالموت الذي هو أعظم عبرة لحي. والالتفات إلى العهود السابقة والنظر في آيات الله وفي أنفسهم وفي الآفاق، وفي نعم الله السابغة على الإنسان والتنبيه على فساد المدنية المادية بمذاهبها الوضعية»(٢).

والموعظة الحسنة لها جرعة معينة إذا تجاوزتها أتت برد فعل

---

(١) رواه أبو داود، كتاب السنة باب (لزوم السنة) ج ٤/ ص ٢٠٠ ــ ٢٠١/ رقم ٤٦٠٧.

(٢) محمد خير رمضان، الدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب/ دار طويق الرياض/ ط ٢/ ص ١٠٥.

عكسي. وقد كان الرسول ﷺ على الرغم من حب أصحابه له يشفق عليهم من كثرة الوعظ لكي لا يملوا.

وفي حديث ابن مسعود أنه قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[(١)].

قال ابن حجر: الموعظة النصح والتذكير.

ويتخولنا: يتعهدنا. والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم، لئلا نمل.

قال الحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٥) صحيح ليس له علة.

وقال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٨١) حديث ثابت. اهـ وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٥٧٩).

ويستفاد من الحديث استحباب مراعاة تقبل النفوس البشرية للعمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين:

إما كل يوم مع عدم التكلف.

وإما يوماً بعد يوم ليكون يوم الترك للراحة.

وإما يوم الجمعة، وذلك حسب الأشخاص والأحوال والضابط والحاجة مع مراعاة وجود النشاط»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، ج ١/ ص ٢٥/ مطبعة المكتبة الإسلامية استانبول سنة ١٩٧٩ م.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١/ص ١٦٢. =

وكان رسول الله ﷺ يغضب في الموعظة إذا رأى ما يكره.

أخرج البخاري من حديث ابن مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان. فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: يا أيها الناس إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة [1].

وخرج رسول الله ﷺ فوعظ النساء وأمرهن بالصدقة، وكانت الموعظة بقوله: «إني رأيتكن أكثر أهل النار»[2].

فدل ذلك على أن الموعظة تتضمن الترغيب والترهيب حتى تلين القلوب. ولذلك ورد في هذا الحديث أن النساء جعلن يلقين القرط والخاتم. وقد جاء وصف الموعظة في الآية الكريمة بأنها حسنة، مما يشعر بلطف الموعظة حتى تدخل القلب برفق، فتلطف من حرارة الصدر وتعمق المشاعر، وتوقظ الوجدان فيهدأ الفكر وينطفيء التعصب وتسكن ثورة النفس.

واستعمال الدعاة لأسلوب الموعظة الحسنة يأخذ صورتين:

(أ) وعظ العامة في المساجد عقب الصلوات.

= باب (كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم لكي لا ينفروا).

(١) صحيح البخاري، ج ١/ ص ٣١ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١ ص ١٨٦.
باب (الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره).

(٢) صحيح البخاري، ج ١/ ص ٣٣ ـ باب (عظة الإمام النساء).

(ب) وعظ الخاصة من الناس وذلك يكون جهراً أو سراً.

وسوف أقتصر على عرض بعض المواعظ العامة لعلماء الدعوة في عهد الملك عبد العزيز.

نماذج من المواعظ التي كان يلقيها الدعاة في عهد الملك عبد العزيز:

قال أحد العلماء في موعظة عامة كتبت في ذلك العصر:

قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(١).

فمبنى الدين تعظيم أمر الله والإحسان إلى عباد الله. وقد تضمنتهما هذه الآية الكريمة مع بيان أن الدعوة بالحكمة لمن لا يحتاج إلى موعظة، وبالموعظة الحسنة لمن لا تكفيه الحكمة، وبالمجادلة بالتي هي أحسن لمن يحتاج إلى ذلك.

وشفاء القلوب بأمرين: محبة الله تعالى وكثرة ذكره، ومرضها من أمرين كثرة الذنوب والغفلة عن ذكر الله. قال عز وجل: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾(٢).

فنبه سبحانه على أن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره تبارك وتعالى، فحرام

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

على قلب شملته الغفلة وصول الموعظة وشفاء القرآن إليه وقد امتلأ بغير محبة الله تعالى ورسوله وتعظيم أمره.

فيا خسارة من أنفق أنفاسه وأوقاته النفيسة في غير طاعة الله، وأخسر منه من ضيعها في ضد الطاعة. فمن الأول الانهماك في المباحات ومجالس اللهو والغفلة عن ذكر الله وسماع ما لا فائدة فيه، فقد قال الرسول ﷺ:

«كل كلام ابن آدم عليه إلا ذكر الله وما ولاه أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر»[1].

ومن الثاني «مخالطة أهل دين غير دين الإسلام والتشبه بهم إلا إذا كانت مخالطتهم لأجل دعوتهم إلى الله»[2].

ويقول الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد في موعظة له طبعت عام ١٣٧٣ هـ وهو من العلماء القائمين بالدعوة في عصر الملك عبد العزيز:

«اعلموا رحمني الله وإياكم أن أكثر الناس في هذا الزمان نبذوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وراءهم ظهرياً، وزهدوا فيما فيهما من العلم النافع والعمل به حتى صار الإسلام في هذا الوقت إلى ما إليه صار

---

(١) أخرجه الترمذي إلا أن قوله «ذكر الله» في آخره بعد «نهى عن منكر»/ ج ٧/ ص ١٣١ رقم ٢٤١٤ وقال هذا حديث حسن غريب.
وابن ماجه ج ٢/ ص ٣٧٣ رقم ٤٠٢٢ مطبعة شركة الطباعة السعودية/ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ.

(٢) من موعظة للشيخ عبد العزيز أبو حبيب، ص ٥، من مطبوعات مؤسسة النور للطباعة بالرياض.

وذلك لالتفات غلب الخلق لأمر الدنيا وإصلاحها ولو بفساد الدين وذهابه، وتركوا دينهم الصحيح المقرر بكتاب الله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ فعميت البصائر واستحكمت غربة الدين وعمت الفتن وانتشرت حتى اجتمع الصالح بالفاسد، والفاسق بالعابد وخالط المسلمون الكفار والمشركين وحصل بهذا الاختلاط فساد الاعتقاد وفساد الأخلاق والحامل على هذا للجميع الجهل بدين الإسلام ومحبة الدنيا والافتتان بها وتقديمها على ما يرضي الله.

ونسوا أن الرزق والأجل قرينان فما دام الأجل باقياً فالرزق جارياً ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[1]. وفي الحديث «إذا عظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام. وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي. وإذا تسابت سقطت من عين الله»[2].

أيها المسلمون: الدنيا لا تدوم نعمتها ولا يستمر خيرها بل هي مجمع الآفات ومستودع المصائب لا يركن إليها إلا مغرور ولا ينخدع بها إلا مفتون أما المؤمن الحقيقي فهي مطيته إلى الآخرة إن أتته سراء شكر الله عليها وإن أصابته ضراء صبر لها يأمر بالمعروف ويسارع إليه وينهي عن المنكر ولا يقربه لا يداهن العصاة والفاسقين ولا يجامل الرؤساء والأعياء بما يسخط الله»[3].

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٢) رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة، انظر كنز العمال ٣/ ١٨٣.

(٣) موعظة بعنوان «الهدية الثمينة فيما يحفظ على المرء دينه» للشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد، مطبعة الإمام بمصر ١٣٧٣ هـ.

وقال الشيخ محمد بن سليم وهو من العلماء في عهد الملك عبد العزيز: «لا يخفى عليكم معاشر المسلمين ما لحقنا بسبب اهمالنا للتقوى من قسوة القلوب والزهد في الآخرة والاعراض عما خلقنا له والاقبال على الدنيا وأسباب تحصيلها بكل وسيلة من دون تمييز بين ما يحل وما يحرم وانهماك الأكثرين في الشهوات وأنواع اللهو والغفلة.

ورمز السيوطي لضعفه في «الجامع الصغير» وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» معضلاً من حديث الفضيل. اهـ ينظر «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي ١/ ٤٠٥.

فتداركوا معشر المسلمين أنفسكم وبادروا إلى أداء ما أوجب الله عليكم من فعل الواجبات وترك المحرمات فإن الله لم يخلقنا لجمع حطام الدنيا والنظر إلى زخارفها الفانية وإنما خلقنا لأمر عظيم هو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه»[١].

وقال الشيخ فيصل المبارك: قال تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾[٢].

وعن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد فجلس رسول الله ﷺ

---

(١) نصيحة للشيخ محمد بن سليم، طبعت سنة ١٣٨٠ هـ، المطبعة الفنية بالخبر.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٨٣ ـ ٨٥.

وجلسنا حوله فقال: استعيذوا من عذاب القبر مرتين أو ثلاث ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه معهم كفن من أكفان الجنة، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول «أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان..

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة تنزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح ويجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب»[1].

وهكذا، من خلال هذه النماذج، نرى كيف كان علماء ذلك العصر يتخولون الناس بالموعظة الحسنة؛ ترغيباً وترهيباً، وهذا المنهج كان يلقى التشجيع من الملك عبد العزيز رحمه الله؛ إذ هو أسلوب من أساليب التربية الوجدانية والعاطفية، كما أنه سبيل من سبل مقاومة المناكر الاجتماعية، وتحصين للمسلم، حتى يستعلي على مباذل هذه الدنيا وماديتها.

وقد كان الملك عبد العزيز رحمه الله يحث العلماء والدعاة على الوعظ ويحث الناس على الجلوس في مجالس الوعظ والاتعاظ بذلك. ولقد اطلعت في مكتبة الشيخ عبد الرحمن بن جبرين على رسالة وعظية مخطوطة من الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ختمت

---

(١) موعظة للشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك/ من كتاب تجارة المؤمن ص ١٥٩، والحديث رواه الإمام أحمد في المسند، ٤/ ٢٨٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٤).

بتقريظ من الملك عبد العزيز، ورد فيه ثناء على منهجه في الوعظ، وعلى دعوة تسير في طريق التربية الإسلامية عن طريق هذا الأسلوب الذي يقف على رأس الطرق التربوية الإسلامية.

ونضيف إلى هذا أن الملك عبد العزيز رحمه الله كان يأمر الكتبة بنسخ المواعظ وتوزيعها على الناس، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر في مخطوطة (عنوان السعد والمجد) أن الملك عبد العزيز لما اطلع على موعظة للشيخ عبد الله العنقري أمر بكتابة نسخ منها فكتب منها قريباً من مائتي نسخة وزعت على المسلمين[(١)].

بل إن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان يقوم بالوعظ بنفسه وقلما تخلو خطبة من خطبه من مواعظ يوجهها إلى عموم الأمة كما أنه كان ـ رحمه الله ـ يملي المواعظ ويوزعها على البلدان فتقرأ في المساجد بعد صلاة الجمعة، وقد ذكر لي فضيلة الشيخ سعود البشر شيئاً من ذلك عاصره بنفسه ومن أمثلة هذه المواعظ تلك الرسالة التي وجهها الملك عبد العزيز إلى من يراه من إخوانه المسلمين... قال:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: بارك الله فيكم ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضاه وجعلنا وإياكم من صالحي عباده وأوليائه تفهمون أن الله سبحانه منّ علينا بنعمة الإسلام أو أكملها علينا كما قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[(٢)] ومن أكبر نعمه علينا إنزال كتابه العزيز وإرسال

---

(١) عبد الرحمن الناصر/ مخطوط (عنوان السعد والمجد) صفحة ٢٦٧، من مخطوطات دارة الملك عبد العزيز رقم ١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

نبيه الكريم وخلاصة ذلك وعمدة ما نزل في كتاب الله وإرسال رسله الأولين وخاتمهم سيد المرسلين هي الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له وهي مضمون (لا إله إلا الله) كما أن معناها (لا إله) نفي (إلا الله) إثبات وكل من قال (لا إله إلا الله) عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها موالياً لجميع ما أمر الله به معادياً لما نهى عنه من الأفعال والأقوال فهو من أهل لا إله إلا الله، ومن قالها ولم يعرف معناها ولم يعمل بمقتضاها ولا أحب ما احتوت عليه من الخير وأبغض ونفي ما نهت عنه من الشر من الأقوال والأفعال فليس هو من أهل لا إله إلا الله فهو كالأنعام بل هو أضل وتعرفون بارك الله فيكم لو أنني أريد أن أتمادى في ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة فيما تثبت من الأعمال الطيبة وتنكر من الأعمال السيئة لطال الكلام. والمقصد من ذلك الفائدة والاتباع لما أمر الله به وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا للصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[1].

ومنها قوله: «ومن فرق أو شك أن ما جاء في كتاب الله يخالف ما جاء به رسوله ﷺ أو ما جاء به رسول الله ﷺ يخالف كتاب الله، أو أوّل في كتاب الله وسنة رسوله وكذب على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد كفر، ومن أنكر شفاعته ﷺ إذا أذن الله له ولم يرجو ذلك وقال نؤمن بكتاب الله ولا نؤمن بمحمد فقد كفر. فإذا فهمنا ذلك ووقر في قلوبنا وصحت العقيدة بذلك فيجب علينا أن نفكر ونتدبر القرآن وسنة

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

الرسول ﷺ وما كان عليه مذهب السلف الصالح ونعمل بما فيه، ونقوم بالواجب وننكر ما أنكره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أنكره السلف الصالح.

هذا الذي حملني على هذه النصيحة. هو ما رأيت في هذا الزمان وأهله من الفساد وما اقرفناه من الذنوب كبيرنا وصغيرنا نستغفر الله ونتوب إليه. وما عليه الحالة اليوم فالناس في هذا الزمن قد انقسموا على أقسام شتى منهم العارف بالله وبكتاب الله، والذين يعتقدون عقيدة السلف الصالح قصروا في العمل وتركوا النصيحة ولم يقوموا بالواجب»[1].

والجدير بالذكر أن هذه النصيحة التي وجهها الملك عبد العزيز إلى عموم الأمة صدرت تحت عنوان: (منشور ملكي كريم) فأي ملك عابد واعظ كان هذا الرجل العظيم جزاه الله عن الإسلام خيراً.

□ □ □

(١) أم القرى العدد ٦٤٧ الصادر يوم الجمعة ١٩ صفر سنة ١٣٥١ هـ.

المطلب الثاني

المجادلة بالتي هي أحسن

الدعوة إلى الله دعوة خير وسلام، وهي لا تكره الناس ليدخلوا في دين الله، بل تخاطب الفطر والعقول، وتدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته دون إكراه، ولكن بعض الناس يتنكرون لفطرتهم، ويغلقون عقولهم، فلا يسمعون ولا يستجيبون لداعي الله إذا دعاهم لما يحييهم، بل ويحاربون من أجل نصرة مذاهبهم. وهنا يجب أن ينتقل الداعي إلى أسلوب آخر، هو أسلوب المجادلة، ولكنها مجادلة بالتي هي أحسن.

والجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة[1].

والمجادلة عند الجدليين والمتكلمين: هي المناظرة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصوم. وهذه المجادلة حرام.

أما المجادلة لإظهار الحق وإبطال الباطل فمأمور بها شرعاً، قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[2].

قال الشيخ السعدي: «فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق،

---

(١) الجرجاني/ التعريفات ص ٧٤ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥ ـ وانظر كشاف اصطلاحات الفنون ص ٣٤٥.

أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها»[1].

«فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي ـ أي النفس البشرية ـ عند الناس، فتعد التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها.

أما المجادلة بالتي هي أحسن فإنها تطمئن النفس على مشاعرها الحساسة، وتشعر المجادل بأن ذاته مصونة وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه، لأن المولى عز وجل قال في أول الآية: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ لا لأي سبيل آخر»[2].

«إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله. . وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج ٤/ ص ٢٥٥.

(٢) انظر في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٠٢.

الداعي ويشعر أنه ليس هدفه الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق»[١].

فإن أصر المدعو على باطله، ولجّ في عناده، وأصبح الكلام معه عبثاً، فليقطع الداعي المجادلة معه، فإن قطع المجادلة في هذه الحالة مسلك سديد، حيث لا ينفع مع بعض الناس المجادلة، لأنهم لا يريدون منها الوصول للحق ولكن يريدون المكابرة والعناد والجحود.

وقد ذكر القرآن الكريم نوعين من المجادلة:

١ ــ المجادلة الباطلة:

وهذا النوع نسبه إلى الكفار، والمعاندين للمسيرة الإسلامية، الواقفين في طريق امتداد الدعوة، بهدف طمس الحقيقة. قال تعالى: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾[٢] فسعوا في نصرة الباطل ما أمكنهم، وفي إدحاض الحق وإبطاله.

«ومن حكمة الله ورحمته أن تقييضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل، من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبين شواهده وأدلته، وتبين الباطل وفساده فبضدها تتبين الأشياء»[٣].

«فالمجادلة بالباطل فيها إصرار على معارضة الدعوة بدون دليل

(١) سيد قطب/ طريق الدعوة في ظلال القرآن الكريم، ص ١٢٩ جمع وإعداد أحمد فائز.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ ج ٥/ص ٥١.

معقول، وتعقيد القضية الحقيقية، وإضاعة الوقت دون جدوى في مناقشة جوفاء لا طائل تحتها، وعدم الاستماع إلى حديث الخصم، والحيلولة دون الاستفادة، وإطلاق اللسان دون هدف نزيه وغرض شريف»[1].

٢ ــ المجادلة الحسنة:

ومعناها جذب الخصم إلى الفكرة، وتقريبه لها بأسلوب ملؤه الود والحب، والتعاطف وحسن الاستدلال، حتى يضطره إخلاص الداعي، وتفانيه، وصدقه إلى التأمل فيما عرض عليه من أفكاره وآرائه ونظرياته، ومن ثم قبوله والإيمان به.

فالمجادلة الحسنة لا غلظة فيها، بل فيها صبر واجتهاد في كشف الشبهة، وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن، لأن هذا أقرب إلى الانتفاع بالحق وقبوله. وقد ذكر القرآن الكريم أمثلة عديدة للمجادلة الحسنة، منها الحوار الذي دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين النمرود قال تعالى:

﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك. إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[2].

فقد أخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام، حيث حاجه هذا

---

(١) أمين حسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، ص ٦٣ دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت، توزيع رئاسة الإفتاء.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

الملك الجبار، وهو النمرود البابلي المعطل المنكر لرب العالمين، والذي تزعم لمقاومة إبراهيم الخليل ومحاجته في هذا الأمر، الذي لا يقبل شكاً ولا إشكالاً ولا ريباً وهو توحيد الله وربوبيته الذي هو أجلى الأمور وأوضحها.

ولكن هذا الجبار غره ملكه وأطغاه، حتى وصلت به الحال إلى أن أنكر وجود الخالق، وحاج إبراهيم الرسول العظيم، الذي أعطاه الله من العلم واليقين، مالم يأت أحد من الرسل سوى محمد ﷺ.

فقال إبراهيم مناظراً له «ربي الذي يحيي ويميت».

أي: هو المنفرد بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة.

فذكر من هذا الجنس أظهره وهو الإحياء والإماتة. فقال ذلك الجبار مباهتاً (أنا أحيي وأميت) وعنى بذلك أنه يقتل من أراد قتله، ويستبقي من أراد استبقاءه.

ومن المعلوم أن هذا تمويه وتزوير، وحيدة عن المقصود، وأن المقصود، أن الله تعالى هو الذي تفرد بإيجاد الحياة في المعدومات، وردها على الأموات وأنه هو الذي يميت العباد والحيوانات بآجالها بأسباب ربطها وبغير أسباب.

فلما رآه الخليل مموهاً تمويهاً ربما راج على الهمج والرعاع. قال إبراهيم ملزماً له بتصديق قوله إن كان كما يزعم ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾.

أي: وقف، وانقطعت حجته واضمحلت شبهته، وليس هذا من الخليل انتقالاً من دليل إلى آخر، وإنما هو إلزام النمرود بطرد دليله إن

كان صادقاً، فلما رأى إبراهيم من معارضته ما يدل على ضعف فهمه، أو مغالطته، فإنه عارض اللفظ بمثله، ولم يتدبر اختلاف الوصفين، وإنما ذكر له ما لا يمكن أن يدعيه، ولا يغالط فيه.

فلما أتى بالحجة الدامغة، بهته بذلك، وحيره، وغلبه ولم تكن له حيلة، والله لا يرشد الظالمين في حجتهم»[1].

* * *

وبتتبع واستقراء المجادلات الدعوية في عهد الملك عبد العزيز يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول:

المناظرات الشفوية التي يجتمع فيها العلماء، ويتناقشون حول قضية محددة ويكون مراد الجميع الوصول إلى الحق كما جرى في عام ١٣٤٣ هـ بعد فتح الحجاز حينما اجتمع علماء مكة المكرمة، بعلماء نجد عدة اجتماعات تناظروا خلالها حول قضايا عديدة فأصدروا على أثرها رسالة مختصرة في بيان العقيدة الصحيحة على نهج كتاب الله وسنة نبيه، واجماع علماء الأمة تاركين الآراء الفلسفية، والطرق الكلامية، والدجل الصوفي وقد صدر بسبب هذه الاجتماعات كتابان الأول: (البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد عن عقائد التوحيد) والثاني (نداء عام من علماء بلد الله الحرام)[2].

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط، ج ٢/ص ٢٨٨ وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ج ١/ ٣١٩.

(٢) انظر مجلة أم القرى بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ هـ.

والقسم الثاني:

المناظرات العلمية التحريرية ومن أهم ما يمثل هذا القسم كتب الردود التي قام علماء الدعوة بتأليفها رداً على من تهجم على الدعوة السلفية، وأخطاء في العقيدة.

ولقد كان علماء الدعوة السلفية يخوضون غمار معركة القلم في المجادلة بالتي هي أحسن بأسلوب علمي رصين رداً للشبهات التي أثيرت حول الدعوة السلفية، ودعوة إلى الحق والصراط المستقيم سائرين في ذلك على منهج سلفهم الصالحين غير مبدلين ولا مغيرين.

هذا وقد اشتهر كثير من العلماء في عهد الملك عبد العزيز بسعة العلم التي مكنتهم من المجادلة بالتي هي أحسن، وممن كان له أثر واضح في هذا الميدان الشيخ سليمان بن سحمان، نظراً لأنه قد أدرك عهد ابن رشيد، وعهد الملك عبد العزيز إلى سنة ١٣٤٩ هـ وكانت له ـ رحمه الله ـ ردود مفحمة مقنعة، منظومة وغير منظومة، على من نسب إلى الدعوة السلفية ما ليس فيها. ولا تزال آثاره العلمية في الرد على المتشددين والمغالين، ينتفع بها إلى الآن، فقد أدحض أدلتهم، وشبههم، وضلالاتهم، وأقوالهم الفاسدة بالحجة، والدليل المقنع، وكشف كثيراً من الشبه وأبطل زخارف القول، وأسكت المناظرين، حتى عجزوا عن المقابلة والمقاومة.

وقد كان الجهال يفترون على الشريعة المطهرة، وينسبون إليها الترهات، والخرافات، ولكن الله عز وجل أقام في هذا العهد دعاة لدينه، ذابين عن شريعته وقد وفقهم الله في الرد على المبطلين، وكشف زيغ الزائغين، ونصرة الحق المبين.

وقد كان كثير من العلماء أصحاب ردود قوية لنصرة الإسلام، والذب عن حوزة الدين، والرد على المنحرفين نظماً ونثراً، والانتصار للعقيدة السلفية بالكلام اللين، والحجة الواضحة.

وهناك مؤلفات عديدة مطبوعة ومخطوطة[1] في المجادلة بالتي هي أحسن، ألفها العلماء في الرد على أعداء الدعوة السلفية، وعلماء الضلال الذين يتربصون بهذا الدين الدوائر ولا يألون جهداً في أن ينالوا منه.

وقد كان للعلماء في عصر الملك عبد العزيز اليد الطولى في بيان العقيدة السلفية ورد الشبهات عنها بالمجادلة، حيث الإجابة الحاضرة والبديهة المتوقدة، وكانت لهم صولات وجولات مع الباطل، غيرة على الدين وحباً في إظهار الحق.

وكان هؤلاء العلماء ـ رحمهم الله ـ يعتمدون على الكتاب والسنة في الاستدلال والاحتجاج عند المجادلة بالتي هي أحسن.

قال الشيخ سليمان بن سحمان:

بمحكم آيات وسنة أحمد   نصول على الأعداء نأطرهم أطرا

وقد كان أعداء الدعوة السلفية، قبيل حكم الملك عبد العزيز، قد أحسوا بضعف الدعوة، لانشغال أنصارها من آل سعود، فصاروا يوجهون إليها سهام النقد، وسموم الحقد.

---

(١) منها: تبرئة الشيخين للشيخ سليمان بن سحمان، الأسنة الحداد، الصواعق المرسلة، تنبيه ذوي الألباب السليمة. وستأتي إن شاء الله أمثلة من كتب الردود في الباب الأخير عن تراجم العلماء المؤلفين.

فجرد العلماء أقلامهم للرد على هؤلاء المغرضين، وانطلق العلماء يلتمسون من العلي القدير نصرتهم على هؤلاء الحاقدين، فصاروا بعون الله يؤلفون، وينظمون، ويبرزون الحجج الساطعة، والبراهين الناصعة على فضل هذه الدعوة السلفية وسلامة منهجها.

فدحضوا أقوالهم، وردوا شبههم، وجددوا قواعد الدعوة السلفية في هذه البلاد.

ولما نصر الله دعوة التوحيد، ضعف شأن المجادلين المعاندين للدعوة السلفية، حيث جمع الله المسلمين على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل. والذي أيد العلماء في دفع شبهات الجاحدين من أعداء الدعوة، التي نادى بتجديدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأيدهم الملك بالقوة، والسلطان، وقام بطبع العديد من الردود والمناظرات.

ويعتبر من أقدم ما طبع على نفقة الملك عبد العزيز في الهند ديوان الشيخ سليمان بن سحمان المسمى (الجواهر المنضدة الحسان) ومجموعة كتب من تأليف الشيخ سليمان بن سحمان في الرد على أناس عارضوا الدعوة السلفية[(١)].

وإذا تتبعنا مؤلفات العلماء من النثر والنظم، في الرد والدفاع عن الشريعة المحمدية والملة الحنيفية، نلاحظ أن المجادلة بالتي هي أحسن، قد ظهرت في هذا العهد بمساعدة عدة عوامل منها:

---

(١) عبد العزيز الرفاعي/ عناية الملك عبد العزيز بطباعة الكتب/ ص ٩ من حديث للشيخ حمد الجاسر.

(أ) قوة تأثير الدعوة السلفية في العقول والنفوس.

(ب) ما فطر الله عليه العلماء في هذه البلاد، وما جبلوا عليه من روح إسلامية، تضرب بجذورها في التاريخ الإسلامي، إلى حيث كان طلوع فجر الدعوة من هذه الجزيرة.

(ج) إن هذا الكيان الذي أرسى دعائمه الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ يحكم بالشريعة الإسلامية، ويعلن في كل مناسبة تمسكه بالعقيدة السلفية الصافية.

هذه المؤثرات الثلاثة. قد أوجدت لدى علماء الدعوة قدرة على المجادلة بالتي هي أحسن، فضلاً عن سعة العلم وقوة الحفظ، التي كانت غالباً ما تسعفهم بالدليل القاطع، والحجة الدامغة.

كما كان بعض العلماء الذين أخذوا العلم عن بعض علماء الأمصار، ممن جابهوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فوافقوا شيوخهم وألفوا الكتب في سب هذه الدعوة السلفية، بل وألبوا الناس على علماء الدعوة، وعلى الحكومة التي تناصر هذه الدعوة السلفية، وجاهروا بذلك، وأظهروا العداوة، والمخالفة للدعوة وأتباعها، وحذروا الناس من اتباع هذه الدعوة، ووصفوها بالشدة والعنف.

إلا أن العلماء قاموا ممتثلين أمر الله عز وجل: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[١] فدعوا الناس إلى الحق وبينوا لهم أن هذه العقيدة السلفية هي عين السبيل الذي أمر الله بالدعوة إليه، وهي الرجوع إلى تعاليم الإسلام

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

والتمسك بها. وبينوا للناس بالحكمة والموعظة الحسنة أن هذه الدعوة بعيدة كل البعد عن العنف والشدة، فلانت بعض القلوب مع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وخرجت بعض الأقلام حاملة بعض الشبهات ضد الدعوة، فلم ينثنِ العلماء عن المجادلة بالتي هي أحسن، من أجل إقناع هؤلاء الناس، وردهم إلى الحق، فمنهم من هدى الله، ومنهم من أصر على رأيه، لأنه لم يقصد من مجادلته إلا نصرة رأيه دون الاستسلام لدليل حق، أو قول صدق.

ولقد بذل العلماء الجد والجهد، من أجل إظهار الحق ونصرته أمام الغلاة تارة، وأمام المعاندين للدعوة تارة أخرى، فجزاهم الله خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مناظرات العلماء في مواجهة الغلو والافتراء على الدعوة السلفية قد أورثت حركة التأليف كتباً عظيمة الفائدة للدراسة والمناظرة بالتي هي أحسن، مما يعد ثروة علمية ضخمة كان لها أكبر الأثر في نفع الأجيال الحاضرة، حيث علمت هذا الجيل كيفية استخراج النصوص من مكانها، ونصرة الحق.

□□□

المطلب الثالث

القصص وضرب الأمثال

المقصود من الدعوة إلى الله والهدف منها؛ إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق، حتى يأخذوا به وينجو من عذاب الله، وإخراج الكفار من ظلمة الكفر، إلى نور الإيمان والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل، إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية، إلى نور الطاعة. هذا هو مقصود الدعوة.

وقد يسلك الداعية ــ في سبيل تحقيق هذا الهدف ــ أساليب نظرية عقلية محضة؛ إذ إن طبيعة المدعوين، وإمكاناتهم تتناسب مع هذه الأساليب.

وقد يسلك مسلك القرآن الكريم في عرض الحقائق، والمعاني عرضاً عملياً محسوساً، باستخدام الأساليب التصويرية، التي تدخل على القلوب بيسر، وسهولة.

ومن أهم الأساليب التصويرية؛ إيراد القصص وضرب الأمثال. وأهم الأهداف المتحققة من القصة جاءت في خطاب الله عز وجل لنبيه بقوله: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[1].

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

أي: «نقوي، ونثبت الفؤاد بما جرى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولأتباعهم المؤمنين، وما لقوا من مكذبيهم من الأذى، ففي هذا كل أسوة به، إذ المشاركة في الأمور الصعبة تهون ما يلقى الإنسان من الأذى؛ ثم الإعلام بما جرى على مكذبيهم من العقوبات المستأصلة بأنواع من العذاب: من غرق، وريح، ورجفة، وخسف وغير ذلك، مما فيه طمأنينة للنفس، وتأنيس بأن الله يصيب من كذب الرسول ﷺ بالعذاب، كما جرى لمكذبي الرسل.

وفيه إنباء بحسن العاقبة للرسول وأتباعه، وموعظة لسامعه وازدجار وذكرى لمن آمن، إذ الموعظة والذكرى لا ينتفع بها إلا المؤمن»[(١)].

فالقصة للعبرة والموعظة وتثبيت القلب.

أما الأمثال فهدفها ورد في قوله تعالى:

﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾[(٢)].

«أي يتذكرون ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، وتبييناً للمعنى الذي أراده الله غاية البيان ويتضح غاية الوضوح.

وهذا من رحمته وحسن تعليمه فلله أتم الحمد وأكمله وأعمه»[(٣)].

---

(١) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٥/ ٢٧٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ٤/ ١٣٩.

وتمتاز القصة بأن النفس تميل إليها، حيث تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصة تشوقاً لمعرفة ما خفي من بقية الأحداث، كما أنها تمتاز بتصوير نواحي الحياة، فيتعرض للأشخاص وتحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم وبيئتهم الطبيعية والزمنية، فإذا رأى الإنسان التحركات والأخلاق ومضى مع الحوار والنقاش، عرف ما يستكن في النفوس من طباع، وانشرح صدره لأهل الخير منهم، وضاق صدره بأصحاب النفوس المظلمة والوسائل الملتوية.

لذلك إذا كانت القصة بارعة محكمة، عاشها المدعو كأنه يرى أشخاصها رأي العين، ويسمعهم بإذنه، ويعاشرهم، ويحيا معهم.

وينبغي التركيز على القصص القرآني، حيث يستنبط منه الداعية العبر والعظات، ويستخلص منه المبادىء، والدروس للاستشهاد على المعنى الذي يريد التأكيد عليه، وذلك باعتبار «أن القرآن الكريم كتاب الدعوة ودستورها، ويجب أن يستمر زاداً للدعوة والدعاة على طول الزمن»[1].

فالقصة القرآنية تمد الداعية بزاد التقوى والشجاعة والصبر، وتبين له مبادىء الدعوة، وأساليبها كما كان يتبعها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتبصر الداعية بطبائع الناس، واتجاهاتهم أمام الدعوة.

وفي كل قصة من قصص القرآن هدف، ومعالجة لواقعة أو وقائع في نفوس البشر وحياتهم. فالقصة من أهم أساليب الدعوة

(١) د. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ورسائلها، ص ٣٢٨.

إلى الله. وكذلك سيرة الرسول ﷺ مملوءة بالعبر، والعظات، والدروس، والمبادىء، العظيمة «وإنا نحسب أن سيرة الرسول ــ ﷺ ــ وكمال عقله، وخلقه، واستقامة نفسه، وسلامة ما يدعو إليه، كل ذلك في نفسه دعوة إلى الإسلام في وسط غياهب الجهالة في الماضي، وهو لا يزال القوة الداعية إلى الإسلام في عصرنا الحاضر. وإنا نجد بعض الناس يسلمون إذا علموا السيرة النبوية، وأدركوا عقله، وبعده عن الأوهام والخرافات التي تسود العامة، وتستهوي تفكير السذج منهم»[١].

وكان الرسول ــ ﷺ ــ يختار من قصص السابقين ليشرح المعاني، ويوضح الأهداف بالأمثلة الحية. وهذه القصص تأتي في المرتبة بعد قصص القرآن الكريم. ولعل أهم مؤثرات القصة، هي قدرتها على رفع الروح المعنوية لدى المدعوين، وذلك بنقل قصص الثابتين على الحق، المتمسكين بالمبادىء المستعذبين الموت في سبيل الدعوة إلى الله.

وما زالت القصة تقوم بدور مهم في الدعوة، وذلك إذا أحسن الداعية استخدام الوسيلة التي يخرج بها هذا الأسلوب المؤثر، سواء استخدم أسلوب الكتابة أم غيرها لإخراجها في صورة مؤثرة تأتي بنتائج طيبة.

أما الأمثال فإن المدعو يتلقاها عادة بالقبول، لما لها من مكانة أدبية وأصالة تاريخية جعلتها أشبه بقوانين للسلوك والحياة التي

---

(١) محمد أبو زهرة، الدعوة إلى الإسلام، ص ٦٥.

يتداولها الناس، حيث تقرب المعقول بأمور محسوسة.

«والمثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلها بذاتها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغير يلحقها في لفظها وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني»(١).

وهو من الأساليب التي اعتمدها القرآن وكثرت فيه التآليف، قال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾(٢).

هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فمثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يقيها من الحر والبرد والآفات، وإن أضعف البيوت بيت العنكبوت، كما أنها من أضعف المخلوقات، كذلك الذين يتخذون من دونه أولياء فقراء عاجزون من جميع الوجوه.

وهذه الأمثال يضربها الله عز وجل لينتفع بها الناس ويتعلموا منها، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، لأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها فهي مصلحة لعموم الناس.

وقد ضرب الله عز وجل مثلاً لكلمة التوحيد فقال تعالى: ﴿ألم

---

(١) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج ١/ص ٢٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ٤١ ــ ٤٣.

تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾[1].

وضرب مثلاً لكلمة الكفر فقال: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾[2].

وضرب مثلاً للحياة الدنيا بينما هي تسر الناظرين بزخرفها وزينتها إذ تصبح هشيماً تذروه الرياح، فصاحبها يعجب بشبابه ويخوض في الشهوات، فيفاجأ بالتلف أو الموت. قال تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾[3].

ولا شك أن في حفظ الأمثال وتعلمها قوة وحجة لدى الداعية الذي يريد أن يؤيد حديثه بالحجج والبراهين ويقطع على الخصم طريقه.

«إن ضرب المثل يوضح المنبهم ويفتح المنغلق وبه يصور المعنى في الذهن ويكشف المعمي عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس أحسن موقع، وتقبله أفضل قبول وتطمئن به اطمئناناً وبه يقع إقناع الخصم وقطع تشوف المعترض»[4].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤ ــ ٢٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

(٤) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج ١/ ص ٣١.

وكما ترد الأمثال في القرآن الكريم ترد في الحديث الشريف، نحو قوله ـ ﷺ ـ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»(١).

وكما تأتي الأمثال في كتاب الله، وسنة نبيه ـ ﷺ ـ ينتج الواقع أيضاً حكماً، وأمثالاً(٢).

والناس من قديم الزمان ـ على اختلاف ثقافاتهم ـ يجدون في طبائعهم الميل إلى الاستشهاد بالمثل ـ خاصة إذا كان المدعوون من العوام، والأميين، حيث يؤيد الداعي كلامه بالمثل الذي تستأنس به النفوس، وتتضح من خلاله الأفكار، حيث تلتقي معاني المثل القديم، بواقع الحدث الجديد. فهذا التطابق ينزل الرضى، والقبول في نفوس المدعوين(٣).

وقد كانت القصة، والأمثال من أهم أساليب الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، وذلك بسبب قوتها على التأثير في العوام الذين

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج ١/ص ١٧٥، فتح الباري.

(٢) راجع في ذلك الحسن اليوسي، زهر الأكم في المثال والحكم.

(٣) انظر البهي الخولي، تذكرة الدعاة، ص ٨٢.

تنتشر فيهم الأمية، فقد كان علماء الدعوة يستخدمون الأمثال القرآنية النبوية بكثرة في مواعظهم، سواء كان في الخطب، أم قراءة الكتب عقب صلاة العصر، وقبل صلاة العشاء.

ومن الكتب التي كانوا يقرأونها على المصلين في المساجد (تفسير القرآن العظيم لابن كثير) المشتمل على القصص القرآنية البليغة؛ مثل قصة يوسف عليه السلام، وقصص موسى عليه السلام، وغيره من قصص الأنبياء الكرام، وأيضاً كتب السيرة النبوية المشتملة على قصص النبي ـ ﷺ ـ وصبره وجهاده في الدعوة إلى الله سبحانه.

وكانت لهذه القصص، والأمثال أثر طيب في نفوس السامعين، حيث إنها توصل المعلومة الدينية إلى عقول السامعين بيسر وسهولة ووضوح.

وقد يسوق العلماء أمثالاً جديدة استفادوها من واقع حياتهم، حيث تكون قريبة أساساً للمدعوين، وأثرها أقوى. وأنفع مثال ذلك ما حدثني به هميجان بن مذيور قال:

في أثناء رجوع جيش الملك عبد العزيز من إحدى الغزوات في جنوب الجزيرة العربية إبان توحيد المملكة العربية السعودية، ولما رجعوا وأقبلوا على صحراء الهضب، وقل الماء لديهم، انطلقوا في الليل يريدون أن يردوا الماء ويشربوا من بئر تدعي «ريا». وكان ضمن الجيش رجل من قبيلة الدواسر، وكانت راحلته ضعيفة، ويمشي في مؤخرة الجيش. فسبقه الجيش، لكنهم تاهوا عن مورد الماء، وأخذوا يبحثون عن مورد الماء مدة، ثم اهتدوا له، فوجدوا الرجل قد سبقهم إلى البئر، وشرب وأسقى راحلته وأعد غداءه وخلد للراحة، فقال

الشيخ أبو حبيب: «شوفوا أيها الأخوان مثل هذا الرجل ومثلكم كصاحب السنة وصاحب البدعة، فصاحب السنة يسلك الطريق القويم فيصل إلى هدفه. وصاحب البدعة يتخبط بجهله دون تثبت، فيضل الطريق كما تاه الجيش في هذه الفلاة الواسعة»[1].

وحدثني سرهيد[2] قال:

سافرت أنا والشيخ أبو حبيب على راحلتين من هجرة الرين إلى بلد الحوطة، وبعد صلاة الفجر حثني الشيخ على ذكر الله ثم قال: يا سرهيد أتفيدني أم أفيدك. فقال: أفدني يا شيخ قال: منهم أناس إذا خرجوا صباحاً يلتمسون الصيد عادوا آخر النهار، هذا معه غزال، وهذا معه أرنب، وهذا معه ضب، وقد عاد هذا بحية، وآخر بعقرب، وهذا ولا شيء معه. فسأله سرهيد عن هذا التنوع في الصيد؟

فقال الشيخ: هكذا الناس يصبحون، فمنهم من يكسب الحسنات كمن يصطاد الغزال والظبي، ومنهم من يكسب السيئات كمن يأتي بالعقرب والحية.

ومما ورد في السنة النبوية عن طارق بن شهاب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا كيف ذلك يا رسول الله؟

---

(١) شريط تسجيل لهميجان بن مذيور تلميذ الشيخ أبي حبيب وأحد المعاصرين للملك عبد العزيز.

(٢) هو خالد بن سعد الفهري من ملازمي الشيخ أبو حبيب ويعرف بسرهيد توفي رحمه الله يوم ١٣١٢/٨/٢٩ هـ.

قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقال لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا: قرب ولو ذباباً. فقرب ذباباً. فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل. فضربوا عنقه، فدخل الجنة»(١).

ففي هذه القصة توضيح للأذهان بوجوب التوحيد، وعدم الإشراك، وحسن عاقبة الموحدين.

وهكذا تتضح أهمية القصة وضرب الأمثال كأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز.

بيد أنه من الملاحظ أن هذا الأسلوب، وإن كنا نعتقد أنه كان كثيراً في الوعظ والتعليم أيام الملك عبد العزيز، وخاصة في مواسم الحج، وفي مراحل تأليف القلوب ـ إلا أنه لم يجمع منه الكثير، وضاع في زوايا الإهمال، مع أهميته التي كانت توجب تتبعه، وجمعه وإبرازه من صدور الرجال الذين عاصروه، ووعوة قبل وفاتهم رحمهم الله.

□□□

---

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده، ج ٣/ ٦٧، ٧١، ٣٦٥ مرسل صاحبي وقد ورد في فتوى للشيخ حمد بن عتيق في سياق إجابته عن سؤال عن حكم الذبح للمريض، انظر الدرر السنية، ج ٧/ ٢٤٩.

الباب الثالث

من رجال العلم والدعوة

في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله

ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول:

تمهيد

في المراد بالعلماء الدعاة

أولى الإسلام للعلم اهتماماً عظيماً، فكان أول آية نزلت من القرآن تحث على العلم، قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[1]، وقال في شرف العلم لنبيه ـ ﷺ ـ: ﴿وقل رب زدني علماً﴾[2] فلو كان شيء أشرف من العلم، لأمر الله تعالى نبيه ـ ﷺ ـ أن يسأله المزيد منه، كما أمر أن يستزيده من العلم، ومن ثم تبوأ العلماء مكانة رفيعة في الإسلام، قال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3]، وقد جعل رسول الله ـ ﷺ ـ العلم مقياساً للخيرية، والتفاضل «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[4] و «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[5].

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين برقم ٧١ ومسلم في كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة برقم ١٠٣٧.

(٥) رواه أبو داود في كتاب العلم باب في فضل العلم برقم ٣٦٣٦ والترمذي ٥/٤٧ في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم ٢٦٨٢ وابن ماجه ١/٨١ في المقدمة باب فضل العلم والحث على طلب العلم =

ويكفي في فضل العلماء أن الله قرن اسمه سبحانه بإسمهم، واسم ملائكته، قال سبحانه وتعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾(١)، وبين الحق سبحانه أن الرفعة، والدرجات العلى في الآخرة، والكرامة في الدنيا يعطيها للعلماء، قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(٢).

ولقد تبوأ العلماء المكانة العلية، بوراثتهم النبوية «العلماء ورثة الأنبياء»(٣) فورثوا عنهم مهمة الدعوة، كما ورثوا عنهم العلم.

ولا ينفصل العلم عن العمل والدعوة إليه في المنهج الإسلامي، وقد أمر الله تعالى رسوله أن يبين طريقه، ويدعو إليها: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾(٤)، ﴿يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(٥).

ومن هنا ندرك أن العلم، والدعوة مترابطان، ومتلازمان، لا يمكن فصلهما عن بعضهما، لذلك كان علماء السلف ــ رضوان الله

= وأحمد ٥/ ١٩٥ وابن حبان في كتاب العلم برقم ٨٨ وصححه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) رواه أبو داود كتاب العلم باب في فضل العلم برقم ٣٦٣٦ والترمذي ٥/ ٤٧ كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم ٢٦٨٢ وابن ماجه ١/ ٨١ وأحمد ٥/ ١٩٥ وابن حيان برقم ٨٨ وصححه.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

عليهم ــ يدخل ضمن عملهم الأساس الذي يؤدونه الدعوة، بل كان من صلب عملهم.

وفي الفترة التي نحن بصدد دراستها نجد أن العلماء قد كرسوا جل أوقاتهم للدعوة إلى الله، سواء كانوا قضاة، أم مفتين، أم معلمين، أم غير ذلك فلم يكن منهم المتفرغ للعمل المكلف به من قبل ولي الأمر، معرضاً عن الدعوة إلا القليل منهم.

وسوف أحاول في هذا الفصل تسليط الأضواء على أولئك الرجال الأفذاذ، الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذا الدين، وكانت لهم اليد الطولى في الدعوة، وكانوا بحق مشعل هداية وإرشاد، وسنتحدث عن سيرتهم العطرة بشكل موجز، ونبين أهم فضائلهم، وآثارهم في الدعوة.

وقد ارتأيت أن أصنف العلماء بحسب اهتماماتهم ووظائفهم، فمنهم من غلب عليه جانب الإفتاء، ومنهم من غلب عليه العمل في مجال القضاء، وبعضهم غلب عليه تأليف الكتب، ومنهم من اشتهر بالوعظ والإرشاد، وآخرون نذروا أنفسهم للتعليم والتدريس، وكل له نصيب من ميراث النبوة.

□□□

الفصل الأول

العلماء الذين اشتهروا بالإفتاء

ويحتوي على تمهيد وخمسة مباحث:

تمهيـد: في مرتبة الإفتاء وأثرها في الدعوة.

المبحـث الأول: نشـاط الشيـخ عبـد الله بـن عبـد اللطيـف فـي الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ.

المبحث الثالث: الشيخ عبد الرحمن السعدي.

المبحث الرابع: الشيخ عبد الله بن الحسن.

المبحث الخامس: الشيخ محمد بن إبراهيم.

تمهيـــد

في مرتبة الإفتاء وأثرها في الدعوة

إن مرتبة الإفتاء؛ هي القدرة على تبصير الناس بالحلال والحرام وما يجوز وما لا يجوز في أمور الدين التي، لا تدركها ثقافة المسلم العادي، ولا تبصر حكم الله تعالى فيها. إنها مرتبة عالية بلغها بعض الدعاة، وبعضهم تدرج مرتقياً فيها حتى وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق[1]، أو المقيد[2].

وفي عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، كان للدعاة المفتين نصيب كبير في نشر الدعوة، وتصحيح العقائد، وربط الناس بالدين في أمور معاشهم، وفي شتى مجالات حياتهم الأسرية، والاجتماعية، والاقتصادية.

---

(١) الاجتهاد المطلق: القدرة على التصرف في أقوال العلماء بالجمع والتفريق والترتيب والتصحيح والإفساد، مع القدرة على استخراج أحكام المسائل من النصوص الشرعية بواسطة القواعد الأصولية.
انظر: ابن النجار الفتوحي، شرح الكوكب المنير ط. جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ج ٤، ص ٤٥٩.

(٢) الاجتهاد المقيد: هو الاجتهاد داخل المذهب بمعرفة مداركه والقدرة على تقرير قواعده والجمع والتفريق بين مسائله.
انظر: ابن النجار، شرح الكوكب المنير ٤/ ٤٦٧.

ويبدو جلياً أن المفتين الذين ظهروا في عهد الملك عبد العزيز، قد بذلوا جهوداً عظيمة في الدعوة إلى الله، فكانت فتاواهم محتوية على إرشاد الخلق، وتعليمهم، فجعلوا ذلك سبيلاً، أو أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله، وذلك بالمزج بين فقه الفروع[1]، والأصول[2]، والإصلاح والإرشاد، وهذا الأمر برز فيه بعض الدعاة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله.

لكل ذلك يمكن القول بأن أهل الإفتاء في ذلك العهد، كانوا دعاة مصلحين، محتسبين، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، يقودون المجتمع المسلم إلى ما فيه صلاح الأمور كلها، حسب شريعة الله تعالى، دون الاقتصار على الجزئيات وحدها، ولا على التعصب المذهبي الممقوت. لقد كان بناء المجتمع المسلم الصحيح، هو قضيتهم الأولى، وكانت غالب الفتاوى موافقة لمذهب الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ إذا كان دليله أقوى، سواء من الكتاب أو السنة. وقد تأثر الكثير من هؤلاء العلماء بآراء واجتهادات شيخ

---

(١) عرف الطوفي الفروع بأنها القضايا التي لا يتعلق بالخطأ في اعتقاد مقتضاها ولا العمل بها قدح الدين ولا العدالة في الدنيا ولا وعيد في الآخرة.
انظر: الطوفي شرح مختصر الروضة تحقيق د. عبد الله التركي، مطبعة الرسالة الطبعة الأولى، ج ١، ص ١٢١.

(٢) الأصول يراد بها علم الاعتقاد الذي يبحث فيه عما يجب لله من صفات الكمال وعما يجب للرسل وما يتصل بذلك من الإيمان بالبعث والملائكة والكتب والقدر، عبد العزيز الربيعة، علم التوحيد، ص ٢٩.
ويراد به علم الأصول وهو القواعد التي تستنبط بواسطتها الأحكام الشرعية، الطوفي شرح مختصر الروضة ١/ ١٢٠.

الإسلام ابن تيمية الفقهية، واجتهادات أئمة الدعوة، وغيرهم من العلماء المحققين، ولو كانت مخالفة للمذهب متى ما كان يسندها الدليل[1].

---

(١) ولذلك نجدهم يشيرون إلى اختيارات الإمام ابن تيمية ووافقوه في بعض اختياراته لأنهم يرون أن الدليل معه وإن كانوا لم يوافقوه في جميع اختياراتهم ومن المسائل التي وافقوا فيها:

أ ــ تقسيم المياه إلى قسمين طهور ونجس، انظر الدرر السنية ٤/ ٦٩ وفتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ٢/ ٢٧ والمختارات الجلية للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ص ٩.

ب ــ طهارة جلد الميتة بالدباغ: انظر فتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ٢/ ٣٠ والمختارات الجلية ص ١٥.

ج ــ عدم كراهة استقبال النيرين عند البول والغائط انظر فتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ٢/ ٣٥ والمختارات الجلية ص ١٥.

د ــ جواز فعل ذوات الأسباب في أوقات النهي عن الصلاة، انظر: فتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ٢/ ٢٦٠ والمختارات الجلية ص ٥١.

هـ ــ عدم وجوب الكفارة على المجامع في رمضان ناسياً، انظر الدرر السنية ٤/ ٣٨٦ وفتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ٤/ ١٩٥، والمختارات الجلية ص ٨٥.

و ــ النهي عن صوم يوم الشك ولو كان في السماء غيم، انظر الدرر السنية ٤/ ٣٤٠ وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ٤/ ١٥١ والمختارات الجلية ص ٨٠.

ز ــ جواز شراء المصحف وبيعه انظر فتاوى الشيخ محمد ٧/ ٩ والمختارات الجلية ص ٩٥ وهناك مسائل كثيرة على هذا النمط اكتفيت بما سبق كالمثال عليها.

أما العلماء الذين اشتهروا بالإفتاء في عهد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ فأذكر أبرزهم مرتين حسب وفاة كل منهم، وهم:

١ ــ الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ــ توفي عام ١٣٣٩ هـ.

٢ ــ الشيخ محمد بن عبد اللطيف ــ توفي عام ١٣٦٧ هـ.

٣ ــ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ــ توفي عام ١٣٧٦ هـ.

٤ ــ الشيخ عبد الله بن حسن ــ توفي عام ١٣٧٨ هـ.

٥ ــ الشيخ محمد بن إبراهيم ــ توفي عام ١٣٨٩ هـ.

ونذكر فيما يلي ترجمات مختصرة لهؤلاء الرجال الأفذاذ ــ رحمهم الله ــ مع بيان جهودهم في مجال الدعوة والإرشاد.

□□□

المبحث الأول

الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف(١)

من العلماء المفتين الذين لهم جهد ملموس في الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز، فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، الذي تميز بالتضلع في فنون العلوم الشرعية، مع اتصافه بالعقل الراسخ، والكرم، والحلم، والرحمة، زيادة على كونه من نسب عريق، لقد كان للشيخ نشاط بارز في الدعوة إلى الله، يمكن تقسيمه حسبما يأتي:

١ ـ تدريس العلوم الشرعية:

حيث كان يتولى تدريس العلوم الشرعية قبل عهد الملك

---

(١) الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ١٢٦٥ هـ بالأحساء وقدم الرياض سنة ١٢٧٢ هـ، أخذ العلم عن أبيه وجده بالرياض وعن الشيخ حمد بن عتيق في الأفلاج وعن جماعة آخرين من العلماء، تولى الإفتاء بالرياض في أواخر عهد الدولة السعودية الثانية ثم نقله ابن رشيد إلى حائل سنة ١٣٠٩ هـ حولاً كاملاً ثم عاد للرياض أقبل عليه الطلاب ينهلون من علمه اشتهر بالمهابة والعلم والكرم. توفي رحمه الله سنة ١٣٣٩ هـ بالرياض وصلى عليه جمع غفير في مقدمتهم الملك عبد العزيز.
انظر: البسام: علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٧٢، عبد الرحمن آل الشيخ/ مشاهير علماء نجد ص ١٢٩.

عبد العزيز في الرياض، في أواخر عهد الدولة السعودية الثانية، مع كون ذلك الوقت مملوءً بالفتن[(١)]، وكان ممن درس عليه الملك عبد العزيز حال صغره، حيث وضعه أبوه تحت رعاية الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، الذي أعد كراسة صغيرة خصيصاً له، لتعليمه أصول الفقه، والتوحيد[(٢)]، ثم لما زالت الدولة طلبه ابن رشيد في حائل، فعقد الدروس العلمية هناك، فأقبل عليه طلاب العلم، وتزاحموا على أبوابه، حتى خاف ابن رشيد من انصراف الناس إلى الشيخ، فأعاده للرياض، فاستأنف فيها الحلقات العلمية[(٣)].

فلما عاد الملك عبد العزيز استمر في التدريس، وكثف دروسه العلمية، حيث كان له في اليوم، والليلة خمس جلسات في شتى الفنون، وكان يقسم التلاميذ إلى فئات حسب المستوى العلمي، ويعطي كل فئة ما تستحقه[(٤)]، وقد عاش الشيخ عشرين عاماً في ولاية الملك عبد العزيز، قضاها في نشر العلم والدعوة إلى الله[(٥)]، وتخرج على يديه طوائف من علماء المسلمين؛ من القضاة، والمفتين، والمرشدين، والدعاة، والمدرسين، ونفع الله بعلمه خلقاً كثيراً،

---

(١) البسام ١/ ٧٣ آل الشيخ ص ١٣٠.
(٢) أبو راس ص ٣٣، الزركلي، شبه الجزيرة ص ٥٧.
(٣) البسام ١/ ٧٥ آل الشيخ ص ١٣١، القاضي ١/ ٣٦٢.
(٤) القاضي ١/ ٣٦٢.
(٥) آل الشيخ ص ١٣٢.

وجمعاً غفيراً[1]. وكان الملك عبد العزيز يأتي إليه في بيته، ويحضر دروسه[2].

ومما سبق يتضح أن الشيخ قد تولى تدريس جميع العلوم الشرعية، من أجل إعطاء نظرة تكاملية لتلاميذه، لئلا يكون لديهم قصور في أحد جوانب العلم الشرعي، بسبب التركيز على جانب آخر.

كما نرى أن الشيخ قد استخدم الحكمة في تدريسه، حيث قسم طلابه إلى مجموعات، ولكل مجموعة معلومات خاصة، وأسلوب خاص، حسب مستواهم العلمي، وقدراتهم الذهنية.

٢ ــ الإفتـــاء:

فقد كانت الأسئلة، والاستفسارات ترد عليه من الرياض، ومن غيرها من البلدان عن الأحكام الشرعية والشيخ يجيب عنها إجابات مقرونة بالأدلة، وهذه الإجابات تدل على غزارة العلم، وسعة الاطلاع، ويحتوي كتاب الدرر السنية على مجموعة منها[3].

وبعد تأمل هذه الفتاوى، نجد أن بعضها يظهر أنه شفوي، ومثال ذلك ما ورد فيها أنه سئل عن السلم[4]

(١) البسام ١/ ٧٦.
(٢) البسام ١/ ٧٨ آل الشيخ ص ١٣١.
(٣) ٣/ ٥٤ و١٤٠ و١٥٩ و١٩١ و١٩٨ و٢٠٣ و٢١١ و٢٤٧ و٣٦١ و٤١٣ و٤/ ٦٩ و٨٩ و١٤١ و١٤٤ و١٦٨ و١٧٨ و١٨٠ و١٩٤ و٢٢٩ و٢٥٦ و٢٧٥ و٣٢٣ و٣٦٠ و٣٦٦ و٤٠٦ و٤٧٤ و٤٧٥ و٥/ ٢٠١ و٥/ ٢٤٢.
(٤) السلم هو عقد يقدم فيه الثمن، ويؤخر تسليم المبيع إلى مدة معلومة ويكون المبيع غير معين وإنما هو موصوف بصفات تحدد نوعه وجنسه، ويعرفه ابن=

في الصمغ؟ فأجاب: يجوز لأنه يضبط بالصفة[1].

بينما هناك فتاوى تحريرية من ذلك؛ ما ورد في الدرر السنية أنه أشكل على بعض الأخوان كبر الهلال، فكتب إلى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف فأجاب بجواب فيه، «وتذكر أنه حصل إشكال في الهلال لارتفاع منزلته، وأنت فاهم ـ حفظك الله ـ غربة الإسلام، وما حصل من غالب الخلق، وما وقع في أنفسهم من الحرج عند الوقوف على الأمر والنهي، والعبادات مبناها على الاتباع... ومن أراد الاحتياط لنفسه في أمر العبادات، بأمر لم يحتط به الرسول، ولم يحكم به، فلازم اعتقاده، وفعله، ومقاله، نقص البلاغ أمراً ونهياً، وهذه مصيبة عظمى، وداهية كبرى، علق رسول الله ﷺ الصوم والفطر بالرؤية، أمراً ونهياً لا على المنازل، وكبرها.... وقد ابتلينا بمن بنى أمره على التلبيس، والتشويش، والمخالفة أصلاً، وفرعاً حتى حكموا بالصوم بارتفاع المنزلة، وأوجبوا ذلك على الناس، وهم قد دخلوا في العبادة بصيام شك، فالزم السنة، واصبر نفسك..»[2].

وعند التأمل في فتاوى الشيخ، نجدها تدل على معرفته بواقع الناس، وأحوالهم ولذا فهو يقسم المسألة، ويفصل القول فيها عندما

= قدامة بقوله: هو أن يسلم عوضاً حاضراً في عوض موصوف في الذمة إلى أجل.
(ابن قدامة: عبد الله بن أحمد، المغني تحقيق د. عبد الله التركي ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ج ٦ ص ٣٨٤).

(١) الدرر السنية ٤/ ٨٩.

(٢) القاسم، الدرر السنية ٣/ ٣٦١.

تحتاج إلى ذلك، ومن هذا لما سئل عن ذبائح الأعراب أجاب «وأما ذبائح الأعراب؛ فالأعراب في هذه الأزمان بعضهم شاملة اسم الإسلام، ومن عرف منهم بتحكيم الطاغوت، وإنكار البعث، أو الاستهزاء بالدين، أو عمل الكهانة، أو السحر، فلا تحل ذبائحهم، ولا يجوز الأكل منها»[1].

ونظراً لتعمق الشيخ في الفقه، واطلاعه على مسائل العلم، نجد القضاة يعرضون عليه ما يواجههم من مسائل لا يعرفون حكمها، وقد أجاب على أحدهم بقوله: «ومن حال المرأة مع زوجها، فلا يظهر لي في شأنها سوى ما تضمنه حديث ثابت بن قيس، وامرأته جميلة، ولا تأل جهداً في نصيحة زوجها، والمشورة عليه بعدم المضارة»[2]، مما يبين لنا عطف الشيخ، وحنوه على الخلق.

والغالب في فتاوى الشيخ أنه يفتي بما وصل إليه اجتهاده، ولا يذكر إلا قولاً واحداً، إلا في مسائل قليلة، ولعل السبب في ذلك أن السائل من العلماء، فأحب أن يوقفه على الخلاف في المسألة وأدلته ومن ذلك أنه أجاب في مسألة طلاق الجاهل بقوله[3]: «مسألة الجاهل، والناسي فيها أقوال للعلماء؛ فعن أحمد أنه إذا حلف لا يفعل شيئاً ففعله ناسياً... حنث في الطلاق، والعتاق دون اليمين، وهذه الرواية أخذ بها المتأخرون، والرواية الأخرى أنه لا يحنث في الطلاق، والعتاق وهذا قول عطاء وعمرو بن دينار... لقول الله

---

(١) القاسم، الدرر السنية ٤/ ٤٧٤.
(٢) القاسم ٤/ ٣٦٦.
(٣) القاسم ٤/ ٤٠٦.

تعالى: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾[1] وقال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوه عليه»[2].

٣ ــ بعث الرسائل والنصائح:

فقد اهتم الشيخ بتحرير الرسائل، والنصائح إلى البلدان المتفرقة[3].

فكان الشيخ كلما سمع عن وقوع شيء من المخالفات الشرعية، كتب في التحذير منه كتاباً يبين فيه الأدلة الشرعية، من ذلك أنه كتب إلى أهل الأرطاوية كتاباً قال فيه بعد السلام والدعاء «وموجب الخط، زيادة تنبيهكم، وتفهيمكم، وتحذيركم عن الشحناء، والتفرق، والاختلاف»[4]، ثم بين نعمة الله عليهم الاجتماع، والألفة على دين الإسلام، وحذرهم من التفرق، والاختلاف.

وفي رسالة عامة نجده يقول: «وبعد، موجب كتابي لكم، ما يبلغني عنكم من الشر الوخيم، والفعل الذميم، هو أنه إذا أخطأ أحد

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٢) رواه ابن ماجه ١/ ٦٥٩ برقم ٢٠٤٣ كتاب الطلاق باب طلاق المكروه والناسي، وابن حبان برقم ١٧٥ كتاب المناقب باب فضل الأمة والحاكم ٢/ ١٩٨ الدارقطني ٤/ ١٧٠ والطبراني ١١/ ١٣٤ والبيهقي ٧ وصححه ابن حبان والحاكم وابن رجب في جامع العلوم والحكم ٣/ ١٨٣.

(٣) البسام ١/ ٧٤ و٧٦ وانظر بعض رسائله في: القاسم، الدرر السنية ٤/ ٤٧٩ و٥/ ٦ و٣٩ و٢٠٠ و٢٦٥ و٢٧٣ و٢٧٤ و٢٧٧.

(٤) القاسم ٥/ ٣٩.

من المسلمين، أو من الاخوان، أو زل زلة، وأظهر الندم، والتوبة، ورجع إلى إخوانه أنكم تنفونه، وتأمرون بهجره... والله سبحانه يدعو عباده إلى التوبة، ويقبل منهم»، ثم ذكر الأدلة على ذلك[1].

وإذا نقل إليه فتوى خاطئة، أنكرها، وأرسل الرسائل العامة في إنكارها يقول في إحدى هذه الرسائل: «بلغنا أن ناساً جزموا بتحريم فريسة السبع التي افترسها، وبقيت حية إلى أن أدركتها الذكاة، وهذا جهل بأحكام القرآن، ونصوص السنة قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾... إلى قوله ﴿وما أكل السبع إلا ما ذكيتم﴾[2]، ثم يذكر الأحاديث، والآثار في المسألة بتوسع[3].

والشيخ لا يقتصر بالرسائل على عامة الناس، بل يفرد الخاصة بالرسائل التي تتعلق بهم، فهو يرسل للعلماء تارة[4]، للملك عبد العزيز تارة أخرى، من ذلك رسالته إليه التي يقول فيها بعد السلام، والدعاء: (وبعد فالسبب الداعي لتحريره محض النصيحة)، إلى أن قال ناصحاً للإمام مبيناً له الحكم الشرعي «فالواجب عليك حفظ ثغر الإسلام عن التلاعب به، وأنه لا يغزو أحد من أهل الهجر إلا بإذن منك، وأمر منك، ولو صاحب مطية، وتسد الباب عنهم جملة لئلا يتمادوا في الأمر، ويقع بسبب تماديهم، وتغافلكم خلل

---

(١) القاسم ٥/ ٢٠٠.
(٢) سورة المائدة آية ٣.
(٣) القاسم ٤/ ٤٧٩.
(٤) القاسم ٤/ ٢٦٥.

كبير، وذكرنا هذا قياماً بالواجب من النصيحة لك، وخروجاً من كتمان العلم، والله يمدك بمدد من عنده، ويعينك على ما حملك، وصلى الله على محمد»[1].

٤ ــ نصيحة ولاة الأمور:

كان الشيخ يناصح الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ والخطاب السابق نموذج من مناصحته، وكذلك كان «في طليعة المشايخ عنده في ــ جلسته للعلماء ــ كل خميس، وكان يذهب إلى بيت الملك عبد العزيز في الأمور المهمة الدينية، فينفذ له الملك ما يطلبه، وكان عيبة نصح له، وكان يناصح الأمراء، والقضاة، ويأمرهم بالعدل، والمساواة، ويحذرهم من الظلم، والتعدي، ويصدع بكلمة الحق، لا يخاف في الله لومة لائم»[2]، حتى أن الملك عبد العزيز كان يقول: «ما لقيت الشيخ ــ يعني عبد الله بن عبد اللطيف ــ إلا تصبب العرق من إبطي»[3]، وكان بينه وبين الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، حاكم قطر صداقة متينة، وكان الشيخ قاسم يحترمه، ويجله، ويراسله[4]، ونظراً لكون الشيخ حازماً في كل شؤونه راجح العقل «. . . وله مكانة مرموقة عند الناس، وعند الولاة، ومحبة مصطبغة في قلوبهم، وله هيبة، وعليه الوقار، وعلى جانب كبير من الأخلاق الرفيعة من

(١) القاسم ٥/ ٢٧٧ والرسالة محررة في سنة ١٣٣٨ هـ.
(٢) القاضي ١/ ٣٦٢.
(٣) الزركلي، شبه الجزيرة، ص ٧٤١.
(٤) آل الشيخ ١٣٤.

تواضع، وبذل للإحسان، والعطف على الخلق»[1] كان لكلامه قبول عند الخلق.

٥ ــ المواعظ العامة:

التي يلقيها على عامة الناس «يحثهم على التمسك بأهداب الإسلام والدين، ويحضهم على إخلاص النية، وإصلاح العمل، والقيام بواجب الدعوة، ونشر العلم، والتوحيد، فوضع الله له القبول في النفوس، وألقى عليه المهابة، والوقار، وصار مسموع الكلمة»[2].

٦ ــ الإمامة والخطابة:

فقد تولى إمامة الجامع الكبير بالرياض، والخطابة فيه، سنوات عديدة[3]، فقد «كان يصلي بالناس الجمعة، ويخطب بهم في المسجد الجامع الكبير، ويصلي بهم الأعياد، وكان خطيباً مؤثراً حسن القراءة والصوت، تبكي خطبته السامعين، وتؤثر فيهم تأثيراً بالغاً»[4].

٧ ــ التأليف:

فقد ألف ــ رحمه الله ــ رسائل كثيرة في أغراض متعددة، ومنها رسالة «الاتباع وخطر الغلو في الدين، والابتداع»، وغيرها من رسائله

---

(١) القاضي ١/ ٣٦١.
(٢) آل الشيخ ص ١٣٠.
(٣) القاضي ١/ ٣٦٢.
(٤) آل الشيخ ص ١٣٤.

المطبوعة ضمن رسائل علماء دعوة التوحيد[1].

٨ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فلقد «كان الشيخ ــ رحمه الله ــ مهيباً، وقوراً، غيوراً على حرمات الإسلام، والدين آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر لا تأخذه في الله ــ جل وعلا ــ لومة لائم، على سيرة علماء السلف الصالح، وسمتهم، وما كانوا عليه من الهداية والدين»[2].

٩ ــ توجيه القضاة، وأهل الحسبة، والدعاة إلى ما يرى فيه المصلحة، والخير للجميع:

فقد «كان الشيخ ــ رحمه الله ــ مرجع قضاة نجد في زمانه، ومرجع أهل الحسبة من الآمرين بالمعروف، والمرشدين»[3].

١٠ ــ بعث الدعاة إلى هجر الإخوان:

«فقد أقبلت بوادي الأعراب من أهل نجد في زمانه ــ رحمه الله ــ على الدين، وقراءة القرآن، وتعلم واجبات الإسلام، وسكنوا الهجر، وسموا بالاخوان، والفضل بعد الله في هدايتهم، وجمع كلمتهم، يرجع إلى اهتمام الملك عبد العزيز بأمور الدين، ثم إلى إخلاص الشيخ عبد الله في اختيار الدعاة والمرشدين من أهل

---

(١) ال الشيخ ص ١٣٣.
(٢) آل الشيخ ص ١٣٤.
(٣) آل الشيخ ١٣٤.

العلم، حيث أوكل الملك عبد العزيز إليه أمر اختيارهم، وابتعاثهم إلى بوادي الأعراب»[1].

□□□

---

(١) ال الشيخ ١٣٥ وانظر أبو راس ص ١١٧.

المبحث الثاني

الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ[1]

وهو أحد علماء عصره، وله يد طولى في التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه وعلوم العربية[2].

وكان للشيخ صفات جليلة، جعلت له القبول بين الخلق، حيث كان جواداً، كريماً، مضيافاً، حسن الخلق، لطيف المعشر[3]، «فللّه دره من كريم تضرب الأمثال بكرمه وجوده، وسخائه، وبذله، ومساعدته لطلاب العلم، والمحتاجين، وكان متميزاً بالتواضع وسلامة الصدر، ولين الجانب[4]، محمود السيرة، مستقيم الديانة، ذا غيرة شديدة، صداعاً بكلمة الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، كثير الذكر، لا يفتر لسانه منه كثير التلاوة، ورعاً، زاهداً، يحب أهل الخير،

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ولد بمدينة الرياض سنة ١٢٨٢ هـ ونشأ بها طلب العلم على والده وأخيه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وغيرهما توفي سنة ١٣٦٧ هـ.
انظر: آل الشيخ: مشاهير علماء نجد ص ١٤٦.

(٢) البسام ٣/ ٨٤٩.

(٣) البسام ٣/ ٨٥٠.

(٤) ابراهيم آل عبد المحسن، تذكرة أولى النهي ٤/ ٢٧٣.

وصولاً لرحمة[1]، مما جعل لأعماله الدعوية ثمرات عظيمة في المجتمع».

وتتمثل أعماله الدعوية فيما يأتي:

أولاً ــ التدريس:

حيث كان يجلس لتدريس تلاميذه في بيته، فيأخذون عنه جميع العلوم الشرعية، والعربية حتى استفاد منه خلق كثير[2].

وكان رحمه الله حسن التعليم، واسع الإطلاع[3].

ثانياً ــ الافتـاء:

فقد تصدى للإفتاء، والإفادة[4]، وللشيخ أجوبة تدل على طول باعه، وسعة إطلاعه[5]، ونشر بعض هذه الأجوبة ضمن رسائل أئمة الدعوة السلفية[6].

وبالنظر في هذه الفتاوى نجد الشيخ يجيب عن الفتاوى لوحده غالباً، بينما نجده يشترك مع غيره في بعض الفتاوى[7]، حتى إنه

---

(١) القاضي ٢/ ٢٦٩.

(٢) البسام ٣/ ٨٤٩.

(٣) القاضي ٢/ ٢٦٨.

(٤) البسام ٣/ ٨٤٩.

(٥) البسام ٣/ ٨٥٠.

(٦) انظر ابن قاسم، الدرر السنية ٢/ ٣٥٧، ٣/ ٥٥ و١٣٠ و١٣٣ و١٣٥ و١٩٧ و٢٣١ و٣٣٥ و٣٨٧ و٣٩٣ و٤١٤ و٥/ ٢١٦ و٣١٩ و٣٢٠ و٣٢٤ و٣٨٧ و٦/ ٢٨١.

(٧) ابن قاسم ٣/ ١٢٣، ١٣٥ و١٣١ و٥/ ٣١٩ و٣٢٠ و٣٨٧.

اشترك مع واحد وثلاثين عالماً في إصدار فتوى للجواب عن ثلاث مسائل، وقد تصدر اسمه أسماء جميع هؤلاء المفتين[(١)].

والشيخ لا يتعصب لمذهب أحد من الأئمة، وإنما يفتي بموجب الدليل، يقول في ذلك: «إذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائناً من كان، بل نتلقاها بالقبول، والتسليم لأن سنة رسول الله ﷺ في صدورنا أجل من أن نقدم عليها قول أحد، فهذا الذي نعتقده، وندين به»[(٢)].

ومن ذلك أنه افتى بعدم لزوم الكفارة على من جامع في يوم الشك، مخالفاً بذلك المذهب الحنبلي في هذه المسألة[(٣)].

والشيخ أحياناً يكتفي بنقل كلام أحد العلماء، الذين سبقوه عن المسألة التي سئل عنها إذا رأى كلامه وافياً بالمسألة؛ من ذلك أنه لما سئل عن حكم إطلاق تبارك على غير الله تعالى قال: «الحمد لله، هذه المسألة قد كفانا جوابها شمس الدين ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ في بدائع الفوائد بأوضح عبارة وأبينها، ثم نقل نص كلامه»[(٤)].

وهو يحرص على نقل كلام أهل العلم في أجوبته[(٥)].

وكذلك نجده في بعض الأحيان يؤيد فتاوى بعض المعاصرين

---

(١) ابن قاسم ٥/ ٣٢٠.

(٢) ابن قاسم ٣/ ٥٥.

(٣) ابن قاسم ٣/ ٣٨٧ وانظر في مذهب الحنابلة: البهوتي: كشاف القناع ٢/ ٣٥٢.

(٤) ابن قاسم ٢/ ٣٥٧ وانظر: ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد ٢/ ٨٥.

(٥) ابن قاسم ٣/ ٣٥٥.

له، فلما أفتى الشيخ عبد الله العنقري، بأن لبس العمامة بهيأتها المعروفة عند أهل نجد جائز، وليس مستحباً[١]، كتب الشيخ محمد بن عبد اللطيف مؤيداً فتواه: «ليعلم الواقف على هذا أن ما كتبه صاحبنا الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، في شأن العمامة أنه هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا التباس، لأن العمائم من قسم العادات المباحة، التي كانت العرب تلبسها، وليست من السنة المشروعة التي شرعت في الإسلام»[٢]، ثم ذهب يدلل على رأيه في المسألة.

والشيخ محمد بن عبد اللطيف لا يقتصر في فتاواه بالإجابة عن المسائل التي يوجد فيها كلام لأهل العلم سابقاً، بل يجتهد في المسائل الحادثة، ويقيسها على ما يماثلها؛ فعندما سئل عن الصلاة خلف شارب الدخان ألحقها بمسألة الصلاة خلف الفاسق[٣]، وعندما سئل عن صلاة أمير البلد في قصره لأجل الحفاظ على سلامته، ألحقها بمسألة تعدد الجمعة في البلد الواحد[٤].

ولم تكن الأسئلة من الداخل فقط، بل إن المسائل تأتيه من خارج البلاد السعودية[٥].

ثالثاً ــ الدعوة والإرشاد:

فقد بعثه الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ داعياً إلى الله،

---

(١) ابن قاسم ٣/ ١٢٩.

(٢) ابن قاسم ٣/ ١٣٠.

(٣) ابن قاسم ٣/ ١٩٧.

(٤) ابن قاسم ٣/ ٢٣١.

(٥) ابن قاسم ٦/ ٢٨١ حيث ذكر إجابته عن أسئلة رجل من حضرموت.

ومرشداً في عسير، وبلاد الحجاز، فهدى الله به خلقاً كثيراً، ونفع الله بوعظه[1].

وكان ذهابه إليهم سنة ١٣٣٩ هـ وأقام هناك مدة من الزمن[2].

رابعاً ــ القضــاء:

فقد تولى قضاء إقليم الوشم، ومقر عمله في شقراء[3]، فكان مثالاً في العدالة، والنزاهة مسدداً في أقضيته، وأحبه أهل الوشم[4].

ثم تولى قضاء مدينة الرياض عاصمة المملكة[5].

خامساً ــ إنشاء مكتبة علمية:

فقد «كان ــ رحمه الله ــ شغوفاً بجمع الكتب، مهما كلفه ذلك من المشقة، والإنفاق حتى جمع من نفائس المخطوطات، والمطبوعات مكتبة لا نظير لها في نجد»[6].

وقد نقل معظم هذه الكتب إلى المكتبة السعودية بالرياض[7].

سادساً ــ القيام على طبع مجموعة الرسائل والمسائل:

من أعمال الشيخ محمد الخيرية، ومآثره الخالدة إشارته على

---

(١) البسام ٣/ ٨٤٩.
(٢) القاضي ٢/ ٢٦٨، آل الشيخ ١٤٦.
(٣) البسام ٣/ ٨٤٩ القاضي ٢/ ٢٦٨.
(٤) القاضي ٢/ ٢٦٨.
(٥) البسام ٣/ ٨٤٩، آل الشيخ ص ١٤٦.
(٦) البسام ٣/ ٨٥٠، القاضي ٢/ ٤٦٩، الزركلي الأعلام ٦/ ٢١٨.
(٧) البسام ٣/ ٨٥٠، القاضي ٢/ ٢٦٩.

الملك عبد العزيز، بطبع رسائل علماء نجد فوافق على ذلك[1].

ولما عزم على طبع رسائل أئمة الدعوة، جعل الملك أمر ذلك إلى الشيخ محمد، وقام بذلك، وخشية من حصول نقص فيها، أو تغيير، حرص الشيخ على متابعة هذه المجموعة العلمية، وجرى بينه وبين صاحب مطبعة المنار كتابات بشأنها، وأخذ عليه أن لا يتصرف في شيء من ألفاظها، وقد خرجت الرسائل مطبوعة على أحسن ما يرام[2].

كما قام في سنة ١٣٥٢ هـ بطبع كتاب «مصباح السالك في أحكام المناسك» للشيخ سليمان بن علي الجد الأول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[3].

سابعاً ــ كتابة الرسائل العلمية:

فقد كتب رسالة في العقيدة، وبعثها إلى رؤساء القبائل من أهل اليمن، وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر، وقحطان، وغامد، وزهران، وكافة أهل الحجاز في سنة ١٣٣٩ هـ أشاد في هذه الرسالة بصرح التوحيد، وهدم بها معالم الشرك، وكان لها أثر حسن، ووقع جيد[4].

ومما جاء في هذه الرسالة: «أما بعد: فإنه لما كان في هذه

---

(١) القاضي ٢/ ٢٦٩.
(٢) ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، تذكرة أولى النهى والعرفان ٤/ ٢٧٢.
(٣) آل الشيخ ص ١٤٦.
(٤) ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن ٤/ ٢٧٣.

السنة سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة وألف من الهجرة بعثنا الإمام المقدم... عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أعلى الله سعوده.. لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم، وتعبدكم به من دين الإسلام... فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان، والهوى... واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادي جهل خطير... وغلب على أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور... فلما رأينا ذلك، وجب علينا الدعوة إلى الله بالحجج، والبراهين... فاعلموا أن حقيقة ما نحن عليه، وما ندعو إليه ونجاهد على التزامه والعمل به إنا ندعو إلى دين الإسلام»[١].

وللشيخ رسائل في الدعوة إلى التوحيد، ونصائح الإخوان أهل البادية منها رسالة (الدعوة إلى حقيقة الدين)[٢]، وقد كتب الشيخ عدة رسائل، وحده أو بالاشتراك مع بعض العلماء المعاصرين له، تعالج ما يعرض للمسلمين من مشاكل في عصره[٣].

ثامناً ــ الخطابة والإمامة:

فقد تولى إمامة الجامع، وخطابته بعد وفاة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف[٤].

---

(١) انظر الرسالة في ابن قاسم ١/ ٢٨٣ ــ ٢٩٠.
(٢) الزركلي، الأعلام ٦/ ٢١٨.
(٣) انظر ابن قاسم ١/ ٢٩٠ و٥/ ٢٨٢ و٢٨٤ و٣٢٠ و٣٢٧ و٣٢٩ و٣٩٦.
(٤) القاضي ٢/ ٢٦٨.

تاسعاً ــ مناصحة ولاة الأمر:

فكان ــ رحمه الله ــ ينصح ولاة الأمر في كل ما يراه نافعاً لهم، سواء بالمشافهة، أو بالكتابة[1]. وذلك بأسلوب بليغ من أجل مواصلة العمل بكتاب الله، وسنة رسوله ويبين عظم المسؤولية الملقاة عليهم.

عاشراً:

كتابة الردود على من أخطأ في العقيدة، واشتهر خطؤه[2].

□ □ □

---

(١) انظر: ابن قاسم ٣/ ٢٣٩ و٥/ ٢٧٧ و٥/ ٢٩٤ و٣٨٤ و٣٩٥ و٣٩٧.

(٢) من ذلك رسالة للشيخ محمد في الرد على من قال بأن الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ليست واجبة، انظر: ابن قاسم الدرر السنية ٥/ ٢٠٣.

المبحث الثالث

الشيخ عبد الرحمن السعدي[1]

الشيخ عبد الرحمن أحد العلماء الدعاة، الذين قصدهم المستفتون بأسئلتهم، واستفساراتهم سواء؛ بحضورهم، أو بالكتابة إليه، وقد أجاب الشيخ عن كثير من أسئلتهم، ونظراً لما يتميز به الشيخ من علم جم، وأدب رفيع، وأخلاق كريمة، وشيم حميدة، ونصح للخلق، وثق الناس بكلامه، وعملوا بنصحه، وإرشاده[2].

ويمكنني أن أصنف أعماله الدعوية حسب الآتي:

١ ــ الإفتـــاء:

فقد وردت إلى الشيخ الأسئلة العديدة، فأجاب عليها بالأجوبة

---

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي ولد في عنيزة سنة ١٣٠٧ هـ: عالم فقيه مجتهد مفسر ومحدث أصولي صاحب أخلاق طيبة إذ كان لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب، توفي في عنيزة عام ١٣٧٦ هـ وقد ازدحم الخلق على تشييع جنازته.
انظر: البسام: علماء نجد ٢/ ٤٢٢ ــ ٤٣١، القاضي: روضة الناظرين ١/ ٢٢٠ ــ ٢٣١، الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٤٠.

(٢) البسام ٢/ ٤٢٩.

السديدة، وكان حاضر الجواب، سريع الكتابة، بديع التحرير، سديد البحث[1].

وأعمل فكره في جديد المسائل، وعويصات الأمور، حتى صار لديه قدرة على تطبيق النصوص الكريمة، على الحوادث الجديدة، والمخترعات المعاصرة[2].

وكان في أول عمره يفتي بمذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ثم مال إلى الاجتهاد[3]، وينبه على اختيارات ابن تيمية، وابن القيم وربما خرج عنهما، إذا قوي عنده الدليل، فهو يجعل مذهب الإمام أحمد أساساً له فيما لم يترجح عنده، ولم يوجد لديه دليل بخلافه، فإذا ترجح لديه الدليل بخلاف مذهب أحمد، تابع الدليل وكان يفتي تارة شفوياً، وتارة تفد إليه الرسائل فيجيب عليها كتابياً، وكان يرى طلاق الثلاث بكلمة واحدة واحدة، إلا أنه لا يفتي به[4].

ومن المسائل الجديدة التي افتى بها، فتوى عن الكهرباء بين أنها تعليم من الله للخلق ببعض خصائص الكون، وطريق الاستفادة منها، وأنها نعمة ربانية[5].

وفتوى عن حكم الدخان شرباً، واتجاراً بين فيه تحريمه،

---

(١) البسام ٢/ ٤٢٤.
(٢) البسام ٢/ ٤٢٤.
(٣) القاضي ٢/ ٢٢٥.
(٤) القاضي ٢/ ٢٢٣.
(٥) السعدية: الفتاوى السعدية ص ٩٤.

والأدلة على ذلك، وأوضح مضاره[1].

٢ ــ التعليم:

لما رأى زملاؤه في الدراسة تفوقه عليهم، ونبوغه تتلمذوا عليه، وصاروا يأخذون عنه العلم، فصار في شبابه المبكر متعلماً، ومعلماً[2].

ويذكر القاضي أنه جلس للتدريس من عام ١٣٣٥ هـ[3]، يعني حينما كان عمره ثماني عشرة سنة. إلا أن آل الشيخ يذكر أنه لم يجلس للتدريس إلا حينما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة[4].

وعلى كلا التقديرين فإن هذا يدل على رغبته في نشر العلم منذ صغره، وعلى تأهله للتدريس مع صغره. واستمر في التدريس طوال عمره، حتى بعد إصابته بمرض وفاته، حيث استمر في تدريسه كعادته، رغم نهي الأطباء له، وعليه يقول إن راحتي في مزوالة عملي بالنفع المتعدي.

أما عن العلوم التي كان يدرسها فهي، الأصول والفروع والحديث والتوحيد والتفسير[5].

وكان ــ رحمه الله ــ حسن التعليم، وكانت طريقته في التعليم

---

(١) السعدية: الفتاوى السعدية ٦١٥.

(٢) البسام: ٢/ ٤٢٣، العمري: علماء آل سليم ٢/ ٢٩٥.

(٣) القاضي ١/ ٢٢٢.

(٤) آل الشيخ: علماء نجد ص ٣٩٣.

(٥) البسام ٢/ ٤٢٤، القاضي ١/ ٢٢٢.

مثالية، فقد كان يجمع الطلاب على كتابين واحد بعد آخر، وبعد انتهاء الجلسة يطلب من ثلاثة منهم إعادة ما يستحضره من التقرير ليختبر قوة حفظهم، وفهمهم، وكان يعطي الجوائز على حفظ المتون، وقوة الفهم، والقدرة على الجواب عن الأسئلة التي يوردها، ويناقشهم بعد يوم فيما مضى، فكانت فائدته عظيمة، مما يجعل الطلاب يهتمون بما سبقت دراسته إذا علموا بالإعادة والبحث عما قرره عليهم[1].

ويعمد أحياناً تغليط نفسه أمام الحلقة، ليرى من هو حاضر الذهن بدرسه، ممن هو شارد الذهن، وليعرف النجيب الفطن من ضده، وتلامذته قد عرفوا ذلك منه مما يجعلهم يحاولون تركيز أذهانهم معه، وكان أثناء تدريسه لأي علم يورد الأدلة، ويحاول الجمع بينها، وأدلة المعارضين لها، وقد يقسم طلابه فريقين كل فريق يتبنى رأياً في المسألة، ويجعل نفسه حكماً بينهما[2].

وكان كثيراً ما يستشير تلامذته فيما يقرؤونه كلما انتهى من كتاب ومتى اختلفوا كان الحكم بينهم، ويعمل المناظرات لشحذ أذهانهم.

وكان يستنبط من الحديث عند شرحه فوائد لا تخطر على البال، وعنده قوة ذاكرة، وحفظ، وجواب حاضر[3].

---

(١) القاضي ١/ ٢٢٣.
(٢) القاضي ١/ ٢٢٤.
(٣) القاضي ١/ ٢٢٦.

٣ ــ التآليف:

لما بلغ الشيخ عبد الرحمن أشده، ونضج علمه، ورسخ قدمه، شرع في التأليف ففسر القرآن الكريم، وبين أصول التفسير، وشرح جوامع الكلم النبوي، ووضح أنواع التوحيد، وأقسامه وهذب مسائل الفقه، وجمع اشتاتها ورد على الملاحدة، والزنادقة، والمخالفين، وبين محاسن الإسلام كل ذلك في كتب، ورسائل طبعت، ووزعت ونفع الله بها(١).

والمطالع لكتبه يعرف أن الشيخ عبد الرحمن واسع الاطلاع في فنون عديدة، ففي كل فن يكتب فيه يظن القارىء له أن هذا هو فنه الذي اختص به(٢).

يقول تلميذه القاضي عنه: «وله مؤلفات في الفروع والأصول والحديث والتفسير تبلغ ستة وثلاثين مصنفاً... وهي مطبوعة متداولة، وكلها مفيدة، وبعبارات واضحة جليلة»(٣).

فمن مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

١ ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وهو تفسير مختصر بعبارة سهلة مفهومة، وقد فرغ منه عام ١٣٤٤ هـ وطبع في المطبعة السلفية بمصر ابتداء من عام ١٣٧٥ هـ

(١) البسام ٢/ ٤٢٤.
(٢) القاضي ١/ ٢٢٢.
(٣) القاضي ١/ ٢٢٥.

في ثمانية مجلدات على نفقة المؤلف، وجماعة من المحسنين ثم وزعه مجاناً.

ثم طبع عام ١٣٩٦ هـ بواسطة المطبعة السعيدية في سبعة مجلدات، وهو من أعظم كتبه.

٢ ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن في مجلد.

٣ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن. مجلد طبع في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦ هـ.

٤ ـ فوائد مستنبطة من قصة يوسف.

ومن مؤلفاته في العقيدة:

٥ ـ شرح نونية ابن القيم وسمّاه: «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، وهو توضيح لنونية ابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو مطبوع في مجلد واحد سنة ١٣٦٨ هـ.

٦ ـ القول السديد في مقاصد التوحيد، في مجلد صغير، وهو شرح مختصر لكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقد طبع عدة مرات مفرداً لوحده، وطبع في مرات أخرى مع كتاب التوحيد، وكانت أول طبعة للكتاب سنة ١٣٦٧ هـ على نفقة عبد المحسن أبا بطين.

٧ ـ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان وهو مطبوع في جزء صغير.

٨ ــ الرسائل المفيدة: سؤال وجواب في أهم المهمات، وهو مطبوع في جزء صغير.

٩ ــ شرح تائية شيخ الإسلام ابن تيمية في القدر: في جزء صغير.

١٠ ــ فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد.

ومن مؤلفاته التي رد بها على من أخطأ في العقيدة:

١١ ــ تنزيه الدين، وحملته ورجاله، مما افتراه القصيمي في أغلاله. وقد طبعه المؤلف على نفقته.

١٢ ــ الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٧٣ هـ.

ومن مؤلفاته في علم الأصول:

١٣ ــ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول مجلد كبير طبع سنة ١٣٧٢ هـ.

١٤ ــ القواعد والأصول الجامعة.

١٥ ــ الفروق والتقاسيم، البديعة النافعة. مطبوع في جزء متوسط.

١٦ ــ رسالة في القواعد الفقهية وهي عبارة عن منظومة مختصرة وشرح لها. مطبوعة في مجلد صغير.

وفي الأحكام الفقه، والفتاوى:

١٧ ــ إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق

وأيسر الأسباب مرتبة على طريقة السؤال والجواب طبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٦٥ هـ على نفقة المؤلف ووزعه مجاناً.

١٨ ـ الإرشاد إلى معرفة الأحكام.

١٩ ـ المختارات الجلية من المسائل الفقهية، وهذا الكتاب يحوي اجتهادات المؤلف التي خالف فيها المشهور من مذهب الحنابلة طبع بمطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ.

٢٠ ـ منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، طبع في مجلد صغير.

٢١ ـ الفتاوى السعدية في مجلد ضخم جمعت من فتاواه التي كتبها بيده.

٢٢ ـ حاشية على الفقه استدراكاً على كتب الحنابلة المطبوعة.

وفي الخطب:

٢٣ ـ الخطب العصرية القيمة طبعت سنة ١٣٦٦ هـ بمطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة على نفقة المؤلف، ووزعها مجاناً.

٢٤ ـ الفواكه الشهية في الخطب المنبرية طبعت بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ.

وفي شرح الأحاديث النبوية:

٢٥ ـ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة طبع على نفقة

المؤلف، وجماعة من المحسنين بمطبعة الإمام، ووزع مجاناً.

٢٦ ـ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار طبع في القاهرة عام ١٣٧٢ هـ.

وفي محاسن الدين الإسلامي:

٢٧ ـ الدرة المختصرة في محاسن الإسلام طبع في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦ هـ ووزع على نفقة المؤلف مجاناً.

٢٨ ـ الدين الصحيح يحل جميع المشاكل.

٢٩ ـ الدلائل القرآنية في أن العلوم العصرية لا تخالف السنة.

٣٠ ـ الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.

٣١ ـ وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني.

٣٢ ـ فوائد قرآنية.

٣٣ ـ التنبيهات اللطيفة(١).

٤ ـ الوعظ:

فكان الشيخ يعظ العامة(٢)، وكان يجلس بعد الفجر لعموم

---

(١) آل الشيخ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦، الأعلام ٣/ ٣٤٠، مقدمة الرياض الناضرة ص ٨ ـ ١٠، معجم المطبوعات العربية بالمملكة العربية السعودية ٥٥٦ ـ ٥٦٤.

(٢) البسام ٢/ ٤٢٤.

الناس، يعلمهم، ويرشدهم حتى تطلع الشمس، ثم يذهب بعد ذلك إلى بيته، ثم يعود للمسجد عند الضحى، لتعليم طلابه، وكان بعدما يصلي العصر بالناس، يعلمهم بعد الصلاة مباشرة بعض الأحكام الفقهية باختصار، وبأسلوب واضح، ليفهموه في دقائق لا تؤخرهم عن الانصراف سعياً وراء أرزاقهم[١].

وكان حريصاً على نصح الناس من خلال مجالسه، حريصاً على تفهيمهم المسائل الفقهية، وحل مشاكلهم الدينية والدنيوية[٢].

٥ ــ إمامة الجامع، والخطبة فيه:

فقد كان إمام، وخطيب جامع بلدة عنيزة[٣]. وقد تعين فيه في شهر رمضان عام ١٣٦١ هـ[٤].

وكان الجامع في وقته نادياً من أندية العلم، تشد الرحال من أجل طلب العلم فيه، والاستفادة مما يجري فيه من مسائل علمية من كل صوب[٥].

٦ ــ عمارة الجامع الكبير في عنيزة:

ففي سنة ١٣٦٣ هـ قام بالدعوة إلى المساهمة في عمارة مقدمة الجامع الكبير، وبعد جمع التبرعات اللازمة، قام ببناء مقدمة المسجد

---

(١) عبد الرزاق العباد: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة مكتبة الراشد الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ ص ٣٣.

(٢) العباد ص ٦٠.

(٣) البسام ٢/ ٤٢٤.

(٤) القاضي ١/ ٢٢٤.

(٥) القاضي ١/ ٢٢٤.

وانتهت بعمارة محكمة مع توسعة له.

وفي سنة ١٣٧٢ هـ دعي مرة أخرى للمساهمة في عمارة مؤخرة المسجد، وقام فاعل خير، وتكفل بنفقات البناء، وتمت عمارة مؤخرة المسجد[١].

٧ ـ تأسيس المكتبة الوطنية:

ففي سنة ١٣٦٠ هـ قام بتأسيس المكتبة الوطنية في عنيزة على نفقة عبد الله بن سليمان، وجلب لها آلاف الكتب في شتى الفنون، وصارت هذه المكتبة غذاء الطلبة الذين اقبلوا عليها، وازدحموا فيها لتوافر المراجع فيها[٢].

٨ ـ مساعدة الناس بماله وجاهه:

فقد كان يدفع للفقراء من الطلبة الأموال ليتجردوا عن الانشغال في طلب المعيشة، وكان داعية خير ورشد، يحب أهل الخير ويتودد إلى الخلق ويساعد الضعيف، ويحرص على إصلاح ذات البين[٣]. وكان يبذل طاقاته ووسعه، ويساعد بماله، وجاهه، وعلمه بقلب مخلص، وسر مكتوم[٤].

---

(١) القاضي ١/ ٢٢٤.
(٢) القاضي ١/ ٢٢٤.
(٣) القاضي ١/ ٢٢٥.
(٤) البسام ٢/ ٤٢٩.
(٥) البسام ٢/ ٤٢٤.

٩ ــ كتابة الوثائق، وتحرير الأوقاف، والوصايا، وعقد الأنكحة[١]:

فكان هو المرجع في هذه الأمور، وكان يقوم بها خدمة لوجه الله، وكانت الكتابة سهلة عليه في قلم، أو عود عصفر، أو غيرهما[٢].

١٠ ــ زيارة الناس في بيوتهم:

فقد كان لا ينقطع عن زيارة الناس في بيوتهم، ومشاركتهم في اجتماعاتهم، وقد بارك الله في أوقاته، فقام بواجباته العلمية، والإرشادية ومع ذلك كان يشارك الناس في اجتماعاتهم[٣].

وكان متواضعاً يسلم على الصغير، والكبير، ويجيب الدعوة، ويزور المرضى، ويشيع الجنائز. وكان ذا دعابة يتحبب إلى الخلق، بحسن خلقه مرحاً للجليس لا يرى الغضب في وجهه، كريم المحيا، طلق الوجه مما جعل له كلمة نافذة، ومكانة مرموقة[٤].

وقد تميز الشيخ بصفات دعوية من أهمها:

١ ــ القدوة الحسنة:

يقول عنه القاضي: «كان شيخنا منذ نشأته صالحاً، مثاراً للإعجاب، وأنظار الناس محافظاً على الصلوات الخمس مع الجماعة، حتى لقد حدثني أبي ــ رحمه الله ــ أنه خرج لصلاة الفجر

---

(١) القاضي ١/ ٢٢٥.

(٢) البسام ٢/ ٤٢٤.

(٣) القاضي ١/ ٢٢٥ ــ ٢٢٦.

(٤) القاضي ١/ ٢٢٢.

صباح سطوة آل سليم، وله من العمر خمس عشرة سنة، والقصر في الرماة، والناس كلهم متحصنون في منازلهم خوفاً على أنفسهم، فقابله بعض الناس فقال: إلى أين تريد فقال: لصلاة الفجر فضربه حتى ألجأه إلى الرجوع إلى منزله»[1] ويقول عنه: «كان كثير الحج تنفلاً، زاهداً، عفيفاً، عزيز النفس مع قلة ذات يده متواضعاً»[2].

٢ ـ الـورع:

لقد «كـان ـ الشيخ ـ مثال الـورع، فكـم مـرة عـرضت عليـه المناصب الرفيعة، ولم يرض أن تفرض له المرتبات، ولا أن يجرى عليـه المخصصـات، بـل كـان قـانعـاً بمـا عنـده مـن كفـاف، حتـى إن مخصص إمامة الجامع الكبير بعنيزة كان ينفقها في المصالح الخيرية، وعلى الفقراء والمعوزين»[3].

رشّح لقضاء عنيزة عام ١٣٦٠ هـ، وامتنع عنه تورعاً[4].

٣ ـ حسن الخلق:

ويدلنا على ذلك قول تلميذه البسام عنه، «له أخلاق أرق من النسيم، وأعذب من السلسبيل، لا يعاتب على الهفوة، ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودد ويتحبب إلى البعيد، والقريب يقابل بالبشاشة، ويحيي بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى، ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف

---

(١) القاضي ١/ ٢٢٤.
(٢) العباد ص ٥٩.
(٣) القاضي ١/ ٢٢٢.
(٤) البسام ٢/ ٤٢٩.

أحاديث الأنس والود، ويعطف على الفقير والصغير. . . ومهما أردت أن أعدد فضائله، ومحاسنه في مجال الأخلاق الكريمة، والشيم الحميدة التي يتحلى بها، فإني مقصر، وقلمي عاجز، ولا يدرك هذا إلا من عاشره، وجالسه، لذا فإن الله سبحانه أعطاه محبة في القلوب، وثقة في النفوس فأجمعت البلاد على وده، واتفقت على تقديمه، فصار له زعامة شعبية، فإشارته نافذة، وكلمته مسموعة، وأمره مطاع»[1].

وبهذا استطاع أن يوظف هذه الخلال الكريمة في مجال الدعوة إلى الله ــ عز وجل ــ لتكون أساليب لها أثرها في قبول الناس لما يصدر من الشيخ من توجيه، وإرشاد، وتعليم.

□ □ □

المبحث الرابع

الشيخ عبد الله بن حسن[1]

الشيخ عبد الله من علماء البلاد، الذين كفوا الأمة كثيراً من الأعمال الدعوية؛ نصحاً؛ وإرشاداً، وشفقة على الخلق وفيما يأتي استعرض أهم جهوده ــ رحمه الله ــ في الدعوة:

١ ــ الإفتـــاء:

فقد نقل لنا كتاب الدرر السنية بعض فتاوى الشيخ[2].

ويلاحظ على الفتاوى المنقولة في هذا الكتاب، أنها مشتركة بينه وبين عدة علماء، وكلها تتحدث عن أمور وقعت ما بين سنة أربعين وثلاثمئة وألف إلى سنة سبع وأربعين حيث إنها تتحدث عن الأمور التي وقعت قبيل معركة السبلة، فهناك مسألة عن حكم جهاد

---

(١) سماحة الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز ولد بالرياض سنة ١٢٨٧ هـ حفظ القرآن في العاشرة من عمره ثم أقبل على العلوم الشرعية تولى قضاء الحجاز والأمر بالمعروف فيه وتولى إمامة المسجد الحرام والخطبة فيه والإشراف عليه توفي سنة ١٣٧٨ هـ وصلى عليه بالمسجد الحرام جموع المسلمين ومنهم الملك سعود وتزاحم الخلق على جنازته.
البسام ١/ ٨٢ ــ ٨٧، آل الشيخ ١٥٢ ــ ١٦٣، القاضي ٢/ ١٩ ــ ٢٥.

(٢) ابن قاسم ٥/٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٥، ٣٩٩.

من بنى القصور في جزيرة العرب مما يلي العراق[1]، ومسألة عن دخول الحاج المصري بالسلاح، والقوة في بلد الله الحرام[2]، ويظهر أن أغلب فتاواه كانت في الحجاز، لأن إقامته في آخر عمره كانت هناك، ونظراً لانتقال أبناء الشيخ إلى الرياض لم نجد عندهم فتاوى أخرى غير التي وجدناها في الدرر السنية.

ولم يكن الشيخ متعصباً للمذهب، ونقل عنه عمر عبد الجبار قوله: «نحن في الفروع نقتدي بالإمام أحمد بن حنبل، وإذا رأينا الحنابلة خالفوا نصاً صريحاً، تبعنا النص سواء كان بجانب الحنفي، أم المالكي، أم الشافعي، أم لم يأخذ به أحد[3]، لأن الله تعالى أمرنا بذلك في محكم كتابه فقال: ﴿وما آتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[4] وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[5] أما في الأصول والعقائد فنحن على مذهب أهل السنة والجماعة...»[6].

٢ ـ التعليم:

رغم قيام الشيخ بأعمال عديدة، وأعباء متنوعة إلا أنها لم تشغله

---

(١) ابن قاسم ٥/ ٣٢٠.

(٢) ابن قاسم ٥/ ٣١٩.

(٣) يعني من هؤلاء الأربعة وأخذ به عالم غيرهم.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٦) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، دار تهامة الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ، ص ١٧٧.

عن واجب التعليم، فقد عقدت حلقات الدرس بين يديه، والتف أهل العلم حوله، فأفاد وأجاد، حتى نفع الله بعلمه خلقاً كثيراً[1]. في الرياض ثم في الحجاز[2].

ويذكر لنا الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ نماذج مما قرىء عليه من الكتب مثل؛ رد الدارمي، وفتح المجيد، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية، وتيسير العزيز الحميد، ومؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ثم قال: وبالجملة فقد كانت داره الرحيبة المطلة على الحرم الشريف، والمعروفة بالداودية عامرة بالقراءات ينتابها رواد العلم، وطلاب المعرفة يتزودون من العلوم والفنون[3].

وكان الشيخ حريصاً على إيصال العلم بشتى الوسائل، ويحث طلبته على البحث، والمراجعة، والحفظ، وقيد الفوائد الشوارد، وكان له مكان في روضة الحرم خلف الإمام[4].

يقول الشيخ عبد الله البسام قاضي التمييز بمكة عنه: «قام بالتدريس، والوعظ في المسجد الحرام على أحسن ما يرام، من تقرير عقائد السلف، وتدريس مذهب أهل السنة والجماعة، مع سائر العلوم الشرعية والعربية»[5].

---

(١) البسام ١/ ٨٤.
(٢) آل الشيخ ص ١٥٤.
(٣) آل الشيخ ص ١٥٥ و١٥٩.
(٤) القاضي ٢/ ٢٢.
(٥) البسام ١/ ٨٤.

٣ ــ الوعــظ:

كما قام الشيخ بالوعظ في المسجد الحرام[١]، ولقد كان صارماً في الخير قوياً في التوجيه، يتعاهد الناس بالنصائح الجامعة، والمواعظ البالغة[٢] ولنأخذ نموذجاً من وعظه ــ رحمه الله ــ.

قال: «الدنيا جيفة فينبغي ألا تدخل قلب المؤمن، فتلهيه عن طاعة ربه، أو يدخله الشيطان، فيخدعه ويعزه بها»[٣].

وقال: «إياكم والدنيا، والحرص عليها، فقليلها يكفي المرء كساء وقوتاً، ولا تطلبوها بإضعاف دينكم»[٤].

ولم يكن وعظه لعامة الناس فقط، بل كان يعظ أهل بيته. حدث عنه ابنه الشيخ حسن فقال: «كان يغضب لو أقيمت الصلاة، ثم وجد أحد أفراد حاشيته يؤدي بعض الفوائت» ويقول: «إن من يتهاون في ركعة قد يؤول به الحال إلى فقدان الاهتمام بأدائها جماعة في أول وقتها، إذا حان وقت الآذان»... «كان.. يكره أشد ما يكره التساهل في مندوب، أو مستحب ويقول: «احرصوا عليهما، لأنهما سياج يحمي الواجب الذي يتحتم القام به»»[٥].

وقال الشيخ حسن أيضاً عنه «كان يعلمنا الإخلاص في العمل

---

(١) المرجع السابق.

(٢) آل الشيخ ص ١٥٨.

(٣) عبد الجبار ص ١٧٨.

(٤) آل الشيخ ص ١٥٨.

(٥) آل الشيخ ص ١٦٠.

ويقول: اخلصوا في أداء ما أنيط بكم من أعمال، فراقبوا الله في أدائها على النحو الذي يرضيه، إن ما يعطى لكم من هذا المال، كمرتب لقاء أعمالكم، لا تستحلوه حتى تقوموا بها كاملة ترضي الله»[١].

٤ ـ إمامة الصلوات بالإمام عبد الرحمن:

لما فتح الملك عبد العزيز الرياض، ورأى في المترجم له الكفاية، والتقوى عينه إماماً في مسجد والده الإمام عبد الرحمن آل فيصل، المشهور بمسجد الديوانية عام ١٣٢٣ هـ واستمر إماماً، وواعظاً في هذا المسجد فقام بذلك خير قيام[٢]، إلى عام ١٣٣٧ هـ[٣].

فكان يصلي به الصلوات الخمس، والتراويح، والقيام[٤].

٥ ـ إمامة المسجد الحرام والخطبة فيه:

لما فتح الملك عبد العزيز الحجاز واستتب له الأمر في مدنه، وقراه جعل الملك رحمه الله الشيخ إماماً، وخطيباً في المسجد الحرام، وذلك من عام ١٣٤٦ هـ[٥].

---

(١) آل الشيخ ص ١٦٠.
(٢) البسام ١/ ٨٢، الغزي: النعت الأكمل ص ٤٣٠، القاضي ٢/ ١٩، آل الشيخ ص ١٥٢.
(٣) القاضي ٢/ ١٩.
(٤) ابن عبد الجبار ص ١٧٦.
(٥) البسام ١/ ٨٣.

وكان أيضاً يخطب بالحجيج في نمرة نيابة عن إمام المسلمين[(١)].

٦ ـ توعية أهل الهجر دينياً:

لما أخذ الملك عبد العزيز رحمه الله في تحضير البادية، وتوطينهم عام ١٣٣٧ هـ ببناء القرى لهم، وإسكانهم فيها بعث نخبة ممتازة من العلماء الذين يحسنون تثقيفهم، وتوجيههم إلى جهة الخير في معاشهم، ومعادهم وكان الشيخ عبد الله أحد المختارين لهذه المهمة الكبيرة، التي يعالج فيها أناس قد غلب عليهم الجهل، والجفاء وغلظ الطبع.

«وكانت هجرة الأرطاوية من أهم تلك الهجر، فبعث الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله إليهم، فجعل الله في رحلته إليهم الخير، والبركة بحيث تبدلت طباع أهل البادية بفضل الله، ثم بالتوجيه الحسن الذي صير الجفاء لطفاً، والغلظة ليناً، والجهل توحيداً، وفهماً، وعظهم وأرشدهم، وعلمهم فصنعت هذه المواعظ البليغة، والتوجيهات الرشيدة، والسياسة الحكيمة، من هذه البادية الجافية الجاهلة، أمة عالمة قوية، ساعدت الملك عبد العزيز في فتح البلدان، وإقامة العمران»[(٢)] فصار للشيخ أثر طيب، وذكر حميد في هذه الدعوة[(٣)].

---

(١) آل الشيخ ص ١٥٤.

(٢) البسام ١/ ٨٣، ابن عبد الجبار ص ١٨٦.

(٣) الغزي: النعت الأكمل وتكملته لمحققيه محمد الحافظ ونزار أباظة ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ص ٤٣.

فأقام معهم سنة ونصفاً، فألفوه، وأحبوه، وحزنوا لفراقه لما فارقهم[1]، وودوا لو أقام بينهم مدة حياته، فطلبوا من الملك عبد العزيز إبقاء الشيخ عندهم، وألحوا في الطلب، ولكن الملك رأى أن حاجة الجيش إليه، أشد من حاجتهم[2].

٧ ـ تولى إمامة الجيش وإرشادهم والقضاء بينهم:

«لما رأى الملك عبد العزيز من الشيخ عبد الله بن حسن هذه الحصافة، جعله رفيقه في أسفاره، وغزواته، إماماً للملك، وقاضياً للجيش، وواعظاً ومرشداً، وإذا أسندت القيادة لأحد أنجاله، أرسله الملك معه فقد رافق الملك فيصل لما بعثه والده لتأديب العصاة في عسير، قبل أن تستقر الأمور، وتهدأ الأحوال، فكان القائد يقدره، ويعرف له سابق فضله، وجليل أعماله، وكان يستشيره في أموره، ويرجع إلى مشورته ورأيه، فشارك في الغزوات، وكان آخر غزواته هي أيام الرغامة، حين حصار جدة»[3] ومن الغزوات التي شارك فيها إماماً للجيش، قاضياً لهم فتح مدينة حائل سنة ١٣٤٠ هـ، ومن ذلك مصاحبة الملك عبد العزيز من نجد إلى مكة[4].

وصحب الملك عبد العزيز في رحلاته للقصيم مراراً[5].

---

(١) القاضي ٢/ ٢٠.
(٢) آل الشيخ ص ١٥٣.
(٣) البسام ١/ ٨٣، الزركلي: شبه الجزيرة ١/ ٣٣٦.
(٤) الغزي ص ٤٣٠، آل الشيخ ص ١٥٣.
(٥) القاضي ٢/ ٢٠.

٨ ــ قضاء الحجاز:

فقد عينه الملك عبد العزيز رئيساً لقضاة الحجاز في سنة ١٣٤٦ هـ[١]. واستمر إلى أن توفي سنة ١٣٧٨ هـ[٢].

يقول الشيخ عبد الله البسام رئيس هيئة التمييز بمكة: «وفي عام ١٣٤٦ هـ أسند إليه الملك عبد العزيز منصب رئاسة القضاة في الحجاز، وهو مقام خطير لا يصل إليه إلا من بلغ من النضج العلمي مبلغاً كبيراً، وصار لديه الخبرة والتجربة التامة، ووهبه الله مع هذا عقلاً راجحاً، وفكراً ثاقباً، وفراسة صائبة، ومعرفة بالناس، وخبرة بأحوالهم، واطلاعاً على أمورهم، وتمييزاً وبصراً بعواقب الأمور... ــ ثم ذكر أعماله الأخرى ــ ثم قال: «فقام بهذه الأعمال الجليلة خير قيام، وسار بها خير مسيرة فانتظمت المحاكم والقضاة...»[٣].

٩ ــ الأمر بالمعروف:

لقد كان الشيخ أماراً بالمعروف، نهاء عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم[٤]. ولا يحابي، ولا يجامل في ذلك، ومتى انتهكت محارم الله غضب، وقام في إنكار المنكر، وكان على ذلك منذ صغره، وقبل أن يفتح الملك عبد العزيز الرياض[٥]، ولما جاء الشيخ

---

(١) آل الشيخ ١٥٤.

(٢) الزركلي ١/ ٣٣٦.

(٣) البسام ١/ ٨٤.

(٤) آل الشيخ ص ١٥٦.

(٥) عمر عبد الجبار ص ١٧٦، القاضي ٢/ ٢٢.

إلى الحجاز، وأوكل إليه رئاسة القضاة، أضيف إلى عمله فيها رئاسة الأمر بالمعروف، فصارت الحسبة مؤدية واجبها[1].

فبهذا نتبين أن الشيخ منذ نشأته، وحتى شيخوخته مستمر في القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ولما كان هذا السبيل شاقاً على النفوس، ويترتب عليه أذية الأشرار، وسخريتهم أوذي في سبيل الدعوة، والأمر بالمعروف فكان يتسلى بقوله تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾[2] الآية يرددها. ومن الحوادث في ذلك، أنه لما أنكر بعض المنكرات ضربه أحد عبيد آل رشيد بسيف فسقط مغشياً عليه، ثم سلم منها ــ بحمد الله ــ، وكان بعض مرتكبي المعاصي، يهددونه بوضع مشط الرصاص على بابه، تخويفاً له بالقتل، ومع ذلك لم يثنه تهديد، ولا وعيد عن مهمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[3].

١٠ ــ تعيين الأئمة:

أسند إلى الشيخ عبد الله اختيار الأئمة، وتعيينهم في المساجد في الحجاز بعد اختبارهم[4]، وملاحظة المساجد، فعمرت المساجد بالمواعظ، والخطب[5].

كما عهد إليه تعيين المؤذنين، وكافة المرشدين، والوعاظ،

---

(١) البسام ١/ ٨٤، الغزي ص ٤٣٠، آل الشيخ ص ١٥٤.
(٢) سورة فصلت الآية رقم ٤٣.
(٣) القاضي ٢/ ٢٠.
(٤) عبد الجبار ص ١٧٦، القاضي ٢/ ٢٠، ٢٢.
(٥) البسام ١/ ٨٤، الغزي ٤٣٠.

وكذلك المدرسين في المسجد الحرام[1].

١١ ـ الإشراف على المسجد الحرام:

فقد جعل الشيخ المشرف العام على أحوال المسجد الحرام، والمدرسين، والوعاظ فيه، وتعيينهم، وتوجيههم[2].

وكذلك الإشراف على المسجد النبوي الشريف[3].

١٢ ـ مراقبة المطبوعات:

كلف الشيخ بمراقبة ما يرد إلى الحجاز من الكتب، والمطبوعات حماية للناس من كتب الإلحاد والفساد[4].

١٣ ـ مقابلة الحجاج وشرح مبادىء الدعوة السلفية لهم:

فقد كان حريصاً على نشر عقيدة السلف الصالح مع الناس عامة، ولا سيما مع علماء حجاج الأمصار، الذين يقابلونه في كل موسم باعتباره رئيساً لقضاء الحجاز، فلا يصدر غالبيتهم إلا عن قناعة، ومعرفة بحقيقة هذه الدعوة التي شوه جمالها أعداؤها، ونفر عنها خصومها فجعل الله مجالسه، ومقابلاته، وسيلة دعوة إلى الله[5].

١٤ ـ بعث الدعاة:

فقد قام الشيخ باختيار الدعاة، وبعثهم إلى القرى، والبوادي

(١) القاضي ٢/ ٢١.
(٢) البسام ١/ ٨٤، القاضي ٢/ ٢١.
(٣) آل الشيخ ص ١٥٤.
(٤) البسام ١/ ٨٤.
(٥) البسام ١/ ٨٥.

لإرشادهم وتعليمهم واجبات الإسلام، وأمور الدين[1].

فكان يبعث في كل سنة نخبة من طلبة العلم، والوعاظ ممن لديهم مؤهلات، لقرى الحجاز، وهجر البادية دعاة مصلحين يوجهونهم للدين الحنيف، ويعلمونهم ما يجهلونه من أمور دينهم، ويعظونهم[2].

١٥ ــ طباعة الكتب وتوزيعها:

فقد كان يوزع الكتب المطبوعة على نفقة الملك عبد العزيز على من يستحقها من طلاب العلم[3].

ونظراً لأهمية علم التوحيد، وحاجة الأمة إليه فقد اعتنى ــ رحمه الله ــ بتصحيح النسخة الخطية لشرح العقيدة الطحاوية، والتي كانت كثيرة الغلط، والتحريف فكوّن لجنة من العلماء، فقرئت النسخة على فضيلته بمسمع منهم، فصححت بقدر الطاقة، كما قام بطبع كتاب «العقيدة السلفية للفرقة الناجية المهدية» على حسابه محتسباً أجرها عند الله، في مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٢ هـ[4].

١٦ ــ بعث الرسائل الإرشادية:

فقد كان للشيخ رحمه الله رسائل إرشادية يبعث بها، فتقرأ في الجوامع في كل عام[5].

---

(١) آل الشيخ ص ١٥٤.

(٢) القاضي ٢/ ٢١.

(٣) آل الشيخ ص ١٥٤، القاضي ٢/ ٢١.

(٤) الطاهر: معجم المطبوعات العربية ٢/ ٤٠.

(٥) القاضي ٢/ ٢٣.

وفي رسالة إرشادية عامة بعثها الشيخ، ومجموعة من العلماء تحذير من الغيبة، والإشاعاتِ العامة فيقولون: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى من يراه من المسلمين. . . إن كثيراً من الناس يتساهلون بأمور يفعلونها. . . مثل كون كثير من الناس يطلقون السب على عموم الاخوان من غير فرق بين من يستحق الذم وبين من لا يستحقه. . . وهذا أمر ينبغي التنبيه عليه وهو أنه يجب على العلماء وولاة الأمور التحذير من الخوض والقيل والقال والكلام الذي يكون سبباً يحصل به التفرق والاختلاف بين المسلمين»(١).

ولم تكن رسائل الشيخ الإرشادية مقتصرة على العامة، بل كان يوجه رسائل إرشادية خاصة لمن يراه أهلاً لتوجيه النصيحة إليه، ومن النماذج التي أحب إيرادها هنا، رسالة له مع مجموعة علماء جاء فيها:

«إلى الإمام المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل سلمه الله تعالى وهداه. . إذا عرفت هذا فاعلم أن حقك علينا كبير، وحق رب العالمين علينا أعظم، وأكبر، وإذا تعارضا فالمتعين هو تقديم حق الرب على ما سواه. . . واعلم أن مقصود الولاية هو إصلاح دين الناس، ودنياهم التي يتوصلون بها إلى إقامة دينهم. . . وأنت عارف بما كان عليه أهل نجد قبل هذه الدعوة المباركة من الشر في دينهم ودنياهم، ثم إن الله تعالى أنقذهم من ذلك بهذه الدعوة الدينية. . . ثم إن الله تعالى منّ بولايتك، وحصل بها من الإقبال والنصر للمسلمين، وقمع عدوهم ما هو من أعظم نعم الله عليهم

---

(١) ابن قاسم ٥/ ٣٣٠.

وعليك» ثم ذكروا للملك بعض الأشياء الإدارية التي يرون وجوب تغييرها[1].

وقد كان لهذه الجهود العظيمة آثار دعوية واضحة على المجتمع كافة، ولقد ساعد الشيخ على الاستجابة إليه، والقبول منه توفيق الله عز وجل، حيث جعله يتحلى بصفات عظيمة كان لها أثر طيب في تقبل الناس منه، ومن تلك الصفات:

١ ـ الورع:

فقد كان الشيخ على سمت علماء السلف الصالح، وهديهم بعيداً عن مفاتن الحياة، والتهالك على الدنيا[2]، ومع أنه قد بلغ من المجد منزلة رفيعة، وكان لا يزداد كل يوم إلا عزة ورفعة ومع ذلك لم يصغ لتلك المظاهر، وكان كثيراً ما يردد: أخشى أن يكون ما أنا فيه استدراج من الله لي، فأنا كل يوم في نعمة جديدة، ثم تختلج الكلمات بين شفتيه وهو يكاد يبكي، لقد كانت مجالسه عامرة بذكر الله، والحث على التواصي بالخير، والزهد في الدنيا، والتقليل من شأنها.

وكان يحمل على الدنيا، ويقلل من شأنها ويحذر من الاغترار بها، وينحى باللائمة على من يكنزون أموالهم ويقول: لا تنفعهم فهي وبال عليهم في الدنيا والآخرة، وقال لأكثر من واحد من جلسائه إنه يتضايق إذا علم بوجود نقود تفيض عن حاجته لديه[3].

---

(١) انظر: ابن قاسم ٥/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦.
(٢) آل الشيخ ص ١٥٦، الغزي ص ٤٣١.
(٣) آل الشيخ ص ١٦٠ ـ ١٦١

٢ ـ حسن الخلق:

لقد كان الشيخ آية في الأخلاق العالية، وبيته مأوى لكل زائر ومسترفد[(١)].

ولم يكن حسن خلقه مع نظرائه فقط، بل مع الناس كلهم، حتى مع المترافعين للقضاء حيث كان رقيق القلب، لا يتسرع في الحكم وإنزال العقاب على شخص إلا بعد التثبت، وكذلك كان حسن الخلق مع الموظفين الذين يعملون تحت رياسته، لقد امتلك ـ رحمه الله ـ قلوب موظفيه بعطفه عليهم، ورعايته لهم والدفاع عن حقوقهم، وتقدير أعمالهم، ومكافأتهم بقدر ما يقومون به من أعمال تسند إليهم، فكانوا ألسنة تلهج بالدعاء له، والثناء على إدارته الحاذقة، دون أن ينخدع بتشدق منافق بالمدح، والإطراء كاذب[(٢)].

ولم يكن حسن خلقه إلا منطلقاً من دافع إيماني، فقد كان يقوم على منهج الموالاة لله تعالى، والمحبة لأوليائه، والمعاداة لأعدائه وحقق ذلك تحقيقاً عملياً، فهو لا يكره إلا أعداء الله، ولا يحب إلا في الله ولله، الناس عنده في ذلك سواسية لا يجامل في عقيدته، ولا يحابي في دينه مهما كان الأمر أو كانت الأحوال، أو كبرت الشخصيات، أو صغرت فالميزان عنده للمحبة، والإكرام والتقدير هو القرب من الله أو البعد منه، وهذه الخصلة قليلاً ما توجد في هذا الزمان[(٣)].

---

(١) القاضي ٢/ ٢٣، آل الشيخ ص ١٥٨.

(٢) عبد الجبار ص ١٧٧.

(٣) البسام ١/ ٨٥.

٣ ــ القدوَة الصالحة:

فكان الشيخ قدوة صالحة للمجتمع من صغره، ففي الوقت الذي انشغل الناس فيه بالفتن، والدنيا شغل نفسه بتحصيل العلوم، وإدراك الفضائل، ومعالي الأمور[١].

كان يكره التفريط في الوقت، وإضاعته فكان لا يرى إلا ممسكاً بكتاب يقرؤه قراءة الباحث المنقب، ولما ضعف بصره استبدل بقراءته قارئاً يصحبه أينما كان[٢].

لقد كان حريصاً كل الحرص على تعاليم دينه، حريصاً على صلة الرحم، وكم تحمل من الأذى، وكان يلقى الجحود، والنكران فكان يقابل ذلك بهدوء المؤمن الصابر ويقول: «هذا لا يضرني» يقول ابنه الشيخ حسن عنه: لقد سمعته ومعي غيري يقول: من نعمة الله علي أنني لم أحدث نفسي يوماً بالانتقام لها، وقد عودني ربي أن يدافع عني، وكان مرافقوه شديدي الدهشة على هذه المواقف الكريمة، التي كان يقفها، ممن يريد الإساءة إليه، إذ كان يقابل إساءتهم بالصفح، والتجاوز فعاش سليم الصدر، ولم يبت حاقداً على أحد[٣].

لقد كانت الصلاة شغلة الشاغل، حتى يؤديها[٤]. ومع كثرة مشاغله، وواجباته إلا أنها لم تشغله عن المحافظة على الجماعة إلى آخر عهده، وكان ــ رحمه الله ــ يلازم الصف الأول يحضر قبل

---

(١) البسام ١/ ٨٢.

(٢) آل الشيخ ص ١٥٩.

(٣) آل الشيخ ص ١٥٩.

(٤) آل الشيخ ص ١٥٨.

الصلاة، فيتلو القرآن إلى أن يؤذن للصلاة رغم قرب منزله من المسجد، ومشاهدة الكعبة[1].

في آخر عمره طال به المرض فأقعده فكان من حرصه على أداء الفريضة في المسجد الحرام، يدفعونه في عربية ذات عجلات أربع، ويرابط بين الصلاتين[2].

حتى وهو في أشد حالات المرض، كان ينادي من حوله: هل صلينا؟ إذا حضرت الصلاة فأخبروني[3].

٤ ـ مساعدة الفقراء والمحتاجين:

فكان يحنو على الفقراء واليتامى[4]، كثير العطف على الفقراء والمساكين، يؤانسهم بحديثه، ويقبل عليهم بوجهه، حتى أن أحدهم يقبل عليه، وهو يرتجف هيبة، وتوقيراً، ثم يتحدث الشيخ إليه برفق، وبساطة حتى يعيد إليه هدوءه وأنسه، لقد كان متواضعاً لا يعرف الكبر، والعجب سبيلاً إلى نفسه، وقلبه[5].

□□□

---

(١) عبد الجبار ص ١٧٧.
(٢) القاضي ٢/ ٢٣.
(٣) آل الشيخ ص ١٦١.
(٤) القاضي ٢/ ٢٢.
(٥) آل الشيخ ص ١٥٩.

المبحث الخامس

الشيخ محمد بن إبراهيم(1)

جمع الشيخ محمد مميزات دعوية عديدة إذ كان شخصية علمية له قدم راسخة في العلم، مع تحقيق فيه، وأخلاق عالية، وصرامة في الحق، وقوة في الدفاع عن شعائر الإسلام، والتثبت من الأمور، وحسن التعامل معها، ومن خلال هذه الصفات باشر الدعوة إلى الله من خلال الأعمال الآتية:

١ ــ الإفتـــاء:

لما توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سنة ١٣٣٩ هـ كان الشيخ محمد قد اتسعت مداركه، وارتقت معلوماته، وعلا ذكره،

---

(١) سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضاتها ولد سنة ١٣١١ هـ بالرياض وفقد بصره وهو صغير وطلب العلم على علماء الرياض، له جهود عظيمة في نشر العلم والدعوة إلى دين الله وناهز الثمانين من عمره وهو في نشاطه ومهام عمله ثم أصيب بمرض عضال وتوفي سنة ١٣٨٩ هـ فصلى عليه بعد صلاة العصر في الجامع الكبير بالرياض جموع كثيرة مزدحمة وفي مقدمتهم الملك فيصل رحمهم الله أجمعين.

انظر: البسام ١/٨٨ ــ ٩٧، آل الشيخ ١٦٩ ــ ١٨٤، القاضي ٣١٦ ــ ٣٢٢.

وذاع صيته، فخلف عمه في الرياسة العلمية فقام بما كان يقوم به عمه من أعمال، ومن أهمها الفتوى[1].

فبدأ بالفتوى بدون تنظيم رسمي، وقد كان يشارك فيها الشيخ سعد بن عتيق، ثم استقل بها[2].

وبعد تطور الأمور، وكثرة أسئلة المستفتين، ومع توافر وسائل الاتصال، أنشأ دار الإفتاء، فجعل معه فيها علماء من خيرة العلماء، فكانت الفتاوى الرسمية تصدر عن هذه الدار[3]. وكان ذلك عام ١٣٧٣ هـ فكانت هذه الدار تحت رئاسة سماحته[4].

وكان رحمه الله يطيل التأمل، ويبعد النظر فيما يعرض عليه من أسئلة، واستفسارات، ولم يكن يتعجل الفتوى حتى يتحقق في الدرس، والتأمل، والنظر في عواقب الأمر، فكان يصل بعد ذلك إلى الاستنتاج الدقيق[5].

وقد وصل إلينا العديد من فتاوى سماحته، سواء في الدرر السنية[6]، أو في المجموع الذي جمعه الشيخ محمد بن قاسم في

---

(١) البسام ١/ ٨٩، آل الشيخ ص ١٨٠.

(٢) ابن قاسم فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ص ١٩.

(٣) البسام ١/ ٩٤، آل الشيخ ١٨٣، القاضي ٢/ ٣١٨.

(٤) آل الشيخ ص ١٧٨.

(٥) ابن قاسم: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم الطبعة الأولى مطبعة الحكومة بمكة سنة ١٣٩٩ هـ ص ١٦.

(٦) انظر فتاوى الشيخ محمد في الدرر السنية: ٣/ ٧٦، ١٣٦، ٢٠٥، ٣٣٤، ٣٦٢، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤/ ١٣٩، ٢٢٥، ٢٦٩، ٢٧٦، ٣١٣، ٣٨٩، =

فتاوى الشيخ، ورسائله التي وصلت إلى أربعة عشر جزءاً.

مما يدل على جهود سماحته في الإفتاء، وما يترتب عليها من أثر علمي عظيم.

وبالنظر في هذه الفتاوى وتحليلها تبين لي ما يأتي:

- هذه الفتاوى شملت جميع شؤون الحياة مما يوضح للمدعوين شمولية الشرع.

- فتاوى الشيخ معتمدة على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

- ليس الشيخ مقلداً، بل يفتي بحسب ما يترجح لديه من الأدلة الشرعية، وما يشاع عنه أنه لا يفتي إلا بمذهب الإمام أحمد لا يخرج عنه[1]، ليس صحيحاً؛ ويدل على ذلك فتواه فيمن جامع في أول يوم من نهار رمضان، ولم يعلم أنه من رمضان حيث قال: «الحمد لله المذهب أن عليه القضاء، والكفارة وفيه قول آخر أن ليس عليه كفارة لأنه معذور... وهو الصواب إن شاء الله تعالى»[2].

- أن المسؤولين في الدولة، يتوجهون إليه بالسؤال عما يعرض عليهم من قضايا من أجل أن تكون أعمالهم مبنية على أحكام

= ٥/ ٢٨٣، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٥، ٣٩٧.

(١) القاضي ٢/ ٣٢٠.

(٢) الفتاوى ٤/ ١٩٥.

الشرع سواء من الملك عبد العزيز[١] أو غيره من الملوك[٢]، أو من وزير الداخلية[٣] أو أمير منطقة الرياض[٤] أو أمير منطقة مكة[٥] والقضاة[٦] وأهل الحسبة[٧] وغيرهم من مسؤولي الدولة[٨].

ـ أن الأسئلة الموجهة إليه ليست من الداخل فقط، بل وردت إليه أسئلة من دول عديدة منها قطر[٩] والإمارات[١٠] وعمان[١١] وإيران[١٢].

---

(١) فتاوى الشيخ ٤/ ٣١.

(٢) الفتاوي ١/ ١٣٨، ١٥٠، ٢٦٧ و٢/ ٤١، ١٢١، ١٧٦، ٢٤٥، ٢٨١، ٣٢٦ و٥/ ٧، ٩ وغير ذلك.

(٣) الفتاوي ٢/ ٤٠، ١٢٢ و٣/ ١٨٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٢٦.

(٤) الفتاوي ١/ ١٣٦، ٢/ ١١٩، ٢٧٣، ٢٨٠، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١١، ٣/ ١٨٢، ١٩٥، ٢١٠، ٢١٣.

(٥) الفتاوي ٣/ ٢٠٠.

(٦) الفتاوي ١/ ١٠٠ و٢/ ١٦، ١٢١، ٣٠٩ و٣/ ١٣، ١٤، ١٧، ٢٠٣، ٢٢٠ و٤/ ٢١، ٣٩، ١٣٤، ١٨٨.

(٧) الفتاوي ١/ ٩٥، ١٢٨ و٢/ ٣٩، ٢٤٢، ٢٥٠ و٣/ ٢١١ و٤/ ٢٠٩.

(٨) الفتاوي ١/ ٩٩، ١٧٧، ١٩٠، ٢٦٦ و٢/ ١١١، ١٣٩، ٢٥٥، ٢٦٩ و٤/ ١٨، ٤٦، ٤٧، ١٠٦، ١٠٨.

(٩) الفتاوي ٢/ ٢٢٠ و٣/ ١٧.

(١٠) الفتاوي ١/ ١٠٥.

(١١) الفتاوي ٣/ ٦.

(١٢) الفتاوي ٢/ ١٩٨.

ـ والباكستان[1] والهند[2] وماليزيا[3] والسنغال[4] واليابان[5] وإيطاليا[6] وأمريكا[7] وكندا[8] وغينيا[9] وغيرها من البلدان.

هذه الأسئلة موجهة من علماء تلك البلاد، والمسؤولين فيها.

ـ وبذلك يظهر أن الأسئلة، والاستفسارات ليست أسئلة سهلة، بل هي مسائل تحير فيها طلبة العلم، فأرسلوا إليه يطلبون رأيه فيها[10].

ـ أن الشيخ أفتى في مسائل جديدة لم تقع إلا في عصره بفتاوٍ رصينة متزنة تدل على علمية قوية، وشخصية فذة من تلك الفتاوي: حكم زكاة الرصيد المقفل في البنك[11]، وأحكام

---

(١) الفتاوي ١/ ١٠٩، ٢٦٨، ٢/ ١٢٧، ٣/ ١٩٣، وفي ٣/ ٩٦ سؤال موجه من حكومة باكستان.

(٢) الفتاوي ١/ ٧٨، ٢/ ٣٠٠، ٣/ ١٩.

(٣) الفتاوي ٣/ ١٧٧.

(٤) الفتاوي ٢/ ٢٠٤.

(٥) الفتاوي ٤/ ١٥.

(٦) الفتاوي ٣/ ١٢.

(٧) الفتاوي ٤/ ١٣٠.

(٨) الفتاوي ٤/ ١٥٨.

(٩) الفتاوي ٢/ ٢٠٢.

(١٠) من أسئلة طلبة العلم في الفتاوي ٢/ ٦٨، ٣/ ١٥٩، ٤/ ١٠٠.

(١١) الفتاوي ٤/ ٢١.

الـورق النقـدي[١]، والتفطيـر بـالأبـر[٢]، والاقتـراض مـن البنوك[٣]، ومسائل تغير النقد[٤]، ونحو ذلك من مسائل.

٢ ــ التعليـم:

لمس فيه مشايخه الألمعية النادرة المبكرة، والنجابة الظاهرة، فأدركوا أنه الخليفة لهم الذي يمكن أن يطمئن إليه في مجالس العلم، فأوصى عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ بابن أخيه خيراً، وذكر له ما يتمتع به من المزايا الفذة التي لا تكاد تتوافر إلا في قليل من الرجال، الذين وهبهم الله ذكاء، وفطنة، وجلداً، وإخلاصاً. وحين توفي الشيخ عبد الله عام ١٣٣٩ هـ أخذ ابن أخيه مجلسه، فبدأ التدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة. ولما توفي شيخه سعد بن حمد بن عتيق عام ١٣٤٩ هـ، وتوفي قبله الشيخ حمد بن فارس عام ١٣٤٥ هـ توسع في مجالس التدريس، واستقل بأكثرها إلى جانب أعمامه ــ رحمهم الله ــ وغيرهم من أفاضل العلماء، الذين كانوا يقومون بالتدريس على فترات متعاقبة في بعض العلوم.

ولكن ينبغي أن نؤكد أن الشيخ محمد ــ رحمه الله ــ له النصيب الأوفر في كثرة المجالس، وكثرة القاصدين له من طلبة العلم ــ على اختلاف مراتبهم، وتباعد درجاتهم ــ وكان يتميز بغزارة العلم،

---

(١) الفتاوي ٤/ ٦٦.

(٢) الفتاوي ٤/ ١٨٧.

(٣) الفتاوي ٧/ ١١٤.

(٤) الفتاوي ٧/ ٢٠٤.

وعموم النفع؛ فقد كان يعمر أكثر نهاره بالتدريس، حيث كان يجلس ثلاث جلسات منتظمة. فالأولى بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، والثانية بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات، والثالثة بعد صلاة العصر، وهناك جلسة رابعة لكنها ليست مستمرة وهي بعد صلاة الظهر.

وكل هذه الجلسات كانت تتم في جامع الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف المعروف الآن في (حي دخنة شمال الميدان)، ما عدا جلسة الضحى فقد كانت في أول الأمر في هذا الجامع ثم نقلها إلى بيته.

وكان رحمه الله ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر، ومنها (الروض المربع)، و(سبل السلام)، و(شرح ابن عقيل) على ألفية ابن مالك، وما يعين عليها من المراجع.

وفيما يلي عرض للكتب التي كان يقوم رحمه الله بتدريسها:

١ ــ بعد صلاة الفجر ألفية ابن مالك، مع شرح ابن عقيل، وزاد المستقنع، مع شرحه الروض المربع، وبلوغ المرام، والآجرومية، والملحة وقطر الندى، وعمدة الأحكام، وأصول الأحكام، والحموية، والتدمرية، ونخبة الفكر. الثلاثة الأول مستمرة، وكان يقوم بتدريسها على ترتيبها المذكور. أما باقي الكتب فبالتعاقب على فترات مختلفة طيلة أيام تدريسه.

٢ ــ بعد شروق الشمس يدرس في العقائد كتاب التوحيد،

كشف الشبهات، ثلاثة الأصول، العقيدة الواسطية باستمرار، مسائل التوحيد، مسائل الجاهلية، لمعة الاعتقاد، أصول الإيمان على فترات، وفي الحديث: الأربعين النووية، عمدة الأحكام باستمرار. وفي الفقه آداب المشي إلى الصلاة، وقد يدرس غيرها لكنه نادر.

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تقرأ المطولات ومنها: فتح المجيد، شرح الطحاوية، شرح الأربعين النووية، صحيح البخاري، صحيح مسلم، السنن الأربعة، مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وابن كثير بدون استثناء وكل ما جدّ من كتب السلف، والمحققين من العلماء، ولكنها على فترات يتراوح ما يقرأ منها في اليوم ما بين خمسة كتب وعشرة كتب غالباً.

٣ ــ بعد صلاة الظهر ويدرس فيه: زاد المستقنع بشرحه الروض المربع، بلوغ المرام.

بعد صلاة العصر ويدرس فيه كتاب التوحيد، وشرحه وقد يقرأ في مسند الإمام أحمد، أو مسند ابن أبي شيبة، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أو نحوها.

وقد استمر يزاول التدريس بنشاط لا يفتر وهمة لا تكل إحدى وأربعين سنة؛ من عام ١٣٣٩ هـ، إلى عام ١٣٨٠ هـ حين أسندت إليه كبار الأعمال، وتعددت مسؤولياته، وكثرت مشاغله، فترك جميع الدروس ما عدا درس الفقه، وبلوغ المرام فكان يجلس لهما بعد صلاة الفجر إلى أن حبسه المرض. وقد أثمرت هذه الهمة العالية في نشر العلم ثمرات عظيمة من أهمها تخرج طائفة كبيرة من علماء البلاد

على يديه، والذين شغلوا مناصب القضاء، والتدريس، والدعوة إلى الله والإرشاد[1].

طريقته في التدريس:

كان رحمه الله يعطي مجالس العلم حقها؛ من الاحترام، والتقدير، ويحرص على إيصال الفائدة إلى قرارة قلوب الطلاب، معنياً بتثبيتها. وكان رحمه الله إذا هم بالجلوس للتدريس توضأ إن لم يكن على وضوء بعد صلاة، واستقبل القبلة إذا كانت الجلسة في المسجد، ويبدأ شرحه باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. ويمكن تلخيص السمات الظاهرة لطريقته في التدريس في النقاط التالية:

١ ــ يطلب من بعض الطلاب أن يبدأ بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله، والترحم على المؤلف، ثم يتلو حفظاً موضوع الدرس إذا كان الكتاب متناً. ويحرص جداً على أن يحفظ جميع الطلاب المنتظمين المتون، ولا يرضى بنصف حفظ، ولا ينتقل الطالب من متن إلى متن أطول منه إلا بعد حفظ الأول، وفهمه، ولذا كان الطالب المجد منهم يتخرج في سبع سنوات.

٢ ــ قبل أن يبدأ بالشرح يقرأ هو ما قرأ الطلاب.

٣ ــ يشرع في شرح عبارات المتن بدقة ووضوح فيشرح جمله ويعلل أحكامه.

---

(١) القاسم: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١١.

٤ ــ يعرض بعض المسائل، ويتكلم عليها، ويلحق فوائد تناسب الموضوع.

٥ ــ إذا عرض لمسألة خلاف؛ ذكر رأي المؤلف أولاً، وأدلته، ثم ذكر رأي المخالفين، كل على حدة، مع دليله. وكان في ذلك كله يحترم كل ذي رأي من العلماء، ولا يذكره بما يسوء، وكان يرجح ما يراه معتمداً في ذلك على الدليل، وأقوال المحققين، ولم يكن يعرض من الخلاف إلا ما كان ذا جدوى. وقد يصحح أحد القولين بدون سرد الأدلة لقصر الوقت، أو نظراً لحال الطالب.

٦ ــ كان يلتزم بالموضوع، ولا يستطرد إلى مسائل خارجة عنه.

٧ ــ كان إذا فرغ من الدرس تلقى أسئلة الطلاب، وأجاب عنها. وقد يثير هو بعض الإشكالات ليقدح أذهان الطلاب. فلا ينتهون من القراءة إلا وقد أشبع رغبات الطلاب، وأزاح الإشكالات عنهم، وأوضح المعاني، وصور المسائل، وزاد فوائد.

٨ ــ يختبر الطلاب فيما شرح لهم في بعض الأحيان بإلقاء الأسئلة عليهم، ويعربون متن الألفية، وشواهدها.

٩ ــ فيما يتعلق بالعقائد لم يكن يحرص على ذكر آراء أهل البدع، والإشراك فإذا وجد ضرورة لذلك، أو كان المؤلف ذكرها فإنه يتكلم عليها بتوسع، ويشتد في الرد عليهم دون إفراط.

١٠ ـ وبالنسبة لقراءة المطولات؛ لم يكن يشرحها عبارة عبارة، وإنما كان يقف عند المهم منها، أو إذا ما سأله عنها أحد الحاضرين.

١١ ـ يلزم اللغة العربية في جميع مجالسه العامة.

١٢ ـ يلتزم الهدوء أثناء شرحه للمتون، أو تعليقه على المطولات، فلا تراه يلتفت، أو يشير بيد، أو يعبث بشيء.

١٣ ـ لم يكن يسمح بإثارة الأسئلة التافهة أو الدخول في مناقشات عقيمة[١].

والشيخ لا يقتصر على نوعية من الطلاب، بل كان عنده من مختلف الطبقات سناً، وعلماً، كان بعد الفجر يجلس لصغار الطلاب، ثم يأتي بعدهم المتوسطون في العمر، ثم يأتي بعدهم الكبار، ولكل طائفة من هؤلاء ما يناسبه من جهة الكتاب الذي يقرأ، ومن جهة المسائل المبحوثة، ونوعية البحث، وكيفية الدرس[٢].

ولما تكاسل الناس عن حضور الحلقات الدراسية في العلوم الشرعية، والعربية في المساجد عند العلماء أشار على الدولة بإنشاء معاهد دينية، مهمتها تخريج علماء في الشريعة الإسلامية، والعلوم العربية، حيث عرض عام ١٣٦٩ هـ على الملك عبد العزيز فكرة إنشاء

---

(١) الشيخ محمد القاسم/ مقدمة فتاوي ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١١ ـ ١٤، البسام ١/ ٨٩ ـ ٩١، آل الشيخ ص ١٧٠.

(٢) البسام ١/ ٩٠.

معهد علمي بمدينة الرياض، فأمر بإنشاء هذا المعهد، وتخصيص مكافآت لطلابه، تحت إشراف سماحته، وتم افتتاح المعهد عام ١٣٧٠ هـ ثم أنشأ في كل مدينة معهد لذلك، ولما كثر المتخرجون من تلك المعاهد أنشئت لهم كليتا الشريعة سنة ١٣٧٣ هـ واللغة العربية سنة ١٣٧٤ هـ وكان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم الرئيس العام للكليات، والمعاهد، والمشرف عليها وعلى سير أعمالها الدراسية، والإدارية[١].

كما كان لسماحته الإشراف على بعض المؤسسات التعليمية ومنها: الجامعة الإسلامية التي أسست بالمدينة المنورة سنة ١٣٨١ هـ، ورئاسة تعليم البنات، والمعهد العالي للقضاء[٢].

٣ ـ الإمامة والخطابة:

بعد وفاة عمه الشيخ عبد الله تولى سماحة الشيخ محمد الإمامة في مسجد عمه في حي دخنة للصلوات الخمس كما تولى الخطابة في الجامع الكبير[٣]. واستمر في إمامة المسجد والتدريس فيه من عام ١٣٣٩ هـ إلى قبيل وفاته[٤]. كما كان يخطب للعيدين بمسجد العيد[٥].

(١) البسام ١/ ٩٤، آل الشيخ ص ١٧٨.
(٢) آل الشيخ ص ١٨٣.
(٣) البسام ١/ ٨٩، القاضي ٢/ ٣١٧.
(٤) آل الشيخ ص ١٧٨.
(٥) آل الشيخ ص ١٨٤.

٤ ـ التأليف:

إن ما كتبه من المؤلفات ليس على قدر علمه، بل هي أقل من مستواه العلمي، فهي رسائل، وردود لا تكون مقياساً لما يحمله من علم، ولا ما بذله من نشاط في سبيل نشره، فإنه من مشاهير العلماء ذوي الاطلاع الواسع[١]. وسبب ذلك أنه لم تكن له فرصة يتفرغ فيها للتأليف، فقد كان انشغاله بالأعمال الموكولة إليه لا تدع له فرصة للراحة، فضلاً عن أن تدع له فرصة يفرغ فيها ذهنه، ويرجع للمراجع فيكتب، وينشر، ولم يكن ممن يكتب كل ما عنّ له، بل كان طويل التأمل شديد المحاسبة لنفسه، ومسؤوليته تحتم عليه أن لا يكتب إلا بعد تحر طويل، لأن الكلمة منه تعد حجة يتعلق بها العامة، والخاصة ومع ذلك فإن حياته لم تخل من كثير من الرسائل، والفتاوى التي كتبها في مناسبات مختلفة[٢]. فمن مؤلفاته مجموعة حديث في الأحكام رتبها على أبواب الفقه لا تزال مخطوطة[٣].

ومن مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم، طبع بمطبعة الحكومة في مكة سنة ١٣٦٩ هـ.

---

(١) البسام ١/ ٩٢.

(٢) ابن قاسم: مقدمة فتاوي الشيخ محمد ١/ ٢٢.

(٣) آل الشيخ ص ١٧٧، ابن قاسم: مقدمة الفتاوي ١/ ٢٢.

٢ ـ إنكار الاحتفال بالمولد النبوي، نشرته دار الإفتاء عام ١٣٨٤ هـ.

٣ ـ الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم، طبع بدار الثقافة بمكة.

٤ ـ الروضة الندية في الرد على من أجاز المعاملات الربوية، نشرته دار الإفتاء عام ١٣٨٤ هـ.

٥ ـ نصيحة الإخوان بما في نقض المباني لابن حمدان من الخبط والخلط والجهل والبهتان، طبعت في دار الثقافة بمكة.

٦ ـ تحذير الناسك مما أحدثه ابن محمود في المناسك، طبع في مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٧٦ هـ.

٧ ـ حكم المغالاة في مهور النساء، نشرته دار الإفتاء عام ١٣٨٤ هـ.

٨ ـ تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية، طبع الطبعة الرابعة في مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٨٧ هـ.

٩ ـ جمع الشيخ محمد بن عبد الرحمن القاسم فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وطبعتها الحكومة في مطبعتها بمكة في ثلاثة عشر مجلداً من عام ١٣٩٥ ـ ١٣٩٩ هـ.

ولا شك أن هذه الفتاوى لها قيمة كبيرة، لأنها عالجت

بالنصوص الشرعية، وكلام العلماء ما استجد من أمور الحياة، وما طرأ من مستحدثات المشاكل[١].

٥ ـ الوعظ والارشاد:

للشيخ نشاط في الإرشاد والنصائح منقطع النظير[٢]. في ذلك الوقت وذلك من خلال الكلمات التي يلقيها في مسجده، أو في المنتديات العامة، كما كان الشيخ يرسل رسائل إرشادية إلى أئمة المساجد لتقرأ في المساجد، وخصوصاً في المناسبات[٣].

٦ ـ تربية أهل الهجر دينياً:

ففي سنة ١٣٤٥ هـ أرسل الملك عبد العزيز الشيخ محمد إلى أهل الغطغط لما غلوا في الدين، وشددوا فيه تشديداً ينافي الشرع، فمكث عندهم ستة أشهر يبين لهم معاني الكتاب، والسنة، وعبارات رسائل علماء دعوة التوحيد السلفية، ويحذرهم من الغلو، والمجاوزة إلى الأمور المحظورة[٤].

فأخذ يناصح الإخوان المتشددين، ويسايسهم بحكمة، ويبين لهم أحكام الشرع، وما يجب عليهم من طاعة ولاة الأمور فنفع الله به[٥].

---

(١) انظر البسام ١/ ٩٣.

(٢) القاضي ٢/ ٣١٨.

(٣) انظر فتاوى الشيخ محمد ١/ ٨٥، ٣/ ١٣٢، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٥، ٤/ ٥، ١٠، ٨٥، ١١١.

(٤) آل الشيخ ص ١٧٠.

(٥) القاضي ٢/ ٣١٧.

لقد كان الشيخ من أكبر المسهمين في دحض شبه غلاة البادية؛ فرد شبههم، وأبطل حججهم، وبين طريق الحق، والرشاد[1].

٧ ـ رئاسة القضاة:

لما رأى الملك عبد العزيز في الشيخ محمد الكفاءة، والسداد جعله مستشاراً شرعياً له في تولية القضاة وإبداء الرأي في الأمور الشرعية[2]. ولقد كان رحمه الله يقوم بتمييز الأحكام، التي تحتاج إلى نظر وينظر فيما أحيل إليه من ولاة الأمور[3].

ثم كان رئيس قضاة نجد في أعمالهم القضائية، وغيرها من الشؤون الاجتماعية ولما شكلت المحاكم الشرعية في نجد، والمنطقة الشرقية، وأسست الدوائر الشرعية عام ١٣٧٦ هـ كان الشيخ محمد رئيسها الذي تولى الإشراف عليها، وعلى أعمالها، وبعد وفاة سماحة رئيس القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن حسن عام ١٣٧٨ هـ، وحدت المحاكم في المملكة، فصار الشيخ محمد رئيس القضاة العام في المملكة العربية السعودية، فنظم المحاكم، وعيّن القضاة، وأشرف على أعمالهم[4].

ولما شكل مجلس القضاء الأعلى، كان سماحة الشيخ محمد رئيساً له[5].

---

(١) البسام ١/ ٨٩.
(٢) البسام ١/ ٨٩.
(٣) ابن قاسم مقدمة فتاوى الشيخ محمد ١/ ٢٠.
(٤) البسام ١/ ٩٣، آل الشيخ ص ١٧٨، القاضي ٢/ ٣١٨.
(٥) آل الشيخ ص ١٨٣، ابن قاسم ١/ ٢٠.

ومن خلال هذا العمل قام سماحة الشيخ بالدعوة إلى الله من خلال الحكم بالشريعة وتذكير القضاة بين حين، وآخر بواجب الدعوة، فلقد أرسل إلى القضاة كتاباً جاء فيه: «إن العلم يقضي على صاحبه القيام بواجب البيان، والمناصحة، والتذكير، والإرشاد قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾[(١)]... فالواجب علينا وعليكم المذاكرة في ذلك، وحث الناس على التمسك بهذا الدين، وتعليم جاهلهم، وتنبيه غافلهم، وعليك بصفتك مسؤولاً عما ولاك الله عليه أن تعين وقتاً من أوقاتك تجلس فيه في السوق يقرأ عليك..»[(٢)].

وفي رسالة إلى أحد القضاة قال: «لا يخفاكم فضل الدعوة إلى الله، وأنها مقام رسل الله، وخلفائهم، وأنتم أهل كلمة، ومقام في بلادكم، والواجب عليكم أن تقوموا بما أوجب الله من النصيحة، والإرشاد وتقفوا حياتكم على الدعوة إلى توحيد الله الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه... ونعتقد أن هذا الأمر على بالكم، ولكن أحببنا مذاكرتكم، ولفت نظركم إلى هذا المهم العظيم..»[(٣)].

٨ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الشيخ محمد بن إبراهيم حصن منيع بذل في حياته جهداً واسعاً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٢) فتاوى الشيخ ١٣/ ٢٠٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٨٨.

بواسطة نفوذه، وصراحته، وأمره، ونهيه، وتحسينه للحسن، وتقبيحه للقبيح[1].

وكان رحمه الله على حظ وافر من الشجاعة، وقوة الشكيمة، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتردد في إعلان الحق أياً كان المخاطب به، ودافعه في ذلك، مخافة الله، وحرصه على أن يخلص ذمته مما علق عليه، فمكانته، ومسؤوليته تحتم عليه نبذ التخاذل، وكان يكره المتملقين[2].

ومن هنا نجد العلماء من هذه البلاد، ومن غيرها يقومون بالكتابة إليه بما رأوا من منكرات، لما يعلمون عن سماحته من غيرة دينية تجعله يقوم بمنع المنكرات، ومن ذلك أن الشيخ حمد بن راشد أرسل إليه يذكر أن هناك مرضى في المستشفيات لا يتمكنون من استعمال الماء، ويمنعون من إدخال التراب في حجرهم، فأجابه سماحة الشيخ بقوله: «نحيطكم علماً بأننا كتبنا لوزير الصحة بالنيابة بعدم منعهم عن استعمال التراب، وإدخاله في غرفهم في حدود مقتضى الحاجة بارك الله فيكم»[3].

ومن ذلك أن الشيخ محمود شلتوت ـ عضو جماعة كبار العلماء بمصر ـ والشيخ عبد الله ماضي أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين بالأزهر كتبا إليه عن خبر في جريدة الجمهورية المصرية جاء فيه أن هناك قسا سيزور المملكة، وسيقيم بالمملكة بصفة دائمة

---

(١) القاضي ٢/ ٣١٩.
(٢) ابن قاسم: مقدمة فتاوى الشيخ ١/ ١٧.
(٣) فتاوى الشيخ محمد ٢/ ٨٧.

للقيام بأعمال القساوسة فيها فكتب إلى الملك سعود: «أقول ــ حفظكم الله ــ هذا أمر عظيم جداً، وأعتقد أن ما نشرته هذه الجريدة كذب عليكم، وأنكم أبعد الناس عن إقرار مثل هذا الأمر، وأغيرهم على دين الإسلام، لأن هذا لا يفعله إلا الزائغون عن الحق، وأنتم لله الحمد ممن عرف بالتمسك بالدين، والمحافظة عليه، والذود عن حوزته. فيتعين حفظك الله المبادرة في إعلان تكذيب الخبر في إذاعة مكة، وفي صحف المملكة، وفي إذاعة مصر، وصحف مصر. وأسأل الله أن يجعلكم نصرة لدينه، ويحفظكم بالإسلام»[1].

٩ ــ مناصحة ولاة الأمور:

فلقد أحب سماحة الشيخ محمد ولاة هذه البلاد فكان يناصح لهم ويدعو لهم ويبث محبتهم في القلوب، ويرسل إليهم بالإرشادات التي يراها تحقق لهم المصالح الدينية.

وتزخر فتاوى الشيخ بنماذج عديدة من مناصحته لولاة الأمور، ومن أمثلة ذلك كتابه الآتي:

صاحب الجلالة الملك المعظم أيده الله ــ الرياض،

بلغني أن هناك يوماً في السنة عند الموظفين، والمدرسين يسمى يوم النظافة، وقد احتفل به في جدة، وأبدى لجلالتكم ــ حفظكم الله ــ أن تخصيص هذا اليوم، والاحتفال به، أمر لا يجيزه الشرع، حيث يكون بصفة العيد، ولا عيد لأهل الإسلام غير أعيادهم التي سنها الشرع، وما سواها فحدث باطل ينهى عنه الإسلام،

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٩.

ويمنعه. أما النظافة فأمرها معروف، وهي مطلوبة في كل وقت لا تخصص بوقت دون وقت. بلغني هذا الخبر، وعسى أن لا يكون صحيحاً، وغيرتكم للشرع، وحمايتكم له تأبى إقرار هذا الشيء، وأمثاله. تولاكم الله بتوفيقه»[1].

١٠ ــ تعيين الأئمة:

فقد كان من الأعمال المناطة به ــ رحمه الله ــ الاشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين[2] ولقد جعل سماحة الشيخ هذا العمل منطلقاً إلى الدعوة إلى الله فقد كتب إلى الأئمة ما يأتي:

«يتعين على إمام كل مسجد أن يقوم بعد صلاة فجر كل يوم بتعليم ثلاثة أشخاص من جماعة مسجده، أو أكثر حسب الاستطاعة أصول الدين؛ كمختصر ثلاثة الأصول، وشروط الصلاة، وأن يتعاهد جماعة مسجده بالنصيحة، والتذكير، والدرس، ويعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم فيه عن أمور دينهم، ويعلمهم ما يخفى عليهم فيها، ومن طلب مهلة لتذكرها، وتحفظها، فيمهل ومن امتنع عن ذلك يلزم به من قبل الإمام والمؤذن، والهيئة، وإن لم يمتثل يرفع باسمه إلى القضاة، ليقوموا حوله بما يلزم، براءة للذمة، ونصحاً للأمة»[3].

كما أرسل خطاباً إلى القضاة لتفقد الأئمة في ذلك[4] قال فيه: «وتعمموا على جميع أئمة المساجد بملاحظة ما ذكر، وتخول الناس

---

(١) فتاوى الشيخ محمد ٣/ ١٢١.
(٢) آل الشيخ ص ١٨٤، القاضي ٢/ ٣١٩.
(٣) فتاوى الشيخ ١/ ٨٩.
(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٠٥.

بالموعظة في كل مناسبة، ولا سيما في أوقات الفراغ، كما ينبغي لكل إمام مسجد تعاهد إلقاء درس خفيف بعد صلاة العصر، وقبل صلاة العشاء يقرأ فيه ما تيسر من كتب السنة، ويشرح لهم ما قرأه باختصار، ويجعل اهتمامه في تبيان أمور، وأحكام العبادات، وما لا يسع المسلم جهله، وقد عملنا مثل هذا فيمن حولنا، فعليكم العمل به فيمن لديكم، والتعميم على جميع المساجد في القرى، وملاحظة تطبيقه، ومعرفة من يتخلف عنه، وإخبارنا بنتيجة ما تجرونه، وينبغي قراءة هذا الكتاب على الناس في الجوامع بعد صلاة الجمعة، رجاء أن يعم نفعه، ويتم امتثال موجبه، والله يوفقنا وإياكم لما فيه الخير، والصلاح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

١١ ــ بعث الدعاة:

فقد كان من الأعمال التي يزاولها سماحته؛ تعيين الوعاظ والمرشدين[2]. فقد حرص رحمه الله على إيجاد وظائف للدعاة، وتكثيرها لحاجة الأمة إلى الدعاة الذين يرفعون عنهم ظلمة الجهل، وكان ولاة الأمر يعرفون أهمية هذا الأمر، ومن هنا فقد استجابوا لرغبته في ذلك ففي خطاب من سماحته إلى الملك فيصل رحمه الله جاء فيه:

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك ورئيس مجلس الوزراء المعظم أيده الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

---

(١) آل الشيخ ١٨٤.

(٢) فتاوى الشيخ ١٣/ ١٥٠.

فقد كان للفتتكم الكريمة العام الماضي، نحو إيجاد خمسين وظيفة واعظ، ومرشد أثر طيب جداً، وتأثير حسن على أن الخمسين الوظيفة المذكورة لم تكف إلا لجزء من المنطقة الجنوبية والتقارير التي وصلت إلينا من المشايخ الذين تجولوا في تلك المناطق تحتم وجوب المبادرة في إنقاذ تلك المناطق من الجهل الضارب بأطنابه هناك، فأهلها لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، ولا يحسنون الوضوء، ولا الصلاة، حتى ولا أبسط الأمور الدينية الضرورية التي هي أعظم ضرورة من الطعام والشراب، فنرجو أن يتفضل جلالتكم بتبني إنقاذ هذه البلاد من ظلمة الجهل، والشرك، ونقلها إلى نور التوحيد والعلم. . . وذلك بأمرين:

الأول: صدور أوامركم الكريمة بإحداث خمسين وظيفة واعظ، ومرشد مضافة إلى الخمسين الأولى. . .

الثانية: إيجاد إدارة خاصة لتكون مرجعاً للوعاظ والمرشدين. . . على أن تزود تلك الادارة بالجهاز اللازم من حيث الموظفين، والأثاث، وكل ما يلزم وتكون تحت إشرافنا، ونظرنا، إنكم يا صاحب الجلالة إذا حققتم ما ذكرنا، فقد حققتم كسباً كبيراً لهذه البلاد في المجال الديني، والدعوة إلى الله، وألقيتم على هذه الإدارة مسؤولية كانت معلقة بجلالتكم. . .»(١).

وقد كان يكتب إلى أمراء المناطق، وقضاتها بمساعدة الدعاة في أعمالهم، فمن ذلك ما جاء في كتاب له: «من محمد بن إبراهيم إلى

(١) فتاوى الشيخ ١٣/ ١٥١.

من يراه من قضاة، وأمراء المسلمين. . . وبعد فحامل خطابي هذا الشيخ عبد الله بن سعدي العبدلي الغامدي، قد تصدى للدعوة إلـى الله، وتعليـم الجهـال أمـر دينهـم. . . نسـأل الله أن يمنحـه التوفيق. . . ويوفق قضاة المسلمين، وأمراءهم إلى القيام معه، ومع جميع الدعاة إلى الله. . . وذلك بمساعدتهم، نحو أداء هذه المهمة النبيلة ــ أعني الدعوة إلى الله، وإلى سبيله بالحكمة، والموعظة الحسنة ــ ببذل ما يستطاع. . »(١).

كما كان يسعى إلى منع من كان في عقيدته بعض الانحراف من الوعظ، لئلا يكون ذلك سبيلاً إلى نشر الآراء المنحرفة، ومن ذلك كتابة الآتي: «صاحب الجلالة الملك المعظم أيده الله. قدم إلى الرياض شخص يدعى. . . وجعل يقص في المساجد، وفي بعض المجتمعات، والرجل المذكور خرافي، وله كلام حول المعتقد فاسد، فيجب حفظكم الله منعه من القصص هنا، وفي سائر أنحاء المملكة، تولاكم الله بتوفيقه»(٢).

١٢ ــ مراقبة المطبوعات:

فقد أوصى سماحته في عام ١٣٧١ هـ ولي العهد بجعل هيئة لمراقبة الكتب، والتفتيش على مكاتب البيع الموجودة في الرياض، ويعهد إلى جميع المراكز أن لا يمر بهم شيء من الكتب، حتى يأخذوا أسماءها، ويرسلوه إلى تلك الهيئة التي في الرياض(٣).

---

(١) فتاوى الشيخ ١٣/ ١٥٨.
(٢) المصدر السابق ١٣/ ١٦٢.
(٣) المصدر السابق ١٣/ ١١٥.

ولما شكلت هذه اللجنة، جعل أحكامها عامة على جميع ما يصدر من الداخل، وما يرد إلى البلاد من الخارج، ولم يكن يتساهل في هذا الأمر، كتب إليه أمين المكتبة القطرية بالاحساء يطلب إذناً عاماً لما يصدر من مكتبة الشيخ على آل ثاني فأجاب بقوله: «نحن نقدر للشيخ علي آل ثاني غيرته الدينية، وهمته العالية في طبع الكتب النافعة، وتوزيعها على طلبة العلم، أما بالنسبة لمراقبة ما يصدر عن المكتبة القطرية بالأحساء، فأمر لا بد منه أسوة بغيرها من المكتبات، ودور النشر في كافة أنحاء المملكة»[1].

ومن كتابات الشيخ محمد حول الكتب الممنوعة اختار هاتين الكلمتين «لقد اطلعت على كتاب نظرية تحمل التبعة في القانون الإسلامي... وأفيدكم أن هذا الكتاب في القانون ولا يصلح إدخاله إلى هذه المملكة بحال، لأنه في القانون المستمد من القانون الفرنسي، والقانون الروماني، والقانون المصري وقوانين غربية أخرى، وحقيق بالدولة الإسلامية محاربة هذه القوانين الغربية، والابتعاد عن سمومها الفتاكة بكل الوسائل»[2]. «وكذلك الكتاب الجديد (هذا أو الطوفان) ينبغي منعه والتنبيه بعدم إدخاله، فإن هذه الكتب نفعها مفقود وضررها موجود، والغرض منها الدعوة إلى الزندقة والالحاد والانحلال، نعوذ بالله من مضلات الفتن»[3].

---

(١) فتاوى الشيخ ١٣/١١٦.

(٢) الفتاوى ١٣/١٤٧.

(٣) المصدر السابق ١٣/١٤٨.

١٢ ـ طباعة الكتب وتوزيعها:

حرص رحمه الله على طباعة الكتب النافعة، وتوزيعها مجاناً لنشر العلم، وتيسير سبله[(١)] فقد كتب في عام ١٣٧٨ هـ لولي العهد حينذاك الملك فيصل طلباً لجعل بند مالي لطباعة، وشراء الكتب الدينية، وعلل ذلك بقوله: «وهذا كما أنه حسنة، وخطوة كبرى في سبيل تسهيل العلم، ونشره، فهو مظهر جميل، وعناية بالكتب السلفية، التي يهم شأنها كل عالم سلفي في أقطار الدنيا، مع أنه دائماً ما يهدي للحكومة كتب دينية، وفي حال قبولها تؤدي قيمتها على ذلك البند»[(٢)].

وقد قامت دار الإفتاء بشراء كميات عديدة من كتب مختلفة، مفيدة، ووزعتها على طلبة العلم في الداخل والخارج.

١٤ ـ جهوده الدعوية في مجال الصحافة:

وهذه الجهود منقسمة إلى أربعة أقسام:

الأول: المقالات التي تنشر في الصحف[(٣)].

الثاني: متابعة الصحف، والتعليق على ما يوجه فيها من مخالفات لأحكام الإسلام، ومن أمثلة ذلك أنه نشر في مجلة رابطة العالم الإسلامي في العدد الأول الصادر في ربيع الأول عام ١٣٨٣ هـ مقال عن المولد النبوي كما نشرت جريدة الندوة في عددها ذي الرقم

---

(١) البسام ١/ ٩٤.

(٢) فتاوى الشيخ محمد ١٣/ ١١٣.

(٣) القاضي ٢/ ٣١٨.

١١١١ الصادر في ٧/ ٤/ ١٣٨٣ هـ مقالاً يستحسن الاحتفال بالمولد النبوي، فقام بالتعليق على المقالين، وأرسل التعاليق إلى المجلتين، فنشرت كل مجلة ما يخصها[١].

كما أن مجلة العربي نشرت مقالاً في عددها رقم ٥٤ الصادر في ذي الحجة عام ١٣٨٢ هـ بحثاً عن رسم المصحف استحسنت فيه تغييره عما عليه المصاحف العثمانية، وقد ردّ عليهم الشيخ محمد[٢].

الثالث: إرسال الفتاوى إلى الصحف لنشرها، فقد كانت المجالات تكاتب سماحته، وتستفتيه، وتنشر فتاويه[٣].

الرابع: إنشاء مؤسسة صحفية باسم مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، التي تصدر عنها جريدة الدعوة[٤].

فقد كلم الملك فيصل عن إنشاء هذه المؤسسة لما كان ولياً للعهد، وإرسل إليه كتاباً جاء فيه: «عطفاً على حديثي مع مقام سموكم حول عزمنا على إنشاء مؤسسة صحفية، تقوم بالدعوة إلى الله، وتوجيه الناس إلى الخير بأسلوب حكيم مناسب، ويصدر عنها صحيفة... ويحتمل أن يصدر عنها مجلة، أو مجلات، أو نشرات حسب مقتضيات الحاجة... وإنا إذ نرفع ذلك لمقام سموكم نرجو ما يأتي:

---

(١) فتاوى الشيخ محمد ٣/ ٥٢، ٦٣، ٨٨.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٨١.

(٣) انظر أمثلة على ذلك في المصدر السابق ١/ ١٥١، ١٨٠، ١٨٣.

(٤) آل الشيخ ص ١٨٤.

١ ـ التأييد كتابياً لموافقتكم على ذلك.

٢ ـ العطف الكامل على هذا المشروع الخيري، ومساهمة سموكم الكريم فيه من مالكم، وإصدار أوامركم الكريمة بمساهمة الحكومة فيه، وتبني سموكم ذلك، علماً بأن هدف المشروع هو الدعوة إلى الله ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[1]، وأنتم مشاعل الدعوة وأنصارها ولا قوام لذلك إلا بالله، ثم بكم وتأييدكم»[2].

ولقد دعا المواطنين إلى المساهمة في هذه الصحيفة، وكان يشكر كل من ساهم فيها.

وكان يغتنم لقاءه بالعلماء ليدعوهم إلى الكتابة في هذه الصحيفة، فقال في أحد اجتماعاته بالعلماء: «ولما كان وجود أصحاب السماحة، والفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي بمكة، فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية أحببت أن أخبرهم عن هذه المؤسسة، وأهدافها راجياً منهم مساعدتها، بإرسال المقالات النافعة، والآراء السديدة نحو هذه المؤسسة»[3].

ويلخص الشيخ محمد هدف المؤسسة الصحفية المذكورة بقوله: «نظراً لحالة المسلمين الحاضرة، وحاجة الأمة إلى الدعوة

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.
(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٣/ ١٦٣.
(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٣/ ١٦٤.

الإسلامية، فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادىء الهدامة، والأفكار الضالة المسمومة، ولتبين للناس محاسن الإسلام، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان، ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في العصر الحاضر، فقد تقرر بأن يصدر عن هذه المؤسسة صحيفة يومية تصدر اسبوعياً مؤقتاً، ومجلة شهرية[1].

١٥ ــ الكلمات الاذاعية:

فقد كان الشيخ يلقي بعض النصائح والتوجيهات والمواعظ، والفوائد بواسطة الإذاعة[2]، كما كانت خطبة الجمعة التي يلقيها الشيخ محمد بن إبراهيم في الجامع الكبير بالرياض تنقل حية على الهواء بواسطة الإذاعة السعودية[3].

١٦ ــ جهوده الدعوية المتعلقة بالخارج:

لقد بذل سماحة الشيخ محمد عدة جهود على أصعدة مختلفة، من أجل بث الدعوة الإسلامية خارج المملكة العربية السعودية ومن هذه الجهود:

(أ) المساهمة العملية عند إنشاء رابطة العالم الإسلامي، ورئاسة

---

(١) المصدر السابق ١٣/ ١٦٤.

(٢) القاضي ٢/٣١٨.

(٣) وقد أهدي إلى الشيخ عبد السلام آل عبد الكريم شريطاً مسجلاً عليه خطب ومواعظ، بصوت الشيخ محمد بن إبراهيم ــ رحمه الله ــ أذيعت من الإذاعة السعودية.

المجلس التأسيسي فيها، وذلك أن المملكة العربية السعودية دعت إلى التضامن الإسلامي، ولما كان لدعوة التضامن الإسلامي صدى عند المسلمين، لفت أنظار الأمة إلى المملكة العربية السعودية مهبط الوحي، ومبعث نور الهداية، فاقتضت مصلحة الدعوة إنشاء رابطة العالم الإسلامي، فأنشئت عام ١٣٧٩ هـ فكان سماحته رئيساً للمجلس التأسيسي، فيها وهو المرجع العام لها[(١)].

ومن كلمة سماحته حين افتتاح الرابطة: «إن الدعوة إلى الله وبيان ما بعث الله به أنبياءه ورسله عليهم السلام للناس هي سبيل رسول الله ﷺ وسبيل أتباعه... وهو واجب على كل مسلم... وهو على أهل العلم أوجب، وفي حقهم أوكد... والمسؤولية تقع عليهم أكبر فلديهم طب القلوب، وعلاجها... والناس في هذه الأزمنة بحاجة إلى الدعوة أكثر من حاجتهم لها في أي وقت مضى، حيث كثرت دواعي الشر، وتفشت الإباحية والانحلال الخلقي... كما كثرت البدع، والخرافات... وأخذ دعاتها أزمّة التوجيه فأفسدوا ما بقي مع المسلمين من دينهم، أو كادوا، والتقى أعداء الإسلام... على صعيد واحد هو محاربة الإسلام والصد عنه... ولما رأى المخلصون هذه الحالة ساءهم يوم الإسلام الحاضر، وأشفقوا من غده المظلم ففكروا في إقامة مؤتمر إسلامي... فلم يكن بد من أن يتفق الرأي على أن هذا لا يكون إلا بمكة المكرمة، حيث إنها منبع الهدى والنور، وفيها بيت الله العتيق قبلة المسلمين... وفيها إقامة خامس

---

(١) البسام ١/ ٩٤، ابن قاسم مقدمة الفتاوى ١/ ٢٠.

أركان الإسلام، وتم عقد ذلك المؤتمر في موسم حج عام ١٣٨١ هـ وحضره جمع كبير من علماء المسلمين، وأعيانهم.. وقد بحثت في هذا المؤتمر المشاكل الإسلامية... وقد انبثق عن هذا المؤتمر رابطة العالم الإسلامي...»[١] «حديثي إليكم الساعة عن هدف هذه الرابطة، فأقول: إن هدفها هو التذاكر، وعرض المشاكل التي تعترض تبليغ الدعوة إلى الإسلام، ثم العمل على إيجاد الحلول العملية تجاه ذلك، والخروج بنتيجة تضمن بإذن الله... أداء فريضة الله علينا في تبليغ هذه الدعوة، وشرح مبادئها، ودحض الشبهات عنها، ومجاهدة المؤامرات الخطيرة، والمبادىء الهدامة التي يدبرها أعداء هذا الدين، بقصد فتنة المسلمين، وصدهم عن دينهم، وتفريق صفوفهم... وهذه الدسائس التي دسها أعداء الدين على الإسلام لقصد القضاء عليه هي أهم ما يجب أن نبحث في اجتماعاتنا هذه، وهي أهم ما يجب أن نصرف عنايتنا في محاربته ودحضه، ونتكاتف، ونصير طائفة واحدة في نصرة الحق، وإقامة العدل، ومجاهدة الباطل، والقضاء عليه مستمدين ذلك من القرآن الكريم...»[٢].

(ب) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: إذ إن الدعوة الإسلامية الصحيحة، ونداء المسلمين إلى الرجوع إلى دينهم الصحيح من خلال الكتاب والسنة، هو جل ما تعنى به حكومتنا السنية أيدها الله، فكانت تبذل في هذا المضمار كل ما من شأنه تبصير المسلمين، وغير المسلمين بالدين الإسلامي، ومن هذه الجهود

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٩١.

(٢) فتاوى الشيخ محمد ١٣/ ١٩٢.

إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فأنشأتها، وجعلت الأكثرية فيها للطلاب غير السعوديين، فكان سماحة الشيخ محمد هو المشرف على تأسيسها، والرئيس العام لها[١]. وكان تأسيس الجامعة الإسلامية عام ١٣٨١ هـ[٢].

(ج) الدعوة الإسلامية في إفريقيا: كتب سماحته خطاباً إلى الملك فيصل يحثه على العناية بالدعوة في إفريقيا جاء فيه «ولا يخفاكم سلمك الله أن قارة افريقيا تضم عدداً كبيراً من المنتسبين للإسلام، الذين يحتاجون إلى تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوسهم، وفيها عدد أكثر من غير المسلمين.. ممن يؤمل دخولهم في الإسلام، وقد بذلت الدول الكافرة جهوداً كبيرة لادخال عموم الإفريقيين في دياناتها المختلفة، ولم تنجح هذه الدول ولله الحمد، ويجب على المسلمين، وخاصة هذه المملكة التي هي مهبط الوحي، ومنها شع نور الرسالة المحمدية، أن تقوم بهذا الواجب، وتبذل فيه ما يستحقه من مجهودات صادقة، ولا سيما والافريقيون عندهم استعداد للدخول في الإسلام متى وجدوا من يدعوهم، ويرشدهم إليه بإخلاص وصدق عزيمة، وفق الله جلالتكم لما فيه رفع راية الدين، وجعلكم من الدعاة إليه...»[٣].

فأوكل إلى سماحته الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في

---

(١) البسام ١/ ٩٤.

(٢) القاضي ٢/ ٣١٩.

(٣) فتاوى الشيخ محمد ١٣/ ١٥٢.

إفريقيا، ورئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا[1].

١٧ ــ جهوده في المكتبات:

كان من الأعمال المناطة بسماحته رئاسة المكتبة السعودية التي أنشئت بجوار مسجد سماحته بحي دخنة عام ١٣٧٠ هـ[2]، وجمع فيها حوالى خمسة عشر ألف كتاب مطبوع و١١٧ مخطوط[3].

وقد خلف الشيخ مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات والمطبوعات[4].

لقد أسهم في تأثير هذه الجهود التي قام بها سماحة الشيخ محمد على الناس، وانتفاعهم بها ما يتمتع به الشيخ من مزايا خاصة، إذ كان من صغره جاداً في طلب العلم حفظ القرآن وعمره إحدى عشرة سنة، وكف بصره وهو في الرابعة عشرة، فصبر واحتسب، ولم يثنه عن عزمه في طلب العلم، بل زاد إقباله عليه، وصرف جميع أوقاته في تحصيله، حتى أدرك علماً جماً في زمن قصير، مما لا يدركه الكبار في زمن طويل[5].

أقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير، حتى نبغ في فنون عديدة، وكان لا يحس بالملل في المطالعة، والقراءة، ولا يسأم، وكان مفرط

---

(١) آل الشيخ ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) آل الشيخ ص ١٨٣، القاضي ٢/ ٣١٩.

(٣) الزركلي: الأعلام ٥/ ٣٠٧.

(٤) القاضي ٢/ ٣٢١.

(٥) البسام ١/ ٨٨.

الذكاء، قوي الحفظ سريع الفهم، حتى كان مشايخه معجبين بفرط ذكائه، ونبله[1].

وكان رحمه الله من أكثر الناس استحضاراً لعظمة الله، فكثيراً ما يسمح يلهج بذكر الله، والاستغفار، وتغرورق عيناه بالدموع حينما يكون في موقف مناجاة الله، أو يسمع بعض ما يحرك القلوب، لقد كان يحيي ليله بالصلاة التي كان يواظب عليها في إقامته وسفره[2].

ومما يتميز به الإخلاص في العمل، فلم يكن طالب شهرة، ولا باحثاً عن سمعة، بل كان عمله كله لله يبتغي ما عنده، ويجتهد في تحري الحق، ولا يعتريه ضعف، ولا يأخذه طمع، ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها، وكان يكره بشدة المدح، والثناء عليه، فما كان يرضى من أحد أن يثني عليه، أو يبالغ في مدحه سواء كان ذلك مشافهة أم كتابة، وكان قلبه طاهراً، لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله، بل كان ديدنه الصفح، والتجاوز، وكان يتنزه عن الغيبة، ولا يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين، أو تنقصهم، بل كان يقف دون ذلك، ويزجر من يحاوله.

وكان عفيفاً يتورع عن أخذ ما ليس له، أو يرى فيه شبهة، فلم يعرف أنه اشتغل ببيع، أو شراء، بل كان مقتصراً على ما يتقاضاه مقابل عمله، وكان يشغل عدة أعمال، ولم يكن يأخذ عليها إلا

---

(١) القاضي ٢/٣١٧.

(٢) ابن قاسم مقدمة الفتاوى ١/١٨.

راتب، وظيفة واحدة، ولم يكن يأخذ انتداباً مقابل انتقاله إلى مدينة الطائف، ولا يعرف أنه طلب شيئاً يخصه، وكان يحرص على إكرام العلماء، والقضاة[1].

□□□

(١) ابن قاسم، مقدمة الفتاوى ١/١٨.

الفصل الثاني

الدعاة في القضاء

ويحتوي على تمهيد وسبعة مباحث:

تمهيد: عن قيام العلماء بالقضاء والدعوة.

المبحث الأول: الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.

المبحث الثاني: الشيخ سعد بن حمد بن عتيق.

المبحث الثالث: الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد.

المبحث الرابع: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

المبحث الخامس: الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم.

المبحث السادس: الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك.

المبحث السابع: الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري (أبو حبيب).

تمهيـــد

عن قيام العلماء بالقضاء والدعوة

لقد تولى أغلب العلماء والدعاة في ذلك العصر القضاء، وذلك لحداثة الدولة، ودخول كثير من الأقاليم تحت ولايتها، ولقلة العلماء الذين يستطيعون القيام بمهام القضاء، وأعبائه، وكان من سياسة الدولة السعودية، ومنهجها تعيين قاضٍ لكل بلدة، أو هجرة يتولى ـ في غالب الأحوال ـ إمامة الجامع وخطابته، وإلقاء المواعظ، وتدريس العلوم الشرعية، وإفتاء الناس، وقد كان لذلك أثر كبير في نشر الوعي، والخير في صفوف الناس، إذ قد علمت منزلة القاضي في الناس، فهم يجلّونه ويحترمونه. ومن ثم فإن ما يصدر عنه من وعظ، وإرشاد محل اهتمام الناس، يتقبلونه ويعملون به، لقوة مصدره، وثقة ملقيه.

وقد برز في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ علماء تولوا القضاء، فحكموا بين الناس بالعدل، وكانوا مصابيح دعوة، وهداية، وإرشاد.

لقد اتخذ هؤلاء العلماء من القضاء منبراً للدعوة إلى الله، وإعلاء كلمة الله، فسادوا في الناس، وعظموا في أعينهم، وكان لهم القبول، والانقياد عند جميع من عرفهم، واتصل بهم.

وسأذكر في هذا الفصل باختصار نماذج من العلماء الذين

جمعوا بين القضاء، والدعوة في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مرتبين حسب تاريخ وفاة كل منهم وهم:

١ ـ الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١٢٨٠ ـ ١٣٢٩ هـ).

٢ ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (١٢٧٩ ـ ١٣٤٩ هـ).

٣ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد (١٢٨٤ ـ ١٣٥٩ هـ).

٤ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري (١٢٩٠ ـ ١٣٧٣ هـ).

٥ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم (١٣٠٠ ـ ١٣٧٤ هـ).

٦ ـ الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك (١٣١٣ ـ ١٣٧٧ هـ).

٧ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري (١٣٠٥ ـ ١٣٨٧ هـ).

□ □ □

المبحث الأول

الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ(١)

لقد كان الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف من العلماء الدعاة الذين اتصفوا بالوقار، والسكينة، والحلم، والأناة، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يأتي:

١ ــ ولاية القضاء:

رأى الملك عبد العزيز حالة الشيخ من سعة علم، وبعد نظر، ورجاحة عقل فعينه في قضاء مدينة الرياض عام ١٣٢١ هـ وبقي فيه إلى وفاته سنة ١٣٢٩ هـ(٢).

لقد سار الشيخ إبراهيم في قضائه، وأحكامه سيرة حميدة

---

(١) الشيخ العلامة إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ولد في مدينة الرياض عام ١٢٨٠ هـ حفظ القرآن صغيراً وقرأ على والده وعلماء عصره حتى مهر علوم عدة توفي في الرياض سنة ١٣٢٩ هـ.

انظر: البسام ١/ ١٢٦ ــ ١٣٠، ابن قاسم: الدرر السنية في تراجم علماء نجد ٨٢ ــ ٨٦، آل الشيخ ١٢٥ ــ ١٢٦، الزركلي: الأعلام ١/ ٤٨، ابن عبيد: تذكرة أولي النهى ٢/ ١٠٦ ــ ١١٣، القاضي ١/ ٤٠ ــ ٤١.

(٢) البسام ١/ ١٢٦، ابن قاسم: الدرر ص ١٢/ ٨٤، آل الشيخ ١٢٥، الزركلي ١/ ٤٨، القاضي ١/ ٤٠.

مرضية: عدل في الأحكام، وإنصاف للمظلوم[1].

ولقد كان في قضائه منصفاً، بارعاً، عارفاً، عالماً، له قوة إدراك، وملكة على استخراج النصوص من مظانها، أضف إلى ذلك تسديداً في القضاء، وعدلاً، ومقدرة يقنع الخصمين، وتطيب النفوس بقضائه، وذلك لما منّ الله به عليه من كمال العقل، والبصيرة والغوص في فنون العلم، والمسائل مع الرغبة في العدل، وحسن النية[2].

٢ ــ الفتــوى:

تصدى الشيخ إبراهيم للفتوى، والإفادة وله فتاوي محررة تدل على جودة فهمه، وحسن تصوره[3].

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى منهجه في الإفتاء في اتباع الجماعة، واقتفاء أثر السلف الصالح، والبعد عن التفرق، والاختلاف، وذم الشذود في الإفتاء، مع التمييز في ذلك بين أهل العلم المجتهدين الذين هم مأجورون على اجتهادهم، لتعاملهم مع الأدلة السمعية، وبين من لا علم لديه، ولا أصل يرجع إليه في الإفتاء[4].

---

(١) البسام ١/ ١٢٦.
(٢) ابن عبيد ٢/ ١٠٨.
(٣) البسام ١/ ١٢٧، آل الشيخ ١٢٦، الزركلي ١/ ٨٠٠.
(٤) انظر: القاسم/ الدرر السنية مجلد ٣ ص ١٩١.

ويوجد له في الدرر السنية عدة فتاوي[1]، ومن أجوبته جواز التداوي بالكرش عن لدغة العقرب[2]، ولم يكن متقيداً بمذهب أحد من الناس، وفي ذلك يقول: «واختيار بعض المتأخرين لا يقضي بأولويته، ولا رجاحته ولو ذهب الخلف إلى الأخذ بكل ما صححوه، وإلزام الناس بجميع ما رجحوه لأوقعهم في الشباك، وأفضى إلى مفاوز الهلاك، وهذا على سبيل التنبيه، والإشارة تكفي اللبيب[3].

وسئل عن وجوب الزكاة في أموال اليتامى فأجاب الشيخ إبراهيم: وأما دراهم الأيتام، فتجب فيها الزكاة لأن النقدين لا يشترط في وجوب الزكاة فيها نية التجارة، بل مجرد الملك، والحول والنصاب[4].

وسئل الشيخ إبراهيم، وأخوه الشيخ عبد الله، والشيخ سليمان بن سحمان عن تكفير الجهمية فأجابوا: أما الجهمية؛ فالمشهور من مذهب أحمد، وعامة علماء السنة ـ رحمهم الله ـ تكفيرهم لأن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل، وأنزلت به

---

(١) انظر الدرر السنية ٣/ ٥٥ و١٥٩ و١٩١ و١٩٨ و٢٤٦ و٢٤٧ و٢٩٤ و٤/ ٣٠ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٧٢ و٨٢ و٨٧ و١٥٢ و١٧٢ و١٧٣ و١٧٤ و٢٢٨ و٢٣١ و٢٧٥ و٢٧٨ و٢٩٤ و٢٩٧ و٣٦٦ و٥١٠ و٥٢٣ و٥/ ٣٢٠ و٦/ ٢٤٢.

(٢) ابن قاسم ٣/ ٢٤٧.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٥٥.

(٤) القاسم/ الدرر السنية/ مجلد ٣ ص ٢٩٤.

الكتب، وحقيقة قولهم جحود الصانع، وجحود ما أخبر به عن نفسه، بل وجميع الرسل[1].

٣ ـ التعليم:

للشيخ إبراهيم حلقات في التدريس بأنواع العلوم، أخذ عنه فيها جمع غفير من أهل العلم[2].

٤ ـ الأمر بالمعروف:

لقد كان رحمه الله قوياً في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم له قوة، وإقدام، وشجاعة وهيبة منها العجب[3].

٥ ـ ردوده الشعرية:

نظم قصيدة بديعة تقع في أكثر من مئة بيت، في الرد على أحد العراقيين منها هذه الأبيات:

الحمد لله حمداً استزيد به ... فضل الإله وأرجو منه رضوانا
واستعين به في رد خاطئة ... من العراق أتت بغيا وعدوانا
من جاهل عارض الحق المبين بها ... هذا به سفها تيها وطغيانا
قد عاب أهل الهدى من غير ما سبب ... وقام يعمر للإشراك بنيانا

إلى قوله:

---

(١) القاسم/ الدرر السنية/ مجلد ٦ ص ٢٤٣.

(٢) البسام ١/ ١٢٦، آل الشيخ ص ١٢٥، ابن قاسم ملحق الدرر السنية ص ٨٤، القاضي ١/ ٤٠، ابن عبيد ٢/ ١٠٦.

(٣) ابن قاسم ص ٨٤، ابن عبيد ٢/ ١٠٦.

من كان يصرف للمخلوق دعوته وكان يندب للأموات أحياناً
هذا هو الشرك قد أعليت ذروته وسوف تصبح يوم الدين ندمانا
من كان يقصر آيات الكتاب على أسباب إنزالها قد نال خسرانا
فالاعتبار عموم اللفظ قال بذا من شاد للملة السمحاء أركانا

إلى قوله:

هذا جوابك يا هذا موازنة فالحر ما دين إنصافا به دانا

لقد أوضح الشيخ إبراهيم بهذه القصيدة مذهبه، ونصر بها الحق، ودحض بها الباطل[١].

وزيادة على ذلك كان الشيخ رحمه الله، قدوة صالحة في أعمال الخير، والأخلاق الحسنة؛ كان هيناً، ليناً، مهاباً، سمحاً، كريماً، متحبباً، مفيداً للطالبين[٢]، ورعاً، تقياً، متواضعاً[٣]، كان زاهداً في الدنيا، لا يذكرها، ولا تدور في ذهنه، له مكارم أخلاق، وحسن عشرة، ووفور حلم، وغزير فطنة[٤].

لقد كان الشيخ إبراهيم مع ما يمتاز به من العلم الواسع، وكرم الخلق من العلماء المتصفين بالوقار، والسكينة، والأناة، والحلم كان مهيباً من غير كبر، ليناً سهلاً في غير ابتذال[٥].

□□□

(١) البسام ١/ ١٢٧، آل الشيخ ص ١٢٦، القاضي ١/ ٤١.
(٢) ابن قاسم ص ٨٤، ابن عبيد ٢/ ١٠٦.
(٣) آل الشيخ ص ١٢٦.
(٤) ابن عبيد ٢/ ١٠٦.
(٥) البسام ١/ ١٢٨.

المبحث الثاني

الشيخ سعد بن حمد بن عتيق[1]

لقد كان الشيخ سعد من قضاة ذلك العصر، والدعاة فيه، ويتمثل عمله الدعوي فيما يأتي:

١ ــ القضـــاء:

تـولـى الشيـخ سعـد قضـاء الأفـلاج فـي وقـت الإمـام عبـد الله الفيصل، فلما استولى محمد ابن رشيد على نجد أقره على عمله، فاستمر قاضياً حتى فتح الملك عبد العزيز الأفلاج، فنقله من قضاء الأفلاج إلى الرياض، قاضياً للبادية وفي قضايا الدماء[2].

ولقد كان الشيخ قاضياً مسدداً في أقضيته، نزيهاً، حازماً ذا عقل راجح، وذا أناة[3].

---

(١) الشيخ العلامة سعد بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق.
ولد في الحوطة سنة ١٢٧٥ هـ وطلب العلم في نجد والحجاز والهند على يد كثير من علمائها حتى بلغ في العلم مبلغاً عالياً توفي سنة ١٣٤٩ هـ بمدينة الرياض.
انظـر البســام ١/ ٢٦٦ ــ ٢٦٩، آل الشيــخ ص ٢٢٣ ــ ٣٢٨، القــاضــي ١/ ١١٠.

(٢) البسام ١/ ٢٦٧، آل الشيخ ٣٢٤.

(٣) القاضي ١/ ١١٠.

وهو عالم مجتهد، له اجتهاداته التي يسير عليها في قضائه من ذلك اجتهاده في تقدير شجاج الرأس التي دون الموضحة[1]؛ وهي الخمس التي لا تقدير فيها من الشرع، فقال رحمه الله في وصف طريقته «وأما ما سألت عن عادتنا في تقدير حكومة الشجاج، التي دون الموضحة فالجواب: غير خاف عليك حقيقة الحكومة، وكيفيتها، ونحن في الغالب ما نعتبر الحكومة، لكن نتحرى ما تأخذ الجناية من اللحم الحاصل بين البشرة، وبين العظم أعلى حد الموضحة، ثم نعرف نسبة ما أخذته الجناية من اللحم، إلى أرش الجناية، وهو نصف عشر الدية فإذا عرفنا أن الجناية أخذت ثلث ما بين البشرة إلى حد الموضحة، ففيها ثلث أرش الموضحة، وهكذا، وهذا ذكره بعض العلماء، وهو حسن، لكنه يحتاج إلى عارف بصير بالجراحات ولكن إذا علم الله من العبد تحري العدل، والإنصاف فالله يغفر له»[2].

٢ ـ الإفتـــاء:

كانت أسئلة المستفتين تصل إليه شفاهاً، وكتابة فحرر الفتاوى، والأجوبة بأسلوب مبسط مقترن بالدليل الشرعي[3]، وتحتوي مجموعة الرسائل، والمسائل، والدرر السنية على عدة فتاوى له[4].

---

(١) الموضحة شجة في الرأس، توضح العظم وتبرزه وديتها خمسة أبعرة، صالح الفوزان، الملخص الفقهي ج ٢ ص ٤٠٢.

(٢) ابن قاسم، الدرر السنية، ج ٤ ص ٤٤٤.

(٣) البسام ١/ ٢٦٨، القاضي ١/ ١١٠.

(٤) انظر الدرر السنية ١/ ٢٨٠ و٢/ ٣٥٩ و٣/ ٥٥، ١٣٦، ١٦٧، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٤٣، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٩ و٤/ ١٥، ٣٨، ٧٠، ٢٢٨، ٢٤٣، =

وقد جمعت بعض فتاواه في رسالة مستقلة، عنوانها المجموع المفيد من رسائل، وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق[1].

٣ ــ التعليــم:

لقد أمضى الشيخ سعد كثيراً من وقته في بث العلم الشرعي في مجالات متعددة، من أهمها التدريس[2]، فقد جلس للتدريس في مدن كثيرة، من أطولها مدة حين إقامته بالرياض، فالتف إلى حلقته كثير من طلبة العلم، ممن كان لهم أثر في الدعوة بعده[3].

لقد كان له رحمه الله، حلقتان للتدريس في جامع الرياض الكبير؛ إحداهما بعد طلوع الشمس حتى امتداد النهار، والثانية بعد صلاة الظهر، وكان حريصاً على ما يلقيه من الدروس شديد التثبت لمعنى ما يقرأ عليه، فلا يلقي دروسه ولا يسمعه من الطلاب، حتى يراجع شروح ذلك المتن الذي يتولى تدريسه، وحواشيه وما قاله العلماء عليه مع التمكن من ضبطه لغة، ونحواً، وصرفاً، حتى يحرر

= ٣٠٧، ٣٣٣، ٣٥٨، ٤١٧، ٤٤٣، ٤٦٧، ٥١٢١ و٥/٢١٨، ٢٣٧، ٢٨٣، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٥ و٦/٢٤٨، ٢٦٥.

(١) جمع وترتيب الشيخ اسماعيل بن سعد بن عتيق ــ نشر دار الهداية سنة ١٤٠٣ هـ الرياض.

(٢) القاضي ١/ ١١٠.

(٣) القاضي ١/ ١٠٩.

الدرس تحريراً بالغاً، ولذا أقبل عليه الطلاب، وحفوا به، واستفادوا منه فوائد جليلة[1].

٤ ـ التأليـف:

كما تصدى لنشر العلم بالكتابة، فقد كنت الرسائل، والنصائح، وألـف المـؤلفـات، فقـد نظـم أكثـر مختصـر المقنـع، وصـل إلـى الشهادات، وله رسالة حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض، ورسالة عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية[2].

٥ ـ إمامة الجامع الكبير:

تولى الشيخ سعد إمامة الجامع الكبير في الأوقات دون صلاة الجمعة[3].

٦ ـ نصح الخاصة والعامة:

كان الشيخ سعد مقرباً من الملك عبد العزيز، لأنه قد عرف منه النصح التام، ولذا، فهو يعتمد عليه في مهام الأمور الدينية[4]، وكان الشيخ سعد يتحف الملك عبد العزيز بالنصيحة كلما وجد الوقت مناسباً، ومن ذلك مثلاً قوله في رسالة إلى الملك عبد العزيز «احرص يا أخي على سلامة دينك، وإياك والإعراض عن دين الله، وعدم الالتفات إليه، وترك أهل الشرك، والبدع، والمعاصي على ما كانوا

---

(١) البسام ١/٢٦٨، آل الشيخ ٣٢٤.
(٢) البسام ١/٢٦٨، آل الشيخ ٣٢٥، القاضي ١/١١٠.
(٣) القاضي ١/١٠٩، البسام ١/٢٦٧، آل الشيخ ٣٢٤.
(٤) البسام ١/٢٦٨.

عليه، فإن ذلك أمر عظيم، ومورد وخيم أعاذك الله من ذلك»[1].

كما كان الشيخ سعد يقوم بواجب النصيحة للخاصة من العلماء، والأمراء ولعامة المسلمين، حيناً مشافهة، وحيناً مراسلة فيما يراه أنهم محتاجون فيه إلى النصح من أمور دينهم، ودنياهم، ورسائله التي وصلت إلينا تزخر بالكثير من ذلك رحمه الله.

٧ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ورث الشيخ سعد عن والده الغيرة الشديدة في الدين، والصلابة في العقيدة[2]، فلقد كان من دعاة الخير، والرشد صادعاً بالحق لا يخاف لومة لائم، وكان له مواقف مع الملك عبد العزيز، خاصة حينما يرى شيئاً من المنكرات[3].

فلقد كان يصدع بكمة الحق، شديداً في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويتفقد أحوال الناس وينصح المتخلفين عن الصلاة[4].

٨ ـ الوعظ والإرشاد:

لقد كان الشيخ حريصاً على الدعوة إلى الله، بطريق الوعظ، فكان يرشد أدبار الصلوات وفي كل مناسبة[5].

---

(١) إسماعيل ابن عتيق/ المجموع المفيد/ ص ٧٤.
(٢) البسام ١/ ٢٦٦.
(٣) القاضي ١/ ١١١.
(٤) القاضي ١/ ١١١.
(٥) القاضي ١/ ١١٠.

لقد جد، واجتهد في نشر الدعوة السلفية، حتى نفع الله باجتهاده، ودعوته خلقاً كثيراً[1].

٩ ـ توثيق العقود ونفع الخلق:

كان الشيخ عمدة في توثيق العقود، وإجراء عقود الأنكحة، وكان يحب إصلاح ذات البين.

ولقد كان الشيخ قدوة صالحة في ملازمة العبادة، والحرص على الأذكار الشرعية، والمواظبة على الحزب اليومي[2].

□□□

---

(١) البسام ١/ ٢٦٧.

(٢) القاضي ١/ ١١٠.

المبحث الثالث

الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد[1]

لقد كان للشيخ عبد الله بن بليهد قدح معلى في الدعوة، لسنين طويلة، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يلي:

١ ــ ولاية القضاء:

في عام ١٣٣٣ هـ عينه الملك عبد العزيز قاضياً لقرى القصيم، وبواديها، فكان يتجول بينها لفصل القضاء، وإرشادهم، وتعليمهم، حتى عام ١٣٤١ هـ حيث عينه الملك عبد العزيز قاضياً في مدينة حائل، وما يتبعها من تلك المنطقة الشمالية، وبواديها.

ولما فتح الملك عبد العزيز الحجاز، عين الشيخ عبد الله بن بليهد رئيساً للقضاة في مكة المكرمة عام ١٣٤٤ هـ[2].

وفي عام ١٣٤٥ هـ التمس أهالي حائل من الملك عبد العزيز رجوع الشيخ ابن بليهد إليهم، فرجع إليهم.

---

(١) الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد الخالدي ولد في القصيم عام ١٢٨٤ هـ وقرأ على علماء بلده ثم رحل إلى الهند للعلاج فقرأ على علمائها توفي في مدينة الطائف عام ١٣٥٩ هـ وصلى عليه جموع من المصلين في مقدمتهم الملك فيصل وأقيمت عليه صلاة الغائب في بلدان المملكة ورثي بعدة مراثٍ رحمه الله. انظر البسام ٢/ ٥٤٢.

(٢) البسام، علماء نجد، ج ٢، ص ٥٤٤.

واستمر في قضاء مدينة حائل، وتوابعها، وقائماً بالتدريس، والوعظ، والإفتاء حتى توفي عام ١٣٥٩ هـ رحمه الله رحمة واسعة[١].

قال الشيخ علي الهندي[٢]:

وكان يقضي القضاء الذي يبهر العقول، ما نراه إلا إلهاماً من الله تعالى، لأن الطرفين لا يرضيان ـ عادة ـ غير الشيخ ابن بليهد فلا يقوم من عنده الطرفان إلا وهما راضيان[٣].

٢ ـ جهوده في الوعظ والإرشاد:

لما تضلع الشيخ من العلم، عاد إلى بلدان القصيم، وجلس للتدريس، والوعظ والإرشاد في بلدان القصيم، فتارة في بريدة، وأخرى في عنيزة، ثم البكيرية، والرس، والخبرا، فحصل منه نفع كبير، وصار له بسبب ذلك شهرة، وذكر واسع، فعينه الملك عبد العزيز قاضياً في قرى القصيم، وبواديه عام ١٣٣٣ هـ، وكان ذا عقل كبير، وفهم جيد، وذكاء متوقد، وفصاحة في المنطق، وحسن بيان[٤]. فلما نقله الملك عبد العزيز عام ١٣٤١ هـ إلى قضاء مدينة

(١) البسام، علماء نجد، ج ٢، ص ٥٤٦.

(٢) صاحب كتاب زهر الخمائل في تراجم علماء حائل وهو من تلاميذ الشيخ عبد الله بن بليهد ويعمل حالياً مدرساً بالحرم المكي.

(٣) علي الهندي، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل ص ١٨ نسخة مصورة في مكتبة مركز الملك فيصل برقم ٨٣١٨٤ غير موجود عليها تاريخ الطبع ولا مكانه ولا اسم الناشر.

(٤) البسام، ج ٢، ص ٥٤٤.

حائل بعدما فتحها، عمل الشيخ في الدعوة بين حواضرها، وبواديها، وكان هو المتولي الإمامة، وخطبة الجمعة، في البلدان التي تولى القضاء فيها، ما عدا مكة المكرمة[1].

ويصفه الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي نائب رئيس مجلس الشورى الذي شاهد الشيخ وهو يعظ في مكة المكرمة فقال:

ما كان إلا جنانا ثابتا ويدا   تشد أزر الهدي والوعد مقترب
تبلو الشريعة فيه حاذقا فطنا   من الذين لهم في شملها أدب
بجيش كالموج أو كالبحر منطقه   ولا تباريه في آفاقه السحب
في قلبه من ضحى الإسلام ألوية   خفاقة وهي في غارتها خطب
وفي سويدائه التوحيد مدرعا   حسن اليقين وغيراته خطب
إذا انبرى في مجال من مواقفه   حسبت سحبان تجثوا حوله الركب[2]

٣ ـ بث الوعي العام بين المسلمين:

عاش الشيخ ابن بليهد عصراً، خطت فيه المدنية الحديثة خطوات عملاقة، في مختلف مجالات الحياة الصناعية، في معظم فروعها، ولوحت بآثارها حتى وصلت أواسط جزيرة العرب؛ مهبط الوحي، ومعقل التوحيد، فقابلها الناس غير مجردة عن ديانة مخترعيها، ولا موطن صدورها، رمزاً الاستدمار، والاستكبار، والإباحية، والفساد، ومن ثم كان موقفهم منها سلبياً وذلك لسببين:

أولاً: انها أتتهم من الغرب الصليبي الذي قد استعمر الكثير من

---

(١) القاضي، روضة الناظرين، ج ١، ص ٣٩٩، ط ٢.
(٢) آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص ٣٥٠.

الأقطار الإسلامية، التي حولهم، ونشر فيها الفساد بكل أنواعه، مثل الإباحية، واستحلال جميع المحرمات، ونشر العقائد الفاسدة باختلاف أنواعها، فخشي مسلمو الجزيرة أن تكون هذه المخترعات التي جاءتهم من الغرب النصراني، وسيلة لدخول هؤلاء المستعمرين بلادهم، بشكلٍ من الأشكال، أيضاً أن فيها إظهاراً لقوة مخترعيها؛ النصارى وبياناً لضعف المسلمين.

ثانياً: ان هذه الآلات من سيارات، وغيرها، ووسائل الاتصال من برق، وهاتف، وغيره تعمل أعمالاً عجيبة مثل نقل الأخبار من بلد إلى بلد بعيد في نفس الساعة، ومثل نقل الناس الكثيرين من بلد إلى بلد بسرعة فائقة، وجهل الناس بعلة هذه القوة العجيبة، التي حكي عن السحرة، والكهان أعمالاً مثلها، فظنوا أنها جميعاً راجعة إلى أصل واحد، فرفضوها، وكان الرافضون لهذه المخترعات صنفين:

الصنف الأول وأغلبهم من البادية، رفضوا هذه الأمور بشدة، وحرموا استعمالها، بل وحرموا دخولها في بلاد المسلمين وخرجوا على ولي الأمر بسبب ذلك، وقد بدت بوادر هذا سنة ١٣٣٧ هـ، حيث وجدت رسالة من الشيخ محمد بن عبد اللطيف في هذا التاريخ موجهة إلى الملك عبد العزيز، يخبره بأفراد ساروا على هذا المنهج، ويشير عليه بالتغليظ عليهم إخماداً للفتنة في مهدها.

إلا أن هذا الغلو استفحل بعد فتح الحجاز عام ١٣٤٣ هـ، وبلغ ذروته عام ١٣٤٧ هـ، وانتهى بمعركة السبلة بينهم، وبين الملك عبد العزيز، وانتصر عليهم، وكسر شوكة الفتنة، وكان من أسباب هذا الغلو، أن بعض الأعراب كانوا في جاهلية، فلما عرفوا الدين،

والتزموا به في أول عهد الملك عبد العزيز، وذاقوا حلاوة الإيمان، وكانوا على قدر كبير من الجهل، مما أدى بهم إلى مجاوزة الحد والغلو، وإنكار المخترعات الحديثة.

وقد قام العلماء بدور بارز في دعوة هؤلاء، وبيان الحق لهم، في هذه الأمور، وبيان أن استعمال هذه المخترعات جائز شرعاً، وحاولوا إقناعهم بذلك[1].

ومن العلماء الذين كان لهم دور بارز في هذا المضمار الشيخ عبد الله بن بليهد حيث سعى إلى إقناعهم بالحكمة، والحجة بقول لين مشافهة حيناً، ومراسلة حين آخر، وقد أشرت إلى شيء من ذلك في الباب الثاني من هذا البحث عند الحديث عن استخدام الحكمة في الدعوة.

الصنف الثاني: من الذين رفضوا هذه المخترعات، بأن

---

(١) ومن فتاوي العلماء في هذا الشأن فتوى وقع عليها اثنان وثلاثون عالماً هم كبار العلماء في ذلك العصر وقرئت هذه الفتوى في اجتماع عام في قصر الحكم سنة ١٣٤٧ هـ وسميت هذه الحادثة عند أهل نجد بالجمعية لأنه اجتمع فيها أغلب أعيان البلاد السعودية ومما جاء في هذه الفتوى قولهم «أما بعد فهذا جواب عن ثلاث مسائل أوردها بعض الإخوان... الثانية مسألة الأتيال فالجواب عنها أن نقول قد تقدم جوابنا فيها مراراً وليس عندنا إلا ما سبق فمن اعترض فيها ونازع ولي الأمر من جهتها فهو عاصٍ ونبرأ إلى الله منه» ابن قاسم/ الدرر السنية مجلد ٥ ص ٣٢١، والمراد بكلمة الأتيال جمع تيل وهي اختصار لكلمة (تيل غراف) وهو ما يعرف في عصرنا الحاضر بالبرقية.

قاطعوها، ولم يستخدموها، وكرهوها ولكن لم يحالفوا ولي أمر المسلمين في اتخاذها، ولم يستخدموا القوة في إنكارها، وهذا الصنف أغلبهم من الحاضرة.

وقد كان الشيخ ابن بليهد ممن أوضح بيان جواز اتخاذ هذه الوسائل بالطريقة العملية، حيث ثبت عنه رحمه الله أنه أول من اقتنى سيارة من أهل نجد.

قال الشيخ البسام عن الشيخ ابن بليهد ما نصه: «ولعل أول سيارة تجولت في صحاري نجد وفيافيها سيارته، فقد قالت مجلة الفتح (في عام ١٣٤٥ هـ) قام الشيخ عبد الله البليهد رئيس القضاة في الحجاز برحلة في جزيرة العرب، بسيارته من مكة إلى جدة فالمدينة المنورة، ثم حائل، ثم إلى القصيم، وعاد من تلك الطريق، حتى بلغ مكة، وقد استطاع للمرة الأولى في التاريخ أن يقطع تلك المفاوز، والوديان، وقد قطع الطريق من المدينة إلى جدة في اثنتي عشرة ساعة والذي ساعده على ذلك خبرته الشخصية بالطرق، ومعرفته بالمسالك الصالحة لسير السيارة فيها، فتمكن من عدم إضاعة الوقت بقدر الإمكان»[1].

وقد ترجم للشيخ ابن بليهد الزركلي في إعلامه وقال: «اشتهر بموالاته لحركة الإصلاح والتجديد في نجد أيام تعصب بعض

---

(١) عدد (٥٠) في ذي الحجة عام ١٣٤٥ هـ مجلة الفتح القاهرية التي كان يصدرها الشيخ محب الدين الخطيب.

«الإخوان» هناك في مقاومة ما يجهلونه من وسائل العصر الحديث»[1].

والذي دعا الشيخ ابن بليهد إلى أن يسبق أهل عصره في تقبل هذه المخترعات، واستعمالها أمران:

١ ــ أن الشيخ كان قد سافر إلى الهند، وشاهد استعمال هذه المخترعات وما فيها من الفوائد.

٢ ــ أن الشيخ قد أعطاه الله من قوة الإدراك، وسعة الأفق، بحيث علم أنها مجرد آلة، وليست بسحر، وعلم أن في استخدامها قوة للمسلمين، إذ بواسطتها يمكنهم نشر الدعوة، والجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين.

٤ ــ مؤلفاته:

ألف الشيخ عبد الله بن بليهد كتاباً في مناسك الحج على المذاهب الأربعة وقد سماه[2] (جامع المناسك في أحكام الناسك)، وطبع في مطبعة أم القرى بمكة المكرمة[3]، وله رسالة مخطوطة في الخلافة ومن هو الأحق بها[4].

وقد ذكر لي الأستاذ سعود بن عبد الرحمن البليهد، ابن عم

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٩١.

(٢) البسام، علماء نجد، ج ٢، ص ٥٤٧.

(٣) آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص ٣٤٥.

(٤) نشرت هذه الرسالة في جريدة أم القرى عدد ١٠٤ يوم الجمعة ٤ جمادى الثانية لعام ١٣٤٥ هـ.

الشيخ أن الشيخ قد ألف كتاباً في الخطب المنبرية، إلا أني لم أطلع عليه، كما أن للشيخ عدة رسائل، وأجوبة مفرقة، لم تجمع، وله بعض المقالات الدينية، التي نشرت في الجرائد، والمجلات المحلية في ذلك الوقت، مثل رسالة منشورة في جريدة أم القرى بعنوان (حول هدم القبور)، ومما جاء فيها قوله «وبعد، فإني وقفت على مقالات متضمنة إنكار ما قمنا به من إزالة البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها ما أحدثه الجهال من البناء على القبور، وتعظيمها والعكوف عندها نظير ما كان يفعله أهل الجاهلية»[1] إلى آخر الرسالة.

٥ ــ مقابلة الوفود:

لما فتح الله للملك عبد العزيز مكة المكرمة، وكانت تزخر بالوفود في كل حين، وكان من الطبيعي أن تقابل هذه الوفود رئيس قضاة مكة المكرمة الشيخ عبد الله بن بليهد، فكان موفقاً في مهمته، وذلك لما أعطاه الله إياه من الإخلاص في الدعوة، ورجاحة العقل، وحسن المنطق، وخير مثال على ذلك ما أشرنا إليه في الباب الثاني حين استقباله لوفد الهند برئاسة مولاهم شوكت علي، وما وفق الله إليه الشيخ ابن بليهد من مقابلة السيئة بالحسنة، حتى صار الذي في قلبه عداوة كأنه ولي حميم.

٦ ــ نشر العلم:

كان الشيخ ابن بليهد يعمر كل بلد حل فيها بدروس العلم،

---

(١) ال الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص ٣٤٥.

فخرج عشرات من العلماء في القصيم، وحائل، ومكة المكرمة.

قال الشيخ علي بن محمد الهندي المدرس بالحرم المكي، وكان قد درس على الشيخ ابن بليهد في مدينة حائل قال: «كان عالماً فاضلاً جمع الله له بين السياسة الدينية، والدنيوية، والعلم، والحجة، والعقل الوافر، وجلس للتدريس، والإفتاء، والقضاء، فكان طلبة العلم يجتمعون إليه حلقات متتابعة، حضرت دروسه في صغري، وقرأت عليه ثلاثة الأصول، وآداب المشي إلى الصلاة، وكان الناس يتعجبون من فصاحته، وتقريره، وتحليله للمسائل، وإخراج النتيجة مما يماثلها حتى كأن العلم بين عينيه، إذا تكلم بشيء قلت هو الإمام فيه، سواء كان حديثاً، أم تفسيراً، أم فقهاً، أم فرائض، أم عربية، أم تجارة، أم زراعة، أم صناعة[1].

وقد تتلمذ على يديه جمع غفير من طلبة العلم، انتشروا في القصيم، وحائل، ومكة، والمدينة، ولم يدونوا، ولو دونوا لبلغوا المئات[2].

□□□

---

(١) علي الهندي، زهر الخمائل، ص ١٨.

(٢) العمري، علماء آل سليم، ج ٢، ص ٣٣٥.

المبحث الرابع

الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري[1]

لقد كان الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري من العلماء الدعاة، وقد قام بأمور هامة، وكبيرة؛ في مجال السلم، والحرب، والصالح العام، وإسناد هذه الأمور الهامة إليه تدل على ما يتحلى به من خلق كريم، وسياسة رشيدة، وعقل راجح[2]، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يأتي:

١ ــ ولاية القضاء:

عينه الملك عبد العزيز قاضياً على مقاطعة سدير، وذلك بعد استيلائه عليها، وكان مقر عمله في المجمعة، وذلك عام ١٣٢٤ هـ، وأضيف إليه من بلدان غير تلك المقاطعة بلدان أخرى؛ مثل الزلفي، ومبايض، والأرطاوية، فقام بها حتى عين لهذه البلدان الزائدة على عمله قضاة. وظل في القضاء ستاً وثلاثين سنة، حتى إذا تقدمت به

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن العنقري، ولد في ثرمدا سنة ١٢٩٠ هـ، حفظ القرآن عن ظهر قلب ثم شرع في تلقي مبادىء العلوم الدينية. ثم سمت همته وتقت نفسه إلى المزيد من العلوم والتضلع منها فقصد مدينة الرياض وطلب العلم بها. توفي ــ رحمه الله ــ سنة ١٣٧٣ هـ.
آل الشيخ/ مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٣٨١.

(٢) البسام/ علماء نجد ج ٢ ص ٥٨٤.

السن، وأرهقه الكبر طلب الإعفاء منه، فأعفي، وتفرغ لنشر العلم بالتدريس، والتأليف[1].

٢ ـ الفتوى:

قام بالفتوى في مسائل عديدة، وكثيرة، وكانت فتاويه وما زالت نبراساً لطلبة العلم، ويوجد له في الدرر السنية فتاوى عديدة؛ منفردة، وجماعية[2]. . من هذه الفتاوى؛ فتواه عندما سئل عن النداء بجاءت الراجفة. فأجاب يكتفى بالأذان، لأن النداء بقول جاءت الراجفة نقل عن النبي ﷺ، ولا نعلم أحداً فعله، لا من الصحابة، ولا من غيرهم فالله أعلم بمراد رسوله ﷺ، وقد شق ﷺ الجريدة بين قبرين، فلما لم يفعله أحد من الصحابة حملناه على الخصوصية، ومسألة النداء بجاءت الراجفة تشبه ذلك، فإن نقل عن أحد من الصحابة، فهي سنة بلا شك وإلا فالأولى ترك ذلك، وأما انتياب المكان المرتفع للنداء بها، فلم يحفظ عن النبي ﷺ أنه فعله، لأنه ليس يؤذن للصلاة بنفسه، بل كان مؤذنه بلال، وابن أم مكتوم[3] اهـ. ولقد كان الشيخ يقوم بكتابة الفتاوى المحررة، التي سلك فيها مسلك التحقيق مع ذكر

---

(١) البسام/ علماء نجد ج ٢ ص ٥٨٣.

(٢) وللإستزادة من فتاوي الشيخ يمكن الرجوع إلى الدرر السنية مجلد ٢ صفحة ٣٦٨، و٣/١٠٧، ١١٢، ١٢٩، ١٤٠، ١٦١، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢٤٧، ٣٠٨، ٣٢١، ٣٢٢، ٥/٣٦٦، ٣٩٧، ٤/٦، ١٠، ١٢، ١٥، ١٨، ٨١، ١١٨، ١٨٤، ١٩٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٧٥، ٤/ ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٢١، ٣٥٨، ٣٧٦، ٣٨٦، ٤٢٨، ٤٨١.

(٣) الدرر السنية، ج ٣ ص ١٠٧.

الدليل، والتعليل، والترجيح لما رجحه الدليل من أقوال المجتهدين.

٣ ــ التعليم:

مع كثرة الأعمال التي قام بها، فإنه شغل أغلب أوقاته في العلم؛ مطالعة، ومراجعة، وبحثاً، وتدريساً للطلاب، فقد قرأ عليه العدد الكبير من أهل العلم، وتخرج عليه كثير من العلماء، وانتفعوا به.

٤ ــ التأليف:

قام بالتأليف؛ فقد ألف حاشية على الروض المربع جمعها من كلام العلماء، وبعض تقاريره، وقد طبعت، كان يدرسها طلبة كلية الشريعة بجامعة الإمام في مادة الفقه، وجمع بين حاشيتي؛ المقنع، المنسوبتين إلى العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ، وله تعليق على نونية ابن القيم لا تزال مخطوطة[1]، وكذلك له رسائل، وأجوبة على أسئلة فقهية مفرقة في الدرر السنية.

٥ ــ جهوده في جمع نسخ المغني:

وقد كان كتاب المغني في الفقه للإمام ابن قدامة غير موجود كاملاً في نجد، فسعى في جمع أجزائه من كل بلد، ومن عند كل عالم، حتى تم من ذلك نسخة كاملة، فأمر نخبة من طلاب العلم، وأصحاب الخطوط الجميلة فاستنسخوا منه نسخة كاملة، فلما تم نسخها بعث بالنسخة إلى الملك عبد العزيز، ففرح بها الملك، وأمر بطبعها مع الشرح الكبير، فطبعت بمطبعة المنار، ووجود كتاب

---

(١) البسام، علماء نجد، ج ٢ ص ٥٨٥.

المغني عند العلماء غنيمة كبيرة[1]. وكانت هذه النسخة الخطية التي جمعها الشيخ العنقري هي الأصل الذي طبع عليه آلاف النسخ، وانتفع بها طلبة العلم في مختلف بلدان المسلمين.

□□□

(١) البسام، علماء نجد، ج ٢ ص ٥٨٦.

المبحث الخامس

الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم(١)

لقد كان الشيخ ابن زاحم من العلماء القضاة الدعاة، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يأتي:

١ ـ ولاية القضاء:

في عام ١٣٣٦ هـ عينه الملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ قاضياً، ومرشداً، وإماماً، في هجرة الداهنة(٢)، ثم عينه الملك عبد العزيز عام ١٣٥٨ هـ رئيساً لمحكمة الرياض، فسدد في أقضيته، وكان عادلاً، نزيهاً، صاحب فراسة في القضايا قلما تخطىء فراسته، ظل رئيساً للمحكمة إلى عام ١٣٦٣ هـ عندما نقله الملك عبد العزيز رئيساً لمحكمة المدينة المنورة، وكانت له جلسات علم في كل المدن التي تولى فيها القضاء(٣).

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم، ولد في القصب عام ١٣٠٠ هـ، أخذ مبادىء القراءة والكتابة عند مقرىء القرية، أقبل على حفظ القرآن وتجويده وفهم كتب العلم. رحل إلى أشيقر وتوجه إلى الرياض وتعرف على الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، ولازمه كاتباً ومحضراً للدروس توفي ـ رحمه الله ـ ١٣٧٤ هـ. البسام ٢ علماء نجد ج ٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩١.

(٢) البسام/ علماء نجد ج ٢ ص ٥٩٠.

(٣) القاضي/ روضة الناظرين ج ٢ ص ١٦.

٢ ـ الفتوى:

له رحمه الله فتاو عديدة؛ كان منها جوابه مع مجموعة من العلماء على سؤال عن مسجد حمزة، وأبا رشيد، والقوانين، ودخول الحاج المصري بالسلاح إلى آخره، فأجابوا ما نصه:

أما مسجد حمزة رضي الله عنه، وأبا رشيد، فأفتينا الإمام وفقه الله أن يهدمها على الفور، وأما القوانين؛ فإن كل شيء منها موجوداً في الحجاز، فيزال فوراً، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر، وأما دخول الحاج المصري بالسلاح، والقوة في بلد الله الحرام؛ فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول بالسلاح، والقوة ومن إظهار الشرك، وجميع المنكرات، وأما المحمل؛ فأفتينا بمنعهم من دخول المسجد الحرام، ومن تمكين أحد أن يتمسح به، أو يقبله، وما يفعله أهله من الملاهي، والمنكرات يمنعون منها، وأما منعه بالكلية عن مكة، فإن أمكن بلا مفسدة تعين، وإلا فاحتمال أخف المفسدتين لدفع أعلاها، سائغ شرعاً[١].

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان قوياً في الأمر بالمعروف، لا يخاف في الله لومة لائم، ولكلمته نفوذ، فقد حاول أن يزيل زخرفة الأتراك في الحرم النبوي، ويضع عليها رخاماً، ويمحو النقوشات، والكتابات الملهية للمصلين فيه، وذلك باتفاق مع علماء المدينة، واستشار الحكومة فوافقت،

---

(١) الدرر السنية/ ج ٥/ص ٣٢٠ وقد شارك الشيخ في فتاوٍ غير هذه انظر الدرر السنية مجلد ٥/ص ٣٢١، ٣٨٤.

ولكنه فوجىء بمعارضات، وصار للمعارضين صولات، وجولات، وأبرقوا برقيات للحكومة، أحدثت ضجة، وتشويشاً فمنعته الحكومة عما كان بصدده لتهدئة الحال، وكان عطوفاً على الفقراء، ويحنو على اليتامى، ووصولاً للرحم، حليماً ذا أناة وترو، حازماً، واسع الاطلاع، وافر العقل، يحب إصلاح ذات البين، عمدة في التوثيقات[1].

٤ ـ التعليم:

لما رأى الشيخ العنقري من الشيخ ابن زاحم حسن الخلق، والفهم، وقوة الإدراك، والنبوغ في العلم، أذن له بأن يجلس للطلبة، فجلس والتف إليه حلقة كبيرة، ومعظم طلاب شيخه، ينتقلون بعد نهاية قراءتهم على العنقري إلى حلقته، وظل في هذا العمل ملازماً للقاضي العنقري، ومدرساً إلى عام ١٣٣٦ هـ[2]. وقد واظب على نشر العلم في كل البلاد التي حل فيها، وواظب على إلقاء الدروس العامة، والخاصة حتى نفع الله بعلمه، فأخذت عنه طائفة كبيرة من علماء اليوم[3].

٥ ـ مشاركة الجيوش للجهاد في سبيل الله:

كان كثير المرافقة للملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في غزواته وأسفاره، كما كان الملك يبعثه في المهمات، التي منها جعله أحد

(١) القاضي/ روضة الناظرين ج ٢ ص ١٧.
(٢) القاضي/ روضة الناظرين ج ٢ ص ١٥.
(٣) البسام/ علماء نجد ج ٢ ص ٥٨٩.

أعضاء وفد المملكة العربية السعودية في إبرام الاتفاقية مع اليمن عام ١٣٥٢ هـ، فكان محل الثقة من الملك[١] . . وصحب الملك في حصار جدة[٢] .

□□□

---

(١) البسام/ علماء نجد ج ٢ ص ٥٩٠ .

(٢) القاضي/ روضة الناظرين ج ٢ ص ١٦ .

المبحث السادس

الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك[(١)]

ومن علماء ذلك العصر الذين لهم إسهام في القضاء، والدعوة الشيخ فيصل آل مبارك وكانت له آثار عظيمة في الدعوة منها:

١ ــ ولاية القضاء:

ولي القضاء في كل من (تثليث)، ثم (أبها)، ثم (بيشة)، ثم نقل إلى (تربة)، ثم إلى (الخرمة)، ثم أعيد إلى (أبها)، ومنها إلى (القنفذة)، ومنها إلى (قرية)، ثم نقل إلى (ضرما)، ثم نقل إلى (الجوف)، وبقي في الجوف بقية حياته[(٢)]، فهذه تسع بلدان كلها قام بقضائها، وأهلها له محبون، وعليه مثنون لما يتصف به من العدالة، والنزاهة، والفضل، والعلم[(٣)]. وقد كان ــ رحمه الله ــ يدخل مجلس

---

(١) ولد في حريملاء سنة ١٣١٣ هـ وقرأ القرآن على مقرىء بمدينة الرياض، استشهد والده في وقعة البكيرية عام ١٣٢٢ هـ وهو غاز مع جيش الملك عبد العزيز ــ ورجع إلى مسقط رأسه حريملاء عام ١٣٣١ هـ، ورد في النص الثلاثة أصول وبعض المختصرات على جده لأمه وقرأ الحديث على عمه وسافر لطلب العلم إلى الرياض وإلى الأحساء وقطر ثم عاد إلى الرياض.
توفي ــ رحمه الله ــ سنة ١٣٧٧ هـ.
مشاهير علماء نجد ص ٣٩٨، ٣٩٩.

(٢) مشاهير علماء نجد ص ٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) البسام/ علماء نجد ج ٣ ص ٧٥٦.

القضاء، وقبل أن يبدأ في النظر في الخصومات، تبدأ حلقة من الاخوان يقرأون القرآن الكريم، وشيئاً من كتب السنة، ومن ثم يبدأ في النظر في الخصومات حتى يؤذن لصلاة الظهر.

٢ ــ التعليم:

أجازه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وكان جامعاً بين الحديث، والفقه، والتفسير، والتدريس لأمهات السنن، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد انتدبه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ــ رحمه الله ــ مع الشيخ عبد الله بن راشد، والشيخ ابن جار الله إلى تهامة بالحجاز مرشدين، ومعلمين، فنفع الله به، وهدى الله به أمة منهم، فأثرت فيهم دعوته، وإرشاده[١]. ودأب على نشر العلم في المسجد، والبيت وفي كل مجال، وقبل أن يبدأ في النظر في الخصومات تبدأ حلقة من الاخوان يقرأون القرآن الكريم، وشيئاً من كتب السنة. وبعد صلاة الظهر يجلس في المجلس ليدرس كبار الاخوان في أمهات الكتب، حتى يؤذن لصلاة العصر، وبعد صلاة العصر يقرأ عليه بعض الاخوان شيئاً من الحديث، ويقوم بشرحه أمام المصلين، ومن ثم يجلس لطلاب العلم حلقة حلقة في القرآن الكريم حتى يؤذن لصلاة المغرب، وبعد صلاة المغرب يعود إلى بيته، وفي الوقت نفسه يقوم الموظف المختص بفتح المجلس على مصراعيه، ويكون قد أعد القهوة والشاي، فيجلس الشيخ للبحث، والفتاوى حتى يؤذن لصلاة العشاء، فيقرأ أحد الاخوان ثمناً من القرآن الكريم، ويقوم

---

(١) البسام/ علماء نجد ص ٧٥٦.

رحمه الله تعالى بتفسيره، ثم يقوم هو ومن معه إلى المسجد، فيؤدون تحية المسجد ثم يجلس في المحراب فيقرأ أحد الاخوان ثمناً من القرآن الكريم، ويقوم رحمه الله بتفسيره أمام المصلين[1].

٣ ــ التأليف:

جدّ ــ رحمه الله ــ في التأليف، وذلك منذ أن وطأت أقدامه أرض الجوف، وكان ــ رحمه الله ــ في يوم الجمعة، يدخل إلى مكتبه للتأليف، والقراءة، والتصنيف، وقد كان مندمجاً في عمله العلمي، والفكري ومن مؤلفاته أثابه الله:

(بستان الأخيار مختصر نيل الأوطار)[2] ــ ويقع في مجلدين ــ (تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب)، شرح وجيز في ثلاث وستين صفحة ــ (الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة) ــ (مفتاح العربية على متن الآجرومية) بشرح وجيز في ثلاث وثمانين صفحة ــ (غذاء القلوب ومفرج الكروب) ويقع في أربعين صفحة ــ (خلاصة الكلام لشرح عمدة الأحكام) ــ (المجموعة الجليلة المحتوية على مختصر الكلام على بلوغ المرام)، (محاسن الدين على متن الأربعين)، (مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد)، (شرح عمدة الأحكام) خمسة أجزاء ثم اختصره في جزءين وخلاصة الجزءين هو

---

(١) ترجمة للشيخ كتبها تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن عطا الشايع انظر مقدمة كتاب تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين تأليف الشيخ فيصل المبارك، طبعة ٢ عام ١٤٠٤ هـ.

(٢) طبع بالمطبعة السلفية ــ القاهرة عام ١٣٧٣ هـ.

الذي سبق وكتاب (كلمات السداد على متن الزاد)[1] مجلد واحد. (والسبيكة الذهبية على متن الرحبية)، (القول في الكرة الجسيمة الموافق للفطر السليمة) مجلد، وكتاب (المرتع المشبع في الروض المربع) في أربع مجلدات، وكتاب (توفيق الرحمن في درس القرآن) في أربع مجلدات[2]، شرح بلوغ المرام[3].

وكان الشيخ فيصل على جانب كبير من الالمام بأكثر العلوم، فهو يحمل إجازة في التفسير، وبارع في التوحيد والعقيدة، ولديه معرفة تامة بالحديث، والفقه، وكان رحمه الله على قدر عظيم من الأخلاق الفاضلة، مجالسه كلها أو جلّها بحوث علمية، واجتماعية، وما كان يميل إلى الهزل أبداً، متواضع جداً، يكلم الصغير، والكبير، والغني، والفقير، وكان يخاطب كل أحد بما يناسبه، ويحب مواساة الفقير من جيبه، وكان سمحاً، وعلى جانب رفيع من الأدب، والعفة، والنزاهة، محبوباً يستميل القلوب إلى محبته[4].

□□□

---

(١) طبع على نفقة المكتبة الأهلية بالرياض عام ١٣٧٥ هـ.

(٢) طبع بمطبعة دار التأليف عام ١٣٧٦ هـ.

(٣) مشاهير علماء نجد ص ٤٠٠، ٤٠١.

(٤) البسام/ علماء نجد ج ٢ ص ٧٥٦، ٧٥٧.
القاضي/ روضة الناظرين ج ٢/ ١٦١.

المبحث السابع

الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري (أبو حبيب)[(١)]

لقد كان الشيخ عبد العزيز من أولئك العلماء الذين أحسنوا استخدام منصب القضاء للدعوة إلى دين الله عز وجل، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسب ما يأتي:

١ ــ القضاء:

بعد أن أكمل الشيخ ــ رحمه الله ــ الدراسة في الرياض عام ١٣٣٧ هـ، رجع إلى الحوطة، ثم ورد عليه كتاب من الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ يأمره فيه بالتوجه إلى الرين لكي يتولى القضاء لكافة قبائل قحطان الذين في تلك المنطقة، فذهب الشيخ إليهم، وبقي في القضاء إلى أن انتقل إلى الرياض عام ثلاث وسبعين[(٢)].

وكان أول من ولي القضاء عند قبائل قحطان، بعدما التزموا بالدين، وكانوا قبل ذلك عندهم ما يسمى بحكم العارفة، أو السلوم،

---

(١) ترجمة للشيخ كتبها تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن عطا الشايع.

(٢) ولد الشيخ عبد العزيز في الحوطة سنة ١٣٠٥ هـ، درس القرآن الكريم وختمه في كتاتيب بلده، طلب العلم على علماء بلده، ثم انتقل إلى الرياض فطلب العلم على علمائها حتى نبغ فيه، توفي بالرياض سنة ١٣٨٧ هـ.
انظر: الشثري/ إتحاف اللبيب؛ والقاضي ١/ ٤٩٧.

والعارفة عندهم كالقاضي يحكم بينهم على حسب عوائدهم، وتقاليدهم وإن كانت مخالفة للشرع المطهر، كما تلجأ هذه القبائل إلى العارفة للتحكيم في حالة المنازعات التي تنشأ بين قبيلة وأخرى[1]. وقد جاهد الشيخ كثيراً في إزالة هذه العادة المترسبة من الجاهلية، والمتأصلة في نفوسهم، ويحذر من يحكم بغير ما أنزل الله، أو يتحاكم إليه بعقاب الله في الآخرة، وعقاب ولاة الأمر في الدنيا، وكان الشيخ هو الذي يقوم بجميع أمور المحكمة، وهو الذي يقوم بأعمال كتابة العدل، وهو الذي يقوم بتقدير الشجاج بنفسه، وهو المتولي لبيت المال، والولاية على من لا ولي له من الأيتام والقاصرين، وهو المتولي للأوقاف، وكان أغلبها إبلاً موقفة، إما على الجهاد والغزو في سبيل الله، وإما بالتصدق بألبانها على المحتاج، وإما على نقل المنقطع، وابن السبيل، ونحو ذلك من أعمال الخير.

وهو المتولي عقود النكاح، وهو الذي يكتب القضايا، وجميع ما يخص المحكمة بيده، ثم أتى عنده الشيخ عبد الرحمن بن جبرين، فصار الشيخ يملي عليه ما يحتاج إلى كتابته من شؤون المحكمة.

٢ ـ الفتوى:

كان الشيخ في أول عمره غالباً لا يخرج عن محتويات كتب المذهب الحنبلي في المسائل الفقهية التي ترد عليه، أو يسئل عن حكمها، فيخبر بما قاله أولئك العلماء، وأما بعد أن انتقل إلى الرياض في سنة أربع وسبعين، فإنه قد تيسر له بعض المراجع التي فيها ترجيح

---

(١) الشثري/ إتحاف اللبيب ص ١٧٩ و١٨٠.

بين المذاهب، وجمع بين الروايات، فأصبح يخرج عن المذهب في بعض المسائل حسب ترجيحه، وما علمه من المذاهب، ويختار ما هو الأرجح، وأحياناً يذكر الخلاف يقول مالك وأبو حنيفة بكذا، وأحمد والشافعي يقولان فيها بكذا، مع ذكر ما هو الأرجح والمختار عنده. وكان يذكر لمن استفتاه شفهياً بأن هذا القول هو اختيار ابن تيمية، وهذا قول أحمد عندما يكون هناك حاجة إلى تخيير المستفتي، أما إذا كان المستفتي من العامة فإنه يقتصر على ما يراه أرجح عنده سواء، كان قول شيخ الإسلام، أم قول الإمام أحمد، أم غيره.

وقد بحث بإمعان في بعض المسائل وحققها[1]، وكان في وقت موسم الحج ينصب له خيمة في مكان بارز في منى بجوار القصر الملكي، ويتوافد إليه كثير من الحجاج للسؤال عن الأحكام التي تخفى عليهم في مسائل الحج، والعمرة، ونحوها، فيلازم خيمته طوال أيام منى قبل عرفة، وبعدها، ويستقبل أولئك المستفتين ويفتيهم بما هو الأرجح في المذهب، حيث إن المسألة قد يكون فيها عدة روايات عن أحمد، ويختار ما هو الأقوى والأرجح في نظره، والأقرب إلى الصواب، والأقرب إلى سهولة الأمر على المستفتي سيما بعد وقوعه في أشياء قد تخل بحجه، أو توجب عليه فدية، أو نحو ذلك، فيلتمس الأعذار مع نصحه لمن يستفتيه، ونحو ذلك.

على أن المباحث العادية متى أثيرت مسألة فإنه يتوسع في البحث فيها حتى تشغل ذلك المجلس، ويحرص على أن تتعلق

---

(١) بحوث أسبوع الملك عبد العزيز، بحث: الملك عبد العزيز والقضاء، لسعود بن سعد بن دريب ص ١٦.

بالطهارة، أو العبادات، أو نحو ذلك[1] من الأمور التي لها مساس بحياة الناس، وعباداتهم وإلى جانب فتاواه الشخصية التي لو دونت، أو حفظت خاصة في المسائل التي أفتى فيها باجتهاده، أو بترجيحه في المذهب الحنبلي، أو في المذاهب الأخرى لأمكن الحصول على جزء كبير، وإلى جانب ذلك كانت له فتاوى جماعية بالاشتراك مع بعض المشايخ، والتي ذكر بعضها منها صاحب الدرر السنية[2].

٣ ـ التعليـم:

لما رجع الشيخ من الرياض إلى الحوطة عام ١٣٣٧ هـ ابتدأ بالتدريس في المساجد، كما استأجر هو والشيخ صالح بن مطلق ـ رحمهما الله ـ داراً جعلوها داراً للعلم، يجتمع فيها الطلاب، ويأتيهم الشيخ ويقرأون عليه، ويتناقشون، وغالباً ما يكون ذلك بعد العشاء.

وكان من تلاميذه الملازمين له في ذلك الوقت الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود الذي يقول: كنت ملازماً للشيخ في ذهابه وزياراته، وربما ذهب إلى محلة بني تميم (النخيل)، فإذا جمعهم المجلس، ورغبوا في القراءة، قرأ عليهم الشيخ عبد الله بن محمود، وشيخنا يشرح القراءة، ويجيب عن الأسئلة، ومن الكتب التي كانوا يقرأون فيها كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد[3]، وكان الشيخ واسع المعرفة في علم التوحيد، وإذا تكلم فيه دل شرحه على غزارة علمه فيه، فيأتي بفوائد جيدة جداً، وينقل فيه عن مشايخه فوائد

---

(١) الشثري/ إتحاف اللبيب ص ١٢٧ و١٢٨.

(٢) إتحاف اللبيب ص ١٢٧ و١٢٨ و١٢٩.

(٣) انظر الدرر السنية ٥/ ٣١٩ و٣٢١ و٣٨٤.

أثناء الشرح، وكانت سعة علمه فيه تدل على أنه مكثر من دراسته. وأما بالنسبة لعلم النحو، فهو يحفظ الآجرومية حفظاً جيداً، وأما الالفية فكان دائماً يستشهد بأبياتها.

أما طريقته في تدريس الفقه، فيقرأ عليه الطلاب المتن، ويشرحه جملة جملة، ثم يقرأ عليه الشرح، وكذلك يشرحه جملة جملة.

قال الشيخ عبد الله بن جبرين: قرأت عليه الفقه في الرين إلى حوالى كتاب النكاح، ثم أتينا إلى الرياض، وقرأت عليه الباقي، فإذا شرح الشيخ زاد المستقنع، وبلوغ المرام، ونحوها يدل شرحه على إلمامه وسعة علمه بها، وخاصة في مسائل العبادات لكثرة وقوعها، والسؤال عنها، فهو يحفظها، والفتاوى[1] إذا سئل ذكرها، ويحفظ أيضاً المسائل، والخلاف في المسائل التي فيها شيء من الخلاف.

وطريقته في التفسير أنه يبدأ في شرح الآية، ثم يتوسع في شرح جملة منها توسعاً جيداً، قد يتناول معه جهات أخرى من باب الاستطراد، ثم إذا انتهت رجع إلى الآية التي هو يشرحها، أو الحديث الذي يتكلم عليه، ثم رجع إلى الجملة الثانية فيشرحها، هذا إذا كان شرحه على آية، أو حديث.

وكان يربط الآية، أو الحديث بالواقع، ويرد بها على الأفكار المخالفة سواء كانت قديمة، أم وافدة.

وفي عام ١٣٧٣ هـ قدم الشيخ في زيارة إلى الرياض، فطلب

---

(١) الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، مشافهة.

منه فضيلة المفتي سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم أن ينتقل إلى الرياض، ويستقر بها لكي يقوم بالعمل في التدريس، وقال له: أريد أن يكون في مسجدي هذا درس لي، ودرس لك.

وأكد عليه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بالموافقة على طلب الشيخ محمد، فوافق الشيخ عبد العزيز على ذلك رحمهم الله جميعاً.

فانتقل إلى الرياض، فباشر بالتدريس من عام ١٣٧٤ هـ.

وفي هذه السنة افتتح معهد إمام الدعوة، وباشر الشيخ بالتدريس فيه، فكان في السنة الأولى يلقي درساً في المسجد حيث لم يكن هناك مكان، وقاعات مجهزة للدراسة، وأسند إليه تدريس مقررات الحديث والنحو والفقه والعقيدة ونحو ذلك، فكان تدريسه أنه يلتزم ما كان عليه سابقاً من قراءة المتن ثم التعليق عليه، أو شرحه، ثم بعد ذلك قراءة ما تيسر، وكان يعتمد على الطريقة الحوارية في تنبيه أذهان الطلبة وشدهم إليه، وذلك بأن يلقي على الطلبة سؤالاً، فإذا أجاب الطلبة بما لديهم من أجوبة بين لهم الشيخ الجواب كاملاً.

ثم لما تكامل بناء فصول معهد إمام الدعوة تحولت بعض دروس الشيخ داخل قاعات المعهد، وبقيت بعض دروسه في المسجد.

وكان هدفه من إبقاء بعض دروسه في المسجد لأجل إحياء المساجد بالحلقات العلمية، وعدم هجر المساجد، فكان الطلبة إذا أتى وقت الدروس المخصصة للشيخ ذهبوا إلى المسجد وتحلقوا فيه، فيأتيهم الشيخ ويلقي درسه.

وجميع طلاب المعهد من عام ١٣٧٤ هـ إلى ١٣٨٤ هـ من تلاميذه.

وكان له محاضرات في كلية الشريعة، وله دروس في المسجد المجاور للمعهد من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس.

أما جهوده في تدريس الحلقات فقد كان في أول أمره ببلد الرين اهتمامه بالتدريس الذي هو الحلقات، فكان يجلس بعد صلاة الفجر، ويقرأ عليه قليلاً من النحو أو الفرائض، أو نحو ذلك، ثم بعد ما يتناول القهوة ونحوها، وتنتشر الشمس يجلس للدرس، ويستمر نحو ساعتين أو ساعة ونصف إلى أن يعلو النهار، ثم يتوقف، ويتفرق الحاضرون.

ثم بعد صلاة العصر يجلس، ويقرأ عليه إلى نصف ما بعد العصر، ثم يعمر ما بين المغرب والعشاء بدرس مستمر طوال الليالي، ما عدا ليلة الجمعة.

وهكذا يقرأ عليه في دروس متنوعة من فقه وتوحيد وعقيدة وتاريخ، ونحو ذلك، يقرأ في مختصرات ومطولات.

وكان يتكلم على ما يكون غامضاً، ويشرح المتون التي تقرأ عليه، ويعلق أيضاً على الشروح بما يوضح المراد، وإذا كان المعنى ظاهراً فإنه يتركه ويستمر حتى ينتهي، ولا يعلق إلا على ما فيه خفاء، أو نحو ذلك.

وهكذا استمر على هذا حتى انتقل إلى الرياض، وبعدما استقر في هذه البلد لم يغفل هذا الجانب، بل قام به بحسب ما يستطيعه.

وكان هناك قراءات في بيته في أوقات الفراغ يقرأ عليه بعض تلاميذه.

ويكون عنده في ذلك الوقت من يكون قاصداً للفائدة من الطلاب من قريب أو بعيد، ويكون ذلك بعد الظهر، أو بعد المغرب، أو نحو ذلك.

وله أيضاً قراءات في المساجد، فبعد العصر في المسجد الذي بقرب بيته، يقرأ إمام المسجد بعضاً من الأحاديث فيتكلم عليها بكلام متوسط في الطول، ثم بعد ذلك يبدأ قارىء ثان، وثالث في دروس متوسعة من شرح في حديث، أو في تفسير أو نحو ذلك إلى نصف ما بعد العصر، ويرجع بعد ذلك إلى منزله، ثم إذا كان قرب أذان العشاء ابتدأ بالقراءة، واستمر القارىء يقرأ عليه إلى إقامة صلاة العشاء، وهكذا مع هذه القراءة شيء من التعليق، وإيضاح ما يحتاج إلى إيضاح.

كذلك أيضاً كان له دروس في المسجد الذي بقرب بيته في الضحى تستمر ساعة أو ساعتين أحياناً، يقرأ عليه في متون وفي شروح، ويوضح ما يحتاج إلى توضيح. ويحصل شيء من التباحث بحيث تلقى أسئلة ببحث ما كان غامضاً، ويجيب عنها، ويطلب أيضاً الفائدة ممن عنده فائدة، ويناقش معه في ذلك، فيجلس أحياناً معه بعض المشايخ والعلماء، ويكون في تلك المجالس فوائد ملموسة محسوسة.

وفي عام ١٣٨٤ هـ رأى الشيخ أن يترك التدريس النظامي،

ويتفرغ للتدريس في حلقات العلم بالمساجد احتساباً[١].

٤ ـ تربية أهل الهجر دينياً:

عينه الملك عبد العزيز عند قبائل قحطان المهاجرة في وادي الرين قاضياً ومفتياً ومعلماً وواعظاً فامتثل الشيخ لذلك، وانتقل معه مجموعة من تلاميذه، منهم عبد الله بن زيد آل محمود ومحمد بن مسعد، وعبد الرحمن بن فرحان الشثري وغيرهم، وكان ذلك في طور تأسيس تلك البلاد وقوتها، ووفور الاقبال على العلم والدين، وقت تحول البوادي إلى القرى، ورغبتهم الشديدة في الاستفادة وعمل الخير ليتحولوا من قوم عاشوا في جاهلية وشر. وفتنة، إلى أناس مهتمين بدينهم راغبين في العلم، فأقبلوا بقلوبهم على طاعة الله، وهرعوا مسرعين ملتمسين رضاه، فكان شيخنا رحمه الله ينتقل بينهم من قرية إلى قرية معلماً ومرشداً، وناصحاً وموجهاً صابراً ومحتسباً ما ناله في سبيل الله من تعب ونصب وصعوبات في تفهيم العوام وتفقيه الجهال ولكن مع صدق الرغبة تسهل المشقة.

وقرأ عليه من أولئك الأعراب من كان عنده استطاعة لطلب العلم، وكان منهم بعض قادة البوادي كبار السن الذين قرأوا عليه مع طعنهم في السن، ولكنهم ماتوا أو قتلوا في وقت متقدم، فكانوا هم الدفعة الأولى من طلبته، ثم أتى بعد ذلك آخرون، وقرأوا عليه، منهم أمير قبيلة الخنافر سلطان بن مشلح آل سفران، وراشد بن زنعاف، ومحمد بن فهاد، وسعد بن نصبان، وهميجان بن مذيور، وكان هؤلاء

---

(١) أي فتاوي علماء الدعوة.

قبل الهجرة أميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ولكنهم بعدما هاجروا وعكفوا على تعلمها لم يقتصروا على تعلم القراءة فقط، بل تعلموا العلم واستفادوا وأفادوا وحملوا ما يسر الله من العلم، وكانوا يجلون الشيخ غاية الاحترام، ويعتبرونه كالأب لهم، ويعملون بأوامره ونصحه دون تردد، لثقتهم التامة في نصحه ومحبته لهم ولكل مسلم ويعرفون منزلة علمه وسداد رأيه.

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ حريصاً على عمل كل ما ينفعهم ويشفق عليهم كشفقة الوالد على أولاده، ولم يترك مجالاً في الاحسان إليهم إلا عمله، فيبذل لهم من ماله ومن جاهه ومن راحته ولا يريد جزاء ولا شكوراً إلا من الله وحده.

ولما نقل من القضاء إلى التدريس في آخر عام ١٣٧٣ هـ وبلغ أهل الرين ذلك حزنوا عليه وودعوه باكين لفراقه، ثم قدم أمراء ووجهاء قبائل قحطان إلى الملك سعود ـ رحمه الله ـ وطلبوا منه أن يبقى الشيخ عندهم، وألحوا فقال لهم الملك سعود ـ رحمه الله ـ لو أني نقلته من بلدكم إلى بلد آخر لحق لكم المطالبة ببقائه عندكم، وأنتم أولى به، ولكني نقلته عندي وليس عند أحد غيري، فاقتنعوا ورجعوا[(١)].

٥ ـ رحلاته للدعوة إلى الله:

لقد عاش الشيخ في وقت كانت فيه المواصلات في غاية الصعوبة كعادة البلاد قديماً، ومع ذلك فإنه كان ـ رحمه الله ـ كثيراً

(١) انظر إتحاف اللبيب ص ٩٥ و٩٦ و١٧١ و١٧٢ و١٧٣ و١٧٦.

ما يرحل ويسافر تارة إلى المدن والقرى المجاورة، وتارة لآداء نسك العمرة، وتارة للمغازي مع المجاهدين في سبيل الله.

فكان قبل توافر السيارات يرحل على الإبل كعادة الرحل المتقدم، وكان يستصحب خيار الأصحاب، ورغم طول المسافة، والمشقة التي يلقاها المسافرون، يقطع تلك المسافات في ذكر وفكر، ومواعظ وإرشادات وحديث يناسب الخاص والعام، حتى أنه يطلب من العوام أن يسائلوه ويباحثوه بما يحفظ به الوقت والزمان، ويستفيد هو حفظ الوقت، ويستفيدون منه المعرفة والفوائد الدينية والاجتماعية، وكذلك يسلم من الكلام الذي لا فائدة فيه، أو الذي فيه مضرة كغيبة ونحوها، وبذلك يقطع الطريق دون ملل وتعب، ولا يزال كذلك في سفره ليلاً ونهاراً.

ويذكر رفقاؤه في السفر ما يحدثهم به من الفوائد، والنكت، والعلوم وسائر ما يتلقونه منه طوال سفرهم.

وفي أوائل عام ثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة، تواتر لدى الشيخ أنه يوجد في حدود المملكة الشمالية خلق كثير من القبائل يتبعون مواشيهم، ولا يعرفون الضروري من دين الإسلام، فذكر ذلك لعلماء الرياض، وخاصة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، بصفته مفتي المملكة وكبير علمائها، وذكر لهم ضرورة تبليغهم دين الإسلام وتعريفهم ما يلزم من أمور الدين، ولا سيما الضرورية.

فذكر الشيخ محمد بن إبراهيم ذلك للملك سعود رحمهم الله جميعاً، فأمر بأن يرسل إليهم الشيخ أبو حبيب لدعوتهم وتعليمهم، وأمر بصرف جميع ما يلزم الرحلة من نفقات، وطلب الشيخ

عبد العزيز أن يكون معه أربعة من تلاميذه، فوافقوا على ذلك، فاختار الشيخ كل من الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فريان، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مقرن، والشيخ فهد بن حمين الفهد، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

وكانوا أثناء الرحلة وفي أوقات فراغهم يشتغلون بالقراءة، فتارة يقرأ ابن فريان في تفسير ابن كثير، وتارة يقرأ ابن مقرن في شرح الأربعين النووية لابن رجب، أو في أضواء البيان للشنقيطي، ويقرأ الشيخ فهد في صحيح البخاري، ويقرأ الشيخ عبد الله بن جبرين في كتاب الداء والدواء لابن القيم، وتحقيق التوحيد، ورسائل الشيخ عبد الله أبي بطين، وفي الكبائر للذهبي، وربما تناوبوا القراءة، وأقلهم قراءة الشيخ فهد، وربما قرأ في آخر نونية ابن القيم لأنه يحفظ منها كثيراً، ويحفظ الكثير من القصائد والشعر.

وقد كان بداية وعظهم المركز وتعليمهم من بلدة قرية، ثم الحفر، ثم حدود العراق، ثم طريف والقريات، وتبوك، وخيبر، والحجر، ثم المدينة المنورة، ثم العلا والوجه وضبا وأهل الساحل، ثم رجعوا إلى حائل والقصيم[(١)].

ووجدوا هناك قبائل كثيرة من الحاضرة والبوادي لا يعلمون شيئاً ولا يعرفون من الدين إلا أنهم مسلمون، وقد يقعون في المعاصي، والمنكرات عن جهل ولا يحسنون أداء شيء من العبادات ونحوها، ناشئون منذ أن ولدوا إلى أن كبروا في جهل عميق، لا يختلطون بأهل

---

(١) إتحاف اللبيب، ص ٩٤، ١٨٩.

بلد، ولا يتعلمون، ولا يعلمون، من قبائل شتى في نواحي البلاد الحدود الشمالية والشرقية، والغربية من قبائل الرولة، وشمر، ومطير والشرارات ونحوهم من البوادي[1].

واستمرت هذه الرحلة ثلاثة أشهر ونصف، وكانت طريقتهم أنهم إذا وصلوا إلى بلدة عسكروا قبالتها، ثم أرسلوا إلى أميرها، وسألوه عن حال البلد الدينية والدنيوية، وسألوه عن أهل الحسبة، ونشاطهم وعن القاضي، وعن أئمة المساجد، وعن محافظة أهل البلد على دينهم وإقامة الصلوات، وعن ما يوجد في البلد من المنكرات، وكيفية إزالتها، فإن وجدوه مقصراً نصحوه وأرشدوه، وهكذا يعملون مع القاضي، ورجال الحسبة، وأئمة المساجد، ويساعدونهم بالنصح وحل مشاكلهم، ويوزعون عليهم الكثير من الرسائل والنسخ والنصائح المهمة، وكانوا قد أحضروا معهم كميات كبيرة من هذه الرسائل، وهي نصيحة عامة للشيخ محمد بن إبراهيم وهي مفيدة، ونصيحة للشيخ عبد العزيز الشثري، وفيها تحذير من الكثير من المنكرات الفاشية.

ورسالة في حكم شرب الدخان للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ونصيحة في تحريم تبرج النساء، اسمها: دعوة إلى الشرف، وثلاثة الأصول وأدلتها.

ثم يتفرق الشيخ وتلاميذه على مساجد البلد، ويبتدئون بعد الصلوات بإلقاء موعظة يذكرونهم فيها بأهمية الدين، ولزوم تعلم

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن فريان تحريراً.

الضروريات منه التي لا يصلح الدين إلا بها، ولا ينتفع من جهلها، ووجب السؤال عنها.

ثم يبدأ بتعليم الجماعة الحاضرين أولاً بقراءة الفاتحة، وبعض سور القرآن، ثم يسألونهم عن أركان الإسلام، وشروط الصلاة، والوضوء ويعلمونهم إياها.

ووجدوهم وقد تفشى بينهم الجهل الكثيف، فإن منهم من لا يعرف شيئاً من أمور الدين، ومنهم من يحفظ بعض الجمل، أو الآيات ولا يفهمها، ومنهم من يحرفها تحريفاً يخل بالمعنى، في الفاتحة وغيرها، ولهم تحريفات في بعض الآيات عجيبة.. غريبة.. لا تحظر ببال، ونادراً من يقيم الفاتحة حقاً، وقليل من يحفظ التحيات، واستمروا على هذه الطريقة في التعليم مع كل من لقوا من البوادي.

وقد قام ــ رحمه الله ــ بدور كبير في إلقاء المواعظ والنصائح، وكذلك في توجيه رفقته إلى الكيفية الموافقة التي يكون لها الأثر الفعال في نجاح هذه الرحلة، ولم يزالوا كذلك إلى أن أتموا وعظهم، وإرشادهم في هذه البلاد، وحثوهم على التعلم والتعليم، سيما تعليم الناشئين والأولاد الذين يهم تعليمهم ويفيد، وقد التزموا بذلك، وتقبلوه، والتزموا أن يلحقوا أولادهم بأقرب ما يليهم من البلاد للدراسة والتعليم.

ولما رجع الشيخ، كتب إلى الملك سعود ــ رحمه الله ــ رسالة قال فيها:

وبعده، فالذي أوصيك به تقوى الله تعالى في السر والعلانية، واستحضار وقوفك بين يدي رب العالمين، وسؤالك عن أعمالك،

ولا يخفى أن الله أوجب لك على رعيتك حقوقاً، ولك بهم لوازم، ولهم عليك كذلك.

ومما نعرفك به في سفرنا المبارك مسائل:

الأولى: اختلاط الحاضرة بالأجانب من العراق والأردن وغيرها، والبادية قدر الله عليها ذهاب مالها، وصاروا في أطراف الدير[1] خالطوا أهلها، وهو نقص في شهامتهم، ومذاهبهم، ومروءاتهم.

الثانية: نساؤهم الجأتهم الحاجة إلى الدوجة[2] في أوساط المدن، منهن من يتعرض للصدقة، ومنهن من يتعرض للاستئجار طلباً للمعيشة، وهذه وسيلة للفساد.

الثالثة: الذي نرى لكم بموجب النصح أنكم تنظرون في حالهم، وتعينون لهم محال مؤنة الماء عليهم فيها سهلة يسكنونها، وتبنون لهم فيها مساجد.

الرابعة: مساعدتكم لهم بما تقدرون عليه من المعونة في مساكنهم وفي معيشتهم، وهذا من أعظم القرب إلى الله.

الخامسة: تجعلون طلبة علم المحل الذي يحتاج لقاضي يجعل فيه، والمحل الذي يحتاج لمطوع كذلك، والذي ما يحتاجون لهذا يصير طلبة علم لهم أصول في البلدان، كل بلد ينصب فيه شخص، وله فروع محدود لهم حد، يرشدون الناس، وهذا لكم به شرف ورفعة

---

(١) يعني المدن والقرى.

(٢) كثرة الذهاب والإياب.

في الدنيا والآخرة، ومن أقوى الأسباب للنصر على الأعداء، وهذا الذي ندين الله به لكم، أرجو أن الله يجعلكم نصرة لدينه ولإعلاء كلمته، ويحسن لنا ولكم القصد والعمل[1].

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان ـ رحمه الله ـ من ذوي الغيرة على محارم الله، وكان من آثار هذه الغيرة أن يغضب لغضب الله متى انتهكت محارمه؛ فمتى رأى شيئاً من المنكرات ظاهراً، أو سمع بها لم تقر نفسه حتى يسعى في إزالتها، أو في تخفيفها حسب المقدرة، بمراجعة من له مسؤولية، ومن إليه أمر، ولا سيما إذا كان ذلك مما يتصل بالحقوق الشرعية، أو بحدود الله، أو بالعقوبات المترتبة على الحقوق الشرعية، وما أشبه ذلك.

ولقد ضمن كثيراً من نصائحه كثيراً من المنكرات التي حدثت وفشت، وسعى هو ومن في زمنه من المشايخ في إزالتها، وتخفيفها حسب القدرة.

ثم اجتهد في مراجعة المسؤولين عن أسباب ظهور تلك المنكرات، والسعي في علاجها.

وهكذا كان أيضاً يجالس المشايخ ويبحث معهم في كيفية القضاء على تلك المنكرات التي ظهرت، ويتصل بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويخبرهم بما تجدد لديه من المعلومات، ويحثهم على الإزالة للمنكر، وتغييره، أو تخفيفه،

---

(١) إتحاف اللبيب، ص ٢٠٥.

ويحثهم على الغيرة على الحقوق الشرعية، والإنكار على العصاة، وأن يبذلوا ما في وسعهم مما في صلاحيتهم من العقوبات التي يرتدع بها العصاة عن معاصيهم.

وهكذا أيضاً كان يتصل بالملك عبد العزيز أولاً، ثم الملك سعود، ثم الملك فيصل، رحمهم الله، ويخبرهم ويقترح عليهم في هذا الباب، ويحثهم على الأمر بالمعروف والإلزام به، والنهي عن المنكر والحجز والردع عنه، ويبين لهم بعض ما رآه أو سمعه من المنكرات، ويحثهم على إزالتها، أو تخفيفها.

وكانت المنكرات في زمنه قليلة، ويستخفي أهلها، ويستذلون، ولم يكونوا قد تمكنوا منها، ولم يكن لهم قوة، فكان يقوى على الشرور في ذلك الزمان مما يتمكن من تغييرها بسهولة، فمتى سمع ببيوت فساد، أو بيوت شر من الشرور التي تفعل فيها المنكرات لم يقر حتى يتصل بالهيئة، أو يتصل بمن يرأسهم كالشيخ عمر بن حسن، الذي كان له الغيرة المشهورة، أو يتصل بمن فوقهم كالملك، أو ولي عهده، أو نحو ذلك بعد ما يتحقق من ذلك.

وهكذا أيضاً متى سمع تساهلاً على بعض العصاة، وعدم إقامة الحد عليه، وأخذ حق الله منه، أخذته الغيرة حتى يقام عليه الحد، أو يعاقب بما يستحقه من العقوبة، فإذا أنفذ ذلك استبشر به، وأظهره فرحاً وسروراً، وإذا لم يحصل التوفيق رأى أن من واجبه وواجب المشايخ معالجة ذلك، والمراجعة فيه حتى يحصل التغيير.

وكذلك كان من أظهر ما يمكن أن يكون منكراً في ذلك الزمان الانتهاك للحرمات من الجرائم الأخلاقية، ومقدماتها، فلا يسمع

بشيء من ذلك إلا وأخذته الغيرة، حتى يقام الحد على من اقترف مثل هذه المحرمات، وهكذا أيضاً كان منه الغيرة على تبرج النساء، وسفورهن ومراقبة المسؤولين عنهن، ونحو ذلك.

وكذلك كان له الأثر في تحسين وضع مدارس البنات، والحفاظ عليهن، واختيار الأصلح فالأصلح، لمن يتولى أمرهن، ويدير مدارسهن، وأخذ العهد عليهن في اللباس الوافي، وفي التستر والتحفظ، وما أشبه ذلك.

وكذلك أيضاً كان له الأثر في منع آلات الملاهي، والمفاسد التي تحصل من آثارها، فلا يقر، ولا يسمع بما يقع من الأغاني، أو الأشرطة الماجنة، التي تحتوي على غناء أو طرب، أو نحو ذلك، سواء كان في الإذاعة، أم في أبنية، أم في مجتمعات، أم نحو ذلك إلا حملته الغيرة الدينية على أن يأتي من هو مسؤول عن ذلك، فيتباحث معه، أو يسعى في القضاء على ذلك.

وهكذا سعى في تقرير عقوبة لمن ترك الصلاة، أو لمن أفطر في نهار رمضان، أو نحو ذلك، وجعلت العقوبة بواسطة الهيئة، وجعل لهم الصلاحية في حبس، وفي جلد، أو نحو ذلك بحسب ما يحصل به الارتداع، ويحصل بذلك أمن في البلاد على الأنفس والأموال، وعلى الأديان، حصلت بذلك مصالح عامة للخاص من المسلمين، والعام.

هذا كان من آثار تلك الغيرة، ولكن من المعلوم أن الشرور تتزايد، وأن أهلها يتساعدون ويتعاونون، ولم يتمكن هو ولا غيره من القضاء عليها قضاءً كلياً، إنما كان يأتي منها بقدر ما يستطيعه، ويغير

منها ما تصل إليه قدرته، يكون في ذلك تخفيفاً سيما مع قلتها في ذلك الزمان[1].

قال صاحب روضة الناظرين عن الشيخ:

«وكان متى انتهكت المحارم غار وانفعل، وربما اتصل بالشيخ عمر بن حسن، ويبدي له ما يراه، ويرى في وقته أنصاراً على الخير وأعواناً ومشجعين، ومتى أشار عليه بعض محبيه بالرفق واللين يلومهم، ويقول: إنكم تداهنون في دينكم، أما تغارون للمحارم إذا انتهكت، وتتمعر وجوهكم في وجوه العصاة، ثم ينشد بيت ابن القيم في الكافية الشافية:

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى فإذا أصبت ففي رضى الرحمن

وكان من الدعاة المخلصين، وكانت هيئة الحسبة يجلونه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وكان يناصح الأسرة المالكة، ويقول: «يا أبنائي كونوا قدوة صالحة، فإن أباكم كان مضرباً للأمثال في الاستقامة في الدين، ومن أجل استقامته دانت له البلاد من نصر إلى نصر»[2].

٧ ــ تأسيس المساجد وبناؤها:

وأما جهوده في بناء المساجد فقد بذل رحمه الله ــ جهداً كبيراً في بناء المساجد، وذلك أنه عاصر في بداية أمره مرحلة استقرار البوادي في هجر، أسسوها، وقرى أنشأوها، فاحتاجوا إلى بناء مساجد تكون مكاناً لعبادتهم، ومجتمعاً لتعليمهم، ثم عين قاضياً

---

(١) إتحاف اللبيب/ ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) روضة الناظرين، ج ١/ص ٤٩٧.

لقحطان لما استقروا، وحثهم على التبرع، فجمع تبرعات كثيرة، كان من آثارها أن بنوا ذلك المسجد الكبير الذي في تلك البلدة التي استقر بها[١]، وكذلك المساجد الملحقة بها وهي أربعة مساجد، وهكذا في القرى الأخرى سعى أيضاً وحثهم على بناء المساجد.

ولما انتقل إلى الرياض كان في ذلك الوقت إقبال البوادي على تأسيس القرى الجديدة، وتوسعهم فيها فكانوا يجدون أن الشيخ يساعدهم، أو يراجع لهم، فكان ـ رحمه الله ـ يحرص على مساعدتهم بما يستطيعه، ويراجع من يظنه يحب الخير ويتبرع به، وهكذا أيضاً يبذل من ماله ما يكون مساعداً لغيره، فبني بسببه في البلاد المتفرقة مساجد كثيرة بنيت من الطين حيث إنهم في ذلك الوقت لم يكونوا يستطيعون سواه، وانتفعوا بها، وحصلت فيها إقامة الصلوات وهي عدد كثير في تلك القرى، ثم بعد أن تقدمت البناية، وكثر الناس ورأوا حاجتهم إلى البناء الجديد، على الطراز الجديد، سعى أيضاً في تحصيل مبالغ تكون سبباً في إعادة البناء بالإسمنت، والحديد وما يكمل ذلك، وسعى أيضاً في تأسيس مساجد في الرياض، وفي المدن الأخرى وفي القرى، وفي قرى البوادي الذين تحضروا، وأسس بسببه بناء مساجد كبيرة، وصغيرة منها ما كان هو السبب الوحيد في تأسيسه، ومنها ما كان له المشاركة إما من مال نفسه، وإما مما جعل على يديه من أوقاف وتبرعات، وإما من شفاعته عند بعض أهل الخير الذين يحبون صرف الأموال في سبيل الله، وما يقرب إليه، فكان له أثر كبير مما حصل في بناء تلك المساجد التي

---

(١) جامع الهجرة السفلى بالرين.

لا تـزال يصلـى فيهـا، وهـي عـامـرة الآن، يعتـرف أهلهـا بفضلـه ـ رحمه الله ـ فيما صرف لها، ولو كانت قلة بالنسبة لما تجدد بعدها، ولكنها كثيرة بالنسبة إلى شخصه البارز وحده، حيث سعى في تأسيسها رغم ما يعتريه من المراجعات التي يقوم بها لدى الخاص والعام.

وفي عام ١٣٧٠ هـ شكلت لجنة برئاسة الشيخ مسحت مساجد منطقة العرض[١] وتفقدتها جميعاً، من ناحية اتجاهها للقبلة، وتحديد المسافة بين المساجد، وتعيين الأئمة والمؤذنين، وانتظام الموجود منهم، ومقدرته، وملاحظة حاجة المساجد من فرش وغيره، وحاجة البلد إلى أن يكون فيها جامع[٢]، أو مسجد أوقات، كما أمرت اللجنة تأسيس مساجد في كل محلة، وهجرة، ومجتمع صغير فعمرت بسبب ذلك مساجد كثيرة كما كان لذلك أثر في اجتماع القلوب، وتألفها.

٨ ـ الوعـظ:

كان الشيخ إذا وعظ فإنه يأتي بما يرقق القلوب وكان ـ رحمه الله ـ يحفظ الكثير من آثار السلف، ككلام الحسن البصري، وكلام ابن سيرين، وبعض المواعظ يحفظها من نظم وثر، وأكثر ما يحفظ من النظم من لطائف المعارف لابن رجب، حيث إن فيها عظات طيبة.

فطريقته في الوعظ أنه يأتي بآثار تحرك القلوب، وتزهد في

---

(١) منطقة من إقليم نجد، ويسمى عرض بني شمام، وكان اسمه سواد باهلة، وأكبر مدنه القويعية، والرويضة، والرين، ومزعل، وغيرها.

(٢) إتحاف اللبيب، ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦٨.

الأعمال الدنيوية الشاغلة عن الخير، ويرغب في فضائل الأعمال، وكذلك في نواحي العبادات، ويحذر من المعاصي والمخالفات، وهذه طريقته العامة في الوعظ.

وكان ــ رحمه الله ــ قد اعتاد الإلقاء في النصائح والمذاكرة، وتكرر ذلك منه حتى صار إلقاء الكلام عليه سهلاً ميسراً، لكنه كان يبدأ بتفسير آية، أو شرح حديث ثم يتوسع في بعض الجمل، وقد يستطرد فيما يناسبها، ثم بعد ذلك يرجع إلى الجملة الثانية، في الآية أو الحديث، هذه كانت طريقته في إلقاء النصائح؛ فمنها ما يتعلق بالزهد والورع والتقشف، ومنها ما يتعلق بذكر يوم القيامة، والاستعداد للموت قبل نزوله، ومنها ما يتعلق بسير بعض الصالحين وعباداتهم وأحوالهم، وما نقل عنهم من الوعظ والكلمات الرقيقة لأنه يحفظ من ذلك الشيء الكثير، يستعمله في النصائح الشفهية وفي المذاكرات والدعوة، وقد يستمر في الإلقاء ولا يمل، ولو مكث ساعة أو ساعات.

وبعد أن قدم الرياض كلفه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بأن يتصل بالمساجد التي في أطراف البلد، ويلقي فيها نصائح بعد صلاة العشاء كل يوم، أو في كل أسبوع مرة أو مرتين، وقد بقي على ذلك نحو سنة أو أكثر، وهو يتنقل في المساجد ويلقي نصيحة تتعلق بالصلاة، وأهميتها، وصلاة الجماعة، وبالتحذير من التخلف عنها، وما أشبه ذلك، ثم بعد الانتهاء من الموعظة يتوافد عليه الكثير من المصلين للسلام، ثم للاستفسار عن بعض الأحكام التي يهمهم العمل بها، ولا يزال كذلك حتى يصدر آخرهم بما حصل عليه من

المعلومات، وهكذا في مجالسه العادية يحرص على أن يبحث في مسألة يبتدىء بها، أو يجيب عن مسألة تلقى عليه، فيعمر بذلك المجلس ويفضله.

على أن المباحث العادية متى أثيرت مسألة فإنه يتوسع في البحث فيها حتى تشغل ذلك المجلس، ويحرص على أن تتعلق بالطهارة، أو العبادات أو نحو ذلك[1] من الأمور التي لها مساس بحياة المسلم وعبادته.

٩ ــ كتابة النصائح:

كان يكتب النصائح، وينسخ منها عدة نسخ بخط تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، وبخط ابنه الشيخ ناصر بن عبد العزيز الشثري، وغيرهما ويرسلها لتقرأ في مساجد المدن، والقرى القريبة، وكان كتب عدة نصائح أغلبها تحذير من بعض ما أنكره على أهل زمانه من التهاون ببعض العبادات، ومن الوقوع في بعض المنهيات، ومن التكاسل عن المندوبات، ونحوها.

وقد تشتمل تلك النصائح على تعليمات، وأحكام فقهية غفل عنها الكثير واحتيج إلى التنبيه عليها، وقد تشتمل على أذكار، وأدعية، وأوراد.

ويستشهد بالآيات مع التعليق عليها، وكذا بالأحاديث والآثار، وبالنقول عن بعض العلماء المتقدمين، وقد يحتاج إلى النقل عن بعض المتأخرين لبعض المناسبات، ويوجد له مجموعة من الرسائل،

---

(١) إتحاف اللبيب، ص ٩٦، ١٢٣، ١٢٩.

وقد فقد كثير منها، حيث كان القصد أولاً نفع المرسل إليهم تلك النصائح فقط، فأرسلها، ولم يحتفظ منها بنسخة مما كان سبباً لفقد الكثير منها، ولا سيما قبل أن يأتي إلى الرياض.

أما بعد أن أتى إلى الرياض، فإنه كتب أيضاً عدة نصائح، وطبعت، وكثر توزيعها، واحتفظ بنماذج منها، وكذلك كتب نصائح أخرى لم تطبع، وقرئت في المساجد الكبرى كالجامع الكبير، في حياة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، حيث أقرها ووافق على قراءتها لما اشتملت عليه من الفوائد، وأغلبها تتعلق بالمنكرات، وكيفية علاجها، وبعض الأسباب التي تسبب تمكنها، ونحو ذلك[1].

١٠ ــ التأليف:

للشيخ عدة رسائل علمية طبع بعضها، وفقد البعض الآخر، قصد من كتابتها نفع العامة، ومن ذلك أنه لما سافر إلى الحدود الشمالية لدعوة البوادي الذين يقطنون في تلك الأطراف، كان من جملة ما يعلمه لهم ثلاثة الأصول باختصار وبعض أحكام الصلاة، ولما رجع إلى الرياض طلب منه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم أن يكتب له مجمل ما كانوا يعلمونه؛ وهو مختصر الأصول الثلاثة وما يتصل به، وقد طبعت في حياته، ونشرت، وكثر تداولها.

وكذلك جمع رسالة تتعلق بالأوراد، والأدعية، وأملاها على تلميذه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين وهي كلها من حفظه وورده من الآيات التي تستعمل أوراداً، ومن الأحاديث التي تستعمل

---

(١) إتحاف اللبيب، ص ١٢٣، ١٢٤.

أدعية أو أذكاراً، وقد أعجب بها مشايخه لما فيها من الاختصار، والإتمام للمقاصد باختيار جوامع الأدعية، ونحوها، وطبعت بإسم أذكار الصباح والمساء وانتشرت[١].

وأما نصائحه الأخرى التي لم تطبع، فيوجد منها نماذج ورسائل عند بعض تلاميذه، وبعض أولاده[٢].

١١ ـ القدوة في الأخلاق:

كان ـ رحمه الله ـ على جانب كبير من التواضع، وحسن الأخلاق، والتبسط مع كل طبقات الأمة، الغني والفقير، والصغير، والكبير، وكان يظهر منه لمحدثه التواضع ولين الكلام، وذلك برقة القول وعذوبة الحديث، ومخاطبة كل شخص بما يناسبه وكان بعيداً كل البعد عن سمات الكبر والاعتزاز، فهو يجالس الفقراء والمستضعفين، ويحنو عليهم، ويبذل ما في وسعه في إعانة أهل الفاقة والحاجة، ويشفع للعاجز، ويعين الضعيف ويجالس الضعفاء

---

(١) وقد طبعت هذه الأذكار ومعها مختصر ثلاثة الأصول وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها طبعت في حيات مؤلفها ثلاث طبعات وكانت الأولى بمشورة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وذلك رغبة منه في تعميمها ولتكون منهج لتعليم العوام خاصة في المساجد بعد الصلوات، وفي عام ١٤٠١ هـ أمر سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز بطبعها ووزعتها دار الإفتاء، ثم قام الشيخ سعد بن ناصر الشثري حفيد المؤلف بشرحها وتخريج أحاديثها وعلق عليها، وطبعت في الرياض عام ١٤١٠ هـ بعنوان فتح رب السماء في تخريج أذكار الصباح والمساء ومعه المصقول في التعليق على مختصر ثلاثة الأصول.

(٢) إتحاف اللبيب، ص ١٢٤.

وأطراف الناس، ويباحثهم ويحاضرهم؛ وكان من أعظم أخلاقه التجاوز، وحسن الاعتذار، وعدم الغضب، وعدم الانتقام لنفسه.. فلم يعرف عن الشيخ ــ رحمه الله ــ أنه غضب غضباً شديداً حتى لو وقع عليه ظلم إلا أن تنتهك محارم الله[1].

١٢ ــ الشفاعة لأهل الحاجات:

كان لا يتوقف عن بذل الشفاعة لمحتاجيها، فيبذل جاهه في قضاء حوائج الناس، ومساعدة من يلجأ إليه في قضاء حاجته، كما يبذل قصارى جهده في رفع الظلم عن المظلومين، ومساعدة المحرومين، ويعتقد أن ذلك من الحقوق الواجبة، وكأنه يتمثل قول المصطفى ــ ﷺ ــ «ما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه أو تنتهك حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[2].

وكان له الجاه، والمنزلة عند الملوك وأبنائهم، وكل منهم يعرف له فضله، فكانوا ينزلونه منزلته، ويلبون دعوته، ويقبلون شفاعته، ويعترفون بأهليته لذلك[3].

ومعلوم ما يتمتع به قادة هذه الدولة الإسلامية من تقدير للعلماء

---

(١) إتحاف اللبيب ص ٢٥، ٢٧.

(٢) رواه أبو داود برقم ٤٨٨٤ في الأدب: باب من رد عن مسلم غيبة، وأحمد في المسند ٤/ ٣٠، وفي سنده يحيى بن سلم بن زيد، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٥٩١ رقم ٧٥٦٢: مجهول من السادسة وفي سنده إسماعيل بن بشير قال ابن حجر في التقريب ص ١٠٦ رقم ٤٢٧: الأنصاري مولى بني مغالة.. مجهول من الثالثة.

(٣) إتحاف اللبيب، ص ٢٥ و٢٦.

المخلصين، واحترام لآرائهم، وقبول شفاعتهم، وذلك من فضل الله على هذه الدولة، وعلى شعبها.

١٣ ــ القدوة في الكرم:

كان شديد التأثر إذا رأى فقيراً، أو مسكيناً محتاجاً فيسارع لنجدته من ماله، أو يسعى في ذلك بجاهه لدى القادرين، والموسرين بما يسد خلة هؤلاء الفقراء، ويجلب لهم البهجة، والسرور على أنه يبذل قصارى جهده في تحقيق المصالح العامة، وإيجاد المرافق التي تدعو حاجة الناس إليها، فطالما عمل على إقامة المساجد، وبناء المدارس، وتشييد المعاهد، وجلب المشافي، وإسعاد المجتمع في تحقيق النفع العاجل، والآجل لهم، ودفع الأعداء الثلاثة: الجهل، والفقر، والمرض، وكان ذلك في جهات شاسعة، ومناطق واسعة. ومن أخلاقه ــ رحمه الله ــ الكرم المنقطع النظير الذي يعرفه عنه الخاص والعام، فكان يحب البذل، والسخاء، والإنفاق على المعوزين، والأقارب، والأصحاب، والضيوف خاصة في أوقات الحاجة، ومواسم الخير وكان يقول: (الذي أنفق أحب إلى من الذي أبقى) مع أن موارده كانت محدودة.

وكان مع ذلك يحارب الإسراف، والتبذير صيانة للنعمة وشكراً لها، وكان يؤثر على نفسه، ويظهر عليه من السمت وحسن الخلق، والتواضع، فيلاطف ضيوفه، ويؤانسهم، ويزور الغريب، ويستزيره[١].

---

(١) إتحاف اللبيب، ص ٢٦ و٢٧.

الفصل الثالث

الدعاة الذين اشتهروا بالتدريس في عهد الملك عبد العزيز

ويحتوي على تمهيد وسبعة مباحث:

تمهيد: في الدعاة المعلمين.

المبحث الأول: الشيخ عبد الله بن محمد بن راشد الجلعود.

المبحث الثاني: الشيخ حمد بن فارس.

المبحث الثالث: الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

المبحث الرابع: الشيخ محمد بن علي التركي.

المبحث الخامس: الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع.

المبحث السادس: الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي.

المبحث السابع: محمد بن عبد الرزاق حمزة.

تمهيـــد

في الدعـاة المعلمين

«طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1] و «من علم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء»[2].

الإسلام دين العلم، والعلماء ورثة الأنبياء، وهم من أعظم الناس ثواباً حين يعلمون الناس الخير، والمسلم محتاج إلى العلم؛ حاجته إلى الهواء والماء والغذاء، فالعلم نور والجهل ظلمات؛ لأن الجهل قد يؤدي إلى الكفر. قال تعالى: ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾[3]، قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[4]، وكل ما ازداد المسلم علماً ومعرفة بربه ازداد إيماناً، ويقيناً؛ لأن من كان بالله أعرف كان منه أخوف، لذلك أمرنا الله تعالى أن نسأله الزيادة

---

(١) أخرجه ابن ماجه ج ١، ص ٤٨ رقم ٢٣٧ والحديث ضعيف.
انظر مجمع الزوائد ج ١ ص ١١٩ طبعة دار الكتاب العربي بيروت ط (٢) ١٩٦٧ م.

(٢) أخرجه ابن ماجه ج ١ ص ٨٨ برقم ٢٤٠ في المقدمة: باب ثواب معلم الناس الخير، وفي إسناده راو مختلف فيه وقيل إن فيه انقطاعاً ومعنى الحديث ثابت (انظر: زوائد ابن ماجه ١/٨٨). كما رواه الطبراني في المعجم الكبير. ٢٠/١٩٨ برقم ٤٤٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٤.

(٤) سبق تخريجه ص ٥٩١.

في العلم قال تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾[1]، وقد كان النبي ﷺ حريصاً على أصحابه يتعاهدهم بالتعليم والتوجيه، ويختار لذلك الأوقات المناسبة خوف السأم والملل. وكان الصحابة ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ أحرص الناس على العلم والتعلم والعمل بما علموا، فكانوا بذلك ـ هم ومن سار على نهجهم ـ خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. . .﴾[2].

هذا وقد ظهر في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ علماء دعاة برزوا في مجال التعليم، والتدريس، فاستفاد الناس منهم، وكانوا قد أخذوا نصيباً من ميراث النبوة، وهذه نبذة عن بعض هؤلاء الرجال الذين حملوا هذه الرسالة ونقلوها إلى الناس. وإليك أسماؤهم مرتبة حسب تاريخ وفاتهم:

١ ـ الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود (١٢٧٩ ـ ١٣٣٩ هـ).

٢ ـ الشيخ حمد بن فارس (١٢٦٣ ـ ١٣٤٥ هـ).

٣ ـ الشيخ عمر بن محمد بن سليم (١٢٩٩ ـ ١٣٦٢ هـ).

٤ ـ الشيخ محمد بن علي التركي (١٣٠١ ـ ١٣٨٠ هـ).

٥ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (١٣٠٠ ـ ١٣٨٥ هـ).

٦ ـ الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي (١٣١٥ ـ ١٣٨٩ هـ).

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٧ ــ الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة (١٣١١ ــ ١٣٩٢ هـ).

□□□

المبحث الأول

الشيخ عبد الله بن محمد بن راشد الجلعود[1]

لقد كان الشيخ من دعاة ذلك العصر الذين جعلوا تدريسهم وسيلة للدعوة إلى الله، وتعليم أحكام دينه، وكان من أعماله الدعوية ما يأتي:

١ ــ التدريس:

جلس الشيخ للتدريس، والتف حوله التلاميذ، واستفادوا منه، وكان أبرز العلوم التي يدرسها علم الفرائض؛ حيث كان يعد من أعلم أهل زمانه في الفرائض[2].

لقد كان للشيخ نخل بجوار مدينة الرياض، يبعد قرابة ثلث الساعة بسير الأقدام، فجلس في هذا النخل لتدريس طلاب العلم يدرسهم علم الفرائض، فكانوا يذهبون إليه من الرياض من بعد صلاة

---

(١) الشيخ عبد الله الجلعود ولد بقرب قرية القصب سنة ١٢٧٩ هـ طلب العلم على علماء سدير والرياض كان يشتغل فيها بطلب العلم ويتكسب بالزراعة، توفي في أبها سنة ١٣٣٩ هـ حيث كان مع الجيش المرابط هناك.
انظر البسام ٢/ ٥٤١، القاضي ١/ ٣٧٥، آل الشيخ ص ٢٧٩، ابن خميس تاريخ مجلة اليمامة ٥/ ١٦٥، محمد الشثري: إتحاف اللبيب ص ٨٧.

(٢) البسام ٢/ ٥٤١.

العصر، ولا يرجعون إلا بعد صلاة العشاء[1]، وكان الشيخ يجلس للدرس في المسجد القريب من بستانه ثم بعد مدة قال لطلابه: يا أبنائي، لن أترك أجر السعي في طلب العلم لكم وحدكم، ولكن ابحثوا عن مسجد في الوسط بيني، وبينكم لندرس فيه، فقاسوا المسافة بالخطوة واختاروا مسجداً في نصف الطريق[2].

٢ ـ مساعدة القضاة في حل مسائل الفرائض:

لما تمكن الشيخ عبد الله من علم الفرائض، وصارت له اليد الطولى فيه، كان مرجع العلماء في فهم معضلاته، وملجأ القضاة في حل مشكلاته، وتقسيم التركات، وعلم المناسخات[3].

٣ ـ مساعدة الولاة في أعمالهم:

لقد كان الشيخ محل ثقة الملك عبد العزيز، فكان يبعثه في مهام الأمور، فكان يقوم بها على أكمل وجه، ومن آخر تلك المهام؛ أن بعثه مع الجيش المرابط في أبها بقيادة الأمير عبد العزيز بن مساعد، الذي كان يشاوره في أمور الجيش وكان الشيخ يقوم بمكاتبة علماء تلك البلاد[4]، والدعوة إلى الالتزام بدين الله وتوحيده، ويرشد الجيش، ويعظهم، ويقيم بهم الصلاة، وفرائض الدين.

لقد كان للشيخ مكانة مرموقة عند الناس، وعند الملك

---

(١) ال الشيخ ص ٢٧٩.

(٢) الشثري، إتحاف اللبيب ص ٨٧.

(٣) البسام ٢/ ٥٤٠، القاضي ١/ ٣٧٦.

(٤) البسام ٢/ ٥٤١، تاريخ المخلاف السليماني ٢/ ٧٦، القاضي ١/ ٣٧٦، آل الشيخ ص ٢٧٩.

عبد العزيز، وصحبه في رحلاته[١]، ولقد رشح الشيخ للقضاء مراراً فامتنع تورعاً[٢] وكان على جانب كبير من الأخلاق العالية، والصفات الحسنة[٣].

□□□

---

(١) القاضي ١/ ٣٧٦.

(٢) القاضي ١/ ٣٧٦، ابن خميس ٥/ ١٦٥.

(٣) القاضي ١/ ٣٧٦.

المبحث الثاني
الشيخ حمد بن فارس[1]

لقد كان من المعلمين الدعاة الذين لهم أعمال دعوية مشهورة من أهمها:

١ ــ التدريس:

لقد داوم الشيخ على التعليم في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف من بعد صلاة الفجر إلى الساعة الرابعة نهاراً بالتوقيت الغروبي في النحو، والفقه وأخذ عنه العلم في هذين الفنين أكثر علماء ذلك العصر[2]. ولقد كان حسن التعليم، فالتف حوله الطلاب، وكان له مجالس للتدريس بعد العصر[3].

وكان من أسباب بروز جهوده في التعليم لكونه حصل كثيراً من العلوم الشرعية، والعربية لاسيما النحو، فقد كان من أنحى أهل زمانه في نجد، فعرف بهذا الباب من العلم، حتى صار مرجع العلماء،

---

(١) الشيخ حمد بن فارس من آل رميح ولد سنة ١٢٦٣ هـ طلب العلم في الخرج والرياض ونبغ في النحو والفرائض توفي بالرياض عام ١٣٤٥ هـ.
انظر آل الشيخ ص ٢٨٨، البسام ١/ ٢٣٤، القاضي ١/ ٩٢، ابن خميس: تاريخ مجلة اليمامة ٥/ ٦٦.

(٢) آل الشيخ ص ٢٨٩، ابن خميس ٥/ ٦٧.

(٣) القاضي ١/ ٩٣.

وطلاب العلم في علوم العربية[1]، وكان له معرفة بعلم الفلك، وسيره، وحسابه، وأوقاته، وبروجه، ومنازله[2].

٢ ــ حفظ بيت المال:

تولى حفظ بيت المال للإمام عبد الله بن فيصل، ثم للإمام عبد الرحمن، ثم للملك عبد العزيز، فكانت تجبى إليه زكوات الحبوب، والتمور من بلدان نجد، ويقوم على حفظها في مخازن معدة لها بقصر الرياض، ويقوم بتوزيعها حسب أوامر ولاة الأمور[3].

ومن الطبيعي أن يستغل الشيخ هذا العمل لبث الدعوة إلى الله من خلالها، بنصح الخلق، وتعليمهم لأحكام الزكاة أخذاً، وإعطاء.

٣ ــ النظر في أوقاف آل السعود:

كانت أوقاف آل سعود موكولة للشيخ حمد وهو المسؤول عنها[4]، فكان يصرف ريعها في أعمال البر، والإحسان فحمدت سيرته في ذلك، حيث بر الفقراء، وواسى المساكين، وأجرى إنفاق هذه الأمور في مجاريها الشرعية النافعة[5].

٤ ــ مساعدة القضاء في قسمة الفرائض المشكلة:

كان الشيخ حمد مرجعاً في قسمة التركات، وحسابها عند أهل

---

(١) البسام ١/ ٢٣٤، ابن خميس ٥/ ٦٦.
(٢) آل الشيخ ٢٨٩، البسام ١/ ٢٣٤.
(٣) آل الشيخ ص ٢٨٨، البسام ١/ ٢٣٤، القاضي ١/ ٩٣.
(٤) آل الشيخ ٢٨٨، القاضي ١/ ٩٢.
(٥) البسام ١/ ٢٣٤، ابن خميس ٥/ ٦٦.

نجد، فكان القضاة يحولون قسمة التركات، وحسابها عليه[1].

٥ ــ مؤلفاتـه:

للشيخ حمد رسائل كثيرة، وردود؛ ومن أهمها رده على أهل الكلام[2].

لقد كان الشيخ حمد مع علمه، وكثرة أشغاله ديناً، متعبداً، كثير الصيام والقيام[3]، وكان على جانب كبير من الأخلاق العالية، والورع، والزهد، والصفات الحميدة، مجالسه مجالس علم، وبحث، ممتعة للجليس ذا علم، ودراية، وعقل راجح[4].

□□□

---

(١) القاضي ١/ ٩٢.

(٢) القاضي ١/ ٩٢.

(٣) البسام ١/ ٢٣٥.

(٤) القاضي ١/ ٩٢.

المبحث الثالث

الشيخ عمر بن محمد بن سليم(١)

من الشخصيات الدعوية التي شاركت في الدعوة إلى الله من خلال مجالات متعددة الشيخ عمر بن سليم، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسب الآتي:

١ ـ التعليم:

لقد جلس الشيخ في بادىء الأمر للتعليم في أحد جوامع بريدة، فأقبل عليه الطلاب من كل مكان، وازدحم المتعلمون في مسجده، وضاقت بهم رحاب المسجد، وراجت سوق العلم، وكثر أهله، وصارت أوقات الشيخ كلها مشغولة في العلم تعليماً، أو بحثاً، ومراجعة، وصار العلم هو ديدنه حتى في زياراته، ومجالسه الخاصة، فكان يعمر المجالس بالقراءة، واستماع العلم، ودروسه تدور على التوحيد وعقائد السلف، والتفسير، والحديث، والفقه وعلوم العربية، ولما باشر أعمال القضاء لم تشغله عن نشاطه في التدريس، والتعليم

---

(١) الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سليم ولد في بريدة عام ١٢٩٩ هـ وقيل ١٢٩٨ هـ طلب العلم على عدة علماء أبرزهم والده والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وهو عالم فقيه عابد محبوب توفي سنة ١٣٦٢ هـ.
البسام ٣/ ٧٤٥ ـ ٧٤٨، آل الشيخ ص ٣٥٧، القاضي ٢/ ١٣٦ ـ ١٤١، ابن عبيد ٤/ ١٤٨ ـ ١٨١، العمري: علماء آل سليم ١/ ٩٨ ـ ١٦٤.

حيث أصبح مقر درسه جامع بريدة الكبير[1].

ولقد كانت دروسه العلمية موزعة حسب الآتي:

- **بعد صلاة الفجر**: يجلس لطلاب العلم يقرؤون عليه متن الآجرومية، وقطر الندى، وملحة الإعراب، وألفية ابن مالك في النحو ويستمر في الدرس إلى طلوع الشمس وانتشارها، وربما جلس بعد ذلك في بيته للطلبة فيقرؤون عليه سوراً من القرآن الكريم.
- **في وقت الضحى**: حيث يرجع إلى المسجد، ويصلي تحية المسجد، ثم يشرع الطلبة يقرؤون عليه في مختلف العلوم حديثاً، وفقهاً، وتوحيداً، وأصولاً، كان يفتتح هذه الحلقة بقراءة شيء من القرآن.
- **وأما بعد صلاة الظهر**: فيجلس في المسجد للتدريس إلى قريب العصر. وهذا الدرس قريب من الساعتين، ويقرأ عليه الطلاب حلقات ربما زادت عن ثلاث حلقات.
- **بعد صلاة العصر**: يجلس في المسجد للطلبة لتدريس علم الأصول، ومصطلح الحديث، وكتاب بلوغ المرام.
- **بعد صلاة المغرب**: حيث يجلس للطلبة لتدريس الفرائض والمواريث، حتى أذان العشاء، فإذا أذن العشاء قام من الحلقة إلى الصف الأول، وشرع القارىء يقرأ عليه في التفسير.

---

(١) البسام ٣/ ٧٤٦.

ـ **بعد صلاة العشاء**: حيث يذهب إلى دار أحد تلاميذه، ويدرس عليه هناك بعد الطلبة نحو خمسة عشر طالباً.

فهذه طريقة دروسه وترتيبها مدة حياته[١].

فقد جلس للتدريس وهو في سن الشباب[٢]، فقد ابتدأ التدريس بعد وفاة والده وعمره نحو السابعة والعشرين[٣]، واستمر على ذلك حتى في مرض موته، وقد أشار عليه بعض أحبابه أن يتخلى عن بعض الإرهاقات؛ ككثرة التدريس فرفض[٤].

ومن نماذج الكتب التي تقرأ في هذه الحلقات: المغني والشرح الكبير والآداب الشرعية الكبرى، وصحيح البخاري، ومسلم، والسنن والمسانيد، والمقنع ومختصره وشرحه، والعمدة في الفقه، ومدارج السالكين، والبداية والنهاية، وفتح الباري، والمنتقى، والتوحيد لابن خزيمة، ودليل الطالب، وشرح التوحيد، وكتب الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب[٥]، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وبلوغ المرام، والمحرر، والسيرة النبوية لابن هشام[٦].

وينتقد القاضي دروس الشيخ بأنها قراءة مجردة لإمرار الكتاب

---

(١) آل الشيخ ص ٣٥٨، ابن عبيد ٤/ ١٥٠ ـ ١٥٢، العمري ١/ ١٠٢ ـ ١٠٧.
(٢) ابن عبيد ٤/ ١٥٠.
(٣) العمري ١/ ٩٩.
(٤) ابن عبيد ٤/ ١٦٣.
(٥) ابن عبيد ٤/ ١٥١.
(٦) العمري ١/ ١٠١.

بحيث إن الشيخ لا يعلق عليها، ولا يشرحها[1].

وقد يجاب عن ذلك بأن الشيخ يريد استيعاب الكتب العلمية، وهي غالباً مفهومة العبارة، ومن استشكل شيئاً، فإنه يسأل عنه والشيخ يجيبه.

وكان إذا جلس للتدريس أنصت الطلاب كأن على رؤوسهم الطير، ولا ترى في مجلسه من يلتفت يمنة، أو يسرة[2].

وقد نفع الله بعلمه خلائق من أهل العلم في المنطقة من القضاة، والمعلمين، والدعاة[3].

يقول ابن عبيد:

«فاجتمع عليه خلائق كثيرون من طلاب العلم، وجثوا بين يديه من كل جانب، وازدحموا بين يديه بالركب حلقاً حلقاً، حتى أصبح ذلك المسجد لا نظير له في نشر العلم، وكان له صيت وشهرة وتخرج على يديه أناس كثيرون»[4].

وقال: «ويحضر مجلسه من القراء، والمستمعين ما يربو عدده عن ألف مسلم»[5].

وقد ذكر العمري من تلامذته خمسمئة بأسمائهم مع ذكر شيء

---

(١) القاضي ٢/ ١٣٧.
(٢) ابن عبيد ٤/ ١٥٨.
(٣) البسام ٣/ ٧٤٦.
(٤) ابن عبيد ٤/ ١٤٩.
(٥) ابن عبيد ٤/ ١٥١، وانظر: الزركلي، الأعلام ٥/ ٦٥.

من أعمالهم[1]، مع ملاحظة الاختلاف الواسع بين هؤلاء التلاميذ من حيث العلم، والدعوة، والمهام التي قاموا بها، وكان الشيخ عند ذهابه إلى هجر البدو لتعليمهم، وإرشادهم يستصطحب معه بعض كبار الطلبة، ويتحمل نفقاتهم، فيواصلون قراءتهم عليه، فينتفع أهل هذه الهجر بهذه الدروس العلمية[2].

وفي أثناء سفر الشيخ يستثمر أكثر وقته في التدريس، حتى على الرواحل يكون معه القراء؛ يتعاقبون القراءة واحداً بعد الآخر، وكذلك بعد وجود السيارات، كان معه من يقرأ باستمرار والسيارة تسير، وعند النزول تستمر القراءة في القرآن أو في الكتب التي يحملها الطلبة معهم، أما في رمضان فكان رحمه الله يوقف التدريس، فيما عدا تدريس القرآن، فهو يجلس لكبار الطلبة في تجويد القرآن صباحاً في المسجد، وبعد العشاء يجلس لتدريس القرآن في منزل أحد تلاميذه[3].

٢ ـ القضـاء:

أول ما تولى القضاء في هجرة دخنة[4]، ثم أرسله الملك عبد العزيز عام ١٣٣٠ هـ إلى بلدة الأرطاوية أكبر هجر قبيلة مطير ليتولى عدة مهام من ضمنها القضاء، فاستمر فيها حتى عام ١٣٣٧ هـ فاستغل عمله هناك، ومكانته في الدعوة إلى الله عند أهل تلك البادية

---

(١) العمري ١/ ١٣١ ـ ١٦٤.
(٢) العمري ١/ ١٠٢.
(٣) العمري ١/ ١٠٨.
(٤) آل الشيخ ص ٣٥٧، القاضي ٢/ ١٣٧.

في أول إقبالهم على الخير، والأعمال الصالحة[1].

ثم بعد ذلك أرسله إلى بريدة ليكون مساعداً لأخيه الشيخ عبد الله على قضاء بريدة، فلما توفي أخوه الشيخ عبد الله سنة ١٣٥١ هـ عين مكانه في قضاء مدينة بريدة، وتوابعها من القرى والبلدان[2]، فكان بمثابة رئيس قضاة القصيم[3].

وكان له وقتان يجلس فيهما للقضاء:

الأول: قبل صلاة الظهر يجلس في داره للقضاء بين المتحاكمين.

الثاني: قبل صلاة المغرب فيجلس في داره أيضاً للقضاء بينهم إلى أذان المغرب[4]، وذلك للفصل بين الناس في الدماء والأموال والحدود[5].

وربما حضر إليه المتخاصمون في غير هذين الوقتين، فيقضي بينهم[6].

لقد كان الشيخ عاقلاً مراقباً لله منصفاً، وله غوص في غامض الأمور، ونظر في العواقب، فقلما يصدر أمراً أو حكماً إلا وقد عرف

---

(١) ابن بسام ٣/ ٧٤٥، آل الشيخ ص ٣٥٧، القاضي ٢/ ١٣٧، ابن عبيد ٤/ ١٤٩.

(٢) البسام ٣/ ٧٤٦، آل الشيخ ص ٣٥٨، القاضي ٢/ ١٣٨.

(٣) ابن عبيد ٤/ ١٥٠، العمري ١/ ١٠٩.

(٤) آل الشيخ ص ٣٥٨.

(٥) ابن عبيد ٤/ ١٥١.

(٦) العمري ١/ ١٠٤.

غايته ومنتهاه، فلأجل هذا أصبحت أحكامه، وتدابيره حسنة محمودة العواقب[1].

وكان يتحرى العدل في القضاء، ويرحم الفقير، ويلطف بمن لا يحسن أن يخاصم، وربما أقام وكيلاً عمن لا يحسن إقامة الحجة إذا رأى خصمه ألد جدلياً، وتقنع الأنفس بقضائه[2].

وكان له هيبة في نفوس الناس، وإذا قضى بين الخصمين قاما راضيين مقتنعين، ولا يكون للخصومة لغط، ولا أصوات في مجلس الحكم[3].

ويحكم بين الخصوم في منزله، فلا محكمة، ولا كتاب ضبط، ولا سجلات وقد يكتب الحكم بيده، أو يكتبه له من يعتمد عليه من طلبته[4].

ومما يدل على فقهه؛ أنه كان يقضي نيابة عن أخيه الشيخ عبد الله، فلما توفي أخوه توقف عن القضاء، فكلمه بذلك أمير القصيم، وجماعة بريدة، فقال لهم: أنا نائب للشيخ عبد الله، وقد توفي وبوفاته بطلت وكالتي، ونيابتي عنه، فلما علم الملك عبد العزيز بوفاة الشيخ عبد الله، عين الشيخ عمر قاضياً[5].

---

(١) ابن عبيد ٤/ ١٥٧.

(٢) ابن عبيد ٤/ ١٥٦.

(٣) ابن عبيد ٤/ ١٥٨.

(٤) العمري ١/ ١٠٥.

(٥) العمري ١/ ١٠٩.

٣ ــ تربية أهل الهجر دينياً:

لما بلغ الشيخ مرتبة علمية، وآنس منه الملك عبد العزيز رجاحة عقله وبعد نظره، بعثه عام ١٣٣٠ هـ إلى الأرطاوية، وهي واحدة من أهم الأماكن التي استوطنتها البادية في ذلك العصر، ليكون واعظاً، ومرشداً فيها، فقام بواجب الدعوة إلى الله خير قيام، وكان له أثر عظيم في نفوس أولئك البادية[(١)].

٤ ــ الإمامة والخطابة:

لقد كان والد الشيخ يقدمه لصلاة التراويح، وعمره إذ ذاك ثمانية عشر عاماً[(٢)]، ثم تولى إمامة أحد مساجد بريدة[(٣)]، وفي عام ١٣٣٧ هـ عين إماماً في أحد جوامع بريدة[(٤)]، وكان ينوب عن أخيه الشيخ عبد الله في إمامة الجامع الكبير في بريدة والخطبة[(٥)]، فلما توفي أخوه تولى الشيخ عمر إمامة الجامع الكبير، والخطبة فيه، كما كان يقوم بصلاة العيد والاستسقاء[(٦)].

٥ ــ حث المنتسبين للعلم على الدعوة:

فكان يجمع أئمة المساجد، والمؤذنين، والمحتسبين للأمر

---

(١) البسام ٣/ ٧٤٥، آل الشيخ ص ٣٥٧، ابن عبيد ٤/ ١٤٩، العمري ١/ ١٠٧.

(٢) ابن عبيد ١/ ١٤٩.

(٣) ابن عبيد ٤/ ١٤٨، العمري ١/ ٩٩.

(٤) البسام ٣/ ٧٤٦، آل الشيخ ٣٥٧، القاضي ٢/ ١٣٧.

(٥) البسام ٣/ ٧٤٦، القاضي ٢/ ١٣٨.

(٦) آل الشيخ ٣٥٨، القاضي ٢/ ١٣٨، ابن عبيد ٤/ ١٥٠.

بالمعروف، وطلبة العلم بين الحين، والآخر فيعظهم، ويحثهم على الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان يتفقد المؤذنين في الأذان في الوقت، وينبههم على عدم الأذان قبل الوقت، ويحذر من ذلك[1].

٦ ـ التوجيه بتعيين القضاة:

فلقد كان الملك عبد العزيز يستشيره في تعيين القضاة في القصيم، وغيرها، وفي عام ١٣٥٣ هـ توجه رحمه الله للحج، ومعه قرابة الثلاثين من كبار طلبة العلم من تلاميذه، وبناء على أمر من الملك عبد العزيز وزعوا على محاكم مدن وقرى المنطقة الجنوبية ابتداء بجيزان، وما حولها، فمنهم من عين قاضياً ومنهم من عين إماماً ومعلماً[2].

٧ ـ بناء المساجد والمكتبات:

فقد اهتم بتجديد بناء جامع بريدة، ووسعه، وكذلك بعض مساجد بريدة، كما قام بإنشاء مكتبة علمية في مدينة بريدة، وجمع لها كتباً من طلبة العلم في عصره، وجعلها في المسجد الجامع[3].

٨ ـ الوعظ والإرشاد:

فقد أولاهما اهتمامه، فكان يصرف بعض وقته فيهما[4]، ومن

---

(١) العمري ١/ ١٠٦.
(٢) العمري ١/ ١٠٩.
(٣) العمري ١/ ١١٣.
(٤) البسام ٣/ ٧٤٦.

ذلك أنه إذا صلى العصر قرأ عليه أحد طلبة العلم ثلاثة أحاديث، أو أربعة من كتاب الترغيب والترهيب، ثم يعيد الشيخ قراءتها حديثاً حديثاً، ثم يشرحها، ويوضح ما يحتاج إلى إيضاح[١].

وقد جعل الله له القبول في الأرض، والبركة في الوقت، مع حرصه على نفع غيره سواء كان قريباً، أم بعيداً، وكان يحرص على إقامة نوافل العبادات من تلاوة للقرآن، وذكر، وصلاة، وغير ذلك مع رغبته فيها، وكان يتابع بين الحج، والعمرة مع ما يتصف به من الكرم الواسع، فكان بيته يمتلىء من الضيوف، والطلاب، والزوار فيكرمهم، ويحرص على إعطائهم ما يرغبونه[٢].

□□□

---

(١) العمري ١/ ١٠٥.

(٢) البسام ٣/ ٧٤٧، القاضي ٢/ ١٣٩، ابن عبيد ٤/ ١٥٦.

المبحث الرابع

الشيخ محمد بن علي التركي[1]

وهو ممن أكثر التجوال في البلدان، وله معرفة بالأدب، وحفظ لنصوصه، وقد ساهم في الدعوة إلى الله من خلال ما يأتي:

١ ـ التعليم:

في عام ١٣٤٠ هـ قام برحلة إلى فلسطين، وقضى شهر رمضان في القدس، وألقى دروساً في المسجد الأقصى في عهد مفتيها أمين الحسيني، الذي كان يقول: لم يجلس على هذا الكرسي بعد الشيخ محمد عبده أحسن من الشيخ محمد التركي[2].

كما كان له دروس عامة في الحرمين الشريفين[3]، فقد تحصل

---

(١) الشيخ محمد بن علي بن محمد التركي ولد في عنيزة سنة ١٣٠١ هـ وقيل ١٢٩٩ هـ وسافر إلى مكة وعمره أربع عشرة سنة وزار العراق والخليج والشام والهند وألقى دروساً في المسجد الأقصى كان له معرفة بالناس وله اطلاع على الأدب وكان يحفظ ديوان المتنبي توفي بالمدينة سنة ١٣٨٠ هـ رحمه الله.

انظر: البسام ٣/ ٩٠٤ ـ ٩٠٧، آل الشيخ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٤، العمري ٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٧، القاضي ٢/ ٢٨٥، ٢٨٨.

(٢) البسام ٣/ ٩٠٤.

(٣) البسام ٣/ ٩٠٧، آل الشيخ ص ٤٠٣.

على إذن بالتدريس في وقت الشريف، فأخذ يعقد الحلق، ويلقي الدروس بمواظبة تامة، ونشاط عظيم، ثم حصل بينه، وبين خطيب المسجد النبوي خلاف عقدي، فاستعدى عليه الخطيب أمير المدينة علي بن الحسين فأخرجه من المدينة إلى نجد فاستقر في عنيزة[١].

وفي عام ١٣٤٨ هـ عين مدرساً في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، وكان يدرس في المسجد النبوي أيضاً في الليل، خصوصاً في صحيح البخاري وفي ليلة الجمعة تبصرة ابن الجوزي في الوعظ[٢]، ثم طلب منه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم التدريس في المعهد العلمي بالرياض، وكلية الشريعة، فاعتذر بأن بقاءه في المدينة أكثر تحقيقاً للمصلحة العامة، فأعفاه[٣].

قال العمري عنه: «سمعت تدريسه في المدينة أكثر من مرة في المسجد النبوي، فكان آية في الحفظ، والبحث، والمناقشة»[٤].

وكان رحمه الله ملجأ لطلبة العلم من السعوديين، والغرباء، وغيرهم يستشيرونه، ويساعدهم فيما يقدر عليه، وقد فرق ثروته على طلبة العلم[٥].

---

(١) ال الشيخ ٤٠٣.
(٢) القاضي ٢/ ٢٨٧.
(٣) البسام ٣/ ٩٠٧، آل الشيخ ص ٤٠٤، العمري ٢/ ٤٩٧.
(٤) العمري ٢/ ٤٩٥.
(٥) القاضي ٢/ ١٨٧.

٢ ــ الأمر بالمعروف والوعظ:

كان الشيخ صريحاً، صدوقاً، يقول الحق، لا يبالي في سبيله بكبير ولا صغير، لا يخاف في الله لومة لائم[١].

كان يعظ الملوك، والأمراء، ولمواعظه وقع في القلوب، وكان إذا وعظ استشهد برقائق أبي العتاهية فيبكي، ويبكي من حوله، وإذا جاء إلى عنيزة ظل في مسجد العقيلية، يعظ الناس بصوته الرخيم السلس الذي يأخذ بمجامع القلوب[٢].

٣ ــ التأليف:

فقد ألف كتاباً بالاشتراك مع بهجة البيطار، في الرد على المدعو عبد القادر الاسكندراني، وقد شكرهما على ذلك الملك عبد العزيز بخطاب يدل على جودة هذا الكتاب فقال فيه: «وردنا ردكم على عبد القادر الاسكندراني قرأناه فوجدناه رداً سديداً وجواباً صائباً مفيداً وافياً بالمقصود فحمدنا الله على ما منّ به عليكم من معرفة الحق والبصيرة فيه، وعرضناه على مشايخ المسلمين فاستحسنوه وأجازوه والحمد لله الذي جعل لأهل الحق بقية وعصابة تذب عن دين المسلمين وتحمى حماه عن زيغ الزائغين وشبه المارقين والملحدين فاغتنموا الدعوة إلى الله وإلى دينه وإلى شرعه ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من البينات والهدى وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فإن القيام في ذلك من

---

(١) البسام ٣/ ٩٠٥، القاضي ٢/ ٢٨٦، العمري ٢/ ٤٩٥.

(٢) القاضي ٢/ ٢٨٧.

أوجب الواجبات، ومن حسن توفيق الله لكم أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاة إلى الحق وحجة على الخلق فاشكروه على ذلك والسلام»[1].

٤ ــ القضاء:

ففي عام ١٣٤٥ هـ تولى قضاء المدينة المنورة.

وفي عام ١٣٤٦ هـ عين مساعداً لرئيس القضاة في مكة المكرمة ثم أعفي من ذلك بناء على طلبه عام ١٣٤٨ هـ[2].

لقد كان الشيخ محمد التركي عفيفاً، ورعاً، زاهداً. لما عين في القضاء اشترط أن يصرف مرتبه من حاصلات البريد لبعدها عن الشبهة[3].

لقد كان يتمتع بأخلاق عالية، فكان دمث الأخلاق، لا يحب المظهر، والشهرة، طلق الوجه، حلو المفاكهة، له نكت حسان آية في التواضع، وحسن الخلق، يفتح بابه بالضحى لزواره، ويذهب إلى جماعته، وأصحابه في الليل في منازلهم، وكان له عندهم مكانة مرموقة، ومحبة أكيدة، ومجالسة ممتعة[4].

□ □ □

---

(١) البسام ٣/٩٠٦.
(٢) البسام ٣/٩٠٧، آل الشيخ ص ٤٠٣.
(٣) البسام ٣/٩٠٧، القاضي ٢/٢٨٦.
(٤) القاضي ٢/٢٨٧.

المبحث الخامس

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع(١)

الشيخ محمد بن مانع من الشخصيات الدعوية البارزة في عهد الملك عبد العزيز، وكان له نشاط دعوي في مجالات عديدة من أهمها ما يأتي:

١ ــ التدريس:

فقد طلبه حاكم قطر الشيخ عبد الله بن ثاني للإتيان إلى بلاده، فذهب إليه عام ١٣٣٤ هـ وتولى التدريس هناك لمدة ثلاث وعشرين سنة، رحل إليه الطلاب خلالها من عمان، وسائر بلدان الخليج، وأخذوا عنه العلم في هذه المدة الطويلة(٢).

وفي عام ١٣٥٨ هـ طلبه الملك عبد العزيز رحمه الله، فأمره

---

(١) الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانعِ الوهبي التميمي ولد في عنيزة سنة ١٣٠٠ هـ وقيل ١٢٩٨ هـ حفظ القرآن وبعض المختصرات على علماء بلده ثم سافر إلى مصر والعراق لطلب العلم الذي عرف بالجد في تحصيله عالم بالفقه والتفسير والحديث والعقيدة والنحو، توفي سنة ١٣٨٥ هـ في بيروت حيث ذهب للعلاج ونقل جثمانه إلى قطر ــ رحمه الله ــ.

انظر البسام ٣/ ٨٢٧ ــ ٨٣٥، العمري ٢/ ٤٥٩ ــ ٤٦٦، القاضي ٢/ ٢٩٣.

(٢) البسام ٣/ ٨٣٠، العمري ٢/ ٤٦٠، القاضي ٢/ ٢٩٥.

بالتدريس في المسجد الحرام، والمدارس الحكومية[1].

وكانت الحكومة السعودية وفقها الله تخصص لطلابه الذين يدرسون عليه في المسجد الحرام مرتبات شهرية كافية لمؤنتهم، يقوم بتوزيعها عليهم حسب نظره[2].

وكان حسن التعليم جداً، يجمع الطلبة على فنين، ويطول تقريره، والبحث، والنقاش فتخرج على يديه خلق لا حصر لعددهم[3].

٢ ــ جهوده في إدارة التعليم وتنظيمه:

لم يقتصر دور الشيخ محمد في حقل التعليم على التدريس، بل تجاوز ذلك إلى محاولة تنظيم الحركة التعليمية في البلاد السعودية.

في عام ١٣٦٤ هـ عينه الملك عبد العزيز مديراً للمعارف وفي سنة ١٣٦٦ هـ أسندت إليه رئاسة دار التوحيد إلى أن شكلت وزارة المعارف سنة ١٣٧٣ هـ وأسندت وزارتها إلى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز[4].

فلما شكلت الوزارة جعل الشيخ محمد وكيلاً لها، واستمر في ذلك قرابة ثلاث سنين[5]، فقام الشيخ محمد بهذا العمل خير قيام،

---

(١) البسام ٣/ ٨٣٠، القاضي ٢/ ٢٩٥.

(٢) العمري ٢/ ٤٦٢.

(٣) القاضي ٢/ ٢٩٧.

(٤) ملك المملكة العربية السعودية حالياً وخادم الحرمين الشريفين، وفقه الله إلى الخير وأعز به الإسلام (آل الشيخ ص ٤١٥).

(٥) العمري ٢/ ٤٦٣.

وتوسع التعليم في عهده، وفتحت مئات المدارس، وأدخل كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مناهج التعليم على حسب المستويات، فنفع الله بها[1]، ونظراً لأن الدولة السعودية ما زالت سائرة على منهجها الديني استمر تدريس هذه الكتب في جميع مدارسها.

ومن خلال هذا العمل، كان الشيخ محمد يشرف على المدارس الحكومية الموزعة على أطراف المملكة في ذلك الحين، ومن هنا كان يقوم بالجولات التفتيشية عليها.

ومن آخر رحلاته التي قام بها عام ١٣٧٢ هـ؛ حيث توجه من مكة المكرمة، فمر بجدة، ثم أخذ طريق المدينة إلى المدينة المنورة، إلى حائل، ثم القصيم، ثم بلدان الوشم، وسدير، ثم الرياض، ثم الأحساء والمنطقة الشرقية، ثم عاد إلى الرياض، واستأنف رحلته في جنوب نجد[2].

ولما أسندت إليه رئاسة دار التوحيد، وهي مدارس علمية[3]، قام بها خير قيام، فاختار لها أفاضل العلماء من المدرسين، فكان يناقشهم ويتأكد من صحة عقيدتهم، ولما فتحت كلية الشريعة بمكة وهي أول عمل تعليمي جامعي أسند الإشراف عليها إليه[4].

---

(١) العمري ٢/ ٤٦٢.
(٢) البسام ٣/ ٨٣١.
(٣) البسام ٣/ ٨٣٠، العمري ٢/ ٤٦٣.
(٤) العمري ٢/ ٤٦٣.

وفي عام ١٣٧٤ هـ طلبه حاكم قطر الشيخ علي بن ثاني من الملك سعود، ليكون في قطر، فصار مشرفاً على سير التعليم هناك، وقائماً بإصلاح مناهجه[(١)].

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا اهتمامه بالمدرسين الذين يحسن اختيارهم، ويقيم الاختبارات العديدة لهم، ويتحرى عن سلوكهم، وميولهم، ومعتقداتهم، وعلميتهم، كما كان يهتم بمناهج التعليم من حيث أهميتها، ومكانتها العلمية، ومن حيث مناسبتها للطلاب الذين يدرسونها.

٣ ــ خطابة الجمعة:

خلال إقامة الشيخ محمد في قطر لمدة ثلاث وعشرين سنة من سنة ١٣٣٤ هـ كان يتولى الخطابة في جامع الدوحة[(٢)].

فلما عاد إليها في المرة الثانية، تولى كذلك فيها الإمامة، والخطابة[(٣)].

٤ ــ الأمر بالمعروف:

من الأعمال التي أنيطت بالشيخ محمد خلال إقامته في مكة المكرمة رئاسة هيئة الأمر بالمعروف[(٤)].

---

(١) البسام ٣/ ٨٣٢، القاضي ٢/ ٢٩٦.
(٢) البسام ٣/ ٨٣٠.
(٣) القاضي ٢/ ٢٩٦.
(٤) البسام ٣/ ٨٣٠، القاضي ٢/ ٢٩٥.

٥ ـ الوعـــظ:

كما أن من الأعمال التي أنيطت به خلال إقامته في مكة رئاسة هيئة الوعظ والإرشاد[(١)].

٦ ـ التأليـــف:

للشيخ مؤلفات عديدة منها:

ـ مختصر شرح عقيدة السفاريني.

ـ حاشية على عمدة الفقه.

ـ حاشية على دليل الطالب.

ـ رسالة في آداب البحث والمناظرة.

ـ تحديق النظر في أخبار المهدي المنتظر.

ـ كشف الغطاء عما في أعلام الورى من الخطأ.

ـ إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والآداب.

ـ إقامة البرهان على تحريم الإجارة في تلاوة القرآن.

ـ الأجوبة الحميدة على الأسئلة المفيدة للشيخ عبد الرحمن بن حسن.

ـ شرح شواهد القطر وشواهد المغني وسماه سبل الهدى.

ـ الكواكب الدرية على الدرة المضية طبع في الهند قديماً ثم طبع في مصر مع تعليقات عليه للشيخ سليمان بن سحمان.

---

(١) البسام ٣/ ٨٣٠، القاضي ٢/ ٢٩٥.

ـ مختصر في تاريخ عنيزة وأمرائها وقضاتها طبع مع المنتخب للمغيري.

كما أن له مذكرات في التاريخ غير مرتبة.

وبعض هذه الكتب طبع والبعض لا يزال مخطوطاً[1].

٧ ـ رئاسة النادي العلمي في البحرين:

فقد أنشأ المحسن مقبل بن عبد الرحمن الذكير نادياً في البحرين، لتحرير المقالات، والتباحث، وإعداد الردود على النصارى المبشرين الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية لصرف المسلمين عن الإسلام، فجعل الشيخ محمد بن مانع رئيساً للنادي المذكور، وقام به خير قيام[2].

وكان إنشاء هذا النادي عام ١٣٣٤ هـ[3].

٨ ـ جهوده في القضاء:

لما دعاه حاكم قطر آنذاك الشيخ عبد الله بن قاسم بن ثاني ولاه قضاء قطر عام ١٣٣٤ هـ واستمر على ذلك أكثر من ثلاث وعشرين سنة.

ثم قدم على الملك عبد العزيز عام ١٣٥٨ هـ فأكرمه وعينه مدرساً بالمسجد الحرام[4]، وولاه رئاسة هيئة تمييز الأحكام الشرعية

---

(١) البسام ٣/ ٨٣٤، العمري ٢/ ٤٦٤، القاضي ٢/ ٢٩٨.

(٢) البسام ٣/ ٨٣٠.

(٣) القاضي ٢/ ٢٩٥.

(٤) آل الشيخ ص ٤١٤، و٤١٥.

بالمنطقة الغربية[1]، ومن لازم ذلك أن يلتحق به توابعها في القضاء[2].

٩ ـ جهوده الدعوية من خلال اتصاله بحكام دولة قطر:

لما أقام في قطر عام ١٣٧٤ هـ وما بعدها، صار مستشاراً لحكومتها في الأمور الدينية، فحصل من ثمرة هذه الثقة به، والنفوذ لكلمته أن قامت الحكومة القطرية بطبع الكثير من الكتب العلمية النافعة؛ في التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه، والأدب، ومن ثم توزيعها على أهل العلم مجاناً، وبذلك تم طبع الكثير من الكتب العلمية النادرة التي حصلت منها الفوائد العظيمة[3].

وقد استمرت عندهم هذه العادة في طبع الكتب العلمية، فنفع الله بتلك الكتب في الجزيرة العربية، وبلاد العرب، والهند، وغيرها من بلاد الإسلام[4].

كما كان يقوم بالإشراف على الشؤون الدينية، والافتاء في دولة قطر حينذاك إلى وفاته رحمه الله[5].

وكان الأمير علي بن ثاني يصحبه كلما سافر إلى العمرة، أو الحج، والاصطياف في الخارج، لأنه لا يستغني عن مشورته في كل

---

(١) البسام ٣/ ٨٣٠، القاضي ٢/ ٢٩٥.
(٢) العمري ٢/ ٤٦٢.
(٣) البسام ٣/ ٨٣٢، العمري ٢/ ٤٦١، القاضي ٢/ ٢٩٧.
(٤) العمري ٢/ ٤٦١.
(٥) العمري ٢/ ٤٦٣.

معضلة، وكان موضع سره ومستشاره الخاص والناصح الأمين[1].

□□□

(١) القاضي ٢/ ٢٩٩.

المبحث السادس

الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي[1]

الشيخ القرعاوي من العلماء الدعاة الذين كان لهم نشاط بارز في الدعوة إلى الله من خلال التعليم، وغيره من أساليب الدعوة كما يلي:

١ ـ التعليم:

ابتدأ الشيخ بالتعليم في بلدة عنيزة عام ١٣٤٧ هـ، حيث فتح مدرسة لتعليم العلوم الشرعية مجاناً، وكان يضطر أحياناً إلى إغلاقها لقلة الموارد، ويذهب ليكتسب، ثم يفتح المدرسة مرة ثانية[2].

ثم إن الشيخ عبد الله علم بما آلت إليه الحالة في جنوب

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ولد في مدينة عنيزة عام ١٣١٥ هـ قرأ القرآن في بلده ثم رحل في طلب العلم إلى بريدة والمجمعة والرياض والاحساء وقطر والهند، توفي بالرياض، عام ١٣٨٩ هـ رحمه الله.

انظر البسام/ علماء نجد ج ٢ ص ٦٣٠ والعمر/ بحث ماجيستير بعنوان الشيخ عبد الله القرعاوي/ جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام عام ١٤٠٨ هـ والفيفي/ السمط الحاوي، والزركلي/ الإعلام ج ٤ ص ١٣٥ والقاضي/ روضة الناظرين/ ج ٢ ص ٤١، والعمري/ علماء آل سليم/ ج ٢ ص ٣٧٠ وآل الشيخ/ مشاهير علماء نجد/ ص ٤٢٠.

(٢) انظر البسام/ ج ٢ ص ٦٣١ والقاضي ج ٢ ص ٤٢ والعمر ص ٥٦.

المملكة، من انتشار الجهل، والبدع، والخرافات، وقلة الدعاة، والتساهل بأمر الدين، فاستشار شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في التوجه إلى الجنوب للدعوة إلى الله سبحانه، فاستحسنه، وأوصاه بتقوى الله، ودعا له، وكان ذلك في مكة المكرمة في حج عام ١٣٥٧ هـ، ثم إن الشيخ محمداً أخبر الملك عبد العزيز بذلك، فشجعهم، وكان سنداً لهم مادياً، ومعنوياً[١].

ثم توجه الشيخ إلى جازان، ثم إلى سامطة، وفتح بها مدرسة بتاريخ ٢١/ ربيع أول/ ١٣٥٨ هـ، ثم مدرسة في فرسان، وأخرى في بلدة مزهرة[٢]، وفي عام ١٣٦٦ هـ صدرت الموافقة على فتح ستين مدرسة، وبلغت مدارسه في عام ١٣٧٦ هـ ١٢٠٠ مدرسة[٣].

واستمرت في الزيادة حتى بلغت ٢٢٠٠ مدرسة للبنين، والبنات، وعدد الطلاب نحو خمسة وسبعين ألفاً، منهم خمس عشرة ألف تلميذة، ومنهم ١٥٠٠ طالب من اليمنيين المجاورين للحدود السعودية، لما سمعوا بهذه النهضة التعليمية، وعدد المدرسين والمدرسات نحو ثلاثة آلاف مدرس[٤].

ثم بلغ عدد المدارس في آخر عام ١٣٧٦ هـ ألفين وثماني مائة مدرسة[٥].

---

(١) العمر ص ٦٣.
(٢) العمر ص ٨٦.
(٣) العمر ص ٩٣/ ٩٤.
(٤) العمر ص ٩٥.
(٥) الفيفي/ السمط الحاوي ص ٧٩.

ثم لما انتشرت المدارس بهذا الكم الهائل، احتاجت إلى ميزانية ضخمة، وجهاز إداري متكامل، مما لا يستطيع أن يقوم به الأفراد فرأى الشيخ القرعاوي، وولاة الأمر وفقهم الله ضمها إلى وزارة المعارف، لكي تستمر هذه المدارس في القيام بمهمتها العلمية المهمة جداً، وكان ذلك عام ١٣٧٩ هـ[١].

وكان للشيخ أسلوب مثالي في التعليم، وذلك أنه يركز على تعليم طلابه التطبيق العملي للعلم الذي يتعلمونه، فمثلاً كان يجمع صغار الطلبة في المسجد، ويصفهم خلف إمام منهم، فيصلون، وهو يدور حولهم يلاحظ كيفية أدائهم للصلاة، ويصحح خطأ كل واحد منهم على مرأى ومسمع من الحاضرين، فيكون ذلك تعليماً تطبيقياً لهم، وللحاضرين، وكذلك يعلمهم كيفية الوضوء، والتيمم، والمسح على الخفين، ونحو ذلك، وكذلك يلقنهم الأدعية المأثورة، وهذا الأسلوب الحكيم موافق لهدي النبي ﷺ في تعليم أصحابه[٢].

وكان الشيخ يعاني من مشكلة قلة المعلمين، ولكنه استطاع أن يتغلب عليها، حيث جعل من كبار الطلبة معلمين لصغارهم، والمتفوق في التوحيد، أو الفقه، أو النحو، أو الفرائض، أو أي فن آخر يجعله معلماً لفنه، والذي يفهم الدرس سريعاً يعيده على زملائه، فيصبح طالباً، ومعلماً في آن واحد، وهي طريقة ممتازة تجعل الطالب ينتبه للدرس لكي يفهمه فهماً جيداً، ليحسن إعادته على الطلاب الآخرين، وكذلك يجعل من كبار الطلبة الذين لازموه فترة طويلة

---

(١) الفيفي/ السمط الحاوي ص ٨٣.

(٢) الفيفي/ السمط الحاوي ص ٢٤.

معلمين في المدارس التي يفتحها في القرى، ويوجه لكل بلد معلماً على مستوى يتفق وأهميتها، وكل واحد من طلابه يرى التعليم واجباً عليه، ويرى أن عدم قيامه بهذا الواجب يعد من باب كتم العلم، ولا يتطلعون إلى مقابل أو مكافأة، وبهذه الطريقة حصل على المعلمين في مدارسه، وجعل الله في أسلوبه هذا بركة[1].

ولما كثرت المدارس، جعل على كل مدارس منطقة مديراً من خيار تلاميذه، والشيخ القرعاوي يقوم بجولات عليهم للإشراف على سير العمل، وللتوجيه إلى الأفضل[2].

وأما المقررات فيدرس الطلاب المنتظمون مبادىء القراءة، والكتابة، ويتدرجون من قراءة القرآن قراءة مجودة، إلى حفظ المتون المختصرة؛ في الفقه، والتوحيد، والتجويد، والفرائض، والحديث، والسيرة، ثم ينتقلون إلى حفظ بعض المتون في النحو، والصرف، ومصطلح الحديث، وأصول الفقه، ثم ينتقلون إلى قراءة المطولات في الحديث، والتفسير، والفقه، وقواعد اللغة بحسب استعدادات الطلبة ورغباتهم، وكل طبقة لهم كتب تتلاءم مع مستواهم، على غرار دراسة الحلقات في الحرمين الشريفين، والأزهر قبل التعليم النظامي السائد اليوم، وقد يحضر الدرس عدد كبير من عامة الناس، ومن الطلاب غير المنتظمين للاستماع، وفيهم من يلازم الدراسة، وفيهم من يحضر تارة، ويغيب تارة أخرى، ومن محاسن نظام الحلقات، أنه يتيح الفرصة للطلاب غير المنتظمين حضورها، والإفادة مما يدرس

---

(١) الفيفي/ السمط الحاوي/ ص ٣٤.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٣.

فيها، من علوم نافعة، وهذا لا يخفي مردوده عليهم[1].

٢ ــ بناء المساجد:

كان الشيخ أثناء تجوله في بلدان جنوب المملكة للدعوة، إذا دخل بلداً فإن أهم الأعمال التي يبدأ بها بناء المسجد، فيحث على بنائه، أو إصلاحه، ويقوم رحمه الله بدوره متحملاً أحياناً النفقة كلها، أو القسط الأكبر منها، ويكون بناء المسجد من الخامات المتوافرة في البلد.

ويجعل في المسجد إماماً، ومؤذناً، ومعلماً، ويرتب فيه حلقات تدريس القرآن، والحديث، والعقيدة، والفقه للكبار، والصغار، فيكون المسجد ملتقى للجميع، ومنطلقاً للدعوة، وقد تجاوزت المساجد التي بناها، أو أصلحها على خمس وعشرين مسجداً رحمه الله[2].

٣ ــ الوعظ:

كان الشيخ يقوم بعد الصلاة بإلقاء موعظة في بعض المساجد، وغالباً ما يكون ذلك بعد المغرب، أو العشاء، وكان يحرص على اجتماع أهل القرية للموعظة، فيرسل إلى شيخ القرية، ويفيده بأنه سوف يصلي معهم في وقت كذا، ويلقى موعظة طالباً منه أن يخبر أهل القرية لكي يسمعوا الموعظة.

وكذلك كان يخرج بنفسه، وبعض تلاميذه في يوم الخميس إلى

---

(١) الفيفي/ السمط الحاوي ص ٣٢.

(٢) انظر الفيفي/ السمط الحاوي ص ٣٠ والعمر ص ٩٨.

البلدان المجاورة، ويرجعون صباح السبت، واعظاً، ومدرباً لهم على الموعظة الحسنة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[1].

يقول الشيخ القرعاوي في مقابلة[2] أجريت معه «وطلب منا أهل كل مخلاف من القبائل أن نتجول في جهاتهم فكنا نشتغل بالدروس حتى إذا كان آخر يوم الخميس خرجنا وكبار الطلبة إلى جهة من الجهات نعظ ونرشد ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، والطلبة يقومون بذلك، وأنا معهم أبين لهم الطريقة في التيسير والتبشير والرفق واللين. . .» فالداعي يقدم للمدعوين توجيهات بقصد نصحهم معتمداً على إيقاظ شعورهم، لتذكيرهم بالخير، وتخويفهم من العقاب.

وكان رحمه الله يختار الوقت المناسب لوعظه، شاهد ذلك أنه حينما يخرج إلى بعض الجهات يوم الخميس، والجمعة هو، وكبار الطلبة فإنه يلقي هو في الليل درساً في التوحيد، والتفسير، والحديث معللاً ـ رحمه الله ـ ذلك بأن أكثر اجتماع الناس يكون في الليل، فيغتنم هذا الوقت[3].

٤ ـ تأسيس المكتبة:

لقد اهتم الشيخ بجلب الكتب إلى مكان دعوته، وجعل مكتبة في أول مدرسة افتتحها من كتب احضرها معه حين قدم إلى جيزان وفي عام ١٣٥٩ هـ توجه إلى مكة، وأخذ منها كتباً كثيرة في التوحيد،

---

(١) العمر/ ص ١٢١.

(٢) المقابلة أجريت معه في مجلة المنهل مجلد ٨ عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ ص ١٩٠.

(٣) المرجع السابق ص ١٩٠ والعمر ص ١٢٢.

والحديث، والتفسير، والفقه، وذلك من أجل أن يؤسس مكتبة للدعوة إلى الله في مدينة سامطة، وقد حرص على كتب العقيدة، وكتب التحذير من البدع، والخرافات[1].

٥ ـ طبع الكتب:

وكذلك اهتم بطباعة الكتب، ومن ذلك كتاب (نصيحة المسلمين عن بدع المبتدعين، وعوائد الضالين) للشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد، حيث طبع للمرة السابعة عام ١٣٧٦ هـ على نفقة القرعاوي.

وكذلك اهتم بطبع كتب تلميذه الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، حيث كتب إلى ولي العهد[2] عام ١٣٦٨ هـ يستأذنه في إرسال الشيخ حافظ، ومعه مؤلفاته، أو إرسال مؤلفاته فقط لتطبع خارج المملكة، وكان الشيخ القرعاوي حينما رأى في تلميذه حافظ القدرة على التأليف، حثه على أن يؤلف في الفقه، والآداب، والفرائض، ومصطلح الحديث[3]، وما زالت كتب الشيخ حافظ يستفيد منها الكثير من طلبة العلم في هذه البلاد وغيرها[4].

٦ ـ القدوة الحسنة:

ولقد كان الشيخ قدوة حسنة في الدعوة، حيث كان يستقبل

---

(١) العمر/ ١٠١.

(٢) ولي العهد في ذلك الوقت الملك سعود بن عبد العزيز.

(٣) العمر/ ص ١٠٣.

(٤) انظر ترجمة الشيخ حافظ الحكمي في الفصل القادم.

الناس بالبشاشة، وحسن الخلق مما يكون سبباً في تقبلهم لنصحه، وكان سمحاً في معاملاته، وبيعه، وشرائه، ويبذل ماله في سبيل الدعوة، وكان يقابل الإساءة بالإحسان، وكان رحمه الله متواضعاً خاصة مع طلابه، حيث يحرص على خدمتهم، وتقديم الطعام، والماء لهم.

وكان يكثر من قراءة القرآن، فتدمع عيناه، ويكثر من التهجد، ويحث طلابه عليه، ويقول ما هناك لذة أفضل من صلاة الليل، والتلذذ بتلاوة القرآن[1].

□□□

(١) العمر/١٢٨/١٢٩.

المبحث السابع

الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة[1]

لقد كان الشيخ ممن عمل في الدعوة في الديار السعودية مدة تزيد على ٤٧ سنة، وذلك من خلال المجالات الآتية:

١ ـ التعليم:

في عام ١٣٤٦ هـ عين مدرساً في الحرم المكي، فكان يعقد حلقة درسه بعد العصر أمام المنبر، وكان يدرس يوماً في صحيح البخاري، ويوماً في التفسير، وطريقته في التفسير؛ أنه كان يمسك المصحف الشريف بيده، ويقرأ فيه نظراً، ثم يفسر كل آية قرأها.

وكان إلى جانب ذلك يقوم بتدريس التفسير، والحديث، ومصطلحه في المعهد العلمي الإسلامي الذي افتتحه الملك عبد العزيز بمكة عام ١٣٤٦ هـ وظل المترجم له يدرس فيه سنتين، ثم انقطع

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة نزيل مكة المكرمة ولد في القليوبية بمصر عام ١٣١١ هـ وكان كثير المطالعة، ودخل الأزهر والتحق بمدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا ثم انتقل إلى الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ واستقر في مكة المكرمة إلى أن توفي بها عام ١٣٩٢ هـ رحمه الله.

انظر آل الشيخ/ مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥١٤، والزركلي/ الأعلام ج ٦ ص ٢٠٣.

ولازم التدريس في الحرم المكي، وفي سنة ١٣٥٥ هـ اشترك مع الشيخ أبي السمح، وجماعة من أهل الحديث في تأسيس دار الحديث بإذن من الملك عبد العزيز رحمه الله، وصار يدرس فيها، وبعد وفاة الشيخ أبي السمح عام ١٣٧٠ هـ تولى المترجم له إدارة دار الحديث المذكورة، إلى جانب دروسه التي يلقيها بالحرم الشريف، وفي عام ١٣٧٣ هـ عينه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مدرساً في المعهد العلمي الذي افتتح في مدينة الرياض عام ١٣٧٢ هـ ويدرس فيه مادة الحديث، وأصوله واستمر مدرساً فيه سنة دراسية كاملة، ثم عاد إلى مكة المكرمة، وبقي فيها على حالته الأولى في التدريس حتى أواخر عام ١٣٨٨ هـ، حيث علقت به عدة أمراض أقعدته في داره[1].

٢ ــ إمامة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف:

في عام ١٣٤٤ هـ قدم مكة المكرمة في صحبة الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الظاهر أبي السمح، فرشحهما السيد رشيد رضا لدى الملك عبد العزيز للإمامة، والخطابة في الحرمين الشريفين فاختار الملك عبد العزيز ــ يرحمه الله ــ الشيخ عبد الظاهر أبا السمح لإمامة الحرم المكي، وخطابته، واختار الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة لخطابة الحرم النبوي، وإمامته، ومراقبة الدروس بالمسجد النبوي، بالاضافة إلى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف بالمدينة المنورة، وبعد ذلك بسنتين انتقل إلى مكة المكرمة.

كما عين عام ١٣٧٠ هـ بعد وفاة أبي السمح إماماً للحرم

(١) ال الشيخ/ ٥١٥.

الشـريـف، وبقـي إمـامـاً لمـدة عـام، حيـث أحيـل إلـى التقـاعـد عـام ١٣٧١ هـ[١].

٣ ـ التأليف:

لقد خلف رحمه الله مؤلفات نافعة عرف منها ما يلي:

١ ـ ظلمات أبي رية، امام السنة المحمدية[٢].

٢ ـ الإمام الباقلاني وكتاب التمهيد[٣].

٣ ـ رسالة الصلاة: أوقاتها، كيفيتها، أنواعها[٤].

٤ ـ الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلال[٥].

٥ ـ المقـابلـة بيـن الهـدى والضـلال (حـول تـرحيـب الكـوثـري بنقـد تأنيبه)[٦][٧].

□□□

---

(١) ال الشيخ/ ٥١٤ ـ ٥١٥.

(٢) طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٧٨ هـ ويقع في ٣٣٣ صفحة.

(٣) طبع في ١٨ صفحة من القطع الصغير.

(٤) طبع في مطبعة الإمام في القاهرة يقع في ٢٧٢ صفحة.

(٥) طبع في مطبعة الإمام في مصر ويقع في ١٨٤ صفحة وهو رد على الضال عبد الله بن علي القصيمي.

(٦) الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣ هـ بتحقيق عبد الله بن صالح المدين الفقيه، مكتبة العلوم في المدينة المنورة في ١٧٢ صفحة.

(٧) آل الشيخ/ مشاهير علماء نجد/ ص ٥١٦.

الفصل الرابع

العلماء الدعاة الذين اشتهروا بالتأليف

ويحتوي على تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد

المبحث الأول: الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى.

المبحث الثاني: الشيخ سلمان بن سمحان.

المبحث الثالث: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

المبحث الرابع: الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

تمهيـــد

الكتابة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وهي من أبلغ الوسائل، وأكبرها تأثيراً، إذ هي تتميز بإمكان بقائها طويلاً، وانتشارها على مجال أوسع من غيرها من الوسائل الدعوية.

ولقد أخذ الدعاة في عهد الملك عبد العزيز بهذا الأسلوب المتميز، فتوجه طائفة منهم للتأليف خدمة للدعوة: تارة ببيان دين الله تعالى للناس، وتارة برد الشبه التي يروجها أهل الضلال طعناً في المعتقد الحق.

ولقد امتازت مؤلفات هؤلاء العلماء بأسلوبها الرفيع، وأدلتها الواضحة، ومقاصدها النبيلة، فهي في جملتها تعالج الموضوع الأكبر في الشرع: موضوع التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، فقيمة تلك المؤلفات مستمدة من قدر هذا الموضوع بين مواضيع الشرع، وقد علم أن من أشرف العلوم علم التوحيد، فالكتب المصنفة فيه من أشرف الكتب، ومن هنا جاءت أهمية هذه الكتب، ومكانتها الرفيعة، ومعالجتها للمواضيع المهمة في حياة الأمة.

فكم انتفع بها الدعاة إلى التوحيد في بقاع متفرقة، وأوسط مليئة بالخرافة والشرك، في رد شبه الضالين، وتأويل المنحرفين، وكم أنارت مؤلفاتهم بصائر فئات من الناس، فأخرجهم الله بها من ضلال

الشرك، إلى نور التوحيد، ومن سيىء البدع، إلى اتباع هذا الشرع الكريم.

ولقد استفاد المؤلفون بعدهم من هذه المؤلفات في أفكارها، وأدلتها، وأساليبها.

ومع اهتمام مؤلفاتهم بموضوع التوحيد، فإنها قد تناولت أيضاً علوماً أخرى، تدعو الحاجة إلى معرفتها ودراستها، فألفوا في تفسير كتاب الله جل وعلا، وحديث رسوله ﷺ، والفقه، وأصوله، والفرائض، والسيرة النبوية، واللغة العربية.

كما اعتنوا بكتابة النصائح والتوجيهات الشاملة، المختصرة، التي تقرأ على عامة الناس في المساجد، والمجامع، فلم يتركوا باباً من أبواب التأليف يحتاجه الناس إلا كتبوا فيه، وشرحوه بما يقتضي حاجة طلبة العلم، ونحوهم منه.

وقد تقدم ذكر بعض هذه المؤلفات في الفصول الثلاثة السابقة، وفي هذا الفصل سأتناول ــ إن شاء الله ــ أربعة من أشهر رجال التأليف في عهد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ كل واحد منهم قد تميز بطريقة من طرق التأليف، وبرع فيها.

فأول هؤلاء الأربعة الشيخ أحمد بن عيسى (١٢٥٣ هـ ــ ١٣٢٩ هـ). وقد تميزت كتاباته بشرح المتون.

والثاني: الشيخ سليمان بن سحمان (١٢٦٦ هـ ــ ١٣٤٩ هـ). وقد تميزت كتاباته بالردود على مناوىء الدعوة السلفية.

والثالث: الشيخ حافظ الحكمي (١٣٤٢ هـ ــ ١٣٧٧ هـ). فقد كتب كثيراً من المتون نثراً ونظماً.

والرابع: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (١٣١٢ هـ ــ ١٣٩٢ هـ). وقد تميزت كتاباته بالتحشية على المتون، كما أن له جهوداً في جمع فتاوي كبار العلماء.

وسأقوم ــ إن شاء الله ــ بدراسة كل واحد من هؤلاء على حدة والله الموفق.

□□□

المبحث الأول

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى[1]

من علماء الدعوة في عهد الملك عبد العزيز الذين اشتهروا بالتأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسب الآتي:

١ ــ التأليف:

فقد اهتم بهذا الجانب وصنف مصنفات عديدة في علم العقيدة، والفقه ومؤلفاته التي وصلنا خبر عنها هي ما يأتي:

(أ) شرح نونية ابن القيم[2] وقد سماه المؤلف: توضيح

---

(١) ولد سنة ١٢٥٣ هـ بشقراء طلب العلم على والده قاضي الوشم وعلى علماء بلده ثم انتقل إلى الرياض فطلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف وأدرك من العلم جانباً ثم سافر إلى مكة فأقام فيها توفي في المجمعة سنة ١٣٢٩ هـ.

انظر البسام: علماء نجد ١/ ١٥٥ ــ ١٦٢، القاضي: روضة الناظرين ١/ ٦٩ ــ ٧٢، آل الشيخ: علماء نجد ص ٢٦٠ ــ ٢٦٤، ابن عيسى: عقد الدرر ١/ ٩٥، كتاب الدرر النفيسة عن العلماء والفقهاء والقضاة من أسرة آل عيسى ص ٤٩ ــ ٥٦، ابن خميس: تاريخ مجلة اليمامة ٥/ ٢٤ و٢٥، مقدمة الشيخ ابن مانع لشرح نونية بن القيم، مقدمة عبد السلام آل عبد الكريم لكتاب الرد على شبهات المستعينين بغير الله ص ١١ ــ ١٥.

(٢) البسام ١/ ١٦٠، القاضي ١/ ٧١، آل الشيخ ٢٦٣، الدرر النفيسة ص ٥١، =

المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم وذلك أن نونية ابن القيم نظم من أوسع المؤلفات في بيان العقائد، والمذاهب، ومن أجمع الكتب في تأييد مذهب السلف الصالح، والرد على المذاهب الباطلة، فقام الشيخ ابن عيسى بشرح هذا النظم، وذلك بتحليل ألفاظه، وبيان معانيها، وتوضيح المذاهب التي ذكرها الناظم، والاستدلال بالآيات، والأحاديث التي أشار ابن القيم إلى بعضها، حيث إن النظم لا يستطيع استيعاب الأدلة الشرعية لأنه محكوم بوزن شعري معين، وقد توسع الشارح في ذكر هذه الأدلة[1].

(ب) تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والحلبي[2]، ألفه رداً على المدراسي، الذي ألف كتاباً في الرد على شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الحموية، والذهبي في كتابه العلو، ويقع الكتاب في مجلد نحو ستة عشر كراساً رداً وافياً[3]

= ابن خميس ٥/ ٢٤، مقدمة آل عبد الكريم ص ١٣.

(١) طبع الكتاب الطبعة الأولى في جزءين سنة ١٣٨٢ هـ بالمكتب الإسلامي بدمشق على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني.

(٢) البسام ١/ ١٦١، القاضي ١/ ٧١، الدرر النفيسة ص ٥١، ابن خميس ٥/ ٢٤، مقدمة آل عبد الكريم ص ١٣.

(٣) البسام ١/ ١٦١، وقد طبع الكتاب ضمن (مجموعة الرد الوافر) طبعة الكردي عام ١٣٢٩ هـ ثم طبع مفرداً في مصر.

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب عام ١٣٢٠ هـ[١].

(ج) الرد على شبهات المستعينين بغير الله[٢]، وهو رد على داود بن سليمان بن جرجيس في كتاب سماه أنموذج الحقائق، أجاز فيه دعوة الأموات والغائبين من دون الله تعالى، وقد جعل الشيخ ابن عيسى مقدمة لكتابه عن وجوب تحكيم الكتاب، والسنة، والإجماع، ثم ذكر أقسام التوحيد، ثم ذكر مبدأ العقائد الفاسدة، ثم تناول ألفاظ كتاب ابن جرجيس جملة جملة، ويرد عليها، وقد أكثر من إيراد النصوص الشرعية، ومن كلام العلماء[٣].

(د) الرد على دحلان في كتابه خلاصة الكلام[٤]، رد فيه على ما جاء في خلاصة الكلام من الطعن على الوهابية والافتراء، والكتاب مخطوط[٥].

---

(١) المدراسي نسبة لمدراس بلد بالهند توفي سنة ١٣١٢ هـ البسام ١/ ١٦١.

(٢) البسام ١/ ١٦١، آل الشيخ ص ٢٦٣، الدرر النفيسة ص ٥١، ابن خميس ٥/ ٢٤.

(٣) طبع الكتاب لأول مرة في مصر على نفقة الشيخ محمد نصيف وتحت إشرافه، ثم طبع ضمن مجموعة كتب على نفقة محمد الجميح، ثم طبع بتحقيق عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم عام ١٤٠٩ هـ بدار طيبة بالرياض.

(٤) البسام ١/ ١٦١، القاضي ١/ ٧١، آل الشيخ ص ٢٦٣، الدرر النفيسة ص ٥١، ابن خميس ٥/ ٢٤، مقدمة عبد السلام آل عبد الكريم ص ١٤.

(٥) آل الشيخ ٢٦٣.

(هـ) تهديم المباني في الرد على النبهاني[1].

(و) حكم قصر الصلاة في السفر، سبب تأليفها أن بعض الناس افتى الحجاج الذين يعزمون الإقامة في مكة مدة تسعة عشر يوماً بالقصر في هذه المدة فألف الرسالة رداً عليهم[2].

٢ ــ الافتاء:

كان الشيخ ابن عيسى مفتي الحنابلة في مكة، وله فتاوى لو جمعت لجاءت أسفاراً ضخمة[3].

٣ ــ المناظرات العلمية:

نظراً لكون الشيخ أحمد بن عيسى قد عاش في مكة المكرمة، فقد قابل كثيراً من المخالفين للدعوة السلفية في مسائل توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد بذل الشيخ جهوداً كبيرة في دعوتهم إلى الحق في هذه المسائل، وناظر علماءهم. ومن هؤلاء الشيخ عبد القادر التلمساني، الذين كان يتعامل الشيخ ابن عيسى معه في التجارة، فوجد منه الصدق، والوفاء، والالتزام بالمواعيد، فقال الشيخ عبد القادر له: عاملت الناس أكثر من أربعين عاماً، فما وجدت أحسن من التعامل معك يا وهابي، فيظهر أن ما يشاع عنكم مبالغ فيه من خصومكم السياسيين، فسأله الشيخ أحمد عن هذه الشائعات

---

(١) البسام ١/ ١٦١، القاضي ١/ ٧١، ابن خميس ٥/ ١٤، مقدمة عبد السلام آل عبد الكريم ص ١٤.

(٢) البسام ١/ ١٦٢.

(٣) القاضي ١/ ٧١، وانظر/ ابن خميس ٥/ ٢٤.

فقال: إنهم يقولون إنكم لا تصلون على النبي ﷺ، لا تحبونه، فأجابه الشيخ بأن عقيدتنا، ومذهبنا أن من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد الأخير، فصلاته باطلة، ومن لا يحبه، فهو كافر، وإنما ننكر الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ، فاستمر النقاش بينهما في توحيد العبادة ثلاثة أيام، حتى شرح الله صدر الشيخ عبد القادر للعقيدة السلفية، ثم ناظره في توحيد الأسماء والصفات خمسة وعشرين يوماً، بعدها اتبع الشيخ عبد القادر مذهب السلف، وأصبح يأخذ العقائد من الكتاب والسنة، ثم أصبح بعد ذلك يطبع كتب السلف، ومنها الصارم المنكى لابن عبد الهادي، والاستعاذة من الشيطان الرجيم لابن مفلح، وبعض كتب الشيخ ابن عيسى(١).

ولم يقتصر نشاطه على الأفراد، بل اتصل بأمير مكة الشريف عون الرفيق، ونصحه من أجل هدم القباب، والمباني التي على القبور، وشرح له أن هذا مخالف للإسلام، وأنه غلو، وتعظيم للأموات، مما هو مخالف لهدي شرعنا، فهدى الله الشريف، فأمر بهدم القباب التي على القبور(٢)، عدا قبة خديجة رضي الله عنها، والقبر المنسوب إلى حواء في جدة، وقبر ابن عباس في الطائف، فأبقاهما خوفاً من تشويش العامة، والسلطان عبد الحميد العثماني(٣).

---

(١) البسام ١/١٥٧، القاضي ١/٧٠، آل الشيخ ص ٢٦١، مقدمة الرد على شبهات المستعينين بغير الله ص ١٢.

(٢) البسام ١/١٥٨، القاضي ١/٧٠، آل الشيخ ٢٦٤، الدرر النفيسة ص ٥١، مقدمة ابن مانع.

(٣) القاضي ١/٧٠، آل الشيخ ص ٢٦٤، الدرر النفيسة ص ٥١ مقدمة الرد =

ثم صار الشيخ ابن عيسى مقرباً من الشريف عون بسبب علمه، وعقله، ونصحه.

٤ ـ تولي القضاء:

فقد تولى قضاء المجمعة، وسائر بلدان سدير عام ١٣١٧ هـ واستمر فيه إلى عام ١٣٢٤ هـ لعبد العزيز بن رشيد، وقد استغل اشتغاله بالقضاء في الدعوة إلى الله[1]، وكان الشيخ موفقاً في القضاء مشكور السيرة[2].

٥ ـ الإمامة والخطابة:

لما كان قاضياً في المجمعة كان يتولى إمامة الجامع والخطابة فيه[3].

٦ ـ التعليم:

قام الشيخ ابن عيسى بالتدريس في الأماكن التي أقام فيها، فقد درس في مكة المكرمة خلال وجوده هناك، كما تولى التدريس في كل من المجمعة، وشقراء، وقد تتلمذ عليه كثير من طلاب العلم في تلك البلاد، وقد تخرج على يديه علماء أجلاء عدة[4].

= على شبهات المستعينين بغير الله ص ١٣.

(١) البسام ١/ ١٥٩، القاضي ١/ ٧١، الدرر النفيسة ص ٥٢، ابن خميس ٥/ ٢٤، مقدمة الرد على شبهات المستعينين بغير الله.

(٢) آل الشيخ ص ٢٦٤.

(٣) القاضي ١/ ٧١، ابن خميس ٥/ ٢٤.

(٤) البسام ١/ ١٥٩، القاضي ١/ ٧٠، آل الشيخ ٢٦٣، ابن خميس ٥/ ٢٤.

٧ ــ نظم القصائد:

فقد استغل الجانب الشعري في الدعوة إلى الله، وكانت قصائده متعلقة بالمناسبات، وهي غالباً ما تكون طويلة جيدة[١].

ومن قصائده قصيدة يستحث بها آل سعود على القيام بالدعوة إلى الله، اقتداء بأسلافهم، ويحثهم على الاجتماع، واستعادة دولتهم، وذلك قبل قيام الملك عبد العزيز بهذا الأمر، ومن هذه القصيدة قوله:

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر ... ومتى ينتهض للحق منكم عساكر
فحتى متى هذا التواني عن العلا ... كأنكم ممن حوته المقابر
ألم يك للأسلاف منكم مناقب ... ألم يك للأخلاف منكم مفاخر
أيا مفخر العوجاء ذي البأس والندى ... أجيبوا جميعاً مسرعين وبادروا
وأجدادكم أهل النباهة والعلا ... ألا فاقتفوا تلك الجدود الغوابر

وهي قصيدة طويلة[٢].

ومما ساعد على أعماله الدعوية، ما يتمتع به من خلق حسن، فقد كان متواضعاً، مرحاً للجليس، محباً للبحث والنقاش. وكان يتمتع بأخلاق عالية، وصفات حميدة، وكان مثالاً في العلم، والعمل، والزهد، والورع، وعزة النفس مع قلة ذات يده[٣].

□□□

---

(١) البسام ١/ ١٦١، مقدمة عبد السلام آل عبد الكريم ص ١٤.
(٢) ابن عيسى عقد الدرر ١/ ٩٥، البسام ١/ ١٥٩.
(٣) القاضي ١/ ٧١، ٧٢.

المبحث الثاني
الشيخ سليمان بن سحمان[1]

من علماء الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، الذين ركزوا على جانب التأليف، واهتموا به، الشيخ سليمان بن سحمان، وإن كان قد استخدم عدة أساليب أخرى في الدعوة، وأهمها ما يأتي:

١ ـ التأليف:

الشيخ سليمان له اليد الطولى، والقدح المعلى في التأليف، والرد والرسائل دفاعاً عن الشريعة الإسلامية، والعقيدة السلفية، حتى كان من أكبر المجاهدين بأقلامهم في ذلك العصر[2].

---

(١) الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان ولد سنة ١٢٦٦ هـ وقيل سنة ١٢٦٨ هـ بالسقا قرب أبها حفظ القرآن على يد والده وطلب العلم على علماء عسير والرياض والأفلاج: كف بصره عام ١٣٣١ هـ توفي سنة ١٣٤٩ هـ بالرياض.

انظر: البسام ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨١، القاضي ١/ ١٢٦ ـ ١٣٠، ابن قاسم: الدرر السنية قسم التراجم ص ٨٧ ـ ٩٣، آل الشيخ ٢٩٠ ـ ٣٢٢، ابن خميس ٥/ ٨٩، العمروي: قلائد الجمان ١٦ ـ ٣٣، ابن عبيد ٣/ ٢٤٧، الزركلي: الأعلام ٣/ ١٢٦، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٤/ ٢٦٤، جريدة أم القرى يوم الجمعة ٢٩ صفر سنة ١٣٤٩ هـ، محمد الفوزان: الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة، رسالة ماجستير.

(٢) البسام ١/ ٢٨١، ابن قاسم ص ٨٧، الفوزان ١٥٩.

ومن الملاحظ أن أغلب المؤلفات التي كتبها الشيخ سليمان، هي في الرد على خصوم الدعوة السلفية، ولعل السبب في ذلك، أن الشيخ سليمان عاش في وقت ضعف الدولة السعودية الثانية، وعاصر وقت زوالها، فلما أحس أعداء الدعوة السلفية بضعفها وضعف أنصارها آل سعود، صاروا يوجهون إليها سهام نقدهم، وسموم حقدهم، فكثرت المؤلفات التي يحاول أصحابها تشويه سمعة هذه الدعوة بالباطل، فتصدى لهم الشيخ سليمان، فجرد قلمه للرد على هؤلاء المغرضين، بأسلوب حواري رصين، متحل بقوة الكلام، وسطوع الحجة، وصحة البرهان، يدحض أقوالهم، ويرد شبههم، ويكشف الحق لكل ذي بصيرة، فصار لسان هذه الدعوة، ومحامي الملة الإسلامية[(١)].

ومن مؤلفاته:

١ ــ الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد[(٢)]. رد به المؤلف على كتاب علوي الحداد، المسمى مصباح الأنام، وجلاء الظلام[(٣)]، وقد قام الملك عبد العزيز بطباعة رد الشيخ سليمان في بومباي الهند[(٤)].

---

(١) البسام ١/ ٢٨٠، ابن خميس ٥/ ٨٩.

(٢) البسام ١/ ٢٨٠، القاضي ١/ ١٢٨، ابن قاسم ص ٨٩، ابن خميس ٥/ ٨٩، الفوزان ١٦١.

(٣) آل الشيخ ٢٩٢، الفوزان ١٦١.

(٤) طبع الكتاب في بومباي سنة ١٣٣٢ هـ ثم طبع في مطابع الرياض عام ١٣٧٦ هـ.

٢ ـ الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية[١]. رد بهذا الكتاب على رسالة الأقوال المرضية في الرد على الوهابية لمؤلفه محمد عطاء الكسم[٢].

٣ ـ كيف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام. طبع مرتين[٣] رد به على كتاب (جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام) لمؤلفه مختار بن أحمد المؤيد العظم، المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ[٤].

٤ ـ الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق[٥]، رد على جميل صدقي الزهاوي في كتابه الفجر الصادق في الرد على منكر التوسل والكرامات والخوارق[٦].

---

(١) البسام ١/ ٢٨٠، القاضي ١/ ١٢٨، ابن قاسم ص ٨٩، ابن خميس ٥/ ٨٩، الفوزان ١٩٩، آل الشيخ ١٩٢.

(٢) طبع في المطبعة المصطفوية بالهند عام ١٣٣٥ هـ مع مجموعة كتب، وطبع عام ١٣٧٦ هـ مع غيره بالرياض بأمر الملك سعود وطبع عام ١٤٠٩ هـ بدار العاصمة بالرياض بتحقيق الشيخ عبد السلام آل عبد الكريم.

(٣) طبع الكتاب في الهند بالمطبعة المصطفوية عام ١٣٤٠ هـ وطبع في الرياض عام ١٣٧٦ هـ مع كتب أخرى.

(٤) آل الشيخ ص ٢٩٢، البسام ١/ ٢٨٠، القاضي ١/ ١٢٨، ابن قاسم ٨٩، ابن خميس ٥/ ٨٩، الفوزان ٢٠٨.

(٥) البسام ١/ ٢٨٠، القاضي ١/ ١٢٨، ابن قاسم ص ٨٩، ابن خميس ٥/ ٨٩، آل الشيخ ٢٩٣.

(٦) طبع في الهند عام ١٣٣٠ هـ بالمطبعة المصطفوية وطبع في المنار بمصر عام ١٣٤٤ هـ وفي الرياض عام ١٣٧٦ هـ بأمر الملك سعود.

٥ ـ إقامة الحجة والدليل[١] وإيضاح المحجة والسبيل على ما موّه به أهل الكذب والمين من زنادقة أهل البحرين: لما رحل ابن سحمان للعلاج في البحرين عرض عليه بعض الإخوان اعتراضاً على بعض مناسك الحج في صورة سؤال، فكتب جواباً وافياً بيّن فيه ضلالتهم، وأزال شبهتهم[٢].

٦ ـ تنبيه ذوي الألباب السليمة[٣] عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة وهي ملاحظات له على كتاب الكواكب الدرية شرح الدرة المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية، وكتاب القول السديد وكلاهما للشيخ محمد بن مانع[٤].

٧ ـ كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس[٥] ألف ابن شبيب الكويتي رسالة عنوانها نصيحة المؤمنين هاجم فيها طلبة العلم لإنكارهم على أهل البدع، ونصر قولة حسين بن حسن بن حسين فرد عليهم ابن سحمان في هذا الكتاب[٦].

٨ ـ تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين[٧]. يرد

---

(١) البسام ١/ ٢٨٠، ابن قاسم ص ٨٩، آل الشيخ ٢٩٣، الفوزان ١٦٢.

(٢) طبع الكتاب في الهند عام ١٣٣٢ هـ كما طبع عام ١٤٠٩ هـ بدار العاصمة بالرياض بتحقيق الشيخ عبد السلام آل عبد الكريم.

(٣) البسام ١/ ٢٨٠، القاضي ١/ ١٢٨، ابن قاسم ٨٩، الفوزان ١٦٨.

(٤) القاضي ١/ ١٢٩، آل الشيخ ٢٩٣، طبع الكتاب في المنار بمصر عام ١٣٤٣ هـ وطبع في الرياض عام ١٤١٠ هـ.

(٥) البسام ١/ ٢٨٠، ابن قاسم ٩٠، آل الشيخ ٢٩٤، الفوزان ٢٠٤.

(٦) طبع الكتاب في المطبعة المصطفوية بالهند عام ١٣٢٨ هـ.

(٧) البسام ١/ ٢٨٠، ابن قاسم ٨٩، آل الشيخ ٢٩٤، الفوزان ١٦٥.

بذلك على قصيدة منسوبة للصنعاني بيّن فيها عدم صحة نسبة القصيدة له. ورد على ما تحتوي من أفكار خاطئة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن الدعوة السلفية، وأغلب الكتاب منظوم، إذ يشتمل على ٣٨٢ بيتاً، ويقصد بالشيخين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني(١).

٩ ــ مجموعة ردود على ابن عمرو(٢) الذي هاجم الدعوة في كتابه القول المنيف فرد عليه الشيخ سليمان بعدة ردود منها: الجيوش الربانية في كشف الشبه العمروية ومنها: التبيان في القول المنيف(٣) ومنها: الجواب الفائض لأرباب القول الرائض(٤) وغيرها من الردود.

١٠ ــ الجواب المنكي في الرد على الكنكي(٥).

١١ ــ هداية الأنام وجلاء الأوهام عن معتقد الإمام وعلم الهداة

---

(١) طبع في المطبعة المصطفوية بالهند عام ١٣٣٥ هـ، وطبع في مطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٣ هـ، وطبع في الرياض عام ١٣٧٧ هـ مع مجموعة كتب له، كما طبع فيها عام ١٤١٠ هـ.

(٢) البسام ١/ ٢٨٠، القاضي ١/ ١٢٩، آل الشيخ ٢٩٤.

(٣) ابن قاسم ٨٩.

(٤) آل الشيخ ٢٩٥، الفوزان ١٧١، والجواب الفائض موجود في جامعة الملك سعود.

(٥) البسام ١/ ٢٨١، ابن قاسم ٨٩، آل الشيخ ٢٩٤ وذكر أنه مخطوط، الفوزان ١٧٨.

الأعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1].

١٢ ــ البيان المبدي لشفاعة القول المجدي[2]، وذلك أنه لما صدر كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية، رد عليه بعض العلماء، فألف محمد سعيد بابصيل كتاباً ينتصر لصاحب الدرر فألف ابن سحمان هذا الكتاب رداً عليه[3].

١٣ ــ كشف الشبهتين عن رسالة يوسف بن شبيب والقصيدتين[4]. ورسالة يوسف بن شبيب بعنوان نصيحة المسلمين، وفيها تهجم على طلبة العلم الذين أنكروا على أهل البدع، فرد عليه الشيخ سليمان بهذا الكتاب[5].

١٤ ــ الجواب المستطاب عما أورده الجاهل المرتاب المسمى بمبروك[6]، ويظهر أن هذا الشخص اعترض على بعض مناسك الحج، فرد عليه المؤلف بهذا الكتاب.

١٥ ــ الجواب الفارق بين العمامة، والعصائب[7] لما كتب عن

---

(١) ابن قاسم ٩٠، آل الشيخ ٢٩٤، الفوزان ١٦٩.

(٢) ابن قاسم ٨٩، آل الشيخ ٢٩٤، الفوزان ١٦٣.

(٣) طبع الكتاب في الهند بمطبعة القرآن والسنة مع كتاب التحفة العراقية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) ابن قاسم ٨٩، آل الشيخ ٢٩٣، الفوزان ٢٠٧.

(٥) طبع الكتاب عام ١٣٣٢ هـ على نفقة محمد بن عبد الله القصيبي، وطبع سنة ١٣٢٦ هـ في مطبعة كلزار حسنى في الهند وطبع عام ١٤٠٨ هـ بدار العاصمة بالرياض بتحقيق الشيخ عبد السلام آل عبد الكريم.

(٦) ابن قاسم ص ٨٩، آل الشيخ ٢٩٤ وذكر أنه مخطوط، الفوزان ١٧٧.

(٧) ابن قاسم ص ٩٠، آل الشيخ ٢٩٤، الفوزان ١٦٩.

العمائم، والعصائب في كتابه إرشاد الطالب أراد التوسع في هذا الموضوع، فألف هذا الكتاب[(١)].

١٦ ـ أشعة الأنوار فيما تضمنته لا إله إلا الله من الأسرار[(٢)]. وهذا الكتاب قصيدة تتضمن شروط لا إله إلا الله وأشار فيها إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، ونواقض الإسلام[(٣)].

١٧ ـ إرشاد الطالب إلى أهم المطالب[(٤)]، وهذا الكتاب ألفه ابن سحمان إجابة عن أسئلة وردت إليه حول الكفر المخرج من الملة، والبدع وأحكامها.

١٨ ـ منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع[(٥)]، والكتاب أجوبة عن بعض الأسئلة التي وردت للشيخ سليمان حول الغلو في مسألة التكفير، ومسائل أخرى من العقيدة[(٦)].

١٩ ـ نبذة في الزيارة[(٧)].

---

(١) الدرر السنية ص ٩٠، وذكر آل الشيخ أنه مطبوع ولم أره.

(٢) البسام ١/ ٢٨١، القاضي ١/ ١٢٩، آل الشيخ ٢٩٥، الفوزان ١٦٢.

(٣) طبعت ضمن المجموع المفيد من رسائل أهل التوحيد في المكتب الإسلامي ببيروت عام ١٣٨٥ هـ، ثم طبعها المكتب لوحدها بدون تاريخ.

(٤) البسام ١/ ٢٨١، القاضي ١/ ١٢٨، ابن قاسم ٩٠، الفوزان ١٦٠.

(٥) ابن قاسم ٩٠، آل الشيخ ٢٩٤، الفوزان ٢٠٩.

(٦) طبع في القاهرة بمطبعة المنار سنة ١٣٤٠ هـ وطبع عام ١٤٠١ هـ بمطبعة التقدم بمصر.

(٧) ابن قاسم ٩٠، ابن عبيد ٣/ ٢٥٣، الفوزان ٢١١.

٢٠ ـ حل الوثاق في أحكام الطلاق[١].

٢١ ـ كشف شبهات عبد الكريم البغدادي في تحليله ذبائح الصلب، وكفار البوادي[٢]. وهو رد على البغدادي الذي أجاز ذبيحة المنتسب إلى أهل الإسلام، ولو كان قد ارتكب بعض المكفرات[٣].

٢٢ ـ الجواب الفاصل في الساعة، بين من يقول إنها سحر، ومن يقول إنها صناعة[٤] رسالة في الساعة وبيان أنها صناعة رد بها على طالب علم ادعى إنها سحر[٥].

٢٣ ـ المواهب الربانية في الانتصار للطائفة الوهابية، ورد أضاليل الشبه الدحلانية[٦]. وهي قصيدة رد بها على كتاب الدرر السنية لزيني دحلان تزيد أبياتها على خمسمائة بيت[٧].

---

(١) ابن قاسم ٩٠، آل الشيخ ٢٩٤، وذكر أن الكتاب ما زال مخطوطاً، الفوزان ١٧٩.
(٢) آل الشيخ ٢٩٣، ابن قاسم ٨٩، القاضي ١/ ١٢٨، الفوزان ٢٠٥.
(٣) طبع في المطبعة المصطفوية بالهند عام ١٣٣٥ هـ ثم في الرياض عام ١٣٧٧ هـ مع كتب أخرى للشيخ ابن سحمان.
(٤) آل الشيخ ٢٩٣، الفوزان ١٧٠.
(٥) طبع في مطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٦ هـ ضمن مجموعة رسائل، وهي موجودة في الدرر السنية.
(٦) الفوزان ٢١٠.
(٧) انظر ابن سحمان: عقود الجواهر المنضدة الحسان ص ٣٠ ـ ٥٧.

٢٤ ـ رد على العاملي مؤلف كتاب كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب[(١)].

٢٥ ـ تأييد مذهب السلف، وكشف شبهات من حاد وانحرف ودعي باليماني شرف[(٢)]. لما رد الشيخ ابن سحمان على بابصيل في كتابة البيان المبدي تكلم شرف اليماني في خطبة الجمعة مراراً في الشيخ سليمان ابن سحمان، ونسبه إلى طائفة الخوارج، فرد عليه الشيخ ابن سحمان في هذا الكتاب[(٣)].

٢٦ ـ تتمة تاريخ نجد[(٤)] كتبها إكمالاً لتاريخ نجد للألوسي، علق فيها على بعض الاطلاقات، وأوضح بعض الأخطاء التي وقع فيها المؤلف[(٥)].

٢٧ ـ تمييز الصدق من المين في محاورة الرجلين[(٦)] وهو جواب لسؤال ورد عليه عن رجلين اختلفا في تكفير بعض أهل البدع[(٧)].

---

(١) آل الشيخ ٢٩٥ وذكر أنه لا يزال مخطوطاً، وشكك الفوزان في كون هذا الكتاب له في ص ١٩٠.

(٢) آل الشيخ ٢٩٥، الفوزان ١٦٤.

(٣) طبع في القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ على نفقة مقبل بن عبد الرحمن الذكير ثم طبع سنة ١٣٢٣ هـ في الهند في المطبعة المصطفوية، ويوجد في الدرر السنية ٩/ ٤٢٥ ـ ٤٤٨.

(٤) الفوزان ١٦٦.

(٥) طبع الكتاب مع تاريخ نجد للألوسي بالمطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٧ هـ.

(٦) الفوزان ١٦٧.

(٧) طبع الكتاب في الهند عام ١٣٢٨ هـ بمطبعة سيد محمد حسين.

٢٨ ــ الحجج الواضحة الإسلامية في رد شبهات الرافضة والإمامية[١].

٢٩ ــ الرد على صاحب جريدة القبلة[٢].

٣٠ ــ الرد على آل مبارك وأتباعهم[٣] فقد اعترض بعض آل مبارك على صديق حسن خان في كتابه الدين الخالص عند كلامه على مسائل الاجتهاد والتقليد، فرد عليهم الشيخ ابن سحمان بهذا الكتاب[٤].

٣١ ــ رسالة حول الدولة العثمانية[٥]، فقد وجه إليه سؤال عن هذه الدولة، فكتب في ذلك رسالة جواباً على السؤال، وقد قرظه الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف[٦].

٣٢ ــ رسالة في بيان حكم الإقامة بين أظهر المشركين[٧] وهي قصيدة وجهها إلى بعض أهل القصيم، رداً على من اعترض على

---

(١) الفوزان ١٧٩، والكتاب حققه الفوزان ضمن رسالته الماجستير بعنوان الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة.
(٢) الفوزان ١٨٨.
(٣) الفوزان ١٩١.
(٤) طبع ضمن المجموع المفيد من رسائل أهل التوحيد.
(٥) الفوزان ١٩٥.
(٦) الفوزان ١٩٥ وذكر أن الرسالة موجودة في جامعة الملك سعود برقم ٣٤٢٢.
(٧) الفوزان ١٩٥.

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في هذه المسألة[١].

٣٣ ـ رسالة في الجهر بالذكر بعض الصلاة[٢] كتبها رداً على من زعم أن الجهر بالذكر بعد الصلاة فيه تشويش على الناس، وهو بدعة محدثة[٣].

٣٤ ـ الرد على العلجي[٤] والكتاب يدور حول جواز وصف النبي ﷺ بـ (سيدنا)[٥].

٣٥ ـ سبيل النجاح والفلاح في أذكار المساء والصباح[٦]. وهي أدعية من الآيات والأحاديث بدون عزو ولا تخريج[٧].

٢ ـ نظم القصائد الشعرية:

لم يقتصر هجوم أعداء الدعوة السلفية على النثر في تهجمهم على الدعوة، بل سلكوا أيضاً أسلوب النظم الشعري، فتصدى لهم

---

(١) طبعت في الديوان ص ١٩٦، وفي المجموع المفيد من رسائل أهل التوحيد.

(٢) الفوزان ١٩٦.

(٣) طبعت في المطبعة المصطفوية بالهند عام ١٣٣٥ هـ مع مجموعة كتب، كما طبعت معها عام ١٣٧٧ هـ بالرياض، ثم حققها الشيخ عبد السلام آل عبد الكريم وجعل عنوانها تحقيق الكلام في مشروعية الجهر بالذكر بعد السلام وطبعها في دار العاصمة عام ١٤٠٧ هـ.

(٤) الفوزان ١٩٨.

(٥) الفوزان ١٩٩.

(٦) المصدر السابق.

(٧) طبع عام ١٣٥٥ هـ على نفقة ابنه الشيخ صالح بن سحمان.

الشيخ سليمان بقصائده الطنانة، وأشعاره الرنانة، وقوافيه المحكمة، وأبياته الرصينة، فهو ذو القلمين، وصاحب الصناعتين، وقلما اجتمع النثر، والشعر لواحد إلا لنوابغ الكتاب، من أصحاب الأقلام[1].

وللشيخ سليمان بن سحمان ديوان شعري، حوى غرر القصائد والنظم[2]. واسم هذا الديوان عقود الجواهر[3] وقد بلغ مجموع قصائد هذا الديوان ١٠٨ قصائد في ٨٠٩٨ بيتاً.

ومن نظمه أنه انتصر للشيخ صالح البنيان، بقصيدة لامية تبلغ سبعين بيتاً[4]، ورد على يوسف النبهاني بقصيدة رائية على قافية قصيدته ومطلعها:

وقفت على نظم حوى الكفر والشرا وصاحبه خب لئيم وقد أجرى

بمحكم آيات وسنة أحمد نصول على الأعداء ونأطرهم أطرا[5]

وقد نظم اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية التي جمعها البعلي[6].

ورثي مشايخه بقصائد متعددة[7].

---

(١) البسام ١/ ٢٨٠.

(٢) البسام ١/ ٢٨١.

(٣) القاضي ١/ ١٢٩، آل الشيخ ٢٩٥، وطبع الديوان في الهند سنة ١٣٣٣ هـ.

(٤) القاضي ١/ ١٢٨.

(٥) القاضي ١/ ١٢٨.

(٦) ابن سمحان: عقود الجواهر المنضدة الحسان ص ٥٢٠.

(٧) القاضي ١/ ١٢٩.

٣ ـ نسخ الكتب العلمية:

فقد نسخ الشيخ سليمان رسائل، وردود الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، حيث ظل زماناً يكتبها، ويستمليها[١].

وذلك أنه كان خطاطاً جميل الخط، مع سرعة ومهارة[٢]، وكان كاتب للإمام عبد الله الفيصل[٣]، فلما ورد على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في عهد الملك عبد العزيز اتخذه كاتباً لرسائله، وردوده، وفتاويه، وكان لا يسأم من الكتابة السريعة الواضحة النيرة[٤].

٤ ـ الإفتـاء:

للشيخ سليمان فتاوى مفرقة، جمع بعضها ضمن مجموع الدرر السنية[٥].

---

(١) البسام ١/ ٢٨٠، آل الشيخ ٢٩١.

(٢) القاضي ١/ ١٢٦.

(٣) القاضي ١/ ١٢٧، آل الشيخ ٢٩١.

(٤) القاضي ١/ ١٢٧.

(٥) البسام ١/ ٢٨١، ومن أمثلة فتاواه انظر الدرر السنية ج ١/ ٢٩١ و٣٠٣، ٢/ ١٦٧ و٣٦٠، ٣/ ٥٥ و١٣٠ و١٣٣ و١٣٥ و١٥٢ و١٥٨ و١٥٩ و١٧٤ و١٧٩، ٣/ ١٩٨ و٢١٢ و٢٣١ و٢٤١ و٢٤٦ و٢٨٧ و٢٨٩ و٣٦٠ و٣٨٥ و٣٩٠ و٣٩٧، ٥/ ٢٢٠ و٢٢٦ و٢٣١ و٢٣٤ و٢٣٦ و٣١٩ و٣٢١ و٣٢٩ و٣٣٤ و٣٣٥ و٣٨٤ و٣٨٧ و٣٩٥، ٦/ ٢٤٢ و٢٥٦ و٢٥٩ و٢٦٦ و٢٧١ و٢٧٥، ٤/ ٢٤ و٩٧ و٢١٤ و٢٧٥ و٣٠٨ و٣٥٠ و٣٥٣ و٣٥٦ و٣٩٨.

٥ ــ جمع الكتب والمساهمة في نشرها وطباعتها:

فقد جمع فتاوى شيخه الشيخ عبد اللطيف، ورتبها، وبوبها، وجعل لها مقدمات، وتراجم[١].

ومن ذلك كتاب الهدية السنية، والتحفة الوهابية الذي جمع فيه خمس رسائل لأئمة الدعوة، وطبعها في هذا الكتاب[٢].

٦ ــ مناصحة ولاة الأمر:

من خلال عمله مع الإمام عبد الله الفيصل، كان مستشاراً شرعياً له، وإماماً في أسفاره، ولما تولى الملك عبد العزيز قربه، وجعله من مستشاريه، فكان جليساً صالحاً، وبطانة خير، وظل مع الملك يكتب له رسائله، ويرد على المنحرفين باستشارته[٣]، وكان لما رجع للرياض عام ١٣٠٩ هـ وانبرى للتأليف، والردود تلقى تهديداً من عبد العزيز بن رشيد بشأن كتابة الردود، ولما شاء الله الخير للجزيرة باستيلاء الملك عبد العزيز عليها، قوي ساعد الشيخ سليمان في كتابة الردود[٤].

٧ ــ توثيق المعاملات:

كان الشيخ سليمان عمدة في التوثيق يعمل القضاة بخطة[٥].

---

(١) البسام ١/ ٢٨١، الفوزان ٢٠٢.
(٢) آل الشيخ ٢٩٤، الفوزان ٢١٣.
(٣) القاضي ١/ ١٢٨.
(٤) آل الشيخ ٢٩٢.
(٥) القاضي ١/ ١٢٧.

٨ ـ التعليم:

جلس الشيخ للتعليم وله تلامذة كثيرون[1].

□□□

(١) القاضي ١/١٢٩.

المبحث الثالث
الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي[(١)]

رغم قصر عمر الشيخ حافظ الحكمي، إلا أن له إسهاماً دعوياً كبيراً يتمثل أهمه فيما يأتي:

أولاً ــ مؤلفاته:

١ ــ سلم الوصول[(٢)]: وهو أرجوزة في التوحيد، تشتمل على عقيدة السلف الصالح، وأبياتها ٢٧٠ بيتاً[(٣)]. وقد نظم هذه المنظومة وعمره تسعة عشر عاماً[(٤)].

٢ ــ معارج القبول بشرح سلم الوصول[(٥)]: وهو شرح متوسع

---

(١) ولد سنة ١٣٤٢ هـ بقرية السلام جنوب جيزان تتلمذ على الشيخ عبد الله القرعاوي ابتداءً من سنة ١٣٥٩ هـ فحصل وأدرك جانباً من العلم كبيراً وتوفي سنة ١٣٧٧ هـ في مكة عن عمر يقارب الخامسة والثلاثين سنة.

انظر آل الشيخ ص ٤٤١ ــ ٤٤٥، سعود السيف: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رسالة مكملة للماجستير، مقدمة معارج القبول، الزركلي: الاعلام ٢/ ١٥٩، كحالة: المستدرك على معجم المؤلفين ص ١٨٣.

(٢) آل الشيخ ٤٤٢، السيف ٥٢.

(٣) طبعت في مطابع البلاد السعودية بمكة سنة ١٣٦٢ هـ وسنة ١٣٧٣ هـ وطبعت سنة ١٣٩٣ هـ بمطابع الحرمين بالرياض على نفقة صالح الراجحي.

(٤) آل الشيخ ٤٤٢، السيف ١٩.

(٥) آل الشيخ ٤٤٢، السيف ٦٠.

لأرجوزة سلم الوصول السابقة، نقل فيها كثيراً من النصوص الشرعية، وأورد فيها كلام كثير من أهل العلم فيما يتعلق بموضوعات المنظومة، من مسائل الإيمان والتوحيد، ويقع الكتاب في جزءَين[١].

٣ ــ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة[٢]: وهو كتاب في التوحيد على طريقة السؤال والجواب[٣].

٤ ــ الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة[٤]: وهي منظومة دالية في علم التوحيد، دعا فيها إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، وحذر من البدع، وأهلها، وحث على التزام التوبة وبيّن شروطها، وحذر من المجلات التي تدعو إلى فساد الأخلاق والعادات[٥].

٥ ــ اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون[٦]: وهذا

---

(١) طبع على نفقة الملك سعود في المطبعة السلفية بمصر، ثم طبع مرة أخرى على نفقة الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد.

(٢) آل الشيخ ٤٤٢، السيف ٦٨.

(٣) طبع في مطابع البلاد السعودية بمكة بدون تاريخ، ثم طبع سنة ١٣٩٣ هـ مع مجموعة رسائل بالرياض بمطابع الجزيرة على نفقة صالح الراجحي، ثم طبع بدار الاعتصام بمصر بعنوان ٢ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية.

(٤) آل الشيخ ٤٤٣، السيف ٧٣.

(٥) طبعت على نفقة الملك سعود في مطابع البلاد السعودية بمكة سنة ١٣٧٣ هـ، وطبعت سنة ١٣٩٣ هـ بمطابع الجزيرة مع مجموعة رسائل على نفقة صالح الراجحي.

(٦) آل الشيخ ٤٤٣، السيف ٧٨.

الكتاب منظومة في مصطلح الحديث وعدد أبياتها ٣٤٠ بيتاً[١].

٦ ــ لامية المنسوخ[٢]: وهي منظومة لامية في أحكام النسخ[٣].

٧ ــ دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح[٤]: كتاب في مصطلح الحديث ذكر فيه مقدمة في تعريفه، ثم أذكر أنواعه وأبوابه، وضمن الكتاب آداب طلب الحديث النبوي، وهو على طريقة السؤال والجواب غالباً[٥].

٨ ــ السبل السوية لفقه السنن المروية[٦]: وهذا الكتاب أرجوزة في الفقه على حسب ترتيب أبواب الفقه عند الفقهاء. وهي تقارب ٢٥٠٠ بيت[٧].

٩ ــ وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول[٨]: وهي منظمة في

---

(١) طبعت في المطابع السعودية.
(٢) آل الشيخ ٤٤٣، السيف ٨٦.
(٣) طبعت مع اللؤلؤ المكنون.
(٤) آل الشيخ ٤٣، السيف ٧٥.
(٥) طبعت في مطابع البلاد السعودية سنة ١٣٧٤ هـ بأمر الملك سعود.
(٦) آل الشيخ ٤٤٣، السيف ٨٠.
(٧) طبعت في مطابع البلاد السعودية. وطبعت مع مجموعة رسائل سنة ١٣٩٣ هـ بمطابع الجزيرة بالرياض على نفقة صالح الراجحي.
(٨) آل الشيخ ٤٤٤، السيف ٨٣.

أصول الفقه تقع في ٦٤٠ بيتاً[١].

١٠ ـ نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ[٢]: وهي منظومة في السيرة والتاريخ تقع في أكثر من ٩٥٠ بيتاً[٣].

١١ ـ النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض[٤]: رسالة منثورة في علم الفرائض[٥].

١٢ ـ رسالة عن القات بعنوان نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمة والدخان[٦]: وهي قصيدة تائية للتحذير من القات والدخان فلما اطلع عليها بعض الشعراء المفتونين بأكل القات، نظم أبيات في الرد عليها، فناقشه الشيخ حافظ في أبيات نظمها على نفس روي أبيات هذا المعترض، ووزنه فكشف الشبهة التي أثارها[٧].

---

(١) طبعت في مطابع البلاد السعودية بمكة في ٣٥ صفحة عام ١٣٧٣ هـ. وطبعت مع مجموعة رسائل سنة ١٣٩٣ هـ بمطابع الجزيرة بالرياض على نفقة صالح الراجحي.

(٢) آل الشيخ ٤٤٤، السيف ٨٩.

(٣) طبعت في مطابع البلاد السعودية حدود سنة ١٣٧٣ هـ.

(٤) آل الشيخ ٤٤٤، السيف ٨٧.

(٥) طبعت بأمر الملك سعود في مطابع البلاد السعودية بمكة سنة ١٣٧٣ هـ في ٤٦ صفحة.

(٦) آل الشيخ ٤٤٤، السيف ٩٣.

(٧) طبعت في مطابع البلاد السعودية سنة ١٣٧٤ هـ.

١٣ ــ المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية[(١)]: وهي منظومة في النصائح النافعة لطلبة العلم في أكثر من ٢٦٠ بيتاً[(٢)]. ومن أبياتها:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعت اذن واعــرف عنــه نــاطـق بفــم

ومنها:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلا فقد ظفرت ورب اللوح والقلم

١٤ ــ شرح الورقات في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني[(٣)].

١٥ ــ أمالي في السيرة النبوية، وهي دروس كان يمليها الشيخ حافظ على طلابه تتعلق بالسيرة النبوية[(٤)].

١٦ ــ همزية الإصلاح في تشجيع الإسلام وأهله والتمسك كل التمسك بأساسه وأصله[(٥)]. وهي قصيدة تقع في أكثر من ٢٠٠ بيت موضوعها حض المسلمين على التمسك بالإسلام، والحرص عليه، والدفاع عنه[(٦)].

ومن أبياتها:

---

(١) ال الشيخ ٤٤٤، السيف ٩١.

(٢) طبعت في مطابع البلاد السعودية. وطبعت سنة ١٣٩٣ هـ بمطابع الجزيرة بالرياض على نفقة صالح الراجحي.

(٣) آل الشيخ ٤٤٥ وذكر أن الكتاب لا يزال مخطوطاً، السيف ١٠٣.

(٤) السيف ص ١٠١ وذكر أنه ما زال مخطوطاً.

(٥) آل الشيخ ٤٤٥، السيف ١٠٤ وذكر أن الكتاب ما زال مخطوطاً.

(٦) آل الشيخ ٤٤٥ وذكر أن الكتاب لا يزال مخطوطاً.

يا طالبي علم الشريعة فانهضوا وادعـوا عبـاد الله بـاسـتهـداء
انحوا بهم نحو الصراط المستقيم ورفـض كـل طـريقـة عـوجـاء
كيف انتصار المسلمين وجلهم عـن دينهـم فـي غفلـة عميـاء[1]

١٧ ــ مفتاح دار السلام في معنى الشهادتين[2].

١٨ ــ مجموعة خطب للجمع والمناسبات[3].

١٩ ــ قصيدة في الترغيب والترهيب، وهي قصيدة طويلة فيها حث على التعلق بالآخرة، والزهد في الدنيا[4].

والملاحظ على هذه الكتب، أنها وضعت لتكون مناهج تعليم في غالبها، ومن هنا فهي ذات أسلوب سلس، ومعنى واضح[5].

ثانياً ــ التعليـم:

تولى التدريس في بعض مدارس شيخه القرعاوي، وكان مساعداً لشيخه بالتدريس والإشراف، وفي سنة ١٣٦٣ هـ جعله شيخه مديراً لمدرسة سامطة، وملاحظاً لمدرسة الجرادية، وعندما افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بجازان سنة ١٣٧٣ هـ، عين أول مدير لها، ثم افتتح معهد بسامطة تابع لإدارة الكليات والمعاهد

---

(١) السيف ٣٨ و٣٩.
(٢) آل الشيخ ٤٤٥، السيف ١٠٣، وذكر أن الكتاب لم يطبع بعد.
(٣) آل الشيخ ٤٤٥، السيف ١٠٦، وذكر أنها لم تطبع بعد.
(٤) السيف ٩٨.
(٥) انظر السيف ٤١.

(جامعة الإمام فيما بعد) سنة ١٣٧٤ هـ، فكان مديراً له وبالإضافة إلى قيامه بالأعمال الإدارية، يقوم بإلقاء بعض الدروس[١].

ثالثاً ــ إنشاء مكتبة علمية:

كان الشيخ حافظ يجمع الكتب العلمية، ويقرأها، ويعلق عليها، وقد وقف هذه المكتبة على طلبة العلم ممن يريد الاطلاع والفائدة[٢].

رابعاً ــ تولي الخطابة:

كان الشيخ حافظ يتولى إلقاء الخطب في الجمع، والأعياد، وكان أسلوبه سهلاً مفهوماً، وكان يستخدم أسلوب ضرب الأمثال. وكان يكتب بعض الخطب، ويرسلها إلى القرى المجاورة ليخطب بها هناك[٣].

□ □ □

---

(١) ال الشيخ ٤٤٢، السيف ٢٣ ــ ٣٥ و١١٣ ــ ١٢١، مقدمة معارج القبول.

(٢) السيف ٤٩.

(٣) السيف ١١١.

المبحث الرابع

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم[1]

ومن الدعاة في عهد الملك عبد العزيز الذين اشتهروا بالتأليف الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسب الآتي:

أولاً ــ التأليف:

فقد ألف مؤلفات عديدة أغلبها حواش مطولة على متون الكتب العلمية، ومن هذه الكتب:

١ ــ حاشية على الروض المربع[2]: وهي حاشية حاوية لأكثر أقوال العلماء في مسائل الفقه ففيها تتميم لمباحث الروض المربع في فقه الحنابلة، وفيها ذكر الأدلة، وفيها بيان

---

(١) ولد في قرية البير سنة ١٣١٢ هـ وقيل: ١٣١٩ هـ فقرأ بها القرآن ومبادىء العلوم ثم رحل إلى الرياض وطلب العلم على علمائها وتولى إدارة المكتبة السعودية، وتوفي سنة ١٣٩٢ هـ في مزرعة له يقال لها المغيدر بقرب الرياض.

انظر: آل الشيخ ٤٣٢ ــ ٤٣٤، البسام ٢/ ٤١٤ ــ ٤١٦، القاضي ١/ ٢٣٥ ــ ٢٣٨، الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٣٦ مقدمة الشيخ عبد الله بن جبرين لكتاب حاشية الروض المربع، ومجلة العرب شوال ١٣٩٢ هـ.

(٢) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣.

اختيارات بعض المجتهدين من الحنابلة[1].

٢ ـ حاشية على الرحبية[2]: وهي حاشية توضح مسائل نظم الرحبية في علم الفرائض والمواريث[3].

٣ ـ حاشية على الآجرومية[4]: وهي حاشية على متن الأجرومية في علم النحو[5].

٤ ـ حاشية على ثلاثة الأصول[6]: وهي حاشية على كتاب الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[7].

٥ ـ وظائف رمضان[8]: وهو مختصر لكتاب وظائف رمضان لابن رجب مع زيادات نفيسة ضمها إليه[9].

٦ ـ أصول الأحكام[10]: مختصر جمع فيه أحاديث الأحكام.

---

(١) طبع الكتاب بعد وفاة المؤلف عدة طبعات بإشراف الشيخ عبد الله بن جبرين أولاها ١٤٠٢ هـ.
(٢) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧.
(٣) طبع الطبعة الثالثة في مطبعة الاتحاد والترقي بدمشق.
(٤) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧.
(٥) طبع الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧ هـ.
(٦) البسام ٢/ ٤١٥.
(٧) طبع الطبعة الخامسة عام ١٤٠٧ هـ.
(٨) البسام ٢/ ٤١٤، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٢.
(٩) طبع الكتاب سنة ١٣٧٩ هـ.
(١٠) البسام ٢/ ٤١٤، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣.

٧ ــ إحكام الأحكام في شرح أصول الأحكام[١]: وهو شرح لأحاديث الأحكام التي جمعها في كتاب أصول الأحكام ويقع الكتاب في أربعة أجزاء[٢].

٨ ــ السيف المسلول على عابد الرسول[٣]: وهو رد على علي الرشيدي الجزائري في تحريم توجيه شيء من العبادة للنبي ﷺ[٤].

٩ ــ شرح عقيدة السفاريني[٥]: وهو مختصر[٦].

١٠ ــ تراجم علماء الدعوة السلفية النجدية[٧]: ترجم فيه لأكثر العلماء الذين وردت لهم فتاوى في كتاب الدرر السنية وجعله ملحقاً له[٨].

١١ ــ مقدمة في أصول التفسير[٩].

---

(١) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣.
(٢) طبعت منه ثلاثة أجزاء بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٧٥ هـ وطبع الجزء الرابع بالمطابع الأهلية بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ.
(٣) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣.
(٤) طبع الطبعة الثانية سنة ١٤١٠ هـ.
(٥) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣.
(٦) طبع على نفقة الأمير عبد الله الفيصل.
(٧) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣.
(٨) طبع الطبعة الأولى في مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض.
(٩) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣، وطبع الطبعة الثانية في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٧٥ هـ.

١٢ ــ الحجاب واللباس في الصلاة[١].

١٣ ــ حاشية مقدمة التفسير[٢]: وهي شرح للمقدمة التي كتبها المؤلف وقد نشرتا في حياة المؤلف[٣].

١٤ ــ حاشية على كتاب التوحيد وهي من أنفس ما كتب على هذا الكتاب[٤].

ثانياً ــ جمع الفتاوى:

بذل الشيخ عبد الرحمن بن قاسم جهوداً عظيمة في جمع الفتاوى، حت وصفه ابن بسام بأنه «العمل الكبير الضخم النافع الذي قام به، ويستحق عليه الثناء العاطر، والدعاء الخالص»[٥].

وهذه الفتاوى قسمان:

الأول: فتاوى علماء نجد، فقد جمع رسائلهم، ونصائحهم المبعثرة المفرقة في بلدان نجد وما حولها، ثم قام بتحقيقها، وترتيبها حسب موضوعاتها، حتى صارت عدة أجزاء في التوحيد، والردود، والنصائح، والفتاوى الفقهية، ثم أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بطبعها، ونشرها، وتوزيعها على طلبة العلم على نفقته، فصار لها فائدة كبيرة، ونفع عظيم في معرفة حقيقة هذه الدعوة، وأنها مبنية على

---

(١) القاضي ١/ ٢٣٧، آل الشيخ ٤٣٣.
(٢) مقدمة ابن جبرين لحاشية الروض ص ٤.
(٣) المرجع السابق.
(٤) مقدمة ابن جبرين الحاشية الروض ص ٥.
(٥) البسام ٢/ ٤١٥.

تفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1].

وقد سمى هذا الكتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية[2].

الثاني: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية[3]، ومختصرات كتبه في العقيدة، والتفسير، والحديث، والأصول، والفقه، فجمع هذا التراث الكثير المطبوع منه والمخطوط، فحققه، وبوبه، ورتبه، وفهرسه فهارس مقربة موضحة، حتى صار منه موسوعة إسلامية كبيرة تقع في سبعة وثلاثين مجلداً، ثم أمر بطبعها، وتوزيعها على العلماء في داخل البلاد وخارجها كل من الملك سعود، والملك فيصل والملك خالد، والملك فهد ـ وفقهم الله ـ في طبعات متعددة[4].

وقد قام برحلات عديدة من أجل جمع هذه الفتاوى داخل البلاد السعودية وخارجها ومن هذه الرحلات رحلته إلى بيروت، والشام، والعراق عام ١٣٧٢ هـ وسافر إلى مصر، وفرنسا في عام ١٣٧٧ هـ

---

(١) البسام ٢/ ٤١٥، آل الشيخ ٤٣٢، مقدمة ابن جبرين ص ٥.

(٢) طبع الكتاب عام ١٣٥٦ هـ على نفقة الملك عبد العزيز بمطبعة أم القرى بمكة، وطبعت الطبعة الثانية عام ١٣٨٥ هـ على نفقة الملك فيصل بإضافات عديدة.

(٣) البسام ٢/ ٤١٥، القاضي ١/ ٢٣٦، آل الشيخ ٤٣٢.

(٤) طبعت الطبعة الأولى بأمر الملك سعود سنة ١٣٨٢ هـ بمطابع الرياض وطبعت بأمر الملك فيصل عام ١٣٨٦ هـ بمطبعة الحكومة وطبعت بأمر الملك خالد بمكتبة المعارف بالمغرب وطبعت بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بإشراف رئاسة شؤون الحرمين عام ١٤٠٤ هـ.

وعام ١٣٨٠ هـ إلى بغداد[1]، وقد كان معه في بعض هذه الرحلات ابنه الشيخ محمد كما أن الشيخ محمد ساعد أباه على هذا المجهود الكبير.

يقول القاضي في وصفه: «وكانت مجالسه مجالس علم، وبحث شيقة، وممتعة للجليس، وله نكت حسان، وعلى جانب كبير من الأخلاق العالية، وعنده غيرة، وله مكانة مرموقة وكلمة نافذة متواضعاً.. دمث الأخلاق لا يحب المظهر، والشهرة سخياً، لين العريكة، حلو الشمائل وصولاً للرحم، مستقيماً في دينه، وخلقه»[2].

ويقول الشيخ عبد الله بن جبرين: وكان رحمه الله غيوراً على حرمات الله، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يصدع بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، ثم هو مع ذلك حسن السمت، دمث الأخلاق، دائم البشر، كريم النفس، متعززاً عن رذائل الأمور، وسفاسف الأخلاق، وكان متواضعاً لربه لا يستنكف، ولا يرفع نفسه عن إجابة الصغير، والكبير، ومحادثة الغني، والفقير، مع ما رزقه الله من الهيبة، والاحترام في قلوب الخاص، والعام[3].

□□□

---

(١) القاضي ١/ ٢٣٦ ومقدمة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) القاضي ١/ ٢٣٨.

(٣) مقدمة حاشية الروض المربع ص ٣ ـ ٤.

الفصل الخامس

الدعاة الذين اشتهروا بالوعظ

ويحتوي على تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: في الدعاة والوعاظ.

المبحث الأول: عبد الكريم الدرويش.

المبحث الثاني: الشيخ عبد اللطيف بن حمد بن عتيق.

المبحث الثالث: الشيخ عبد الله بن أحمد العجيري.

المبحث الرابع: الشيخ عثمان بن إبراهيم بن سلمان.

تمهيـــــد

عن الدعـاة الوعـاظ

باستقراء حال العلماء في ذلك العصر فإنه يمكن القول بأنهم ينقسمون إلى قسمين:

١ ـ القسم الأول:

علماء راسخون في العلم الشرعي، وإليهم المرجع في دقيق المسائل، وكبيرها، وهم في الغالب قائمون بالوظائف الدينية الرسمية، وعليهم العمدة في ذلك، وتأخذ الدولة بتوجيهاتهم، ويوجدون في المدن الكبيرة، ويدرس عليهم طلاب العلم في حلقات علمية، وخير مثال لهؤلاء من ترجمنا لهم في الفصول السابقة من هذا الباب.

٢ ـ القسم الثاني:

دعاة وطلبة علم يغلب عليهم الزهد، والعبادة، والحرص على هداية الناس، والصبر، والمجاهدة في ذلك، ودعوتهم تكون في الغالب عن طريق الوعظ في المساجد، والتنقل في البلدان من أجل ذلك، وكان المجتمع في ذلك الوقت في طور إقبال على الدين والخير. فكانوا يجلون هؤلاء الوعاظ، ويحترمونهم غاية الاحترام، ويحرصون على اتباع ما يدعون إليه، وخير مثال على ذلك هم علماء الوعظ الذين سنتكلم عنهم في هذا الفصل، مع ندرة المعلومات

الواردة عنهم لعدم اهتمام الكتاب، والمؤرخين بهم، إلا أنني بذلت قصارى جهدي للتغلب على ذلك.

ومن المعلوم أن الوعظ، والتذكير من أكبر وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وهو من أجلّ أعمال الرسل عليهم السلام عموماً، ورسولنا محمد ﷺ على وجه الخصوص.

قال تعالى مخاطباً هذا الرسول الكريم ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[2] فالدعوة إلى الله تعالى بالذكرى والموعظة الحسنة من الأمور المطلوبة، التي حث عليها الذكر الحكيم، كما حث عليها سيد المرسلين ﷺ.

والقرآن الكريم كتاب ذكر، وبشارة، وإنذار، ودعوة والحديث الشريف سجل وعظ، وتذكير، وتعليم.

وقد تميز في هذا العصر جماعة من العلماء بالموعظة المؤثرة، والدعوة الحكيمة، والبيان الوافي، والقول الشافي.

فكان لهم القبول عند الناس، وهدى الله بهم كثيراً من الحاضرة، والبادية ومن هؤلاء الدعاة:

الشيخ عبد الكريم الدرويش (١٢٥٠ هـ ـ ١٣٤٠ هـ).

الشيخ عبد اللطيف بن عتيق (١٢٨٢ هـ ـ ١٣٥٠ هـ).

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الشيخ عبد الله بن أحمد العجيري (١٢٨٥ هـ ـ ١٣٥٢ هـ).
الشيخ عثمان بن إبراهيم السليمان (١٢٨٠ هـ ـ ١٣٦٣ هـ).

ولا يظن القارىء أننا حينما لم نترجم إلا لهؤلاء الأربعة أن الوعاظ قليل، بل هم كثير. ولكن لا يعرف عنهم إلا القليل، وقد ذكر لي فضيلة الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن بن جبرين أن الملك عبد العزيز رحمه الله بدأ من عام ١٣٣٠ هـ في إرسال الدعاة الوعاظ إلى البادية، فكانوا يذهبون إلى أحياء العرب في البراري، ويرافقونهم في حلهم وترحالهم، وكان هؤلاء الوعاظ يصلون بهم، ويتخولونهم بالمواعظ، ويرشدونهم إلى أحكام الدين، ويعقدون أنكحتهم ويقرأون ويكتبون لهم رسائلهم، وقد أحبهم رجال القبائل، وأكرموهم غاية الإكرام، وأخذوا يقتدون بهم في الالتزام بالدين، وانتشرت الدعوة بين أحياء قبائل العرب، وخالطت حلاوة الإيمان قلوبهم، وندموا على أعمارهم، التي مضت قبل أن يلتزموا بأحكام الشرع الحنيف، وسارعوا بهجر حال البداوة التي كانوا عليها، والانتقال إلى هجر أنشأوها لذلك.

وقد كان أمراء قبائل البادية يقدمون إلى الملك عبد العزيز، ويستأذنونه في إنشاء الهجر، فيأذن لهم، ويحدد لهم المكان الذي ينشئونها فيه، ويعينهم بمبلغ من المال مساعدة في بناء المسجد، وربما طلبوا منه قاضياً، أو مطوعاً[1]، فيعين لهم أحد طلبة العلم، ويرسله إليهم.

---

(١) المطوع: صفة يطلقها أهل وسط الجزيرة في ذلك الوقت على طالب العلم الذي يؤم المسجد ويقوم بالإرشاد الديني.

وقد سألت فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين عن من يذكر من هؤلاء الدعاة فقال: إنهم كثير، وأذكر منهم عمه الشيخ محمد بن عبد الله بن جبرين والشيخ محمد بن سعود بن صقر العريفي.

وقد سألت عبد العزيز بن الشيخ محمد بن سعود العريفي عن والده فقال: أذكر أنه ذهب إلى قبيلة آل عاصم القحطانية في هجرة الهياثم، وقال كنت معه طفلاً صغيراً، فمكث عندهم سنة يعلمهم، ويعظهم، ويصلي بهم، وذكر لي هيف بن محمد آل جليغم القحطاني، أنه كان مع قبيلتهم آل جليغم، واعظ يدعى ابن دعيج من أهالي بلدة مرات، وقد ذكر لي الشيخ إبراهيم ابن بشر أنه كان مع قبيلة القبابنة يصلي بهم، ويعلمهم وكان عمره لم يبلغ العشرين سنة، وذلك أن الملك عبد العزيز إذا أراد أن يوجه دعاة إلى جهة معينة، كلف الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، أو أحد العلماء بذلك، ثم إن هذا العالم يختار من طلابه المرافقين له، واحداً، أو اثنين، أو أكثر حسب ما تدعو الحاجة إليه، ويزودهم بالنصائح، والتوجيهات المناسبة، فيتوجه هؤلاء الدعاة إلى القبيلة المكلفين بدعوتها، فإذا وصلوا إلى القبيلة أكرمهم رجالها في الغالب جرياً على عادة العرب في الكرم، وقام هؤلاء الدعاة بواجب الدعوة، حتى يعم رجال القبيلة الالتزام بالدين، فيفدون إلى الملك عبد العزيز طالبين أن يحدد لهم مكان هجرة، ويعينهم في بناء المسجد فيفعل.

وقد كثرت الهجر حتى بلغت المئات خاصة بعد عام ١٣٣٥ هـ،

وفي عام ١٣٣٧ هـ كان لسكان الهجر إسهام بارز ومهم على الرغم من الوباء الذي أصابهم في ذلك العام، ومات فيه الكثير منهم، فلقد كان لسكان الهجر دور بارز في معركة تربة التي مهدت الطريق لفتح إقليم الحجاز، ثم كان لسكان الهجر إسهام بارز في القضاء على دولة آل رشيد، ثم فتح بلدان الحجاز، وذلك أن هؤلاء المهاجرين أهل شجاعة، وتمرس في فنون القتال، فلما التزموا بالدين وجهوا ذلك إلى الجهاد في سبيل الله.

ولا يفوتني أن أذكر أن هناك أعداداً من الدعاة الوعاظ خرجوا للدعوة احتساباً من عند أنفسهم، ولم يكلفهم أحد بذلك، وإنما يدفعهم الرغبة في الدعوة إلى دين الله، وهداية الناس.

□ □ □

المبحث الأول

الشيخ عبد الكريم الدرويش[1]

من العلماء الذين قدموا إلى جزيرة العرب من خارجها، وساهموا في الدعوة إلى الله فيها، الشيخ عبد الكريم الدرويش، ويمكن تقسيم عمله الدعوي حسبما يأتي:

١ ــ إنكار المظاهر الشركية في بلاده الأولى:

لما طلب العلم في بلاده، عرف ما في قومه من الضلال في التعلق بالقبور، والأضرحة، ودعوة غير الله، فأنكر ذلك عليهم،

---

(١) الشيخ عبد الكريم بن عبد القوي الدرويش الخراساني ينسب إلى بني مخزوم ولد في خراسان وتتلمذ على الشيخ عبد الله الغزنوي السلفي هناك، ثم فر هارباً بدينه مهاجراً إلى ربه سكن في بريدة ثم في الزلفى والأرطاوية، زاهد في الدنيا وزخرفها بلغ من الورع درجة عالية، توفي عام ١٣٤٠ هـ عن عمر يقارب ٩٠ عاماً.

انظر مخطوطة الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله الدرويش، رسالة مخطوطة بعنوان نبذة عن حياة الشيخ الزاهد المعروف بعبد الكريم الدرويش تتكون من ٧ ورقات، ابن عبيد: تذكرة أولي النهى والعرفان ٢/ ١٢٣ ــ ١٢٥، العمري: علماء آل سليم ٢/ ٣٢٠ ــ ٣٢١.

واتهموه بأنه وهابي، فتآمر اثنان على قتله، مما اضطره للفرار بدينه[1].

لقد كان الشيخ متفانياً في الدعوة إلى الله، لا يقبل من أحد أي عطية مقابل دعوته، بل يردها بقوة، ولا يريد من أحد جزاء ولا شكوراً، وكان لا يتحرج من أن يدعو، وينصح الكبير، والصغير، والغني، والفقير، والشريف، والوضيع على حد سواء.

وكان يقلل الكلام، ويكتفي بكلمات قليلة متينة، وكان يضرب الأمثال الواقعية.

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد كان الشيخ عبد الكريم يجهر بكلمة الحق في كل مكان، وعند العلماء، والملوك، والأمراء، ولا تأخذه في الله لومة لائم، مع أنه غريب مهاجر، وقد عرف الجميع صدقه في أمره ونصحه، وإخلاصه، ولذلك فإن زجره، وأمره لا يغضبهم، وله كرامات عظيمة[2].

٣ ـ التنقل بين أمكنة البدو للدعوة:

كان الشيخ عبد الكريم يتنقل بين بلدان نجد، يدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، من غير أن تأخذه في الله لومة لائم. فلما استقرت بعض البادية في بلد الأرطاوية، استمر في الذهاب إليهم، وسكن معهم مدة من الزمن، واعظاً، وناصحاً، وآمراً

---

(١) مذكرة الشيخ عبد الرحمن الدرويش ص ١.

(٢) العمري ٢/ ٣٢٠، وانظر من كراماته في ابن عبيد ٢/ ١٢٣.

بالمعروف، وكانت تلك البادية يحبونه، ويمتثلون أمره، ويأخذون قوله[1].

٤ ـ الاتصال بالعلماء والأمراء للدعوة والنصح والتذكير:

كان الشيخ يتصل بالعلماء يتناقش معهم، ويباحثهم، ويتصل بالأمراء، وينصحهم.

ولقد عرف الناس عن الشيخ عبد الكريم محبة الخير، والنصح، لذا فهم يقبلون ما صدر منه، ويصفحون عما يأتي منه من شدة، وكان له تأثير عجيب في نفوس سامعيه[2].

□□□

---

(١) مذكرة الدكتور عبد الرحمن الدرويش ص ٢.

(٢) الدرويش ص ٢.

المبحث الثاني

الشيخ عبد اللطيف بن حمد بن عتيق(1)

إن من علماء الدعوة الذين اهتموا بجانب الوعظ، والدعوة الشيخ عبد اللطيف بن عتيق، وأهم أعماله الدعوية ما يأتي:

١ ــ الوعظ والإرشاد:

لما أراد الملك عبد العزيز تولية الشيخ عبد اللطيف قضاء وادي الدواسر، هرب من البلاد خوفاً من إلزامه بالقضاء، وأخذ يتنقل بين البوادي الرحل داعياً إلى الله، ومقبلاً على العبادة(2). وكان البادية في حاجة إلى أمثاله لإقبال البادية على الدين، والخير، ولقلة الدعاة في ذلك العصر خاصة بين البادية.

٢ ــ القضاء:

لما ظن الشيخ عبد اللطيف أن الإمام عبد العزيز صرف النظر عن تكليفه بالقضاء، رجع إلى أهله، ثم سافر إلى الرياض للسلام على

---

(١) الشيخ عبد اللطيف بن حمد بن عتيق ولد سنة ١٢٨٢ هـ في الأفلاج تعلم على والده وعلى الشيخ سليمان بن سحمان وعلى أخيه الشيخ سعد بن عتيق عابد ورع توفي سنة ١٣٥٠ هـ.
البسام ٢/ ٤٩٦ ــ ٤٩٧، القاضي ١/ ٣١٢ ــ ٣١٣، عبد الله بن عبد العزيز الجذالين: تاريخ الأفلاج ص ١٨٧.

(٢) ــ البسام ٢/ ٤٩٦.

أخيه الشيخ سعد، ولما دخل مع أخيه على الإمام للسلام عليه، وافق دخوله عليه وصول نبأ وفاة قاضي رنية فوجه الملك عبد العزيز أمره إلى الشيخ عبد اللطيف بمباشرة القضاء فيها، فاعتذر الشيخ، فأكد عليه بالقبول، كما أرشده أخوه إلى قبول أمر إمام المسلمين، ولزوم السمع والطاعة، فامتثل الأمر، وتولى القضاء في تلك الناحية بجد، ونشاط إلى حين وفاته[1] رحمه الله.

وقد سدد في أقضيته وكان مثالاً في العدالة، والنزاهة، ويصدع بكلمة الحق[2].

□□□

(١) البسام ٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧، القاضي ١/ ٣١٢.

(٢) القاضي ١/ ٣١٢.

المبحث الثالث
الشيخ عبد الله بن أحمد العجيري[1]

من العلماء الحفاظ الرواة الشيخ عبد الله العجيري، ومن أهم أعماله الدعوية ما يأتي:

١ ـ الوعظ والإرشاد:

لقد كان الشيخ العجيري نابغة في الحفظ فلكثرة محفوظاته سهل عليه الوعظ والتذكير.

وكان في وعظه وتذكيره مشوقاً لسامعيه؛ بتتابع كلامه، وحسن صوته، وجودة إلقائه مع فهمه لما يحفظ، وعلمه بأسرار معاني الأحكام، وخبرته بدقائق فنون البلاغة، والنكت النحوية، يقول عند

---

(١) الشيخ عبد الله بن أحمد بن سعد العجيري ولد سنة ١٢٨٥ هـ في حوطة بني تميم وقيل سنة ١٢٦٧ هـ طلب العلم على علماء بلده ومنهم الشيخ إبراهيم بن عبد الملك والشيخ محمد الشتري ورزقه الله حافظة قوية وإدراكاً سريعاً وإقبالاً على المطالعة فصار من أوعية العلم وحفاظ التاريخ ورواة الأدب، توفي في حوطة بني تميم عام ١٣٥٢ هـ.

انظر الرويشد: العجيري سيرة ذاتية، البسام ٢/ ٥١٤ ـ ٥١٦، القاضي ١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٥، ابن عبيد: تذكرة أولي النهى ٤/ ٣٢، الزركلي: الأعلام ٤/ ٧٠ وشبه الجزيرة العربية ١/ ٣٣٩، العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٤٩٠، ابن خميس: معجم مجلة اليمامة ١/ ٣٥٧، الريحاني: تاريخ نجد وملحقاته ص ٣٦٠ و٣٦٣.

يوسف ياسين: قد أتاه الله من قوتي الحافظة، والذاكرة ما ساعده على النبوغ في فنه الذي لم نرَ له نداً فيه من الذين عرفناهم من الحفاظ، والرواة، وكان يحفظ القرآن الكريم، وكتب الحديث بالسند لا سيما مسند الإمام أحمد، وكان يحفظ من كتب الأدب: أدب الكاتب، والأغاني والأمالي، والبيان والتبيين، والآداب الشرعية، ودواوين شعر مختلفة لا يحصى عددها، يحفظ هذه الكتب برواياتها، وسندها، وهناك كتب أخرى دينية، وتاريخية، وأدبية يروي الكثير منها، وجماع القول أن الأمة العربية فقدت بفقده نابغة من نوابغ الرواة[1].

وقال الشاعر محمد ابن عثيمين عنه:

فقد كان في صدر المجالس بهجة به تحدق الأبصار والقلب يرهب
فطوراً تراه منذرا ومحذرا عواقب ما تجني الذنوب وتجلب
وطوراً بأخبار الرسول وصحبه وطوراً بآداب تلذ وتعذب[2]
وطوراً بآلاء الإله مذكرا وطوراً إلى دار النعيم يرغب

٢ ـ مرافقة الإمام:

لما علم الملك عبد العزيز رحمه الله عن ما يتمتع به الشيخ عبد الله من صفات علمية عالية اختصه لنفسه وقربه من مجلسه فصار من حاشيته المقربين ومن خواصه الأدنين، وكان يرافق الملك في أسفاره ويعظه ووزرائه وحاشيته يكلم في كل ليلة عن موضوع من المواضيع العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية فيذكر ما فيه من كلام الله

---

(١) جريدة أم القرى ١٨/ ٥/ ١٣٥٢ هـ، البسام ٢/ ٥١٥.
(٢) العقد الثمين ص ٤٩٥، البسام ٢/ ٥١٦، القاضي ١/ ٣٦٤.

عـز وجـل وحـديـث رسـول الله ﷺ وكـلام العـرب الأوليـن وبعـض المتأخرين ويذكر القصص التاريخية التي لها صلة بالموضوع فيما بين الساعة والساعتين كل ذلك عن ظهر قلب بدون تلعثم ولا يعيد شيئاً قد ذكره في ليلة سبقت[1].

□□□

(١) جريدة أم القرى ١٨/ ٥/ ١٣٥٢ هـ.
البسام ٢/ ٥١٥، القاضي ١/ ٣٩٣، الزركلي: الأعلام ٤/ ٧٠، الريحاني ٣٦٣.

المبحث الرابع

الشيخ عثمان بن سليمان[1]

يمكن تقسيم عمل الشيخ عثمان بن سليمان الدعوي حسب الآتي:

١ ــ الوعظ والإرشاد:

كان الشيخ في وعظه يرتجل خطبه بصوت مؤثر[2].

٢ ــ التنقل مع البادية:

كان الشيخ عثمان ينتقل بين مضارب البادية وهجرهم ينصحهم ويعظهم مما جعل بعضهم ينتقل معه إلى بلدة حرمة وكان يقوم مع أهالي البلد بالانفاق عليهم وإعاشتهم وكان يستغل ذلك في الدعوة إلى الله ثم انتقل معهم إلى هجرة الأرطاوية[3].

---

(١) الشيخ عثمان بن إبراهيم بن سليمان آل سليمان ولد في قرية ظلمى قرب مدينة المجمعة سنة ١٢٨٠ هـ وقيل ١٢٨٤ هـ طلب العلم على الشيخ عبد الله العنقري في المجمعة شارك في عدة غزوات وتوفي سنة ١٣٦٣ هـ.
مذكرة للشيخ ابراهيم المدلج بعنوان: ترجمة مختصرة للشيخ عثمان بن سليمان ١ ــ ٥، خزعل: تاريخ الكويت السياسي ٤/ ٢٦٨ و٢٧١.

(٢) المدلج ص ٣.

(٣) المدلج ص ٢.

٣ ــ إمامة الجامع:

تعين إماماً وخطيباً في مسجد جامع بلدة حرمة حوالى سنة ١٣١٠ هـ واستمر في ذلك مدة طويلة يدعو إلى الله عز وجل[١].

٤ ــ مرافقة الجيش للتعليم والإرشاد:

كان يرافق بعض فرق الإخوان في الغزو، ينصحهم، ويرشدهم، ويمنعهم مما يخالف الشرع، وكان يبتدىء المغزوين بعرض الالتزام بالشرع، أو الصلح عليهم قبل مباشرة القتال[٢].

وقد شارك في معظم غزوات الملك عبد العزيز واعظاً، ومرشداً[٣].

□□□

---

(١) المدلج ص ٢ و٣.

(٢) خزعل: تاريخ الكويت السياسي ٤/ ٢٦٨ و٢٧١.

(٣) المدلج ص ٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد: ففي نهاية مطاف هذا البحث أحمد الله، وأشكره، وأسأله المزيد من فضله، فبعونه جل وعلا وحده أنجزت ما أنجزت، وكتبت ما كتبت، فالحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً.

ثم إني أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وهي كما يلي:

أولاً:

إن الدعوة إلى الله تعالى في عهد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ جمعت في وسائلها بين الأصالة، والمعاصرة، فهي دعوة تأقلمت مع ظروف الحياة المعاصرة، فاهتبلت الأساليب الجديدة التي سمح الشرع باستخدامها، واتخذت منها طريقاً لبث الدعوة في جميع الأرجاء، مما كان له أثر بارز على انتشار الدعوة، ووصولها إلى أقطار بعيدة.

فهي دعوة لم تعرف الجمود المذموم، كما لم تعرف الانفتاح المذموم، بل أخذت من الوسائل الحديثة ما يتلاءم مع شرع الله تعالى، وسخرتها في سبيل الوصل إلى غايتها المقصودة وهي: تحقيق التوحيد، وإفراد الله بالعبادة.

ثانياً:

اكتنفت الدعوة إلى الله تعالى في عهد الملك عبد العزيز، ظروف، وأحوال بعضها إيجابي، وبعضها سلبي، فالإيجابي عامل من عوامل دفع الدعوة إلى الأمام، وقد حاولت حصر الأحوال الإيجابية في ثلاثة أمور:

(أ) السمعة الطيبة للدولة السعودية في عهودها السابقة.

(ب) رغبة العلماء في قيام دولة تلتزم العقيدة، وتنفذ الشريعة، وتقيم الجهاد.

(ج) تطلع المجتمع إلى قيام دولة تقيم الأمن، والعدل.

فهذه العوامل ساعدت على ظهور دولة الدعوة، ويسرت أمامها سبل القيام بالدعوة إلى دين الله تعالى.

كما أن هناك عوامل أخرى دفعت عجلة الدعوة إلى الله، هي تلك العوامل الخاصة التي تحلى بها الملك عبد العزيز، ووهبها من قبل الله جل وعلا: كحنكته، وقدرته الفكرية، والإدارية، ومعرفته بأحوال سكان الجزيرة العربية، ومقدرته على كسب طاعة أمراء القبائل والبلدان، وإصراره على نشر عقيدة التوحيد، وبعثها من جديد.

أما العوامل السلبية؛ فقد حاولت حصرها، وذكرت بعض وسائل التغلب عليها: وهي نوعان:

عوامل داخلية، وعوامل خارجية.

فالعوامل الداخلية هي:

(أ) قلة الدعاء:

وقد بينت كيف استطاع القائمون على الدعوة التخلص من هذا المعيق، بما بذلوه من جهد في سبيل نشر الوعي، والعلم بين صفوف الناس بادية، وحاضرة، حتى كثر طلاب العلم ومحبوه، فمن ثم كثر الدعاة، والمرشدون.

(ب) العصبيات القبلية:

حيث استطاع الملك عبد العزيز نزع هذه العصبيات الجاهلية من النفوس التي ألفتها قديماً، وجمعهم على أخوة الإسلام، حتى أصبح شعار القبائل: (أنا أخو من أطاع الله).

(ج) غلو بعض الناس في الدين:

فقد كان هذا سبباً رئيساً في إعاقة سير الدعوة، لأن الغلو من البعض يذهب ببهاء الدعوة، ويعكر صفوها، وينفر عن قبولها، ويعيق مسارها.

فتصدى الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ لهذا المعيق، وذلك عن طريق العلماء، حيث كشفوا شبهات أولئك الغلاة، وبينوا تنطعهم، وتشددهم المذموم، فبان للناس جهلهم، وضلالهم ومن ثم أخذوا الحذر منهم، ومن فكرهم، وبذلك حجر عليهم حجراً فكرياً، فلم تسر فكرتهم، ولم تنتشر.

(د) ومن العوامل السلبية:

وجود الفرق المنحرفة، حيث تنتشر بعض المذاهب الضالة في

بعض الأماكن، فبذلت جهود كبيرة في سبيل دعوتها إلى الحق، أو التقليل من ضررها وفشوها.

(هـ) انتشار الأمية:

وقد بذل الملك عبد العزيز، والعلماء جهداً عظيماً في سبيل محو هذه الأمية، وإحلال العلم، والثقافة مكانها، فنجح أيما نجاح، واستطاع نشر العلم في أكثر أنحاء المملكة، مما كان له الأثر البارز في الدعوة إلى الله جل وعلا.

أما العوامل السلبية الخارجية فقد حصرتها فيما يلي:

(أ) وجود أقلام ضالة يحملها علماء السوء:

تنخر في بناء الدعوة السلفية، وتحارب مبادئها البناءة، وتلصق بها أشنع الفرى، وقد كادت هذه الأقلام المأزورة أن تفعل فعلتها الشنيعة، إلا أن الله قيض من علماء السنة في هذه البلاد، وفي خارجها من ينقض هذه الشبه، ويوقف هذه الأقلام عند باب حجرها.

(ب) فشو الدعوات الهدامة التي صنعها أعداء الإسلام الغربيين؛ كفكرة القومية، والعلمانية، والاشتراكية، وغيرها:

فإن انتشار هذه الأفكار عرقل مسيرة الدعوة إلى الله تعالى في أكبر بلدان العالم الإسلامي، والمملكة العربية السعودية كانت أشد البلدان محاربة لمثل هذه الأفكار، عن طريق ما يكتبه علماؤها، وما ينتهجه حكامها. ومع ذلك فقد انخدع بعض الأفراد فيها ببعض هذه المبادىء الفاسدة، وما زال الترشيد، والتحذير قائماً من هذه المبادىء، كفى الله المسلمين شرها.

(ج) الاستعمار:

وهو أكبر العوامل السلبية الخارجية، فقد كان لنفوذه في بلدان العالم العربي أثر واضح في تأخر قوافل الدعوة إلى الله عن مسيرتها، وقد بصر الله الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ بخطط المستعمرين، ومفاسدهم فعمل على وقاية بلاده منهم، ومن سمومهم التي يبثونها بنشاط في كل بلد مسلم.

هذا هو مجمل ما استطعت استيحاءه، وحصره من العوامل الايجابية، والسلبية التي واجهت الدعوة، وأرجو أن أكون وفقت في هذا الحصر.

ثالثاً:

باستقراء أحوال القائمين على الدعوة في ذلك العصر، وطريقة دعوتهم، تبين أن منهجهم يقوم على ثلاث دعائم:

(أ) توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، والدعوة إلى ذلك.

(ب) تطبيق الشريعة الإسلامية.

(ج) السعي إلى وحدة الأمة.

وقد بينت شيئاً من الجهود الدعوية التي بذلت في نشر عقيدة التوحيد داخل المملكة، وخارجها.

أما في الداخل فعن طريق إزالة مظاهر الشرك، والخرافة، ونشر دعاة السلفية في أوساط الناس، وبث العلم الشرعي بين أبناء البادية على وجه الخصوص، لما للجهل من أثر على فشو البدع بينهم.

وأما نشر العقيدة السلفية في الخارج، فعن طريق استغلال مواسم الحج في الدعوة إلى الله، وبيان المعتقد الحق، فيحمله الحاج

إلى بلده، وينشره بين أبناء وطنه، وكذا عن طريق الكتب، والنشرات التي توزع مجاناً فتصل إلى بلاد بعيدة.

كما ألقيت الضوء على الجهود الدعوية في مجال تقرير الشريعة في العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، وكيف نهض بالقضاء، حتى بلغ به مرتبة عالية في ترتيباته، وإدارته.

رابعاً:

أثبتت هذه الدراسة قوة التزام الدولة بالدعوة إلى الله تعالى، ويظهر ذلك في قيام الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بالدعوة إلى الله تعالى بجد، وصدق، ومواصلة دون فتور.

وقد عرضت جانباً من الوسائل التي استخدمها الملك عبد العزيز بكثرة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، كمثال على عظيم اهتمام الملك عبد العزيز بهذه المهمة الجليلة. تلك الوسيلة هي: الخطابة، التي برع فيها الملك عبد العزيز، وأحسن أداءها.

وقد قمت بدراسة نماذج من خطبه ـ رحمه الله تعالى ـ فخرجت بأن سمة خطبه تنحصر في النقاط الآتية:

(أ) سهولة الألفاظ.

(ب) الاستشهاد بالقرآن، والسنة.

(ج) ملامسة عقول الناس، وعواطفهم، ومشكلاتهم.

(د) اشتمالها على الوعظ، والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة.

(هـ) ربط الحاضر بالماضي، والاستفادة من الماضي للانطلاق في المستقبل.

(و) مـلاءمـة الكلمـات للمنـاسبـات، واختيـار المنـاسبـات للكلمات.

(ز) تقـوم الخطـب علـى أسـاس دعـوي، حيـث تتضمـن أهـم المواضيع في الشرع كالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة، والتمسك بالكتاب والسنة، ونبذ البدع والخرافات، والتزام بآداب الشريعة، ونحو ذلك.

كما أني ــ بهذه المناسبة ــ تطرقت للأحاديث الصحفية التي تكلم بها الملك عبد العزيز، فذكرت نماذج منها، ثم خلصت بنتيجة هي: تلك المكانة التي احتلها الملك عبد العزيز في قلوب الناس عموماً، نظراً لما يقدمه من خدمة للإسلام، والمسلمين لا نظير لها في وقتها.

خامساً:

تحدثت عن أهمية التعليم في مجال الدعوة، حيث إنه أحد أسس الدعوة إلى الله تعالى، ولا قيام للدعوة في مجتمع يفقد أهله العلم، وقد تبين من خلال الدراسة تلك الوثبة، والقفزة الرائعة التي قام بها الملك عبد العزيز في مجال التعليم، حيث رقى به إلى أعلى الدرجات، بعد أن كان ضئيلاً يفتقر إلى الوسائل الملائمة للعصر.

فأرسى الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ أسس التعليم الحديث على وفق التعاليم الشرعية، مستفيداً من المستجدات العصرية من وسائل، وأجهزة، وتنظيمات تساعد على النهوض بالتعليم، فانتشر الوعي بين الناس، وقل الجهل، وكثر القراء، والكتاب، فكان لذلك أكبر الأثر على وفرة الدعاة، وتهيئة الجو لهم.

سادساً:

عرضت نماذج من الوسائل التي استخدمت في ذلك العصر للدعوة إلى الله تعالى، سواء في ذلك الوسائل الأصلية الموجودة قبل عهد الملك عبد العزيز، أم الوسائل الحديثة التي وجدت مع وجود المدنية الحديثة.

ففي مجال الوسائل الأصلية ذكرت عشرة نماذج هي:

١ ــ إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها في الدعوة.

٢ ــ تعيين المفتين، والقضاة، وجهودهم في الدعوة.

٣ ــ التعليم في المساجد.

٤ ــ تعيين الأئمة، والخطباء في المساجد للدعوة.

٥ ــ إرسال العلماء، والدعاة إلى البوادي، والهجر.

وفي أثناء الحديث عن هذه الوسيلة، قمت بنقد فكرة طرحها بعض المؤرخين هي أن الهجر إنما أنشأت لمجرد غرض مادي، فهي عبارة عن مشروع زراعي، أو حركة توطين.

وقد بينت خطأ هذه الفكرة، وذكرت أن إنشاء هذه الهجرة إنما كان لغرض ديني، هو نشر العقيدة، والأخلاق الإسلامية بين أبناء البادية.

ولا يمنع أن يكون هناك أغراض أخرى حسنة، كإفادة البدو بالحياة المدنية، واحتواء البدو وسهولة توجيههم. إلا أن الهدف الأول هو الأصل في إنشاء الهجر، كما دل على ذلك روايات المعاصرين، وأخبار المؤرخين المحققين.

٦ ـ من وسائل الدعوة الأصلية في عهد الملك عبد العزيز: رسائل العلماء، ومكاتباتهم.

وقد عرضت نماذج من تلك الرسائل، واستخلصت منها الصفات التي اتسمت بها رسائل أولئك العلماء الدعاة، وهي:

(أ) البداءة ببسم الله الرحمن الرحيم، دون الحمدلة وغيرها من العبارات. وهم قد تأسوا بالنبي ﷺ بذلك حيث كانت مراسلاته عليه الصلاة والسلام تستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم.

(ب) ذكر اسم المرسل في صدر الرسالة، ثم اسم المرسل إليه، وهم معتمدون في ذلك على صفة رسالة سليمان عليه السلام، التي وصفها الله في كتابه بقوله: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[1]، وما ثبت عن النبي ﷺ من قوله في مراسلاته: من محمد عبد الله، ورسوله.

(ج) الدعاء للمرسل إليه، وليس فيها إطراء له، ولا مدح زائد.

(د) السلام على المرسل إليه.

(هـ) وضوح العبارة مع عدم استخدام المحسنات البديعية المتكلفة.

(و) تضمين الرسالة الأدلة من الكتاب والسنة.

(ز) إنهاء الرسالة بالإيصاء بتبليغ السلام لمن يشارك المرسل إليه في قرابة، أو عمل.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٠.

(ح) وضع تاريخ الرسالة.

(ط) وضع ختم المرسل.

وقد سبرت الرسائل المكتوبة من قبل العلماء في عهد الملك عبد العزيز فوجدتها على نوعين:

النوع الأول: رسائل خاصة وتشمل:

(أ) رسائل العلماء للملك عبد العزيز.

(ب) رسائل العلماء فيما بينهم.

(ج) رسائل الإفتاء، والإجابة عن أسئلة المستفتين.

النوع الثاني: رسائل عامة:

وهي عبارة عن نصائح لعامة الناس تقرأ عليهم في المساجد، والمجامع.

وقد ذكرت أمثلة على كل نوع، وبينت ما يتسم به كل نوع.

٧ ــ **ومن الوسائل**: التعريف بالمنهج السلفي خارج المملكة. وبينت فيه استغلال الملك عبد العزيز ــ رحمه الله تعالى ــ للفرص المتاحة التي يحصل من خلالها نشر المعتقد السليم في جميع أقطار الدنيا، وذكرت من هذه الفرص:

(أ) لقاؤه بوفود الحجيج، وحثهم على التمسك بالدين الصحيح ليكونوا دعاة إلى المنهج السلفي بعد عودتهم إلى بلادهم.

(ب) دعم، ونشر الكتب، والمجلات، والنشرات الإسلامية التي توضح الدين الحق.

(ج) دعم العلماء السلفيين في مختلف بلدان العالم مادياً، ومعنوياً.

(د) إرسال الدعاة إلى الدول المجاورة للتعريف بالمنهج السلفي. وقد ذكرت أمثلة على كل ذلك بما يوضحه، ويجليه.

٨ ــ **من الوسائل**: استقبال الوفود، كوفود الحج، ونحوها.

٩ ــ إقامة الجهاد في عهد الملك عبد العزيز لتوحيد هذا الكيان الإسلامي، وعدم إتاحة الفرصة للاستعمار الغربي للتدخل في هذه الإمارات.

١٠ ــ إنشاء المدارس.

هذا بالنسبة للوسائل الأصلية التي استخدمت في عهد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله تعالى ــ.

أما الوسائل الإعلامية الحديثة التي استخدمت للدعوة في عهد الملك عبد العزيز فقد ذكرت منها:

١ ــ الصحافة:

وقد تقصيت الصحف التي تصدر في عهد الملك عبد العزيز، وعرفت ببعضها.

كما ذكرت ما استطعت الوقوف عليه من أهداف الصحافة السعودية في ذلك العهد، والتي تتلخص فيما يلي:

(أ) المحافظة على شخصية المجتمع السعودي عقب توحيد البلاد.

(ب) قيام الصحافة بتوضيح المفاهيم، وتوعية الناس بأهداف

التغييرات الواجب إحداثها، وإلقاء الضوء على القضايا المطلوب معالجتها بعد تمام التوحيد.

(ج) المساعدة في نشر الأمن، والعدل في ربوع البلاد.

٢ ــ الإذاعــة:

٣ ــ طباعة الكتب الإسلامية، ونشرها:

وقد حاولت حصر أهم الكتب الإسلامية التي طبعت في ذلك العهد، وأغلبها على نفقة الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ.

سابعاً:

جعلت للأساليب الدعوية باباً مستقلاً منفصلاً عن الوسائل، حيث قد فرقت بين الأساليب والوسائل. وقسمت الأساليب إلى أساليب فعلية، وأساليب قولية.

فذكرت أن أساليب الدعوة العملية في عهد الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ تشمل: القدوة الحسنة. والحكمة.

ففي مجال الأسلوب الأول: ذكرت برنامج الملك عبد العزيز اليومي، بما قيده بعض المؤرخين، وما سمعته من الرواة؛ مما يظهر القدوة الحسنة التي تحلى بها الملك، واتصف بها. وقد بينت السبب الذي دفعني إلى الاسهاب في ذكر كون الملك عبد العزيز قدوة صالحة حسنة؛ ذلك هو: اهتمام الناس عموماً بما عليه ملوكهم، ورؤساؤهم، فإن كانوا قدوة صالحة تابعوهم في ذلك، وإن كانوا قدوة سيئة تابعوهم على ذلك، فالناس على دين ملوكهم. فتحلى الملك عبد العزيز بالقدوة الحسنة، كان له أكبر الأثر في الدعوة إلى الله تعالى.

كما أني ذكرت القدوة الحسنة التي تحلى بها العلماء في عهد الملك عبد العزيز. واخترت ثلاثة أمثلة منهم في توضيح صورة القدوة الحسنة التي كان عليها علماؤنا فذكرت: الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

وفي مجال الأسلوب الثاني: الحكمة، ذكرت ما للحكمة من أثر على الدعوة إلى الله تعالى، وقد اقتصرت على مثال واحد هنا هو الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد، وذكرت بعض مواقف الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى التي قام بها الشيخ البليهد.

أما أساليب الدعوة القولية فقد ذكرت منها: الدعوة بالموعظة الحسنة. والمجادلة بالتي هي أحسن. والقصص وضرب الأمثال.

ففي مجال الأسلوب الأول ـ الدعوة بالموعظة الحسنة ـ ذكرت أمثلة من المواعظ التي كانت تلقى في عهد الملك عبد العزيز وبينت اهتمام الملك عبد العزيز بهذا الأسلوب، وأنه كان يأمر بنسخ تلك المواعظ، وتوزيعها على أنحاء البلاد.

أما الأسلوب الثاني ـ المجادلة بالتي هي أحسن ـ فقد خلصت بعد التتبع، والاستقراء إلى أن المجادلات الدعوية في عهد الملك عبد العزيز تنقسم إلى قسمين:

(أ) المناظرات الشفوية:

وهي المناظرات التي يجتمع لأجلها العلماء، فيتناقشون في القضية المطروحة، كل بما وصل إليه اجتهاده، وأدركه فهمه، وذكرت مثالاً لذلك: ما وقع بعد فتح الحجاز عام ١٣٤٣ هـ من اجتماع علماء

مكة المكرمة، بعلماء نجد، عدة مرات للنقاش في قضايا عديدة، وقد صدر كتاب بعد ذلك في اعتماد القول الصحيح في تلك القضايا، واتفاق علماء البلدين عليه، وهو كتاب: «البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة نجد من عقائد التوحيد» ثم صدر عقبه كتاب «نداء عام من علماء بلد الله الحرام».

(ب) المناظرات العلمية التحريرية:

وأمثلة هذا القسم كثيرة، إذ هي تتمثل في الردود التي كتبها علماء الدعوة رداً على شبهات أعداء السلفية.

وفي مجال الأسلوب الثالث ـ القصص وضرب الأمثال ـ ذكرت بعض المواقف الدعوية بالأسلوب القصصي في عهد الملك عبد العزيز، التي تحصلت عليها عن طريق الرواة، والتي قد قام بها الشيخ أبو حبيب عبد العزيز الشثري رحمه الله.

ثامناً:

صنفت الدعاة في عهد الملك عبد العزيز إلى خمسة أصناف:

(أ): الدعاة الذين اشتهروا بالإفتاء.

(ب) الدعاة الذين اشتهروا بالقضاء.

(ج) الدعاة الذين اشتهروا بالتعليم.

(و) الدعاة الذين اشتهروا بالتأليف.

(هـ) الدعاة الذين اشتهروا بالوعظ.

وقد ذكرت تحت كل صنف نماذج من مشاهيره، ترجمت لهم ترجمة موجزة، وعرفت بنشاطهم في الدعوة إلى الله تعالى.

وقد استغرقت جهودهم في الدعوة إلى الله في سائر أنحاء

المملكة وعرضت لذلك نماذج في مدينة الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة والاحساء وجازان والقصيم والافلاج وحائل وسدير والجوف والقويعية والزلفي والحوطة وفي البوادي.

ويتضح من خلال هذا ما قام به هؤلاء العلماء من مسؤوليات عظيمة، ومهمات جسيمة أدوها خير أداء يحفزهم الإخلاص لدينهم، ووطنهم، وولاة أمورهم، وكان لهم دور كبير في الصحوة الدينية التي عمت أغلب أجزاء الجزيرة العربية، وعلى أساسها قامت الدولة السعودية المباركة.

□□□

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

من صالح

من صالح بن محمد الشثري وحمد بن عيسى بن ابراهيم الى الامام المكرم سعود بن فيصل ساعده الله بالتوفيق واجاره من موجبات التعويق امين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط ابلاغك السلام والتحفي والاكرام وخطك الشريف وصل وصلك الله الى خير وما تضمنه من البشارة باجتماع المسلمين فالحمد لله رب العالمين وما اشرت اليه من الاهتمام بما يصلح الله به العباد فانت فاهم ان الاغراض الدنيوية التي اكثر الخلق لها يعملون منتفية عنا بفضل الله ومنته وانما القصد اجتماع المسلمين على كلمة التوحيد وما تقتضيه من الاقوال والاعمال ونفي التنديد فالذي نوصيك به تقوى الله سبحانه الذي واكثر بلا سبب ممن يحبك او يقلاك فعليك بملاحظة مراده منك وتجديد النية واصلاح الطوية والاحسان الى الرعية وانظر للحال والدك رحمه الله مع الخلق ومعاملته لهم حيث احبته قلوبهم وطابت به نفوسهم اذ قابل السيئة بالحسنة وعمل بقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ولم يصغ باذنه الى اهل القيل والقال واعتبر بمن قبلك حيث اوعزت لمن ذلك صدور الرجال وليكن لك اعتناء بتقديم اهل العقل والعفة في مناصب المسلمين تحمد العاقبة في العاجل والآجل ويوم الدين والله المسئول ان يتولاك وان لا يكلك الى نفسك وهواك وان يصلح بك ما فسد وان يظهر منك باطن الروح وظاهر الجسد والعزيمة الاقبال اليكم للسلام عليكم ولكن نستفرغ الوجه والبال من كثرة الاشغال هذا ويبلغ السلام خواص الاخوان ومن لدينا سليمان وعلي والعيال والشيخ والاخوان ينهون السلام وانت سالم والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن محمد بن داود الى جناب عالي الجناب الامام المكرم المحترم الاشم حميد المكارم والشيم عبد العزيز بن
عبد الرحمن ال فيصل حفظه الله تعالى بعينه التي لا تنام ووفقه لطاعة الملك العلام وادخله الجنة بسلام آمين سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد موجب الكتاب ابلاغ جنابكم المحترم جزيل السلام مع السؤال عن صحة احوالكم احوالنا
بحمد الله جميلة سبق لكم مكاتبة نرجو وصولها بحال السرور والعافية والحامل لها يجب رفعها لادائكم السلامة والعافية
لما رانيا القادم احببنا تجديد التحية الله المسؤل المرجو ان يمتعنا وجميع المسلمين بوجودكم على طاعته وان
يجمعنا واياكم في دار كرامته ومن طرف المسلمين ابشركم انهم متقبلين الخير البادية والحاضرة ولكن الجهل كثير والمعلم
قليل ومن طرف الشريف واهل مكة فلهم رعب زائد وفي غاية الجهد حتى انه حد اليد على من كان عنده شي من الدخان
الزاد وغيره حتى الكشيش ويكتب لهم في قرطاس ويغورون عليهم العتبان من ورا الاميال والسعر ما عاد فيها
سعر نذكر لكم من طرف السبل آمنة غاية بين الحجر وترى ذلك ما يخشى الا الله وجاء به مداييد وشي في التمر وحي لابن
مطلقا ان اكود هم يبي ضاوع لمكة وقرب منهم من تجلب والتمر وكل عد ودين مضعفه الله والله كما نرجو ان الله
يديم للمسلمين وجودكم على طاعته ويجعلكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون هذا ازكى تحية مع ابلاغ السلام العام
الوالد المكرم وكافة الاولاد والمشايخ خصوصا الولد الجميع الشيخ عبد الله ولنا الاخوان الاخ الجميع ... الجميع بخير
ويسلمون وانت في امان الله وحفظه والسلام

٢٣ / ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن محمد بن داود ومحمد بن عثمان الشاوي إلى من يراه من أهل مكة المشرفة وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات وختم لنا ولهم بالباقيات الصالحات آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فالموجب لتحرير هذا الكتاب هو النصيحة لكم والشفقة عليكم والشرع الإلهي في إبلاغكم ما علمنا وفقنا الله وإياكم أن الله سبحانه خلق عباده ليعبدوه وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه فعبادته هي توحيده وطاعته بامتثال ما أمر به على لسان رسوله فإذا علم الإنسان أن الله سبحانه إنما خلقه لعبادته فحق عليه أن يسأل عن معنى العبادة التي خلق من أجلها ويعمل بها فأعظم الأوامر وأعظم الفرائض وأوجب الواجبات توحيد الله تبارك وتعالى الذي اتفقت عليه دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون والتوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادة كالدعاء والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر فكل هذه الأنواع وما في معناها عبادة لا تصلح إلا لله تبارك وتعالى فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر كما قال تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون وقال تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون فقول يا رسول الله ويا ابن عباس أو يا محجوب هو من دعاء غير الله وهو من الشرك الأكبر إذ العبادة خالص حق رب العالمين لا يجوز صرفها لغيره لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما من الأولياء والأشجار والأحجار والنبي صلى الله عليه وسلم حقه علينا الحب وتعظيمه باتباع أمره واجتناب ما نهى عنه وتوقيره وتعزيره وتقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال وأن يكون هوى العبد تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم وحق الصالحين الدعاء لهم واتباع آثارهم لا دعاؤهم والتمسح بقبورهم فليحذر الإنسان كل الحذر أن يقع في الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال عن المسيح إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار فمن دعا غير الله فهو مشرك ولو قال إني أقول ذلك على سبيل المجاز ولو سماه ما سماه إذ العبرة بالحقائق والمعاني لا بالأسماء ومن الأمور المنكرة البناء على القبور والصلاة عندها [illegible] المصلي إنما يصلي لله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وأبلغ في ذلك وأعاد ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور وتجصيصها في عدة أحاديث وكذلك إسراج القبور لعن النبي صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج فعبادة الله عند القبور بدعة وعبادة أصحاب القبور شرك أكبر ينافي التوحيد وكذلك من البدع سؤال الله بجاه المخلوقين فإن هذا لم يشرعه الله ولا رسوله ولا ورد ذلك بسند صحيح صريح لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من خلفائه [illegible] المقتدى بهم ونحن متبعون لا مبتدعون وإنما المشروع أن يسأل العبد ربه بأسمائه وصفاته كما قال تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ومن أقسام الشرك الأصغر الحلف بغير الله لقول النبي صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك وذلك كالحلف بالأمانة والنبي وغير ذلك فاحذروا ما ذكرناه ومن أشكل عليه شيء من ذلك فليسأل الله أن يهديه صراطه المستقيم والمراجع تفاسير كتاب الله العزيز كتفسير ابن جرير وابن كثير والبغوي وغير ذلك من تفاسير أهل السنة والمراجع كلام المحققين كالأئمة الأربعة فمن بعدهم من علماء السنة والمراجع تصانيف شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فإنه إن كان منصفا لما فيها ما يثلج الصدر ويزيل الإشكال من الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية والحق ضالة المؤمن ثم بعد ذلك الاهتمام بشأن الصلاة في أوقاتها في الجماعات والمحافظة على شروطها والطمأنينة فيها وترك مسابقة الإمام فإنه محرم كما في الأحاديث قال بعض الصحابة لما رأى رجلا يسابق الإمام لا وحدك صليت ولا بإمامك اقتديت والصلاة هي عمود الإسلام وآخر ما يفقد من الدين وآكد شرائع الإسلام بعد الشهادتين من حفظها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع فاهتموا بشأنها وتناصحوا فيما بينكم ومن رأيتم منه خللا أو تفريطا فانصحوه وازجروه فإن لم يقبل فارفعوا أمره إلى الولاة فإنه ورد أن الحسن [illegible] وكذلك الزكاة فاهتموا بها فإنها قرينة الصلاة في كتاب الله والسنة وهي طهرة للمال وتعاونوا على البر والتقوى وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر امتثالا لقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وورد أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده إذا تقرر ذلك فأعظم المنكرات الشرك ووسائله وذرائعه الموصلة إليه كالبناء على القبور وإسراجها واتخاذها عيدا وتحري الصلاة عندها كما استفاضت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك ولعن فاعله وكذلك ارتكاب ما حرمه الله تعالى من الزنا والسرقة وشرب المسكرات على اختلاف أنواعها وخيانة الأمانة وأكل أموال الناس بالباطل كالمعاملات الربوية والغش وبخس المكاييل والموازين وكذلك شهادة الزور واليمين الغموس التي يقتطع بها مال امرئ مسلم [illegible] وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وبالجملة فأهم ما على الإنسان معرفة ما خلقه الله له وما أوجب عليه والعمل بذلك واجتناب ما نهاه الله عنه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأنتم جيران بيت الله وسكان حرمه فينبغي لكم الاهتمام بتطهيره عما يسخط الله كما أمر الله بتطهيره وتوعد على الإلحاد فيه فقال تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فنسأل الله الكريم أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين آمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد فقد [illegible] نحن الواضعون أسماءنا [illegible] على هذه الرسالة المنسوبة لحضرة الشيخ عبد الرحمن بن داود وحضرة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي فوجدناها مشتملة على الحق والصواب واعتقادنا أن دعاء الأموات وطلب الحوائج منهم بقول يا فلان أغثني [illegible] أو طلب جلب نفع منهم أو دفع ضر أن هذا شرك وكفر يحل الدم والمال وكذلك جميع ما [illegible] من إخلاص أنواع العبادة لله تعالى وتحريم البناء على القبور وإسراجها وما تبع جميع ذلك هو عين الحق والصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تحريرا في اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الثاني من عامنا هذا عام الثالث والأربعين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما تلي من القرآن آية وحرف

[illegible] — [illegible] — حسين بن محمد سعيد عبد الغني — خليفة بن حمد النبهاني — [illegible] — [illegible] — [illegible] — محمد جمال [illegible] الأمير — درويش [illegible] العجيمي — علي بن محمد سعيد بابصيل

عمر [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — أبو بكر [illegible] — عمر [illegible] — محمد [illegible]

محمد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن ابن ناصر ابن حسين الى جناب الأب المكرم الاحشم المحترم الشيخ عبد العزيز ابن حمد ابن عتيق سلكه الله به
سبيل اهل التحقيق وفرج له من كل هم وضيق امين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد موجب الخط السلام والسوال
عن حالك جعلها الله حال خير وسرور واحوالنا ولله الحمد على ما تحب جعلنا الله واياك شاكرين في هذه الايام
وصل البناخط من الامام عبد العزيز مضمونه اني استقيم في رنيه للنظر في دعاويهم وتخليص مشكلهم فلما تأملت
الخط وعرفت مضمونه ساءني ذلك غاية ما يكون وهميت بمراجعة الامام وانا في الرياض واستنجدت بالامام عبد الرحمن
والا النجدي وقال يلزمك السمع والطاعه ويمكنك تراجع عبد العزيز واستشرت الشيخ سعد الله يسلكه ويسلمه
فقال الذي اشوف لك تعمل بما في خط الامام عبد العزيز وتروح لرنيه فاذا اقدمتها استقمت فيها ما شاء الله
وبغيت تراجع الامام فلا باس وعزمت على السفر لرنيه وبعد قدومنا لرنيه واستقامتنا فيها على حسب ما
يقتضيه الحال نتوجه للامام عبد العزيز ان شاء الله تعالى والظاهر اني استرخص منه وارجوا ان الله تعالى يجعل
لنا ولكم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا فان الله هدا الامام وسامحني والامر جاي في امر مهوب في
خاطره وسبب كراهيتي لتولي امر اهل رنيه اشياء منها انهم اناس مهوب ثقافيك كثرت اختلافهم فيما بينهم
وكثرة الشنان والعداوه لبعضهم بعضا وايضا انها بلد رتب القاضي فيها ما يقابل نصف مؤنته وخاف
اني اذا صرت فيها يصير تالي امري انا وهم مثل ما قد حصل ولو اني اعلم اني اذا بذلت الجد والجهد في الصبر
عليهم وعدم تتبع عثراتهم والصفح عن زلاتهم وعدم الانتصار للنفس انهم بي يستقيمون وبي يتركون عنهم كثرة
التشكي والكلام الذي ما يناسب كان هي من اصب الاوطان عندي واما اذا كانوا على هذه الحال فودي ان البلوى
يوم حصلت انها بغيرها ولكن الحمد لله رب العالمين لو قدر غير هذا الكان وابشرك ولله الحمد انه حصل بسبب
جلوسي في الرياض زيادة تعلم وحفظ لبعض المتون منها البلوغ الا قليلا منه والفية ابن مالك الا اقل من الثلثين
بيت والزاد وهو قد تفلت علي ومع قراءة في بعض كتب الحديث والتفسير وعلم المصطلح وغيرها من كتب اهل الحق
ولما عزمت على السفر طلبت من خالي الشيخ سعد الاجازه بما رواه وسمعه واخذه عن مشايخه الكرام في كتب الحديث
والتفسير وعلم المصطلح والعربية وغيرها من العلوم الاسلاميه فاجابني الى ما طلبت منه وتحفني بما اعطيه
من مشايخه الكرام نسئله تعالى ان يرفع درجاته وان يقيل عثراته وان يجعله من عباده الصالحين
واولنا به المتقين ولا تنسانا من صالح دعاك كما هو لك مبذول وبلغ سلامنا الابن المكرم محمد وابنيه عبد الله
وسعد وعم سعد ابن مسعود ومن لديك من الاخوان ومن لدينا الاب المكرم الشيخ سعد ومحمد وحمد والشيخ سليمان
وحمد ابن فارس وكافة المشايخ والاخوان يسلمون والسلام

١٣٤٤

٢٩ ربيع اخر

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد العزيز العنقري وعبد العزيز بن محمد الشثري الى جناب الامام الهمام الاكرم والمحترم المقدم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل حرسه الله تعالى آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط ابلاغكم السلام وغير ذلك انا مستصحبين وقد حثنا في امر المسلمين من طرف امركم وهالربع الي حنا عندهم فهم ذاتين من مواجهتكم فيها لحال الخاطر ولا ندري ان حدهم على اقصاه وتعرض بيحث الاسلام بجنبها الشر ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ولا يشير بعرض [illegible] الاسلام الا عدو غشيش او جاهل وانا خطر علينا في وصطهم ويرى الخاطر ما لا يرى الغايب الي عليك النظر في مصالح المسلمين حاضرها وغايبها واذا توقفت هالى لعله تتيسر الامور وهذا ولا عرب [illegible] وراهم الا ترابهم واصلا الى غيرهم انت بها اخبر وحنا نظن انك على الهمة [illegible] وهذا ما لزم [illegible] والحلال [illegible] وباقي الاخبار من راسم هذا الخط وانت بامان الله وحفظه والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعد بن حمد بن عتيق إلى من يصل إليه هذا الكتاب من إخواننا من أهل الأرطاوية والغطغط وغيرهم من عتيبة ومطير وقحطان وغيرهم من إخواننا المسلمين ، نوَّر الله قلوبنا وقلوبهم بنور العلم والإيمان ، وجعلنا وإياهم من أتباع السنة والقرآن . وأعاذنا وإياهم من زيغ القلوب ونزعات الشيطان .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه الكتاب المبين ، وجعله هدى للمتقين ، وشفاء ورحمة للمؤمنين ، وحجة على المبطلين ، وضمن الرحمة والسعادة والفلاح والهدى والفوز بالجنة والنجاة من النار لمن اتبعه وعمل بما فيه ، وتوعد من خالفه أو أعرض عنه بأنواع من الوعيد . قال تعالى : (وَهَذا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فاتَّبِعوُهُ واتَّقُوا لعَلَّكم تُرْحَمون) وقال (كتابٌ أنْزلناهُ إليكَ مُبَارَكٌ لِيدَّبَّروا آياتِهِ ولْيتذكر أُولُو الأَلْباب) ، (فَمَن اتبعَ هُدايَ فلا يَضِلُّ ولاَ يشقى ، ومن أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري فَإِنَّ

لَهُ معيشَةً ضَنْكاً ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامةِ أَعْمى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىَ وَقَد كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتها وكذلكَ اليومَ تُنْسىَ) قال بعض السلف تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة .

ومما أمر الله به في كتابه المبين ، وأوحاه إلى رسوله الأمين ، الحث على الاجتماع على الدين ، والاعتصام بحبله المتين ، واتباع سبيل المؤمنين ، واجتناب ما ذمه الله سبحانه من أخلاق من ذمهم في كتابه من أهل التفرق والاختلاف والمشاقة له ولرسوله ، ومخالفة أهل الصراط المستقيم ، قال تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدينِ ما وَصَّى بِهِ نوحاً والذي أَوْحَينا إليكَ ومَا وصَّينَا بِهِ إبراهيمَ وموسَى وعيسى أن أَقِيمُوا الدين ولا تَتِفرَقوا فيهِ ، كَبُرَ على المشركينَ ما تَدْعُوهُم إليه) وقال تعالى : (يَا أَيُّها الذينَ آمنوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إلا وأَنْتُم مُسْلِمُون * واعْتَصِموا بحبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفرقُوا) وقال تعالى : (وَلْتَكُن مِنْكُم أمةٌ يَدْعُونَ إلى الخيرِ ويأمُرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ وأولئكَ هُمُ المفلحون . ولا تكونوا كالذينَ تفرقُوا

واختلفوا مِنْ بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . يومَ تَبْيَضُّ وُجوه وتَسوَدُّ وجوه) قال بعض المفسرين : تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يرضي لكم ثلاثاً أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » .

ومن أعظم أسباب التفرق والاختلاف والعدول عن طريق الحق والإنصاف ، ما وقع من كثير من الناس من الافتاء في دين الله بغير علم ، والخوض في مسائل العلم بغير دراية ولا فهم ، فإن الله تعالى قد حرم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وشرعه وأحكامه وجعل ذلك قرينا للشرك الذي هو أعظم المحرمات [1] كما قال تعالى : (قل إنما حَرَّمَ ربِّيَ الفواحِشَ مَا ظَهَرَ منها ومَا بَطَنَ والإِثْمَ والبغيَ بغيرِ الحقِّ وأن تُشْركوا

(١) بل عده المحقق ابن القيم أشد من الشرك لأن الشرك كفر قاصر على صاحبه والقول على الله بغير علم كفر متعد ضرره إلى الناس » راجع تفسير الآية له في مدارج السالكين » ومن أدلة كون القول على الله تعالى بغير علم شرك قوله عز وجل (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) .

بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلطاناً وأَنِ تَقُولوا على الله مالا تعلمون)
وقال تعالى : (ولا تَقُولوا لِما تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفترُوا على اللهِ الكذبَ إن الذين يفترون على الله الكذبَ لا يُفْلحون) وقال تعالى : (فمن أَظْلَمُ ممَّن افترَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيضلَّ الناسَ بغيرِ عِلْم إنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالمين).

وهذا مصداق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون في آخر الزمان من قبض العلم بذهاب أهله وظهور الجهل واتخاذ الناس الجهلة المفتين بالفتوي المضلة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنه : « إن اللهلا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتي إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وقد قال تعالى في هذا الصنف من الناس : (لِيَحْملوا أَوْزَارَهُم كَامِلةً يومَ القِيامَةِ ومِنْ أَوْزَارِ الَّذينَ يُضِلُّونَهم بِغَير عِلْم أَلَا ساء مَا يَزرُونَ) وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً » .

ومما انتحله بعض هؤلاء الجهلة المغرورين الاستخفاف بولاية المسلمين ، والتساهل بمخالفة إمام المسلمين والخروج عن طاعته والافتيات عليه بالغزو وغيره ، وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد بمكان ، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان ، وقد علم بالضرورة الإسلامية أنه لا دين إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة ، وأن الخروج عن طاعة والي أمر المسلمين والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد ، والعدول عن سبيل الهدي والرشاد ، وقد قيل :

تهدى الأمور بأهل الرأي إن رشدت
وإن تولت فبالأشرار تنقاد
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا صلاح إذا جهالهم سادوا

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وأنا آمركم بخمس السمع : والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » وفي الحديث « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم » .

ومن ذلك ما وقع من غلاة هؤلاء من اتهام أهل العلم والدين ونسبتهم إلى التقصير وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه وكتمان ما يعلمون من الحق. ولم يدر هؤلاء الجهلة أن اغتياب أهل العلم والدين والتفكه بأعراض المؤمنين، سم قاتل وداء دفين، وإثم واضح مبين قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وإثماً مُبِيناً﴾.

شعر

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو
من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ومن ذلك ما التزموه وألزموا به غيرهم من أعراب المسلمين من ترك سكنى البادية والتزام الحضر وإنشاء العمران والبنيان، والتشديد في أمر العمائم والعدوان على كثير من أهل الإسلام والتوحيد، بالضرب الشديد، والهجر والتهديد، إلى غير ذلك من الأمور التي خرجوا بها عن حكم العقل والعدل والإنصاف، وانتظموا بها في سلك أهل الجهل والظلم والاعتساف، وهم مع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ويزعمون أنهم مصلحون ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَيَشْعُرُونَ﴾.

وهذه الأمور ونحوها يكفي في ردها مجرد الإشارة والتنبيه دون بسط القول فيها واستقصاء الأدلة على ردها . فاتقوا الله عباد الله (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللهِ) (إنَّ الذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً) (واذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون) . ونسأل الله تعالى أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم ، ويجنبنا موجبات غضبه وعذابه الأليم . إنه على كل شيء قدير وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى من يراه من كافة اخواننا المسلمين ، سلمهم الله تعالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد بارك الله فيكم العمل على نصيحة المشائخ جزاهم الله خير الدنيا والآخرة ، وتفهمون مامن الله به علينا من نعمة الاسلام ، ومامن الله به على المسلمين من الخير الكثير فى أمور دينهم ودنياهم ، ومن أهمها ما حدث فى آخر الزمان من ظهور دين الله وهو آية الله لهذه البادية حتى جعل الله فيهم خيراً كثيرا ونفعهم الله فى انفسهم بالاسلام ومعرفة ما أوجب الله عليهم ونفع الله بهم المسلمين فى أمور كثيرة ولكن من عوائد الله امتحان الناس وتبيين غاياتهم كما قال سبحانه فى أول سورة العنكبوت بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون ٭ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ ولا شك ان الفتنة هى الامتحان ليميز الله الخبيث من الطيب فلمامن الله علينا وعليهم بذلك صاروا ثلاثة أقسام قسم عرف الحق وادعاه ولكن عميت بصيرته وانقلب بل عكس ما يقول وجرى منه ما جرى من الافعال والاقوال ولكن الله سبحانه حكيم قادر من حكمته أن يعرف الناس بانفسهم انه لاحول لهم ولا قوة الا به وبتوفيقه وانه لامعصوم الا من عصمه الله ولاتوفيق الا لمن وفقه الله ، وقول الله سبحانه ابلغ ﴿ ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴾ فلما عكسوا الامر أوقع الله بهم ما أوقع وجعلهم عبرة فى مبداهم ومنتهاهم ، والحمد لله الذى نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده ، واما القسم الثانى فهم اتباع كل ناعق منهم من يريد الحق ولا عرفه وآخر تدين لقصد نرجو ان الله يمن على من كان يعلم فيه خيرا بالهداية والتوفيق ويكفى للسامين شر من كان فيه شر ، اما القسم الثالث من الاخوان فهم الذين من الله عليهم بالثبات ومعرفة ما أوجب الله عليهم والاقتداء بسنة سيد المرسلين والوثوق بعلمائهم والالتزام بولايتهم وجرى منهم من الافعال الاخيرة مايحمدون به ، ونسأل الله لهم الثبات والهداية وجزاهم الله احسن الجزاء وحدث من الناس الغوغاء الذين لايميزون الحق من الباطل كلام كما ذكر المشائخ جزاهم الله احسن الجزاء اجلوا الناس جملة مثل ما اذا تكلم انسان اما جاهل احمق أوصاحب غرض فاسد

هالاخوان هالهدوفعل الله بهم كذا وكذا وهذا أمر مناف للدين والعقل، والحق ان سب هذا المدو ما يكون إلا على قدر فعله ، والناس الذين مضى فيهم أمر الله قسمان قسم خرجوا على المسلمين وجانبوا العلماء وقسم ارتدوا عن الدين ووالوا عداء الله ولاشك ان بعضهم متميز عن بعض ثم بعد ذلك الناس الذين امتازوا وارتدوا عن الدين وفعلوا الافعال التي تخرجهم من الاسلام كما ذكر المشائخ فهؤلاء يستعان بالله عليهم باللسان والسنان ؛ واما القسم الذين صار منهم ماصار من مخالفة الولاية والعلماء فمن تاب منهم واقلع عن ذنبه واقر به ووالى المسلمين الذين عاديه في ذلك وجانب اهل الشبه فهذا حاله حال اخوانه المسلمين على شرط ان المسلمين يحملون بالهم على هذا الصنف .فمن وافق عمله قوله فنرجو ان الله يثبته على الحق ومن كان عمله يخالف قوله ويجانب أهل الخير ويوالى الذين يعلم فيهم الشر فهذا حق على كل مسلم ينصحه فان أبي فيرفع أمره للعلماء وولاة الامور ؛ وأما إطلاق السب مجملا كما ذكرنا فهذا مناف للدين والعقل ولا يفعله إلا من لا معرفة له بالدين أوصاحب مقصد يحب شقاق المسلمين ،فهذا أنهاكم عنه واحرض على جميع ولاة الامور لامن العلماء ولا من الامراء أن يمنعوا ذلك بالنصائح والتعليم ومن أبي فيؤدب بما يستحقه فالمرجو من جميع المسلمين ان يعملوا بما قرره المشائخ وما أمرناهم به وأن العلماء والامراء والوجوه من المسلمين يجتهدون فى ذلك لاجل جلب المصلحة باجتماع قلوب المسلمين والتآلف بينهم ودرء المفسدة من نفور بعضهم من بعض ولا أبيح أحدا يسمع من ذلك شيئا الاويقوم بالواجب على شرط أن لايعنف ولايؤدب أحدا لا بلسان ولا بيد إلا بتعريف العلماء واستفتائهم في ذلك وتنفيذ امر ما أمر به العلماء نرجو الله أن يوفقنا وإياكم للخير وصلى الله على محمد

{ وصية جلالته لولي عهده }

قد أرسل جلالته إلى ولي عهده بعد أن صدر الأمر العالي بتوليته العهد يوصيه بما يصلح الدنيا والدين قال جلالته

« برقيتك وصلت وقد أحطنا علما بما جاء فيها ، وهذا أملنا فيك ؛ نرجو أن الله يرزقنا وإياك الهدى والتوفيق »

وقد أحببت أن أكرر عليك نصائحي . توجه فيصل وإخوانك إلى الرياض وبرفقتهم وفد من الحجاز . والحقيقة أننا رأينا في الحجاز أمراً ما كنا نظنه . كنا على يقين من إخلاصهم وولائهم . ولكن الأمر تجاوز الحد وفوق ما كنا نظن ، فقد شاهدنا منهم محبة وشفقة على ولايتهم ونصحا للمسلمين عظيما . نرجو أن يرزقنا الله وإياهم الخير . أما أهل نجد فقد كتبنا لهم كتبا وعرفناهم أننا أجبنا طلبهم فيما يتعلق بولاية العهد ؛ وأما الأمر الذي أكرره عليك وأوصيك به فهو »

{ الأمر الأول } تقوى الله والمحافظة على ما يرضيه ، وتفهم أن الحجة قائمة على البشر بعد ما أرسل الله أفضل رسله ، وأنزل أفضل كتبه ، فلا يوجد بعد كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه حجة لأحد ، لأنها المبينة المبشرة بالخير بحذافيره ، والمحذرة والمنذرة عن الشر بحذافيره . فلا حجة ولا معذرة بعد ذلك . ثم تفهم أننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا ولا بقوتنا إنما من به الله علينا بسبب كلمة التوحيد »

وتفهم أن كلمة التوحيد مبناها الإخلاص لله بالعبادة والانقياد له بالطاعة . أما الانقياد فهو اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والعمل بالجميع بإخلاص ونية

ومتابعة. فبحول الله وقوته ما اعتصم أحد بالله وتام بسنة رسوله إلا وفق وهذي والكلام بذلك يطول وزبدته ماذكرنا .

{الأمر الثاني} .. لوهلك أننا فى آخر زمان ولقد أصبح الشح مطاعاً والهوى متبعاً وأعجب كل ذى رأى برأيه ، فيوجب هذا يخشى من التغيير والتغير قال الله سبحانه فى محكم كتابه (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) وزبدة الحياة قائمة على قواعد {الأولى} ماذكرنا أعلاه ؛ {والثانية} مكارم الأخلاق كما قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها « ياعائشة ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة » وقال الشاعر :

لو أننى خيرت كل فضيلة مااخترت غير مكارم الأخلاق

كل الامور تبيد منك وتنقضى إلا الثناء فانه لك باق

وحسن الخلق يشتمل على أمور كثيرة ، منها معاملات الخلق بالانصاف والعدل ومنها حفظ سمت العرب وأخلاقهم كما قال ﷺ « بعثت لاتمم مكارم الأخلاق » ومنها بذل النفس والمال والنصح فى محاله ومواجبه .

{الأمر الثالث} الحزم فى جميع الامور . منها مارواه بعض الادباء عن انحطاط دولة بني العباس فقال أحدهم للآخر : انهم قربوا أعداءهم تأليفالهم ، وأبعدوا أصدقاءهم وثوقابهم ، وخزنوا للمال ، وأهملوا الجند ، وتركوا حقوق الناس ؛ فلما وقع الامر ، وادلهم الخطب ، وثب عليهم عدوهم ، وتباعد عنهم صديقهم ، وصار الجند فى ضعف ، ولم ينفع المال لفوات الفرصة .

ويجب الحزم فى مواقف أهمها تقريب المتقدمين من جميع الاصناف سواء منهم من كان قريبا أو بعيداً ، وأخذ خواطرهم ، وعدم تركهم سدى وإبعادهم بزلة بسيطة لاتلحق بالدين ولا بالولاية ، وان يتألف من كان من الرعية على قدر عقله ، ويجلب خيره ويدفع شره ، وان تكون الحامية موجودة فى كل محل

ممن يوثق به وثبتت بالتجربة أعماله ؛ وان يؤمر الناس جميعهم بالمعروف وينهوا عن المنكر ؛ وان يعاملوا بالعدل ؛ ولاشيء أعدل من شريعة محمد ، أما في الأمور التي تحيلها الشريعة إلى الولاية فهذه ينظر فيها حسب المصلحة والاشخاص والاوقات بدون تشنيع أوتنفير ، وعدم مداهنة أو إرخاء العنان ؛ والدليل على ذلك قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

ثم بعد ذلك تفهم أن كل شيء له حامية ومرجع ؛ ومرجع المسلمين وحماتهم دينهم وعلماؤهم ؛ فالعلماء كالنجوم ؛ زينة السماء ، وقدوة السارين ، ورجوم الشياطين ؛ وليس العلماء في المقام على السواء ، منهم من يؤخذ علمه ورأيه ، ومنهم من يؤخذ علمه ولايناقش في الرأي ؛ لان أخذ الرأي من الكبير الذي يعرف الامور ، وعدم العدل برأيه ليس بعطيب ، انما يعمل مثل ماقال النبي صلوات الله وسلامه عليه « ليلني منكم أولو الاحلام والنهى » والعمدة على كل حال على ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح والخلفاء الراشدين ومن حذا حذوهم من الامراء ورؤساء المسلمين سابقا ولاحقا .

وعليك بحفظ العهود والمواثيق كما قال سبحانه وتعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا) سواء كان العهد مع بار أوفاجر ؛ عملا بقوله « فانبذ اليهم على سواء » لان الغدر مذموم في الشرع وعاقبته وخيمة مع أي كان .

ثم عليك أيضا النظر في مصالح المسلمين وولايتهم في الصلح والحرب وفي جميع الحوادث ؛ فما كان من التمادي فيه مصلحة للمسلمين أو كف شر فهذا واجب العمل به ؛ وما كان منه سعي وراء طمع أو إرهاق للنفوس فيجب التروي فيه كما قال الشاعر :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

وكما قيل

واحزم الناس من لم يرتكب عملا حتى يفكر ما تجني عواقبه

التبصر والتفكر والتعقل مذكور فى كتاب الله وهو المعول عليه

ثم بعد ذلك عليك النظر فى أقوال الناس وأهوائهم وآرائهم والتثبت فى ذلك كما قال الله تعالى يايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) فالتأنى فى تبين أمور الناس والتفكر فيه وعدم العجلة به يظهر الحقيقة ويحل المشكل .

ثم بعد ذلك عليك النظر فى حال النفس ، وما تحتوي عليه من عز وشرف ولذات ، فهذا أمر شاق وجهاد كبير ، ولا علاج له إلا بثلاثة أمور .

(الأول) التضرع إلى الله بقول : اللهم ألهمني رشدي وأعذنى من نفسي . فبالاستعانة به يكفى ابن آدم شر كل شيء .

(الثانى) يعرض الانسان مابداله وماطمح اليه على كتاب الله وسنة رسوله فما وافقهما عمل به وماخالفهما تركه والله سبحانه خير عوض فى كل حال من الأحوال

(الثالث) النظر فى أفعال أهل العلم والعمل والحقيقة لان فى اتباعهم خير قدوة .

ثم عليك بذلك فى المعاملات الداخلية من أى جهة كانت سواء فى الامور الاقتصادية ، أوفى حالة الامراء وأعمالهم مع الولاية والرعية أوفى الوزراء وسيرتهم ، أوفى حالة الناس فيما بينهم ، فاذا دقق الانسان النظر فى هذا مع اخلاص النية وحسن القصد تبين له الامر وكان على بصيرة وهداية

ثم بعد ذلك عليك النظر فى الامور الخارجية وأحوال الزمان وتقلباته مع الدول ، ومعرفة الحكومات ومواقفها ونواياها وقواعد سياستها التى

تسير عليها في علاقاتها الخارجية . والدول كالافراد تتآلف وتتفق طبقا للاغراض والمصالح ، وأساس صلاتها قائم على تبادل المصالح وتعارض المنافع ودفع الاذى وحماية الثغور ، فعليك التبصر في سياسة كل دولة ومعرفة أغراضها معرفة حقيقية تمكنك من انتهاج خطة صريحة حيالها ، فيما يوليكه الله من بلاد أنت المسؤل عن المحافظة على حرماتها ، ودفع العدوان عنها ، وجلب الخيرات واستكثار للمصالح والمنافع لها .

وعليك الحذر والتأني في تلقي ماينقل اليك من الاخبار عن نوايا الدول ، وخذ مايلقى اليك بالتأمل والروية ولاتسر فيه بحكم الهوى والاماني ، واحذر من كلام يظهر لك في ظاهره النصح وهو كلام حق يراد به غيره ، واتخذ ديدنك النظر فيما كان من أعمال الحكومات ومواقفها تجاهنا ، واجعل سياستك قائمة على مصافاتها باطنا وظاهرا ومسالمتها سرا وعلانية ، واعلم أيضا مقامك ومقام بلادك بين المسلمين و بين أبناء قومك العرب . ولاتنس واجبك تجاه كل مسلم وكل عربي ، واعمل في كل ذلك كما قيل : لكل مقام مقال ولكل يوم شأن .

الحقيقة أنني قد أطلت عليك الكلام وهذا شيء لم أرده ولايمكن أن تعمله بالعجلة . ولكن اذا أحسنت النية من جهة الله وسألته التوفيق ، واستخرت وشاورت أهل الخبرة الناصحين وكل من عرفته من المختصين به فبحول الله وقوته على طول الزمان تحصل النتيجة .

أحببت أن أبين لك ذلك حتى تضعه نصب عينيك وتفكر فيه في فراغك لان هذا من واجبات الدين وواجبات الولاية ، ومن الخواص التي لايستغني عنها ولاة الامور . نرجو من الله ان يوفقنا واياك لما يحبه ويرضاه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

يوم الجمعة أول صفر سنة ١٣٥٢ عبدالعزيز

منشور ملكي
الدين النصيحة

كان جلالته يحرص على إعلان منشورات ملكية بين الحين والآخر إلى شعبه يضمنها توجيهات ونصائح عملاً بالحديث الشريف «الدين النصيحة» :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى من يراه من اخواننا الحجازيين والنجديين ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد .. بارك الله فيكم ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا وإياكم من صالحي عباده وأوليائه ..

(١) أم القرى ، ٣ ذي القعدة ١٣٦٠هـ/ ٢١ نوفمبر ١٩٤١م.

تفهمون أن الله سبحانه وتعالى من علينا بنعمة الإسلام ، وأكملها علينا كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، ومن أكبر نعمه علينا إنزال كتابه العزيز ، وإرسال نبيه الكريم ، وخلاصة ذلك وعمدة ما نزل في كتاب الله وحده لا شريك له ، وهي مضمون (لا إله إلا الله) ، كما أن معناها : (لا إله) نفي (إلا الله) إثبات ، وكل من قال (لا إله إلا الله) عارفاً معناها عاملاً بمقتضاها موالياً لجميع ما أمر الله به معادياً لما نهى عنه من الأفعال والأقوال ، فهو من أهل (لا إله إلا الله) ، ومن قالها ولم يعرف معناها ولم يعمل بمقتضاها ولا أحب ما احتوت عليه من الخير وأبغض ونفى ما نهت عنه من الشر من الأقوال والأفعال فليس هو من أهل «لا إله إلا الله» ، فهو كالأنعام بل هو أضل ، وتعرفون — بارك الله فيكم — لو أنني أريد أن أتمادى فيما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الآيات الكريمة المحكمة والأحاديث الصحيحة فيما تثبت من الأعمال الطيبة وتنكر من الأعمال السيئة لطال الكلام ، والمقصد من ذلك إتمام الفائدة واتباع ما أمر الله به وهو قوله سبحانه وتعالى (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ، وقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة .. الدين النصيحة .. قالوا لمن يا رسول الله ؟.. قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، وشرح ذلك مفهوم ، وهو أن النصح لله ان تعبد الله وحده ، وتبرأ ممن سواه من قول وعمل ، وتحب ما أمرك به ، وتتجنب ما نهاك عنه ، والنصح لكتاب الله أن تعمل بمحكمه ، وتؤمن بمتشابهه ، والنصح لرسوله صلى الله عليه وسلم أن تجزم أنه أفضل الأولين والآخرين ، وأنه الصادق المصدوق ، وأنه لا ينطق عن الهوى وأنه المعصوم ، وأنه من لا يحب الله وكتابه ورسوله أحب من نفسه وماله وولده فلا آمن بالله ولا عرف ما جاء في كتاب الله ، ومن فرق أو شك في كتاب الله يخالف ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم أو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف كتاب الله ، أو آول في كتاب الله وكذب على كتاب الله وسنة رسوله فقد كفر ، ومن أنكر شفاعته صلى الله عليه وسلم إذا أذن الله له ولم يرج ذلك وقال تؤمن بكتاب الله ولا تؤمن بمحمد فقد كفر .

فإذا فهمنا ذلك ووقر في قلوبنا ، وصحت العقيدة بذلك ، فيجب علينا أن نفكر ونتدبر القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه مذهب السلف الصالح ، ونعمل بما فيه ، ونقوم بالواجب وننكر ما أنكره كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أنكره السلف الصالح .

هذا الذي حملني على هذه النصيحة هو ما رأيت في هذا الزمان من الفساد ، وما اقترفناه من الذنوب كبيرنا وصغيرنا ، نستغفر الله ونتوب إليه ، وما عليه الحالة اليوم ، فالناس في هذا الزمان قد انقسموا على أقسام شتى ، منهم العارف بالله وبكتابه ، والذين يعتمدون عقيدة السلف الصالح ، قصروا في العمل وتركوا النصيحة ولم يقوموا بالواجب ، وفريق عرف أن الله ربه والإسلام دينه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيه ورسوله ، لكنهم لم يعرفوا ما هو الواجب عليهم في كونهم عرفوا الله ، وما حق ذلك ، ولا عرفوا الإسلام وحقيقته ، ولا عرفوا بما أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم وجاهد عليه ، وآخرون اتخذوا أديانهم أهواءهم واتبعوا كل ناعق ، فمنهم الملحد — والعياذ بالله — ومنهم المتبع لهواه ومبتدع للطرق والمضلال التي نهانا الله ورسوله عنها ، ومنهم من لم يعرف طريق الحق من الضلال ، وتمسك بقوله أنه مسلم ولم يفرق بين حق وباطل ، ومنهم من أحدث له الشيطان من الخيالات والمفاسد ما أضله به وادعى أنها الحياة الجديدة ، وأنها الحرية وأنها المدنية ، وعملها بنفسه وجد واجتهد في الدعوة إليها والإنكار على من خالفها ويقول «ينبغي أن نتقدم قدام ولا نرجع إلى الوراء» . ومعناه في التقدم هو «التمدن» و«الحرية» ، والتأخر هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومذهب السلف الصالح والتعصب له .

فبهذه الحال وجبت عليّ النصيحة أولاً لكافة المسلمين ، وثانياً لمن ولانا سبحانه وتعالى أمره ، فصار من الواجب علينا أن ننصح أنفسنا وننصح جميع المسلمين ، بأن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق فيأخذنا الشيطان إلى طرف الضلال ، وأن نحذر من قوله تعالى (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) ومعنى قوله تعالى (وإذا أردنا أن

نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

فأما الذنوب والمعاصي فنستغفر الله منها ونتوب إليه ، فما عملنا من خير فهو من الله وبفضله وكرمه ونقول «اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، وما عملنا من شر فمن أنفسنا والشيطان ، ونستغفر الله ونتوب إليه والحمدلله الذي لما ابتلى عباده بالمعاصي وابتلاهم بالإمتحان وابتلاهم بكيد الشيطان من عليهم بالتوبة والاستغفار ، وذلك من فضله وكرمه» .

أما الحالة السابقة من الناس فهي من كيد الشيطان ، ومن أسباب الذنوب ، ومن التفرق في الدين ومقاومته بالطرق والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وإلا الطريقة واحدة والمحجة واضحة ، وهي ما جاء في معنى (لا إله إلا الله) المحتوية على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومذهب السلف الصالح ، مع أننا لا ننكر ولا نعترض على المذاهب الأربعة التي أئمتها حق ولم يقصدوا إلا الحق ولا ينطقون إلا بما يرونه حقاً وبما ظهر لهم من الحق ، وإلا فالزلل لم يعصم منه إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، مع أننا ننكر أن تكون المذاهب الأربعة مللاً أو أن يعتقد أحد في أن الأئمة الأربعة ومن تبعهم اجتهاداً غير موافق لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بتضليل أو مخالفة للحق ، وهذا غير ما ظهر في هذا الزمان من المدعين بالتجدد وعلى أنهم شبيبة يقومون بواجب بلادهم وشعبهم ويجب عليهم التقدم والتمدن والحرية على غير مفهوم هذه الكلمات .

فهذه النزعة التي تقود هذه الشبيبة إلى الضلال هي نزعة شيطان ، وصدمة للدين وللعرب وللجميع من تمسك بالسمت ومكارم الأخلاق لأنه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فما من أمر فيه خير وحفظ للسمت والشرف سواء أتى من عربي أو عجمي ولا يخالف الكتاب والسنة إلا وقد جاء فيما أمر به صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه ، وزاد عليه بتعليم الخير كما عمل ذلك مع بعض الوفود الذين وفدوا عليه وسألهم عن بعض ما هم عليه وزادهم عليه ، والآن فأي مسلم يعرف الإسلام وينتسب إليه ويقر ما أقره هؤلاء الغواة من لزوم الرجوع عن الدين وإبداله بما

رأوه موافقاً للشهوات الدنيئة التي لا يقرها دين ولا مذهب ولا يقرها أصحاب مكارم الأخلاق في الجاهلية ولا صلحاء أي ملة تعرف الشرف والعقل فهو ضال عن طريق الصواب .

وغير خاف أنه قد صار في آخر هذا الزمان دعوة «للتمدن» ، وهي بلا شك رقصة من رقصات الشيطان ، وذلك قول أنني مسلم بلا عمل ولا اعتقاد مع اتباع أقوال الملحدين وأهل الفساد وارتكاب المحرمات في الأقوال والأفعال مبرراً عمله في ذلك بأنه من أعمال البلاد المتمدنة .

أما الأمر الذي لا يوجد تحت أديم السماء أقبح منه في العقيدة وفي الوقت نفسه مخالف لكل عقل سليم وفكر مستقيم ونقل قويم هو كون الرجل يدعو أو يعبد أو يرجو أو يخاف غير الله الجبار المتكبر رب العباد القادر على الأولين والآخرين من المتجبرين أو المتكبرين الذي جعل الجنة رحمته ووفق لها كل صاحب سعادة وخير ، والنار عدله ونقمته وساق لها أهل الشر والنكد والضلالة وأقبح من ذلك في الأخلاق ما حصل من الفساد في أمر اختلاط النساء بدعوى تهذيبهن وترقيتهن وفتح المجال لهن في أعمال لم يخلقن لها ، حتى نبذن وظائفهن الأساسية من تدبير المنزل وتربية الأطفال وتوجيه الناشئة التي هي فلذة أكبادهن وأمل المستقبل إلى ما فيه حب الدين والوطن ومكارم الأخلاق ، ونسين واجباتهن الخلقية من حب العائلة التي عليها قوام الأمم وابدال ذلك بالتبهرج والخلاعة ودخولهن في بؤرات الفساد والرذائل ، وادعاءهن ذلك من عمل التقدم والتمدن ، فلا والله ليس هذا التمدن من شرفنا وعرفنا وعادتنا ولا يرضى أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان أو إسلام أو مروءة أن يرى زوجته أو أحداً من عائلته أو من المنتسبين إليه في هذا الموقف المخزي ، هذه طريق شائكة تدفع بالأمة إلى هوة الدمار ولا يقبل السير عليها إلا رجل خرج من دينه ، خرج من عقله ، خارج من عروبته ، فالعائلة هي الركن الركين في بناء الأمم ، وهي الحصن الحصين الذي يجب على كل ذي شمم أن يدافع عنها .

إننا لا نريد من كلامنا هذا التعسف والتجبر في أمر النساء ، فالدين الإسلامي قد

شرع لهن حقوقاً يتمتعن بها لا توجد حتى الآن في قوانين أرقى الأمم المتمدنة ، وإذا اتبعنا تعاليمه كما يجب ، فلا نجد في تقاليدنا الإسلامية وشرعنا السامي ما يؤخذ علينا ولا يمنع تقدمنا في مضمار الحياة والرقي إذا وجهنا المرأة في وظائفها الأساسية ، وهذا ما يعترف به كثير من الأوربيين من أرباب الحصافة والرأي والإنصاف ، ولقد اجتمعنا بكثير من هؤلاء الأجانب ، واجتمع بهم كثير ممن نثق بهم من المسلمين وسمعناهم يشكون مر الشكوى من تفكك الأخلاق وتصدع ركن العائلة في بلادهم من جراء المفاسد ، وهم يقدرون تمسكنا بديننا وتقاليدنا وما جاء به نبينا من تعاليم عالية تقود البشرية إلى طريق الهدى وساحل السلامة ، ويودون من صميم قلوبهم لو يمكنهم إصلاح حالتهم هذه التي يتشاءمون منها وتنذر ملكهم بالخراب والدمار والحروب الجائرة ، وهؤلاء نوابغ كتابهم ومفكريهم قد علموا حق العلم هذه الهوة الساحقة التي أمامهم والمنقادون إليها بحكم الحالة الراهنة ، وهم لا يفتأون في تنبيه شعوبهم بالكتب والنشرات والجرائد على عدم الاندفاع في هذه الطريق التي يعتقدونها سبب الدمار وسبب الخراب .

إني لأعجب أكبر العجب ممن يدعي النور والعلم ، وحب الرقي لبلاده من هذه الشبيبة التي ترى بأعينها وتلمس بأيديها ما نوهنا به من الخطر الخلقي الحائق بغيرنا من الأمم ثم لا ترعوي عن ذلك ، وتتبارى في طغيانها وتستمر في عمل كل أمر يخالف تقاليدنا وعاداتنا الإسلامية العربية ولا ترجع إلى تعاليم الدين الحنفي الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة وهدى لسائر البشر.

فالواجب على كل مسلم وعربي فخور بدينه ، ألا يخالف مبادئه الدينية وما أمره الله تعالى بالقيام به لتدبير المعاد والمعاش ، والعمل على كل ما فيه الخير لبلاده ووطنه ، فالرقي الحقيقي هو بصدق العزيمة والعلم الصحيح ، والسير على الأخلاق الكريمة ، والانصراف عن الرذيلة وكل ما من شأنه أن يمس الدين والسمت العربي والمروءة وليس بالتقليد الأعمى ، وأن يتبع طرق آبائه وأجداده الذين أتوا بأعاظم الأعمال باتباعهم أوامر الشريعة التي تحث على عبادة الله وحده ، واخلاص النية في العمل ، وأن يعرف حق المعرفة معنى ربه ومعنى الإسلام وعظمته ، ومعنى ما جاء به نبينا البطل الكريم

العظيم صلى الله عليه وسلم من التعاليم القيمة التي تسعد الإنسان في الدارين ، وتعلمه أن العزة لله والمؤمنين ، وأن يقوم بأود عائلته ويصلح من شأنها ويتذوق ثمرة عمله الشريف ، فإذا عمل هذا فقد قام بواجبه وخدم وطنه وبلاده .

وإني أرى من واجبي بصفتي مسلماً ، وبحسب عربيتي وإخلاصي لأبناء قومي ، أن أقوم بهذه النصائح لمن ولاني المولى أمرهم مقتدياً في عملي هذا بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي أرجو أن أكون تبعاً له في أقوالي وأعمالي وفي محياي ومماتي صابراً على ما تقوله الناس من الانتقادات غير مبال ولا وجل منها كما قيل :

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

وذلك لأجل إعلاء كلمة الله ، ونصرة الدين ، وإسعاد من ولاني المولى أمرهم ، راجياً أن نكون ممن قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهم على ذلك) .

وإني على ثقة تامة بأن يرى كل صاحب إنصاف أن واجبي يدعوني لأن أوجه هذه النصائح لشعبي المحبوب ، ولكل مسلم ، لأني مسلم محافظ على إسلاميته ، عربي غيور على عربيته ، متبع لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، مقتد بمذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم ، حريص على كل ما في تقاليدنا العربية من مكارم الأخلاق ، آمر بما أمر به الإسلام ، ناه عما نهى عنه الإسلام ، غير متنصر لآبائي وأجدادي أو لنعرة جاهلية أو لمذهب من المذاهب غير الكتاب والسنة ، وإني بحول الله وقوته سأثابر على هذه الدعوة المباركة وأرجو المولى أن ينفع بها ، فما كان فيها الصواب فمن الله ، وما كان من الخطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، واستغفر الله من ذلك ، كما أنني أعاهد الله بأنني سأقوم إن شاء الله بما أوجبه الله ، وأن أسعى بإلزام من أطاعني بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومذهب السلف الصالح بيدي وقلبي ولساني على قدر الاستطاعة ، وأسأل الله التوفيق والتيسير لي ولإخواني المسلمين عامتهم وخاصتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

٣ ذي القعدة ١٣٦٠ عبد العزيز

فهرس الآيات

□□□

فهرس الأحاديث والآثار

□□□

فهرس الأعلام المترجم لهم

□□□

فهرس المواضع

□□□

فهرس الرسائل

□□□

المراجع

أصول الحسبة في الإسلام، د. محمد كمال الدين إمام، دار الهداية مصر، ط ١ سنة ١٩٨٦ م.

أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط ٣ سنة ١٣٩٦ هـ سنة ١٩٧٦ م.

أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، مطبعة عالم الكتب، ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ.

أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز، د. محمد إبراهيم رحمو، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ط ٢ سنة ١٤٠٢ هـ.

أضواء على طريقة الدعوة إلى الإسلام، د. محمد أمان الجامي، ط الرئاسة العامة للافتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٤٠٤ هـ.

الأعلام في عهد الملك عبد العزيز، حسن قزاز، من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز عام ١٤٠٦ هـ.

إعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، ط الكليات الأزهرية، القاهرة.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء.

البداية والنهاية، ابن كثير القرشي، مطبعة دار الفكر، بيروت ١٩٨٢ م.

البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية، عبد الله القصيمي، ط ٢ سنة ١٩٨٩ م، مكتبة رياض الجنة.

بستان الأخيار مختصر نيل الأوطار، طبع بالمطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٣ هـ.

البلاد العربية السعودية، فؤاد حمزة، الناشر مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط ٢ ١٣٨٨ هـ.

تاريخ ابن ربيعة، تحقيق د. عبد الله يوسف الشبل، النادي الأدبي، الرياض ١٤٠٦ هـ.

تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جديد الطبري، دار القاموس الحديث، بيروت.

الوهابيون والحجاز، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٣٣ هـ.

تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٠ هـ.

تاريخ التمدن، جورجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت.

تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة أحمد، طبعة دار الشروق، جدة، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، أحمد المنقور، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٣٩٠ هـ.

تاريخ العرب الحديث والمعاصر، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ط ٤ القاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

تاريخ الكعبة المعظمة، حسين عبد الله باسلامة، ط ٢/ ١٤٠٢ هـ، جدة.

تاريخ الكويت السياسي، حسن خلف الشيخ خزعل، دار الكتب بيروت، سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م.

تاريخ مكة، أحمد السباعي، ط ٦ سنة ١٤٠٤ هـ.

تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، طبعة منشورات، دار الحياة بيروت.

تاريخ نجد، حسين بن غنام، حققه الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الشروق ط ٢ سنة ١٤٠٥ هـ.

تاريخ نجد، الرسحاني، مطبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ١ سنة ١٩٨٠ م.

تذكرة أولي النهي والعرفان، إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، مطبعة مؤسسة النور، الرياض الطبعة الأولى.

ترجمة مختصرة للشيخ عثمان بن سليمان، إبراهيم المدلج، مخطوط عند المؤلف.

التعريفات، الجرجاني، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز، عبد اللطيف بن عبد الله الدهيش، مكتبة الطالب الجامعي ط ١، مكة سنة ١٩٨٧ م.

التعليم في مكة والمدينة، محمد الشامخ، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض ١٩٧٣ م.

تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣ هـ.

التيسير لتفسير ابن كثير، عبد الله بن إسحاق آل الشيخ، ط ١ سنة ١٤١١ هـ.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، طبعة دار التراث، القاهرة.

التنظيم القضائي في المملكة في ضوء الشريعة، د. سعود بن سعد الدريب، ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ الرياض، مطابع حنيفة للأوفست.

توحيد المملكة العربية السعودية، لمحمد المانع، مطابع المطوع، الدمام، ط ١ سنة ١٤٠٢ هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٥ هـ.

الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، د. شوكت عليان، الرياض ط ١، ١٤٠١ هـ.

الثورة الوهابية، عبد الله القصيمي، المطبعة الرحمانية بمصر ط ١ سنة ١٣٥٤ هـ.

جامع الأصول في أحاديث الرسول، المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، دمشق سنة ١٣٩٣ هـ.

الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ط الشعب.

الجغرافية الأدبية، للشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ.

جانب من عبقرية الملك عبد العزيز، بحث للشيخ عثمان الصالح، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٦ هـ.

جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة، الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٦ هـ.

حاشية ابن قاسم على الروض المربع، عبد الرحمن بن قاسم، المطابع الأهلية سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، رابح لطفي جمعة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

الدعوة الإسلامية بأصولها ووسائلها، أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة ط ٢ سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م، دار طويق الرياض.

الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م.

الدعوة والإنسان، عبد الله يوسف الشاذلي، الطبعة الأولى، مطبعة المكتبة القومية الحديثة، طنطا.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد السلمان، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ.

دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، طبعة القاهرة ١٤٠١ هـ.

الدرر السنية في الأجوبة النجدية، عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة المكتب الإسلامي ببيروت ط ٢ سنة ١٣٨٥ هـ.

روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان القاضي، مطبعة الحلبي القاهرة، ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

زاد المعاد، لابن القيم، ط الحلبي القاهرة ١٣٩٠ هـ.

زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود البوسي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م، دار الرشد للنشر.

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٥ هـ.

السعوديون والحل الإسلامي، د. محمد جلال كشك، المطبعة الفنية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

السمط الحاوي في سيرة القرعاوي، علي الفيفي، الطبعة الأولى عام ١٤١١ هـ، مطابع الصفاء بمكة المكرمة.

سياسة الملك عبد العزيز لحفظ الأمن، أ. د حسن الساعاتي، من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٤٠٦ هـ.

سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط ١ سنة ١٤٠١ هـ.

سيرة ابن هشام، عبد الله بن هشام، دار الندوة ببيروت، ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ.

شبه الجزيرة، للزركلي، دار العلم للملايين، ط ٣ بيروت دار العلم للملايين.

شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، جامعة أم القرى، ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ.

شرح مختصر الروضة، عبد القوي الطوفي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مطبعة الرسالة ط ١ عام ١٤١٢ هـ بيروت.

الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، لابن الجوزي، مطبعة دار الحرمين، ط ٢ سنة ١٤٠٢ هـ.

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق العباد، مكتبة الراشد، ط ١ سنة ١٤١١ هـ.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد الله صالح العثيمين، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز سنة ١٤٠٣ هـ.

الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ١ سنة ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦ م.

الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز، د. صلاح الدين عبد الحميد، من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية.

الصحافة في الحجاز، د. محمد الشامخ، مطبعة دار الأمانة بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مطبعة المكتبة الإسلامية استانبول سنة ١٩٧٩ م.

صقر الجزيرة، أحمد عطار، المؤسسة العربية، ط ٢ سنة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان، مطبعة المصطفوية سنة ١٣٣٥ هـ بمباي، الهند.

صور من **حياة عبد العزيز**، كمال الكيلاني، ط ١ الرياض ١٤٠٢ هـ.

ضباب على منار المسجد، محمد بن محمد الأمين الأنصاري، طبعة مكتبة الأنصار الرياض سنة ١٤٠٧ هـ.

طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت.
الطريق إلى جماعة المسلمين، حسن علي جابر، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ مطبعة دار الوفاء.
طريق الدعوة في ظلال القرآن الكريم، أحمد فايز، دار الأرقم بيروت، ط ٢ سنة ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٧ م.
العالم الإسلامي والغزو المغولي، إسماعيل الخالدي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤ هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.
عبد العزيز آل سعود العبقرية في التحرير والتوحيد، تأليف عمر أبو زلام، مطبعة دار الرأي العام التجارية، الكويت، ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ.
عبد العزيز في التاريخ، محمد إبراهيم الحقيل، ط ٢ سنة ١٣٩٣ هـ، الرياض.
الحسبة في الإسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد زهدي النجار، المؤسسة العيدية، الرياض، بدون تاريخ.
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن محمد الخلال، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥ هـ.
عبد العزيز آل سعود والشخصية الإسلامية، د. عبد العزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان، ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ القاهرة.
علماء آل سليم وتلامذتهم، صالح سليمان العمري، ط ١، الرياض سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط سنة ١٣٨٩ هـ، النهضة الحديثة بمكة.
عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب، عبد العزيز أحمد الرفاعي، من بحوث مؤتمر الملك عبد العزيز بجامعة الإمام ٢٢/ ٣/ ١٤٠٦ هـ.
عنوان السعد والمجد، مخطوط تأليف عبد الرحمن بن ناصر.
عنوان المجد في تاريخ نجد، تأليف ابن بشير عثمان، ط ٤ الرياض ١٤٠٢ هـ.
الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. علي عبد الحليم محمود، مطبعة دار البحوث الكويتية، ط ١ عام ١٣٩٩ هـ.

فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ابن قاسم، الطبعة الأولى مطبعة الحكومة بمكة سنة ١٣٩٩ هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، الطبعة السلفية عام ١٣٨٩ هـ.

الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم، القصيمي، ط ٢، ١٩٨٩ م.

في ظلال القرآن، سيد قطب، ط دار الشروق.

القدوة الحسنة وأثرها في الإعلام بالإسلام، عبد الله سعد الضياف، سنة ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م.

قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط ٢ سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.

قلعة الإسلام ومؤسسها العظيم، علي البرماوي، دار الزهراء، الرياض، ١٤٠٢ هـ.

كتاب تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين، فيصل ابن عبد العزيز المبارك، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤ هـ.

كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن، ط ٣، مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ.

كيف ندعو الناس، عبد البديع صقر، مطبعة المكتب الإسلامي، ط ٦ سنة ١٣٩٩ هـ.

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت.

لمحات من الإصلاحات الدينية والاجتماعية في عهد صقر الجزيرة، إعداد إبراهيم محمد سرسيق، من بحوث ندوة العلاقات المصرية السعودية سنة ١٤٠٧ هـ، الزقازيق، مصر.

مؤلفات الشيخ ــ القسم الخامس (الرسائل الشخصية)، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع جامعة الإمام، ١٣٩٨ هـ الرياض.

مؤلفات الشيخ ابن باز، محمد خير، ط ١ سنة ١٤١٣ هـ، نشر دار ابن خزيمة.

ماضي الحجاز وحاضره، حسين محمد نصيف، المكتبة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م.

مجموع الفتاوي، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المعارف، الرباط/ المغرب، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

المجموع المفيد من مسائل وفتاوى الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، إسماعيل بن عتيق، دار الهداية للطبع والنشر، الرياض سنة ١٤٠٣ هـ.

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط ٥، الرياض سنة ١٤١٠ هـ.
مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، مطبعة مكتبة لبنة، دمنهور، مصر، ط ١، عام ١٤٠٩ هـ.
مصادر تاريخ البلاد السعودية، عبد الفتاح أبو علية، طبعة دار المريخ، ط ١ سنة ١٣٩٩ هـ.
المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، مطبعة قطر الوطنية، سنة ١٩٨٠ م.
المصحف والسيف، محيي الدين القاسي، طبعة دار الناصر، ط ٢، الرياض.
معجزة فوق الرمال، أحمد عسة، المطابع الأهلية للأوفست ببيروت، لبنان، ط ٣ سنة ١٣٩١ هـ.
معجم المطبوعات العربية، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، سنة ١٩٨٥ م.
معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.
المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم أنيس، طبعة قطر ١٤٠٦ هـ.
معركة الفقه والتأصيل قبل توحيد المملكة، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مطبوع بالآلة الكاتبة.
مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة، د. أحمد سعد حمدان، ط ١، دار طيبة.
الملك الراشد، عبد المنعم الغلامي، ط ٢، دار اللواء، الرياض ١٤٠٠ هـ.
الملك عبد العزيز، سيرة لا تاريخ، فؤاد شاكر، ط ٢ ١٤٠٩ هـ، مطبعة مباركو للطباعة، جدة.
الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، عبد القدوس الأنصاري، ط مؤسسة مكة للطباعة والاعلان، سنة ١٣٩٤ هـ.
الملك عبد العزيز وأثره في التاريخ المعاصر، مقدم مهندس/ سليمان العلي الشايع، بحث ماجستير مقدم لكلية القيادة والأركان بوزارة الدفاع السعودية عام ١٤٠٦/١٤٠٥ هـ.

الملك عبد العزيز والتعليم، بدر الديب أبو راس، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ العبيكان للطباعة والنشر.
الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، سعود بن سعد الدريب، مطبعة دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط ١، سنة ١٤٠٨ هـ.
منهج الدعوة، أمين أحسن إصلاحي، دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت، ١٩٥١ م.
من تاريخ الملك عبد العزيز ومواقفه النادرة، السعد الرويشد، بحث في مؤتمر الملك عبد العزيز بجامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٦ هـ.
من حياة الملك عبد العزيز، الأحيدب، ط ١، الرياض ١٣٩٩ هـ.
من شيم الملك عبد العزيز، فهد المارك، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ، بيروت.
من وثائق الملك عبد العزيز، إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ١٤١٠ هـ، الحرس الوطني.
موعد مع الشجاعة، قدري قلعجي، دار الكتاب العربي.
مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ط دار الفكر.
منهج الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره في العلاقات السعودية المصرية، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بحث مقدم في ندوة العلاقات المصرية السعودية بجامعة الزقازيق بمصر في شعبان ١٤٠٧ هـ.
موعظة (الهدية الثمينة فيما يحفظ على المرء دينه)، عبد الله بن سليمان بن حميد مطبعة الإمام بمصر ١٣٧٣ هـ.
نظام الحسبة في الإسلام، عبد العزيز المرشد، رسالة ماجستير في معهد القضاء بجامعة الإمام بالرياض عام ٩٢ ــ ١٣٩٣ هـ.
النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية، زين العابدين الركابي، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي سنة ١٣٩٩ هـ.
هموم داعية، محمد الغزالي، طبع دار الحرمين، ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ.
الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.
وهابية اليوم، محمد مغيربي فتيح المدني، ط تركيا ١٣٤٢ هـ.

□ □ □

الدوريات

أم القرى، العدد ٣٢ ـ الصادر في ١٦/ ١/ ١٣٤٤ هـ.

أم القرى، العدد ٣٤ ـ الصادر في ٣٠ محرم سنة ١٣٤٤ هـ.

أم القرى، العدد ٦٦ ـ الصادر في ١٩ رمضان سنة ١٣٤٤ هـ.

أم القرى، العدد ١٠٤ ـ الصادر يوم الجمعة ٤ جمادي الثانية عام ١٣٤٥ هـ.

أم القرى، العدد ١٣٨ ـ الصادر في ٧/ ١/ ١٣٤٦ هـ.

أم القرى، العدد ٣٤ ـ الصادر في ٣٠ محرم سنة ١٣٤٤ هـ.

أم القرى، العدد ١٢٦ ـ الصادر في ٨/ ١/ ١٣٤٥ هـ.

أم القرى، العدد ١٤٢ ـ الصادر في يوم الجمعة ٦ ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ.

أم القرى، العدد ٢٠٨ ـ الصادر في شوال ١٣٤٧ هـ.

أم القرى، العدد ١٨٥ ـ الصادر في ١٨/ ١/ ١٣٤٧ هـ.

أم القرى، العدد ٢٠٨ ـ الصادر شوال ١٣٤٧ هـ.

أم القرى، العدد ٢١٩ ـ الصادر في ٢٧/ ١٠/ ١٣٤٧ هـ.

أم القرى، العدد ٢٨٣ ـ الصادر يوم الاثنين ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ.

أم القرى، العدد ٣٣٣ ـ الصادر يوم الجمعة ١٣/ ١/ ١٣٤٩ هـ.

أم القرى، خطاب الملك في المأدبة الكبرى للحجاج في السادس من ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ ـ بعددها رقم ٣٣٣ ـ ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ.

أم القرى، العدد ٣٤٢ ـ الصادر في صفر سنة ١٣٥٠ هـ.

أم القرى، العدد ٦٤٧ ـ الصادر يوم الجمعة ١٩ صفر ١٣٥١ هـ.

أم القرى، العدد ٤٣٤ ـ الصادر يوم الجمعة ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ.

أم القرى، العدد ٦٤٧ ـ الصادر يوم الجمعة ١٩ صفر سنة ١٣٥١ هـ.

أم القرى، العدد ٣٢٠ ـ الصادر في ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ.

أم القرى، العدد ٤٣٤ ــ الصادر في مكة يوم الجمعة ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ.
أم القرى، بعددها الصاد في ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هـ.
أم القرى، خطاب الملك في منى سنة ١٣٦٥ هـ بعددها رقم ١١٣٢ الصادر في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٦٥ هـ.
أم القرى، الصادر في ١٨/ ٥/ ١٣٥٢ هـ.
أم القرى، العدد ٦٣٧ الصادر في ١١ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ هـ.
أم القرى، بعددها الصادر في ٢٢ صفر سنة ١٣٥٦ هـ.
أم القرى، من خطاب الملك عبد العزيز في أعيان بيت الله الحرام ــ بعددها ٦٨٨ الصادر في ١١ ذو الحجة سنة ١٣٥٦ هـ.
مجلة المنار، مجلد ٣٥ ــ ص ٤٨٣ ــ غرة جمادي الثانية سنة ١٣٥٨ هـ.
أم القرى، بعددها الصادر في ١٣ ذي الحجة ١٣٦٨ هـ ــ خطبة الأمير فيصل بن عبد العزيز في المنطقة الغربية.
أم القرى، العدد ٨٥٧ ــ الصادر في الخميس ١١ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ هـ.
أم القرى، خطبة الملك في المأدبة الكبرى بعددها رقم ٩٨٩ الصادر في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ هـ.
خطاب في جريدة الجزيرة ــ للملك فهد بن عبد العزيز، العدد ٧٠٩٥ ــ في ٢٨/ ٨/ ١٤١٢ هـ.
مجلة الحج، عدد جمادي الثانية سنة ١٣٦٧ هـ.
مجلة دارة الملك عبد العزيز، السنة الأولى العدد الأول بتصرف بحث إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة ــ أحمد الضبيب.
مجلة الفتح القاهرية، يصدرها الشيخ محب الدين الخطيب ــ عدد (٥٠) في ذي الحجة عام ١٣٤٥ هـ.
مجلة الفن الإذاعي، العدد ١٠٤ يناير ١٩٨٥ م.
النشرة التربوية ــ الملك عبد العزيز والتعليم، العدد ٦ ــ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٢ هـ.
مجلة المنار، ج ٢٩.
مجلة المنار، ج ٣٥ ــ جمادي الثانية ١٣٥٨ هـ.

مجلة المنهل، جمادي الأولى سنة ١٣٦٧ هـ.
مجلة هذه سبيلي، العدد الخامس سنة ١٤٠٣ هـ ـ يصدرها المعهد العالي للدعوة.
مجلة اليمامة، مقالة حمد الجاسر ـ العدد الخامس ـ ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ هـ.

□ □ □

فهرس الموضوعات

الباب الثاني: وسائل الدعوة وأساليبها:

□□□